منبر الإسلام

العدد السادس – السنة ٢٤
جمادى الآخرة ١٣٨٦ هـ ١٦ سبتمبر ١٩٦٦

الثمن ٥ قروش

منبر الإسلام

رئيس التحرير

محمد توفيق عويضة

العدد السادس - السنة ٢٤

جمادى الآخرة ١٣٨٦ - ١٦ سبتمبر ١٩٦٦

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

* خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى احتفال جامعة الاسكندرية بالعيد الرابع عشر للثـــورة
* حديث مع سفير افغانستان بالقاهرة
* الصوفية فى الهامهم ... **الأستاذ حسن كامل الملطاوى**
* حق المجتمع على الفرد ... **فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى**
* الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. **الدكتور احمد الحوفى**
* دعوة الميثاق الى تعديل القوانين دعوة حق : **المستشار أحمد موافى**
* عود على بدء ... ... **فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى**
* طهارة الابدان ... ... **الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل**
* من توجيهات النبوة: **فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى**
* خواطر مستشار ... ... **المستشار على على منصور**
* ألفاظ القرآن الكريم ... **فضيلة الشيخ أحمد الشرباصى**
* موقف الاسلام من الحلف الاسلامى **فضيلة الشيخ صالح موسى شرف**
* حول خطاب الرئيس فى عيد الثورة : **الدكتور عبد الغنى الراجحى**
* دين الله غنى عن الأحلاف : **فضيله الشيخ محمد حافظ سليمان**
* الحلف النبوذ **فضيلة الشيخ سليمان حسن عبدالوهاب**
* ماذا تعرف عن العالم الاسلامى : **الدكتورة عنايات الطحاوى**

الإشتراكات عن سنة

٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة ٤٠ قرشا للعمال والطلبة
يضاف الى هذا قيمة البريد خارج الجمهورية العربية المتحدة
ومايساوى هذه العملة فى البلاد الأخرى

الإشتراكات تدفع مقدما

تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين

العنوان

٣ شارع الامير قدادار المتفرع من شارع التحرير بالقاهرة
ت ٢٨١٥٦٠

خطاب الرئيس جمال عبد الناصر

فى

احتفال جامعة الاسكندرية بالعيد الرابع عشر للثورة

الثورة وسيلة لبناء المجتمع ومشروعات الصناعة والزراعة وتأميم القناة
وبناء السد العالى وسيلة لزيادة الدخل والإنتاج وعدالة التوزيع

الاستعمار والرجعية العربية والاحتكارات العالمية تحاربنا لأنها تخشى امتداد ثورتنا إلى الشعوب الأخرى

تكلم السيد مدير الجامعة عن العلم فى خدمة المجتمع . وان عبر هذا عن شيء فانما يعبر عن سيرنا فى الطريق الاشتراكى ، فى الحقيقة كل شيء النهاردة فى لدنا هو اصلا فى خدمة المجتمع . الثورة فى حد ذاتها ليست غاية ولكنها وسيلة بتحل المجتمع من شيء الى اخر. الثورة وسيلة لاقامة مجتمع الكفاية والعدل . الثورة وسيلة من اجل اعادة تشكيل المجتمع حتى تسود فيه المساواة وتكافؤ الفرص . الثورة سبيل للقضاء على قيم قديمة ثبتت ودعمت فى مئات السنين وقسمت الناس اللى همه المجتمع الى سادة والى عبيد الى مجموعة تعمل وتشقى وتكدح ولا تأخذ من ناتج عملها الا الشيء اليسير الذى يمكن لها بالكاد ان تحيا لتستمر فى العمل تخدم وتعمل وتكدح طبعا من اجل منفعة طبقة اخرى تأخذ نتاج هذا العمل .

هذا المجتمع اللى اتولدنا فيه واللى لم يمكن لنفسه بأى حال من الاحوال شريعة العدل ولا بأى حال من الاحوال ان يمكن لنفسه شريعة الله . والشرائع السماوية كلها نادت العدالة الاجتماعية وان يأخذ كل ذى حق حقه . من يعمل اذن يجب ان يأخذ حقه ولهذا قامت الثورة لتغير المفاهيم الاستغلالية التى بنى عليها مجتمع الاقطاع وراس المال . مجتمع الاستغلال .

اذن الثورة قامت من اجل المجتمع .

احنا بنتكلم عن بناء المصانع ونتكم عن الصناعة والتصنيع وخطة الخمس سنوات . الصناعة ليست مصانع فى حد ذاتها ولكن الصناعة والمصانع الحقيقية وسيلة العمل من اجل المجتمع .

واحنا بنتكلم عن الزراعة والتوسع الزراعى وزيادة الانتاج الزراعى . الفرض فى هذا ان تكون هذه الزراعة وهذا الانتاج من اجل المجتمع .

اما نقول من اجل المجتمع بيكون فيه زيادة فى الانتاج وان تكون هناك ايضا عدالة فى التوزيع .

اما بنتكلم على اى خطة واى عمل الهدف الاساسى فى كلامنا هو المجتمع . عايزين نغير المجتمع .

طبعا اما نقول عايزين نغير المجتمع قد يشعر بعض الناس ان هذا العمل عمل سهل او عمل يسير . ابدا . ده عمل صعب جدا بيعوز مننا عشرات السنين . المجتمع يتكون من طبقات متعددة فيه ثلاث طبقات او اربع طبقات اكثر من كده بكتير . فى مجتمع الزراعة نجد طبقات مختلفة وفى مجتمع المدينة نجد طبقات مختلفة وفى الحرف نجد طبقات مختلفة نجد اللى بيقدر يحصل على ما يكفيه من

الإقطاع والاستغلال والبيروقراطية فى الجهاز الحكومى هى عناصر معادية للثورة ويجب تعقبها والقضاء عليها

قوته بس ونجد اللى يقدر يحصل على قوته وعلى لبسه ونجد اللى بيقدر يحصل على قوت احسن ولبس احسن ونجد اللى بيعمل عمالة مستديمة ونجد اللى بيعمل عمالة متقطعة غير مستمرة ونجد صاحب الحرفة اللى بيقعد يعمل فى حرفته عشر ساعات واربعتاشر ساعة عشان يقدر يعيش وتعيش عيلته . ونجد الباعة المتجولين اللى بيطلع من الصبح يدور يبيع لغاية بالليل ويشتغل اربعتاشر خمستاشر ساعة عشان بالكاد يقدر يجد ما يمكنه من ان يعيش . واذا تفحصنا وحاولنا ان احنا ندرس مجتمعنا دراسة وافية نجد بعد اربعتاشر سنة من الثورة رغم الانجازات الكبيرة اللى عملناها . نجد ان العمل من أجل المجتمع ليس له حدود وليس له نهاية .

لان كلنا نريد للمجتمع كله ان يحيا حياة ترفرف عليها السعادة والرفاهية . ولن نستطيع ان نغير بؤس مئات السنين من الاستعمار والسيطرة والاستغلال فى يوم وليلة . ولن نستطيع ان نحول التخلف الى تقدم وتطور فى يوم وليلة .

كل سنة الواحد بيحس على اخر السنة ان فيه تغير فى المجتمع .

انا اول امبارح وانا نازل من المعمورة الى ملعب البلدية شوفت يمكن مئات الالوف باقول من الناس على طريق الكورنيش .

كل سنة بابص وبأقارن اما بانزل فى هذا اليوم بالسنة اللى قبلها ..

كل سنة يسترعى نظرى ان عدد الناس الموجودين هنا اكتر .

السنة دى استلفت نظرى عدد الناس اكثر من السنة اللى فاتت السنة اللى فاتت عدد الناس اكتر من اللى قبلها .

فيه طبقات فعلا طلعت من تحت الارض ووجدت الفرصة ان تعيش .

بتيجى النهاردة يمكن الاسكندرية عشان تصيف وتقعد اسبوع او عشر تيام .

فيه عائلات مكنتش ابدا تفكر انها تاخد اجازة وتاخد راحة .

النهاردة العمل من اجل المجتمع اداها الفرصة انها تأخد اجازة وتاخد راحة .

فيه معسكرات موجودة للعمال مثلا كل سنة باقرا ان هذه المعسكرات بتكتر .

ده يبين ان فيه تغيير كبير فى المجتمع .

ولكن هل فعلا انحلت مشكلة المجتمع ؟ وتحويل المجتمع ؟ لا .

واجب المثقفين العمل على حل مشاكل الناس

بيعوز مننا الحقيقة عمل كبير جدا وجهد لا حدود له .

الثورة قامت من اجل خدمة المجتمع ولم يكن العمل على التخلص من الاستعمار الا لخدمة المجتمع. ومحاربة الانجليز الا لخدمة المجتمع. والتصميم على الأستقلال الكامل الا لخدمة المجتمع .

وطبعا كل المعارك اللى كسبناها وانتصرنا فيها مكنتنا من ان احنا نخدم المجتمع .

تاميم القنال . يقال ان تاميم القنال عمل بطولى وتحدينا فيه الانجليز وتحدينا فيه الدول الكبرى . ولكن تأميم القنال ايه ؟ تاميم القنال معناه ان انا باخد مورد من مواردنا سلب منا فى الماضى واجبرنا على ان نعطيه لشركات الاحتكار العالمية . بنستعيده لنعطيه الى ابناء بلدنا .

النهاردة احنا ناخد من القنال ٩٠ مليون جنيه او اكثر من ٩٠ مليون جنيه معناها ان احنا بنزود دخل كل فرد فى هذا البلد ب ٣ جنيه .. بنرفع مستوى المعيشة ب ٣ جنيه .. بنفرق ال ٩٠ مليون جنيه على ٣٠ مليون مواطن — اذن تاميم القنال كان ايضا من اجل المجتمع — ايضا عملية السد العالى .. وكنا دخلنا معركة علشان السد العالى معركة عنيفة لان احنا كنا عايزين نبنى السد العالى والاستعمار رفض ان نبنى السد العالى وامريكا ارادت بكل الوسائل ان تعرقل ان نبنى السد العالى . ودخلنا وخاطرنا وغامرنا مغامرات كبيرة من اجل السد العالى .. السد العالى اما بيدينى من الرقعة الزراعية مليون ونصف فدن حول ٧٠٠ الف فدان الى زراعة دائمة بدل زراعة مليون ونصف فدان حول ٧٠٠ الف فدان الى زراعة دائمة بدل زراعة — معنى هذا ان انا رفعت دخل كل فرد من ابناء الوطن الى حوالى ٩ جنيه او ١٠ جنيه — اذن الحقيقة كل العمل الذى نعمله هو من اجل المجتمع — ولكن هل من اليسير ان نحول كل الناس الى الحياة السهلة؟ لا — نعوز عمل مستمر وعرق وتعب وجهد مستمر خصوصا من الناس اللى وجدوا الفرصة ان يعيشوا العيشة السهلة . وده واجب المثقفين بيقال باستمرار ان المثقفين يميلون الى اليمين اكثر مما همه ميالين الى اليسار ميالين الى اليمين يعنى ميالين الى النظام الطبقى او الاوضاع الاستغلالية ولكن انا ارى فى تجربتنا هنا فى مصر التى لن تبنى على القسر ولا الارغام ولكن على الاقناع وعلى الشعور بالمسئولية وعلى الشعور بالواجب وعلى أساس ان كل واحد من المثقفين اصله بيرجع الى الأرض الى القرية والى الترعة والى الطين اللى موجود فى حدودنا اشتغل فيه عشرات ومئات السنين — يمكن للمثقفين انهم يقوموا بدور كبير جدا .

اذا ارادوا على اساس ان يخدموا هذه الطبقات التى لن تستطيع حتى الآن ان نوفر لها الحياة السعيدة او الحياة الرغدة وده بأن يكون

فعلا زى ما قال مدير الجامعة العلم للمجتمع مش العلم للاستغلال . وفى اى ثورة لازم يكون فيه امر واضح فيه اعداء للثورة وفيه مؤيدين وحلفاء للثورة وكل ثورة حتى تريد ان تنجح لا بد ان تصنف مين همه اعدائها ومين همه حلفائها . اعدائها لن يكونوا بأى حال من الاحوال لها فى سبيل تحقيق اهدافها خصوصا اذا كانت هـذه الثورة ثورة اشتراكية ثورة تقضى على الاستغلال بكل انواعه لتقيم مجتمع الكفاية والعدل . المجتمع اللى تذوب فيه الفوارق بين الطبقات واللى ياخد كل واحد من الناس حقه حسب جهده وحسب عمله وحسب خدمته لهذ المجتمع الذى نعيش فيه واللى يتمتع كل فرد فيه بحريته . من السهل جدا اذا نظرنا فى هذه الطبقات واذا حللناها ان نعرف مين همه اللى مع الثورة والمتحالفين معها ومين همه اعداء الثورة ومين همه الناس اللى يمثلوا القوى المناهضة للاشتراكية القوى المناهضة للتقدم والتطور بحيث نخلق فعلا المجتمع الذى تذوب فيه الفوارق بين الطبقات انا باقول تذوب فيه الفوارق بين الطبقات ما بقلش تذوب فيه الفوارق بين الناس الطبقات دى بدعة خلقها الاستغلال والتحكم على مر السنين فى المجتمعات القديمة واصبح مجتمع السادة والعبيد ثم مجتمع الرق ثم عصر الرق الى اخر الاسطورة اللى احنا عرفينها ولكن هل فعلا الرق انتهى ؟ هل فعلا العبودية انتهت ؟ هل اذا وجد اقطاع نقدر نقول ان العبودية انتهت ؟ اذا كان فيه اقطاع يعنى هذا العبودية مستمرة تحت اسماء اخرى تحت اسماء عمال تراحيل تحت اسماء (عزبة فلان) تحت اسماء (ارض فلان) تحت اسماء (فلاحين فلان) دى العبودية دى العمل اللى احنا عايزين نعمله نخلص اثار الماضى ونخلق مجتمع تذوب فيه الفوارق بين الطبقات مش بين الناس لان الناس حاتلاقى المجد والبليد والمكافح والكسلان فلا يمكن ان نساوى المجد بالبليد ولا يمكن ان نساوى المكافح المناضل بالكسلان ولا يمكن ان نساوى العامل المواظب على عمله بالعامل اللى بيغيب من عمله بسبب او بدون سبب وانا فى رأيى ان العامل اللى بيغيب من عمله بسبب او بدون سبب لازم يفصل ولا نستطيع ان نتحمل ابدا امراض بهذا الشكل . اذا كنا احنا بنقول احنا ثورة من اجل اذابة الفوارق بين الطبقات واذا كنا بنقول ان احنا ثورة من اجل المجتمع فالعامل اللى يغلط فى حق المجتمع لازم ياخد جزاؤه مفيش طبقات راس مالية سيدة ومفيش طبقات اقطاعية سيدة ومفيش عمال ممكن يكونوا عمال من الاعيان . الكل يعمل من اجل المجتمع والكل يعمل من اجل خدمة المجتمع والكل يعمل من اجل بناء الاهداف الكبيرة العظيمة اللى قامت من اجلها الثورة واللى نادى بيها الشعب طوال السنين الماضية .. تستطيع .. قوى المثقفين تستطيع انها تعمل الكثير وانا باقول ان كل واحد فى مجاله يستطيع ان يفعل ما يغير وجه البسيطة مش ضرورى يكون رئيس جمهورية او نائب رئيس جمهورية علشان يعمل لو انتو هنا فى جامعة الاسكندرية حسنتوا او صلحتوا وخلقتوا الجيل اللى فعلا حايطلع يشتغل علشان نسلموا القيادة بعد كده بطريقة سليمة ممكن الواحد منكم من غير ما يحس من غير ما يشعر تغيير بواسطة

الناس دول اللى همه حا يطلعوا من تحت ايده وجه الأرض فى بلدهم . وممكن طبعا اذا الواحد ما قمش بواجبه ممكن يغير ايضا وجه الارض ولكنه تغيير الى اسوأ والى اوحش كل واحد فى ميدانه يستطيع ان يعمل الشىء الكثير .

النهاردة بعد اربعتاشر سنة بنبتدى نقيم لجنة لتصفية الاقطاع واحنا اتناقشنا فى هذا مناقشات كثيرة وكانت بتيجى لنا صور والواحد مكنش بيصدقها وانا بحثت عن صور وشفت صور من اسيوط واتكلمت فيها مع اخوانى مبقوش مصدقين ان هذه الصور موجودة . غريزة استعباد الانسان للانسان غريزة موجودة اما بالاقطاع او النفوذ او بالسلطة او بالاجرام او بالتهديد او بالتخريب او بالاغتصاب .. الانسان المصرى .. الفلاح المصرى اللى عاش مئات السنين فى مجتمع الاقطاع بيكافح دبيناضل ولكنه اما يجد القوة الغاشمة والارهاب والقتل يقول دى الدنيا متغيرتش والكلام اللى بيتقال ده بنسمعه فى الاذاعة ولكن تطبيق مفيش قد يستكين خصوصا اما يلاقى اجرام لا يتصوره انسان انا قرات حوادث فى لجنة تصفية الاقطاع لا يتصورها بشر اعتداء على اعراض وعلى حرمات وعلى انسانيات وقتل وتعذيب فى الوقت اللى احنا بنقعد نتكلم على الحرية والعدالة والمساواة مين همه اعداء الثورة لازم نحدد مين همه اعداء الثورة ولازم نتتبع اعداء الثورة.

دول اعداء الثورة . اعدائى انا ليه . انا ماليش اعداء . انا لاعندى ارض ولا عندى حاجة ولا عبت فى واحد فى خفاه شخصيا ولا اى موضوع شخصى فى هذا البلد . اذا كان الموضوع شخصى مفيش حد حايخانقنى على موضوع شخصى مفيش موضوع شخصى اتخانق فيه مع اى واحد . ولكن طبعا مستعد اطبق رقبة اى واحد عشان موضوع اجتماعى . موضوع الثورة . فهو اللى بيقول عبد الناصر واللى بيقول فساد للثورة . هو مضاد للثورة ليه لانه شايف ان الثورة تمثل ارادة التغيير . وارادة التغيير حاتحرمه من مكاسب ورثها . اللى كان عنده ارض وكان عندهم الاف الافدنة حاناخد منهم الارض . طب واللى عنده نفوذ ما هو عايز يستغل النفوذ . واللى كان عنده سجن فى القرية فى البلد عايز يستعمل السجن ده . واللى كان بأجر القتلة والمجرمين عايز يبقى سيد .

طبعا لا بد لنا ان نحدد من هم اعداء الثورة وما نسيبهمش بنفضل وراهم لغاية ما نقطع دابرهم مهما كان . اذا اردنا للثورة ان تنجح لا بد ان احنا نعرف ان فيه ثورة واعداء للثورة . ومانقدرش نقول ان فيه ثورة ومالهاش اعداء . اذا حاولنا ان نوهم انفسنا ان الثورة مالهاش اعداء نبقى ناس بنضحك على نفسنا ولا نستطيع أن نقدر الامور . ثورة اجتماعية . ثورة اشتراكية . اذن لازم للثورة اعداء . الاعداء طبعا فى نفس الحالات يلبسوا الاقنعة ويتصلوا باصحاب الشان ويتصلوا بالاجهزة البيروقراطية ونجد طبعا عندهم الفرصة انهم . الجهاز الحكومى يمشوه معاهم . وعلى هذا الاساس ايضا لازم البيروقراطية فى الجهاز الحكومى نتابعها على اساس انها تمثل عنصر من عناصر اعداء الثورة .

الناس اللى بيروحوا فى الريف .. الموظفين اللى بيروحوا فى الريف .. احنا فى الريف .. احنا مع الطبقة المحرومة .. احنا عايزين نطلع الفلاح اللى كان محروم من حقوقه وندى له حقوقه وعايزين ناخد له حقوقه وندى له حقوقه وعايزين ناخد له حقوقه من الناس اللى سلبوه هذه الحقوق علشان يستطيع ان يحصل على حقه .

طب احنا حانباشر هذا بايه ؟ ما هو بالجهاز الادارى بالحكومة . اذا كان الجهاز الادارى بيروح فى الريف حايروح هايقعد مع مين ؟ ما هو الريف معروف . الطبقة اللى تملك واللى كان عندها النفوذ والجاه واللى عندها البيوت والقصور والفلاحين . الناس اللى بيتعششوا فراخ والناس اللى بيتعشوا عيش وجبنة او عيش بس . طب لو راح الجهاز الحكومى واتعزم عند بتوع الفراخ وابتدا يمشى معاهم ويسهر معاهم ويجى له بالليل ازازة ويسكى ويضحكوا على الموظفين وعلى الأجهزة الادارية اذن يجب ان نتتبع هذه العناصر فى الجهاز الادارى ونقضى عليها لانها تكون بهذا عناصر معوقة للثورة ده المجتمع اللى عايشين فيه.

عايزين الجهاز الادارى ينزل للناس ويشوف امورهم .

اذا ارادت الثورة ان تنجح لن نستطيع بالكلام ابدا ولا الدعوة والفكر والكلام اللى بنسمع بيه ده والتوعية كل ده مجهود نتيجته يسيرة جدا نتيجته قليلة جدا مهما اتكلمنا وقلنا مفيش فايدة فى كلامنا . انا مش متصور ان الناس اللى كانوا بيآسوا من الاقطاع فى الريف نفعت فيهم التوعية والدعوة والفكر والكلام اللى بنقوله ده كل ده لا يمكن انهم انهم يصدقوه ويقولوا ان ده كلام هجص . اذا كانوا بيسمعوا من الراديو هذا الكلام وشايف فى البلد ان فيه شخص مستبد متحكم فى القرية اللى بيفتح بقه بيقطم رقبته يبقى توعية تنفع فى ايه ؟ ودعوة وفكر بينفع فى ايه ؟

اذا اردنا فعلا ان احنا نبنى الثورة ونجند للثورة فعلا الناس والشعب ونجند للثورة حلفائها هم مين حلفاء الثورة ؟ طيب ما هم اصحاب المصلحة فى الثورة . الناس المحرومين اللى الثورة عايزة تديها حقوقها . لكن كيف نجندهم ؟ كيف نعبأهم ؟ ده موضوع مش موضوع سهل . لا بالكلام نستطيع ان نجندهم . ولا بالكلام نستطيع ان نعبأهم. ولكن نستطيع بالعمل . العمل ايه ؟ العمل ان احنا نشوف شئونهم . نشوف مشاكلهم . نحل شئونهم . ونحل لهم مشاكلهم . اذا وجدوا فعلا هؤلاء الناس انك بتحلله اموره وتحل مشاكله سواء على مستوى الجمهورية او على مستوى المحافظة او على مستوى القسم والمركز او على مستوى القرية . واذا وجد انك بتناضل فى سبيل حل مشاكله . واذا وجد انك فعلا بتبحث ظروف معيشته . وبتناضل معاه فى تحسين ظروف معيشته نجده على طول جند ليسير معك فى الثورة ويؤمن بها. مهما وقفت تكلمه كلام بدون عمل لن يكون هناك اى فايدة . لازم العمل .

(البقية ص ١٧٧)

حديث مع

سفير أفغانستان الجديد بالقاهرة الأستاذ سيد شمس الدين مجروح

فى ٦ يوليو ١٩٦٦ – قدم الاستاذ سيد شمس الدين مجروح أوراق اعتماده الى الرئيس جمال عبد الناصر سفيرا لافغانستان بالقاهرة

والتقت به مجلة منبر الاسلام للتهنئة ، ولاستطلاع رأى سيادته فى بعض الأمور التى تهم العالم الاسلامى ..

وقد رحب السفير بالحديث الى المجلة كل ترحيب ، وتحدث بافاضة تامة عن انطباعاته الجديدة عندما رأى القاهرة لأول مرة ، وقارن بين القاهرة القديمة التى عرفها عن طريق الدراسة والكتب ، والقاهرة الحديثة التى يعيش فيها منذ شهرين . وتحدث عن العلاقات العميقة الجذور بين القاهرة وافغانستان التى تقوم على اساس من الحضارة والدين والثقافة والصداقة والاحترام المتبادل وسياسة عدم الانحياز والتعايش السلمى .

كما تحدث عن الحلف الاسلامى المزعوم مؤكدا انه ليس الا سبيلا الى تفرقة المسلمين وايجاد الثغرات بين صفوفهم

ثم انتقل بالحديث الى الاسلام فى افغانستان والمعاهد الاسلامية هناك . واختتم حديثه بكلمة موجهة الى العالم الاسلامى عن طريق المجلة .

وقبل أن أقدم نص حديث سفير افغانستان اعرض نبذة مختصرة عن تاريخ حياته .

من هو سفير افغانستان الجديد بالقاهرة؟

– ولد يوم ٢٧ مايو ١٩٠٤ فى ولاية كنر بافغانستان .

– فى ١٩٣٤ – عين عضوا فى مجلس الشيوخ الأفغانى

– فى نوفمبر ١٩٤٩ – عين وزيرا للدولة لشئون القبائل فى عهد المرحوم سردار شاه محمود غازى

– فى ١٩٥٣ – انتخب لاشغال المنصب الوزارى نفسه فى عهد سردارمحمد داود

– من مارس ١٩٦٣ – حتى اكتوبر ١٩٦٥ – عين وزيرا للعدل فى وزارة – الدكتور محمد يوسف ٠

– فى اكتوبر ١٩٦٥ – عندما ألف الدكتور محمد يوسف وزارته الثانية عين نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للعدل ٠

– يتكلم اللغة البختونية والدرية (الفارسية) والعربية والانجليزية والهندية

– قدم أوراق اعتماده سفيرا للجمهورية العربية المتحدة الى الرئيس جمال عبد الناصر فى ٦ يوليو ١٩٦٦

– نشر عددا كبيرا من المقالات الأدبية باللغتين البختونية والدرية فى الصحف والمجلات الافغانية ٠

– جمع مختارات شعرية ونثرية من الأدب البختونى أصدرها فى كتاب ٠

انطباعات السفير ما بين القاهرة القديمة والقاهرة الحديثة :

يقول سيادة السفير : اننى حديث العهد بكم ٠ فهذه اول مرة أرى فيها ارض الكنانة رأى العين عن كثب ٠ أما مصر العريقة فى القدم ٠ مصر الاسلامية ٠ مصر بلد الازهر الشريف وقلعة صلاح الدين ٠ مصر التى نشرت التراثين الاسلامى والعربى فى اقاصى العالم منذ قرون متطاولة وظلت حفيظة عليها ٠ مصر بلد أهل العلم والفن والفلسفة والمعرفة والشعر والأدب ٠ فاننى على اتصال وثيق بها منذ دراستى الابتدائية فى افغانستان وما أزال كذلك حتى يومى هذا ٠

أما مصر الحديثة ٠ واعنى الجمهورية العربية المتحدة ، فلها انطباعات عميقة فى نفسى وحسى من عدة وجوه ، وفى مقدمتها حماسة زعمائها وجهودهم المتواصلة لاسعاد الشعب وتقدم البلاد ٠ فقد تقدمت الجمهورية العربية المتحدة فى عدة ميادين تقدما يفوق حد التصور فى مجالات الصناعة والثقافة والانشاء والتعمير والعلوم والاختراعات ، وكذلك لمست التجاوب العظيم بين القادة وأفراد الشعب فهم يعملون متفاهمين متكاتفين لخدمة الوطن وسط حلقة مفرغة من الحماسة والاخلاص ، فالزعماء يخططون ويوجهون وافراد الشعب يعملون ويستجيبون ٠

وقد اعجبتنى سياسة الجمهورية العربية المتحدة القائمة على الحياد وعدم الانحياز والسلام ، وهى نفس السياسة التى تسير عليها افغانستان ، وحياة أهلها المرتكزة على أساس قويم من الدين واحترام التقاليد كما هى الحالة فى افغانستان ايضا ٠ وفوق ذلك فاننى متأثر بالشعور الوطنى المنبعث من نفوس الاهلين جميعا وحماستهم للمحافظة على استقلالهم وعلى كرامتهم الشخصية ٠

تطور العلاقات بين القاهرة وأفغانستان

ويقول سفير افغانستان : العلاقات بيننا وبينكم ليست حديثة العهد ٠ انها متأصلة الجذور منذ القديم وهى متشعبة الفروع تؤتى أكلها كل حين ٠ أما اصلها الثابت فقائم على اساس الحضارة والدين والثقافة ٠

والعلاقات الحديثة بيننا قائمة على أساس الصداقة والاحترام المتبادلين وسياسة عدم الانحياز والتعايش السلمى ، وهى علاقات وطنية وروحية اكثر من اى شىء آخر ٠ وهناك معاهدة تنظم العلاقات الثقافية بيننا ، وهى تؤتى أطيب الثمار لكلا البلدين ٠ كما اننا نحاول تقوية العلاقات الاقتصادية بيننا

ومن آيات الصداقة الخالصة بيننا وبينكم قيام جمعية الصداقة العربية الافغانية فى الجمهورية العربية المتحدة ، وجمعية الصداقة الافغانية العربية فى افغانستان ، وهما تعملان على تقوية أواصر المودة بين البلدين وكفى بالاسمين على ذلك شهيدا ودليلا ٠ واكرر ما ما قلته آنفا ، وهو ان علاقاتنا قائمة على اساس مكين من تعاليم السيد جمال الدين الافغانى الفيلسوف والمصلح والثائر الاسلامى العظيم الذى دوت صيحته فى أرض الكنانة وكان

لها رنين وصدى وأثر كبير . وقد اشار اليها السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى كتابه (فلسفة الثورة)

ومما أثلج صدرى اننى لم يمض شهران على وجودى بينكم ، حتى شعرت بأثر الدعوة التى نادى بها السيد الأفغانى وبأن عدادا كبيرا من تلاميذه ينشرون لواءه ويعملون بمبادئه ويسيرون على نهجه القويم .

اما من الناحية الوطنية ، فان افغانستان لتأمل فى ان العلاقات الأخوية القائمة بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة على اساس من الصداقة وحسن النية والتعاون والمثل العليا ، سوف تزداد رسوخا وعمقا فى مقتبل الايام ، ان جهودها التى كانت مثمرة ومشتركة منذ مؤتمرات باندونج وبلجراد والقاهرة سوف تثمر ثمارها المرجوه لخير السلام العالمى والحرية والجنس البشرى والرخاء العالمى

ماذا يقول سفير افغانستان عن الحلف الاسلامى : ؟

يقول سيادته :

ان هذا الحلف الذى سمعنا عن الدعوة اليه سبيل الى تفرقة المسلمين وايجاد الثغرات بين صفوفهم .. وهذا مما ليس فى صالحهم البتة .. وبدلا من هذا الحلف ، أعتقد أنه من الأنسب أن تتفاوض الدول الاسلامية التى ماتزال بعض الامور معلقة بينها ، لكى تصل الى كلمة سواء وتصفى جميع وجوه الخلاف ، وبذلك يسود التفاهم وتعم الاخوة والوحدة والوئام بين جميع الدول الاسلامية ، وهذا مادعا اليه كتاب الله الكريم فى قوله (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا .

الاسلام فى افغانستان ماضيا وحاضرا

افغانستان مملكة اسلامية عريقة . وكما سبق ان ذكرت آنفا ان دينها الرسمى هو الاسلام وجميع سكانها مسلمون على مذهب الامام الاعظم ابى حنيفة النعمان ، ولها قدم صدق فى خدمة الدين الاسلامى ونشر تعاليمه على أقوم سبيل ، على أن الافغانيين نالوا الآن أوفر قسط من المدنية الحديثة . الا انهم يتمسكون بتقاليدهم وبتعاليم دينهم . فالدين عندهم وطنية ومدنية وهما صنوان متلاصقان اذ لا دين بغيرهما ولا وطنية أو مدنية بلا دين .

ويلمس الزائر لأفغانستان لأول وهله كيف ان الدين ذو أثر ظاهر فى كل ما تقع عليه عيناه ويشعر به من آثار ومساجد ومعاهد واحتفالات وتظهر آثار الدين فى اجلى مظاهرها محاطة باطار من التقوى والخشوع خلال شهر رمضان المبارك وفى الاعياد الدينية .. ان الاسلام الذى تنبض به قلوب الأفغانيين جعل منهم ابطالا وطلاب استقلال . وجعل من افغانستان بلد البطولات ،لا فى افغانستان وحدها بل فى آسيا كلها .

اننا جميعا فى افغانستان نعتبر الدين اساسا لكل سعادة ودعامه قوية لثقافتنا وان الاعتصام به هو خير سبيل للنجاح والتوفيق ، وانه بغير مبادىء الاسلام السمحة يكون كل شىء باطلا .

المعاهد الاسلامية فى افغانستان

ويقول سيادة السفير : ابدا بالقول انه لاتوجد فى افغانستان معاهد ثقافية اجنبية لافى القديم ولا فى الحديث . فنحن نؤمن بأن الثقافة الصحيحة يجب ان تقوم على اساس وطنى ، وأنه مع درجات الطفولة يجب أن يغذى النشء الحديث بقدر كبير من الأخلاق ، والفضيلة والدين ، وحب الوطن ، وعلى هذه الأسس القويمة والقوية . يكون التعليم الثانوى الجامعى فى مختلف مراحله ، ومؤسساتنا التعليمية جميعها قائمة على اساس دينى وعلى مبادىء الاسلام ، ذلك ان الاسلام هو دين الدولة الرسمى كما أسلفت القول .

وتفخر افغانستان بأنها غنية بالمعاهد الدينية ، قديما وحديثا ، وهى كثيرة عندنا لأن أساس التعليم كما قلت هو الدين . ولقد تخرج من المعاهد الدينية خلال الأجيال المتعاقبة عدد من العلماء والصوفيين الذين نشروه وأدوا له أجل الخدمات فى أنحاء العالم ويكفى افغانستان فخرا أنها قدمت الى العالم

الاسلامى عالما من أكبر علمائها وواحدا من المجتهدين هو الامام الاعظم ابو حنيفة النعمان رضى الله عنه . ومنذ ثلاثة أعوام ، احتفلت افغانستان بمرور تسعمائة عام على وفاة المتصوف الاسلامى الكبير الشيخ عبد الله الانصارى الهروى الذى يعد من الدعائم الركنية للمذهب الصوفى . كما قدمت افغانستان الى العالم الاسلامى المتصوف الكبير مولانا جلال الدين الرومى البلخى . ناهيك بالمئات من جلة العلماء الذين خدموا الدين فى ميادين التفسير وشرح الاحاديث النبوية الشريفة وأحكام الشريعة والفتاوى والفقه والفلسفة

ولكى تكون لديكم فكرة عابرة عن المعاهد الدينية التى تنشر تعاليم الدين الحنيف فى افغانستان ، أذكر لكم بعضا منها .

كلية الشريعة فى بضمان - ودار العلوم فى كابل - وفخر المدارس فى هرات .

ونجم المدارس فى ننفرهار . والمدرسة الاسعدية فى مزار شريف .

وكثيرون من الذين تخرجوا من هذه المعاهد حضروا فى بعثات الى القاهرة للتخصص فى العلوم الدينية والشرعية وعادوا الى افغانستان وفى ايمانهم مصابيح الدعوة والارشاد .

وأفغانستان غنية بالآثار الاسلامية . والمتحف الوطنى فى كابل مملوء بنماذج منها ، والذى يزور هذا المتحف يجد نفسه أمام عدد من القاعات الرائعة ، ومن بينها القاعة الغزنوية وقاعة مشكرغاه وقاعة المخطوطات وقاعة القرآن الكريم ومكتبة المخطوطات ، وكل واحدة منها كنز قائم بنفسه يتحدث عن عظمة الآثار وعراقة افغانستان فى المدنية الاسلامية .

ولقد اتيحت لى زيارة دار الكتب فى القاهرة ووجدتها زاخرة بالمخطوطات القيمة من من افغانستان وعنها وهى تقوم دليلا على الخدمات الجلى التى قدمتها افغانستان للاسلام والمسلمين .

وكذلك علمت انه يوجد جناح فى متحف الفنون الاسلامية بالقاهرة يضم كثيرا من الآثار الافغانية منذ العهد الاسلامى وانها تنطق بالروح العالى الذى بلغته افغانستان منذ ابتغت الاسلام لها دينا

وارجو ان تتاح لى فرصة قريبة لزيارة هذا الجناح

كلمة يوجها سفير افغانستان الى المسلمين فى العالم عن طريق المجلة :

واختتم سعادة سفير افغانستان حديثه معى بكلمة موجهة الى مسلمى العالم قال : .. أريد ان اقول كلمه موجزة فخير الكلام ماقل ودل . وهى ان ديننا الاسلامى الحنيف كان دائما دين التطور والتقدم والارتقاء والمدنية ويساير كل عصر ، ولم يكن قط دين الجمود والتقهقر ، فهو يحاربهما ويقاومهما . فاذا فطن المسلمون الى هذه الناحية المهمة من أمر دينهم وتسلحوا بالقوة وبالعلم وبأساليب المدنية العصرية فانهم لن يذلوا وسيظلون فى الذؤابة بين أمم العالم .

فالمسلمون كانوا فى اوج عزهم ومجدهم عندما كانت لديهم القوة والمنعة ويمشون مع تطور الزمن ويسيرون فى موكب المدنية الصحيحة .

واكبر دليل أسوقه اليكم هو مأساة فلسطين المفجعة التى هى جرح دام فى قلب كل مسلم مؤمن . ومما لاشك فيه ان اعداء الاسلام مع الاسف يتسلحون بالقوة سواء بطريقة مباشرة او غير مباشرة للقضاء على عزة الاسلام والمسلمين . بينما المسلمون يقفون جامدين مكتوفى الايدى لايبدون حراكا وعلى قلوب اقفالها . ولاتهزهم النخوة الدينية لصد هذا الهجوم المخيف الذى يهددهم فى صميمهم وكيانهم ومصيرهم وكأنى بلسان حالهم يقول انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون)

أما الشىء الثانى الذى أريد أن اقوله فهو ان المسلمين بخير ماتمسكوا بماجاء فى كتاب الله الكريم الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وبما فيه من كنوز الحكمة والموعظة الحسنة وما يحيويه من توجيه سديد . انه واضح المعالم فيه الهدى والنور والتبصر لمن أراد ان يتذكر أو أراد العزة والسعادة والمجد .

الصوفية في الهامهم

الأستاذ حسن كامل الملطاوي

- ١٦ -

« فان أنا أبصرت ، فلا أبصر الا من ضوء روحك الطاهرة الطيبة التى ينعكس نورها على قلبى الكثيف ، فيرى قلبك النقى السليم، فيحمد الله سبحانه وتعالى على ذلك الاخلاص، الذى يدين به قلبى . فيدعو الله ان يديم عليكم نعمته ، وأن يرزقكم الحسنى وزيادة ، وأن يجعلنا جميعا من عباده المخلصين الذين لا يرون سواه » .

وبأسلوبه الحكيم هذا ، كان شيخى العارف بالله ، سيدى عبد السلام الحلوانى - رضى الله عنه - يربينى فى جنب الله ، فهو يمتدح الصفات التى رجا أن أكون متصفا بها ، ومحافظا عليها ، ويعلمنى فى قالب التشجيع السعى اليها . ويرشدنى بحاله وماله الى التواضع لله ، والافتقار اليه سبحانه ، مهما بلغ المؤمن فى طاعته ، ويود شيخى ان يكملنى فلا أرى لنفسى عملا ، بل أرى المنة لله تعالى وحده **« وما بكم من نعمة فمن الله »** وعندئذ لا أزكى نفسى ، أو أفاخر غيرى **« فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى »** وانما يتحدث المؤمن بنعمة الله عليه **« فاذكرونى أذكركم ، واشكروا لى ولا تكفرون »** ، وما أبدع مايقول سيدى العارف بالله ابن عطاء الله السكندرى:

اذا أراد أن يظهر فضله عليك ، خلق فيك ونسب اليك » .

ثم ان شيخى طيب الله ثراه ، ينسب لنفسه كثافة القلب ، مع ما بلغه من ولاية بفضل الله عليه. وذلك بشهادة شيخه القطب الاكبر . سلطان وقته . ومجدد قرنه .. سيدى الغوث الحاج محمد أبو خليل ، ساكن ضريحه الأنور بالزقازيق ، فانه كان اذا قدم عليه سيدى عبد السلام ، يرحب به فى شوق واعزاز ، ويقول له على مسمع المريدين ، أهلا بالولى الكامل ، كما يقول له: والله العظيم والله العظيم ، أنت قطب .. أنت قطب .

والتواضع لله تعالى ، من شأن كلمة الرجال ، فان شيخنا الأكبر القطب سيدى أبو خليل - رضى الله عنه - ورث تلاميذه العظام ذلك التواضع ، وكان أميا ، لا يقرأ ولا يكتب ، ولكن أتاه الله ولاية كبرى وعلمه ما لم يكن يعلم من علم الوراثة الوهبى .. الذى فتح الله بابه بتعليم أبى البشر آدم - عليه السلام - وجعله به معلما للملائكة الأطهار ، الذين لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون .

وما لى أذهب الى سيدنا آدم - عليه السلام - ونبينا الأكرم - صلوات الله وسلامه

عليه وعلى آله وصحبه ـ اقرب الينا عهداً وهو الأمى ، الذى بعث فى الأميين ، وغرف العلماء من بحر علمه ٠٠ ما ارتوت منه الأجيال المتعاقبة ، ولا زالوا يرتوون ، وماخفى عنهم من علمه ، أضعاف ماظهر لهم ، وسبحان الله الفعال لما يشاء ، ويرحم الله امير الشعراء شوقى اذ يقول مخاطبا له ـ صلى الله عليه وآله ـ :

يا أيها الأمى حسبك رتبة
فى العلم أن دانت بك العلماء

كما يقول سيدى العارف بالله الشيخ احمد الحلوانى الخليجى « والد شيخى ـ رضى الله عنه ـ :

تلك المعارف والعوارف فيهمو
من بحر منتك العميمة سيبيم

وتواضع مولانا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشهر من أن يذكر ، وقد قال صديقى العلامة الشيخ الصاوى شعلان ، فى ذكرى مولده ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو يشير الى تواضعه ، ركب البراق وساير الملائكة ، وعرج به الى السموات العلا وما فوقها ومع ذلك جلس على الحصير وكلم الفقير ٠

والأولياء ، وهم خواص المؤمنين ، يتأسون به ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فى أقواله وافعاله وأحواله ، لذلك يكونون فى افتقار دائم الى الله تعالى فى كل حال ، وهذا ما يجعلهم فى ترق متزايد من عطاء الله الذى لاينفد ، أما عوام المؤمنين فلا يظهرون الافتقار اليه سبحانه الا عند الاضطرار فاذا انفرج كربهم ، غفلوا عن افتقارهم بزوال الضرورة التى ألجأتهم اليه جل جلاله ٠

والسادة الصوفية يتهمون انفسهم على الدوام ، ويرونها مقصرة فى جنب الله ، مهما علوا فى سلوكهم اليه تعالى ، لأن كل مقام أعلى يصلون اليه يرون به المقام الأدنى الذى تركوه فيجاهدون أنفسهم جهادا مريرا ٠٠ ويحاسبونها محاسبة الشريك لشريكه ، فان سولت لهم أنفسهم أن لهم عملا صالحا ، رأوا ذلك ذنبا يستغفرون الله منه ، لذلك قالوا فى حكمهم : شتان بين تائب يتوب من الزلات وتائب يتوب من الغفلات ، وتائب يتوب من رؤية الحسنات ٠

وهم فى جهادهم المرير يذلون أنفسهم لله ، ويترفعون عن غيره ، والذلة لله من صفات العبودية ، والعزة من صفات الربوبية ، فمن تجلى عليه الحق ـ سبحانه ـ برضاه اتصف بالعزة ، كما قال تعالى « **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** » ٠

لذلك يقول بعض العارفين :

تذلل لمن تهوى فليس الهوى سهل
اذا رضى المحبوب صح لك الوصل
تذلل له تحظى برؤيا جماله
تقدم والا فالغرام له اهل

واذا لم يشهد العارف ربه بعين يقينه ، استنجد بالله من ذل الحجاب ، لذلك قال بعضهم فى مناجاته : الهى مهما عذبتنى بشىء فلا تعذبنى بذل الحجاب ٠

ولا يستطيع المؤمن أن يشهد ربه بعين يقينه ، الا بعد مجاهدات كبيرة ، يقطع بها العقبات التى تعوقه فى صلته بربه ٠ ويعبر عنها السادة الصوفية بالعلائق والعوائق ، لأن النفس البشرية تميل الى الشهوات بطبيعتها وهى أمارة بالسوء بجبلتها ، وهى مأمورة شرعا بالكف عن الشهوات ، وفى ذلك ابتلاؤها واختبارها ، ويتميز المؤمنون بعضهم من بعض على قدر الهمة فى جهاد النفس بالكف عن الشهوات والجد فى الطاعات ، حتى تصفو من كدوراتها ، وتتطهر من رعوناتها ، فتزول عنها ظلمة الشهوات وتتحلى بأنوار الطاعات فتذوق من مقامات اليقين ، ما شاء الله لها أن تذوق ، وتنزع بمذاقها هذا الى عالم الملكوت الذى منه هبطت بسر الهى وقدرة علية ٠

وشاء الله ـ جلت حكمته ـ أن ينتفع القلب من فعل الجوارح ، كما تنتفع الجوارح

من أنوار القلب ، ويعلل الامام الغزالى ذلك بسر العلاقة التى بين عالم الشهادة وعالم الملكوت . فان ظاهر البدن من عالم الشهادة والقلب من عالم الملكوت بأصل فطرته وانما هبوطه الى عالم الشهادة كالغريب ، وكما تنحدر من معارف القلب أنوار وآثار الى الجوارح فكذلك قد يرتفع من افعال الجوارح أنوار الى القلب .

ولدقة خفايا اليقين ، ولقوة النفس البشرية فى امرتها لا بد من الاستعانة فى التربية الروحية بشيخ عارف بالله ممن سلكوا سبيل التصوف حتى نضجوا ، وصاروا أهلا للارشاد فاذا وجد المريد شيخا مقيدا بالشريعة ومؤيدا بالحقيقة ، تتلمذ عليه واستعان به فى مقاومة حظوظه وهواه ، وكسب الأنوار الروحية وهى مهمة شاقة على الشيخ ، ولكنه ميسر لما خلق له .

فاذاكان الشيخ ناضجا وعارفا من العارفين بالله ولم ينتفع المريد بصحبته فليس ذلك بقادح فى الشيخ انما يقدح فى استعداد المريد، أما المريد المطيع والمجد فى ظاهره وباطنه .. فانه يتقدم فى دينه لا محالة لأن الله لا يضيع أجر من احسن عملا .

وقد قال مولانا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : سلمان منا آل البيت ، وسلمان ـ رضى الله عنه ـ كان فارسيا ولكن حسن صحبته ، وقوة حجته وشدة ورعه كانت سببا فى نواله هذا الشرف الذى خلده فى الدنيا والآخرة ، وقد كان أبو جهل من صميم قريش لكنه على قربه من مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينتفع بشىء فى الدين وذلك نتيجة لسوء مسلكه ، وشدة عناده وقسوة معاداته وقوة حسده ، ونعوذ بالله من اخلاق الشياطين .

ويعين المريد فى الانتفاع من شيخه، حسن استعداده فى التلقى والاتباع ، وحسن ظنه فى شيخه واعتقاده الراسخ فى كماله ، ولئن لم يكن الشيخ معصوما عصمة الأنبياء ، فهو محفوظ بعناية الله التى يحفظ بها أولياءه ويقول تعالى فى عنايته بهم :

« ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم » .

ولغة التواضع التى كتب لى بها سيدى الشيخ عبد السلام الحلوانى ليست متكلفة ، فقد كان التواضع سجية فيه ، ومع تواضعه كساه الله تعالى وقارا ملحوظا كان يحس به من عرفه ومن لم يعرفه ، وذلك لقوة روحه فى صلتها بالله عز وجل ، حتى لقد شرفنى مرة بزيارته فى الوزارة وبعد انصرافه ، جاءنى رئيسى وكنت معه فى غرفة واحدة ، فقال لى من زائرك هذا الذى ودعته ؟ قلت له:وماسبب سؤالك : قال أحسست له باحترام ورأيت له وقارا غريبا فأحببت أن أسأل عنه ، فأخبرته بخبره ، وقلت له انه كان يتابع مسألة له بالوزارة فهو لا يفرط فى أمر دينه أو دنياه كما قيل :

فلا هو فى الدنيا مضيع نصيبه
ولا عرض الدنيا عن الدين شاغل

وقد كتبت فى سيرته كتيبا اسمه «المربى» طبع بمطبعة الحلبى فى سنة ١٩٤٧ ، وكان الشيخ رحمه الله قد انتقل الى جوار ربه راضيا مرضيا فى سنة ١٩٤٤ ، وقد تعرضت لتواضعه المقرون بوقاره فقلت ما نصه :

« وأذكر يا سيدى ، انك كنت تنكر ذاتك، وتحاول أن تخفيها فلا يزيدها الله بذلك الا رفعة وظهورا . ورحمة منه بعباده . لان الاتصال بمثلك ، رزق يسوقه الله للمؤمنين، فكم هدى بك الى الرشد وكم زاد بك اليقين. ثم تمثلت بقول ابى الطيب :

ان كنت تكبر أن تختال فى بشر
فان قدرك فى الأقدار يختال
كأن نفسك لا ترضاك صاحبها
الا وأنت على المفضال مفضال

أما ما كنت فيه من فضل ، فقد أشرت الى بعضه • ولا أدعى أنى وصلت الى عده • وحسبى أن يكون ما قلت ، كاشارة الأصبع الى النجم فى سماه ، فيهتدى بك من أراد أن يتخذ الى ربه سبيلا •

وأقسم لقد اجتمعت بكثير من ذوى الصلاح والفضل ، فما رأيت فيهم أحدا يوازيك أو يدانيك ، وأقسم ما وجدت صفة محمودة فى القرآن الكريم الا وجدتها بارزة فيك ، فالعلم والحلم والصبر والكرم والاقدام والشمم والتسامح والوفاء والتواضع والصفاء والتعفف والسخاء ، كل هذه كانت من صفاتك الغراء الى جانب ما حباك الله به من ايمان فذ بالله تعالى وثقة تامة فيه، واعتماد كلى عليه ، واتجاه دائم اليه •

فلا تعجب اذن أيها القارىء الكريم ، مع صفاته تلك • أن يكتب لى الكلمات التى صدر بها المقال ، ولئن ظهر لك كماله من مقاله ، فقد كان كماله فى حاله أظهر لمن أخذ طريق القوم عنه ، واسترشد به فى السلوك الى الله تعالى ، وعاشره فى صدق وطاعة ••

وقد تعرض لمناقب شيخنا الأكبر القطب سيدى محمد أبو خليل ، ساكن ضريحه الأنور بالزقازيق ، ولمناقب خليفته الذى كان أثيرا عنده سيدى العارف الشيخ عبد السلام الحلوانى ، أستاذى الملهم العارف بالله سيدى الشيخ على عقل الذى أنجبته الطريقة الخليلية وتربى فيها على يد العارف بالله سيدى عبد السلام فقال ارتجالا فيهما من كلام طويل :

أراد ربك يحيى القوم فانبعثت
آياته بعد اخفاء توالينا

أتى مجددهم يحيى الطريق ومن
أعطاه مولاه علما ثابتا فينا

أبو خليل أعز الله سيرته
محمد من لوجه الله داعينا

شهم أشم قوى الجأش ذو همم
مصرف سيد بالحق ينجينا

أعطاه مولاه نورا لا حدود له
فبين العلم والايمان والدينا

فكان بالفيض والالهام آتينا
للسالكين وكم أحيا مريدينا

وكان سلطان أهل الذكر أجمعهم
أولاده بقيام الليل راضونا

وكم له خلفاء قال قائلهم
الى هنا تنتهى روح المجدينا

أجلهم منزلا أعلاهم ثقة
أرضاهم خلقا أزكاهم دينا

أحلاهم منطقا أقواهم همما
أوفاهم كرما لا يقبل الهونا

مؤدب ما رأينا فى مجالسه
الا الكمال وسهل اذ يناجينا

عبد السلام وزكى الله تربته
بالطيب والمسك وازدانت رياحينا

أخلاقه فى حدود الدين قد رسمت
وكان فى سنة المختار مأمونا

وكان ينطق عن علم وعن حكم
يزجى لنا لؤلؤا بالفيض موزونا

يكفيه فضلا بأن الله سخره
للناس يحييهمو دينا ويحيينا

وما دمنا قد تعرضنا للعلاقة بين الشيخ وتلميذه ، فانى أقدم للسادة القراء الأعزاء ، بعض ما أتحفنا به من بركاته القطب العارف بالله سيدى عمر جعفر الشبراوى صاحب الطريقة الشبراوية المباركة — رضى الله عنه فى شرحه على ورد الستار ، فقد قال قدس الله سره ما خلاصته :

سئل الشيخ زروق عما قاله من أن التربية بالاصطلاح انقطعت ولم يبق الا التربية بالهمة والحال ، فأجاب رضى الله عنه ، بأن المقصود من التربية تصفية الذات وتطهيرها من رعونتها حتى تتحمل الأسرار وليس ذلك الا بازالة الظلام منها وقطع علاقة الباطل عن وجهتها •

وقطع الباطل عنها ، تارة يكون بصفائها في أصل خلقتها بأن يطهرها الله بلا واسطة ، وهذه حالة القرون الثلاثة الفاضلة الذين هم خير القرون « يقصد الصحابة والتابعين وتابعي التابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، فقد كان الناس في هذه القرون متعلقين بالحق تعالى اذا ناموا ناموا عليه ، واذا استيقظوا استيقظوا عليه ، واذا تحركوا تحركوا به حتى ان من فتح الله بصيرته ونظر الى بواطنهم ، وجد عقولهم متعلقة بالله تعالى وبرسوله ، باحثة عن مرضاتهما ، فلهذا كثر فيهم الخير ، وسطع في ذواتهم نور الحق تعالى ، وظهرفيهم من العلم وبلوغ درجة الاجتهاد ما لا يكيف ولا يطاق ، مع قلة الزمن فكانت التربية في هذه القرون غير محتاج اليها . وانما يلقى الشيخ مريده فيكلمه في أذنه فيقع الفتح للمريد بجمرد ذلك لطهارة ذواتهم وصفاء عقولهم وتشوقها الى طريق الرشاد .

أما بعد القرون الفاضلة حيث فسدت النيات والطويات وصارت العقول متعلقة بالدنيا باحثة عن الوصول الى نيل الشهوات فصار الشيخ صاحب البصيرة يلقى مريده فيعرفه وينظراليه فيجد عقله متعلقا بالشهوات الباطلة ، ويجد ذاته تتبع العقل في ذلك .. فتلهو مع اللاهين وتسهو معالساهين الغافلين وتميل مع المبطلين وتتحرك الجوارح في ذلك حركة غير محمودة فيأمر الشيخ مريده بالخلوة وبالذكر وبتقليل الأكل ، ليتخلص مما هو فيه ، فتطيق ذاته حمل الأسرار .

ثم بقى الأمر على هذه الحالة مدة ، الى أن اختلط الحق بالباطل ، والنور بالظلام فصار أهل الباطل يربون من يأتيهم بادخال الخلوة ، وتلقين الأسماء على نية فاسدة وغرض مخالف للحق ، وقد يضيفون الى ذلك عزائم واستخدامات تقتضى المكر والاستدراج فأشار الشيخ زروق على الناس بالرجوع عن مثل تلك التربية التي كثر فيها المبطلون . وباتباع الكتاب والسنة .

ويعقب سيدى القطب الشيخ عمر الشبراوى فيقول - رضي الله عنه - انما نهى الشيخ زروق عن تلك التربية لأنه كان ناصحا لله ولرسوله ، ولم يقصد الانقطاع عن التربية الحقيقية رأسا ، فان نور المصطفى - صلى الله عليه وسلم - باق وخيره شامل وبركاته عامة ، الى يوم القيامة ..

وأما الشيخ الذي يلقى اليه بالقياد فهو العارف بأحوال النبى - صلى الله عليه وسلم - حتى صار على قدمه وسقيت ذاته من نوره - صلى الله عليه وسلم - وأمده الله بحقيقة الايمان وصفاء العرفان وهؤلاء العارفون موجودون في البلاد الاسلامية .

فاطلب شيخك من بين اهل السنة والجماعة ، فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

ثم أورد سيدى الشيخ عمر قصيدة للعارف بالله سيدى أبى العباس البكرى في شروط الشيخ ومنها :

وللشيخ آيات اذا لم تكن له
فما هو الا في ليالى الهوى يسرى
اذا لم يكن علم لديه بظاهر
ولا باطن فاضرب به لجج البحر
فاقرب احوال العليل الى الردى
اذا لم يكن منه الطبيب على خبر
وآياته ألا يميل الى هوى
فدنياه في طى واخراه في نشر

هذا ويقول سيدى محيى الدين بن عربى ، وهو شيخ التصوف الأكبر - رضى الله عنه - ن لم يأخذ الطريق من الرجال فهو ينتقل من محال الى محال . كما يقول الشيخ : من حمل عنك المشقات وأشهدك منازل القربات ، الشيخ من أخذ منك وكشف عنك ، الشيخ من أمات نفسك قبل أن تموت ، وجال بروحك في عالم الملكوت ، الشيخ من أطلعك على حالك لا من أخذ من مالك .

ويشبه العارف بالله المعاصر ، السيد محمود أبو الفيض المنوفى - مد الله في عمره - وبارك له في جهاده . أثر روح الشيخ في روح المريد ، بالعدسة ذات البؤرة فانها تتلقى

حرارة الشمس ، وتركزها فى البؤرة ، فاذا سلطت على ورقة أحرقتها ، وكذلك الشيخ يمحو بنوره ظلمات الغفلة من قلب المريد ، فيصحو القلب ويتلقى موارد الاحسان .

أما قول سيدى الشيخ عبد السلام - رضى الله عنه - فى ختام عبارته . وان يجعلنا من عباده المخلصين الذين لا يرون سواه ، فقد وصفهم ابنه وخليفته المبارك السيد احمد عبد المنعم الحلوانى - مد الله فى عمره ومدده - فقال فى مقدمة كتابه « السمو الروحى فى الأدب الصوفى » (وله غيره كتب كثيرة آخرها كتاب نور الحى القيوم فى التوحيد) ما نصه :

« هو الذى نور باطن المؤمنين بهديه .. وشعشع أرواحهم بحبه ، وسربلهم بسربال جلاله ، وأسكرهم من خمر جماله ، وأفاض عليهم من فيض أنسه ، وأطعمهم من لذيذ وصاله ، فغابت نفوسهم عن المحسوسات ، واستظلت بعرش الغيب ، فظلت فى سر المكنونات فلم يأنسوا الا بنوره سبحانه وتعالى ولم يروا حركة ولا سكونا فى الأكوان كلها ، دقت او جلت . ظهرت او خفيت . الا من تأثير ارادته ، فوهبوا أنفسهم وأنفاسهم لنور معرفته ، ورأوا سر قيوميته ساريا فى جسد الأكوان فنظروا الى نورها فغابوا عن الحس ، الى حقيقة المشاهدة وفناء القرب ، أولئك الذين اصطفاهم الله لحضرته ، واصطنعهم لذاته ، وسيرهم فى الخلق على عينه ، سير المحبة والعناية والاختصاص ، وحفظ قلوبهم عن الأغيار وهياكل أرواحهم من الأشرار ، وكان منهم ملء السمع والبصر » .

ويقول فى وصفهم سيدى أبو بكر الكلاباذى (من أعلام القرن الرابع الهجرى) :

« سبقت لهم من الله الحسنى ، وألزمهم كلمة التقوى ، وعزف بنفوسهم عن الدنيا ، صدقت مجاهداتهم فنالوا علوم الدراسة .. وخلصت عليها معاملاتهم فمنحوا علوم الوراثة وصفت سرائرهم فاكرموا بصدق الفراسة ، ثبتت أقدمهم وزكت أفهامهم وأنارت أعلامهم فهموا عن الله ، وساروا الى الله ، وأعرضوا عما سوى الله ، خرقت الحجب أنوارهم ، وجالت حول العرش أسرارهم وجلت عند ذى العرش أخطارهم ، وعميت عما دون العرش أبصارهم ، فهم أجسام روحانيون ، وفى الارض سماويون ، ومع الخلق ربانيون ، سكوت نظار .. غيب حضار .. ملوك تحت أطمار، أتراع قبائل ، وأصحاب فضائل ، وأنوار دلائل ، آذانهم واعية ، وأسرارهم صافية .. ونعوتهم خافية ، صفوية صوفية ، نورية صفية .. وودائع الله بين خليقته وصفوته فى بريته ، ووصاياه لنبيه ، وخباياه عند صفية . هم فى حياته أهل صنعته . وبعد وفاته خيار أمته .. لم يزل يدعو الأول الثانى ، والسابق التالى بلسان فعله ، أغناه ذلك عن قوله .

والوصف المتقدم ، يقرب لنا فهم الأبيات الآتية المنسوبة الى امير المؤمنين الامام على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - وهى :

رأيت ربى بعيـــن قلبى
فقلت لا شـك أنت أنت

أنت الذى حزت كل أين
بحيث لا أين ثـم أنت

فليس للاين منك أيــن
فيعرف الأيــن أين أنت

وليس للكيف منـك كيف
فيعرف الكيف كيف أنت

أحطت علمــا بكل شىء
فـــكل شىء أراه أنت

وفى فنائى فنى فنــائى
وفى فنــائى رأيت أنت

اللهم ارزقنا محبتك ، واجعلها شعارنا ودثارنا ، وخذنا اليك من أنفسنا ، لنكون من عبادك الذين لم يروا سواك ، فشرفتهم بالانتساب اليك ، فى قولك الكريم :

(ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا » . آمين

الاشتراكية العربية
في ميزان الاسلام

- ٥ -

حق المجتمع على الفرد

فضيلة الشيخ
محمد محمد المدني

١ - عن تميم الدارى - رضى الله عنه - : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ان الدين النصيحة » قلنا لمن يا رسول الله ؟ قال « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » .

رواه مسلم والنسائى، وعنده « انما الدين النصيحة » ورواه أيضا الطبرانى فى الأوسط من حديث ثوبان ، الا أنه قال « رأس الدين النصيحة » فقالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال « لله عز وجل ولدينه ولأئمة المسلمين وعامتهم » .

٢ - وعن جرير بن عبد الله قال : أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت : أبايعك على الاسلام ، فشرط على : والنصح لكل مسلم ، فبايعته على هذا .

٣ - وعنه أيضا ، قال : بايعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على اقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم .

٤ - وعن حذيفة بن اليمان - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

« من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، ومن لم يصبح ويمس ناصحا لله ولرسوله ولكتابه ولامامه ولعامة المسلمين فليس منهم » .

* * *

وهذه الأحاديث كلها ترمى الى هدف واحد ، هو بيان قيمة « النصيحة » او « النصح » فى نظر الاسلام .

فالحديث الأول بمختلف رواياته يجعل الدين هو النصيحة على أسلوب الحصر بتعريف الطرفين . أو بانما . وتفسر ذلك رواية الطبرانى بما يفيد أن المراد : رأس الدين النصيحة ، أى أعظمه وأهم شىء فيه ، كما يقول الشراح .

والحديث الثانى يدل على أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يكتف بمبايعة جرير على الاسلام ، بل شرط عليه مع الاسلام

أن يكون « ناصحا » لكل مسلم ، فبايعه على ذلك .

والحديث الثالث يفيد صراحة انه صلى الله عليه وسلم جعل منزلة « النصح لكل مسلم » كمنزلة « اقام الصلاة ، وايتاء الزكاة » .. ومعلوم أن اقام الصلاة – أى اقامتها – وايتاء الزكاة ، ركنان من أركان الاسلام .

أما الحديث الرابع فهو ينفى شرف الانتساب الى جماعة المسلمين عمن لا يهتم بأمرهم ، وعمن لا يمسى ويصبح ناصحا لهم والمراد بقوله « ومن لم يصبح ويمس » : من لم يكن دائما فى جميع أوقاته على ما ذكر .

هذا هو ما تفيده تلك الأحاديث الأربعة :

* ومن حق القراء بعد ذلك أن يتطلعوا الى معرفة معنى النصح والنصيحة الذى له هذا الشأن فى الاسلام .

وفى ذلك يقول العلامة ابن الأثير فى كتابه « النهاية » :

« النصيحة : كلمة يعبر بها عن جملة هى ارادة الخير لمنصوح له ، وليس يمكن أن يعبر عن هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناه غيرها » .

ويقول الراغب الاصفهانى فى كتابه « المفردات » :

***

« النصح : تحرى قول أو فعل فيه صلاح صاحبه ، وهو من قولهم : نصحت الود اذا أخلصته ، وناصح العسل : خالصه » .

ومن هذا يتبين أن « النصح » و« النصيحة » اذا وصف بهما انسان فمعناهما أن هذا الانسان مخلص القلب ، منطو على الرغبة الصادقة فى صلاح من هو ناصح له ، لا يبتغى له الا الخير واستقامة الأمر .

وقد يوصف الكلام الصادر عمن هو مخلص ناصح أمين ، الى من هو مهتم به ، حريص على مصلحته . بانه (نصح) أو (نصيحة) فيقال : بذلت له النصح أو النصيحة ، أى كلمته وأشرت عليه بما ينفعه ويصلحه مصدرا فى ذلك عن اخلاص وود صاف وحرص عليه .

واذن يكون الأصل فى « النصح » ، و « النصيحة » معنى قلبيا تنطوى عليه نفس الناصح ، ويكون بذل الكلام المسمى بالنصح أو النصيحة أثرا له ، ومظهرا من مظاهره .

ويظهر الفرق بين المعنيين واضحا من استعمالهما فى القرآن الكريم :

فقوله تعالى حكاية عن سيدنا نوح – عليه السلام – فيما قاله لقومه :

« أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون » .

يترجح فيه معنى النصيحة القولية ، وما يعظهم به ليؤمنوا . وكذلك قوله لهم :

« ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم » .

أما قوله تعالى على لسان اخوة يوسف – عليه السلام – .

« قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون » .

فالمعنى فيه : وانا له لمخلصون منطوون على محبته وحسن القصد لمصلحته وحفظه .

وكذلك قوله تعالى فيما قصه من قول المرأة لآل فرعون :

« هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون » فان معناه على النصح القلبى الذى تنطوى عليه النفس ، لا على النصح الكلامى الذى يبذل للمنصوح .

ويظهر هذا المعنى واضحا كذلك فى قوله تعالى :

« ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله » .

فلا يتصور بذل النصح القولى – بمعنى الارشاد والوعظ – لله سبحانه ، ولكن المراد هو المعنى الأصلى القلبى .

ويقول العلامة الشيخ محمد رشيد رضا فى تفسيره لهذه الآية – فى ص ٥٨٧ ج ١٠ – ما نصه :

« النصح كل ما فيه مصلحة للأمة ، ولا سيما المجاهدين منها ، من كتمان سر ، وحث على بر ، ومقاومة خيانة الخائنين فى سر أو جهر ، فالنصح العام ركن من الأركان المعنوية للاسلام ، وبه عز السلف وبزوا ، وبتركه ذل الخلف وابتزوا » .

والأحاديث التى رويناها يقصد بالنصح والنصيحة فيها هذا المعنى القلبى ، الذى هو مرجع كل التزام يلتزم به المؤمن المخلص لله ولكتابه ولرسوله ولدينه ولأمته ، سواء أكان التزاما فعليا أم قوليا ، فالاساس هو صدق النية ، وسلامة الطوية ، وحسن القصد ، وقد يصدر عن ذلك نصح باللسان حين يقتضى المقام ، فيبذله المؤمن بباعث من خلاصه وصدق عاطفته .

وينبغى أن يعلم هنا أن النصح لله ولرسوله ولكتابه ولدينه ولائمة المسلمين ، يؤول كله الى معنى النصح والاخلاص للمصلحة العامة التى هى مصلحة الأمة ، أو مصلحة المجتمع بمعناه الواسع .

بيان ذلك : ان الاخلاص لله ، أو النصح له . انما هو اعتقاد الوهيته ووحدانيته وقدرته وسائر صفات الكمال والجمال فيه ، وأن يرتب الانسان أفعاله وتصرفاته ووجوه سلوكه فى حياته ، على أساس هذا الاعتقاد فى اخلاص ونصح وصفاء نية ، ولا شك ان من أدى ذلك على وجهه كان صالحا فى نفسه ، حريصا على صلاح غيره ، متخلقا بأخلاق الله، من الرحمة والعدل والصبر والشكر والاحسان ، فيعود ذلك على المجتمع بالخير

وكذلك من « نصح » لكتاب الله ، أى أخلص فى تطلب الهداية منه ، وفى تقبل حكمه وفى الاستمساك به ، فان ذلك يدعوه الى أن يكون بارا بمجتمعه ، حريصا على أمته .

والنصح لرسول الله كذلك ، ولدين الله كذلك ، ولأئمة المسلمين كذلك ، فان هذا كله مؤد الى صلاح الأمة .

وانما ذكرت الأحاديث النصح منسوبا الى الله وسوله وكتابه ودينه وأئمة المسلمين وعامتهم ، مع كون المآل فى ذلك كله هو صلاح العامة ، واستقامة شئون الأمة ، لأمرين :

أحدهما : التنبيه الى حق الله فى الايمان به وفى اخلاص العبادة له ، فالنصح لله فى ذلك يقتضى صفاء القلوب وتجردها عن أى لون من ألوان الشرك فى الاعتقاد أو فى العمل ، وذلك غرض برأسه وان كان من ثمراته استقامة الأمة باستقامة أفرادها وبما ينبعثون اليه من النصيحة لها تبعا للنصيحة لله جل شأنه .

ومثل هذا يقال فى النصح لرسوله ، الذى يقتضى انعقاد القلوب على محبته ، وعلى اتخاذه أسوة فى خلقه وفى سيرته ، وعلى ايثار شريعته ، فتلك أغراض برأسها وان كان من ثمراتها ما يعود على الأمة .

ومثل هذا يقال فى النصح لكتاب الله ، او لدين الله ، فانها أغراض برأسها ، مطلوبة لذاتها ولما تفضى اليه من مصالح تابعة فى الخلق .

أما النصح للائمة فقد لوحظ فيه أنهم هم القائمون بأمرها ، العاملون باسمها ، الناصحون لها ، فمن حقهم أن تنطوى القلوب على النصح لهم ، ليهدأ بالهم ، وليستقر أمرهم ، وليتفرغوا لكل ما فيه الصلاح والاصلاح ، وذلك أمر مطلوب فى ذاته ، ولأنه يعود على الأمة بخير المثرات .

الأمر الثانى : ان هذه الأحاديث تريد ان تذكر تفاصيل المنهج الذى يسلكه الفرد لكى يكون نافعا لأمته ، صالحا فى نفسه وفى مجتمعه ، وهذه التفاصيل منها ما يرجع الى الايمان بالله والنصح له ، ومنها ما يرجع الى الايمان برسوله والنصح له .. وهكذا ، وبذلك يعلم المؤمن ماذا عليه ، وما طريقه اليه ..

* والنصح أو النصيحة للامة بالمعنى الذى ذكرناه وبيناه ، هو منبع الحقوق التى يجب على الأفراد أن يرتبطوا بها للمجتمع ، أى أن كل حق يطالب به الفرد لمجتمعه ، راجع الى اصل النصيحة ، ولهذا كان هذا اللفظ من الألفاظ الجامعة الواسعة التى تغنى عن عبارات كثيرة ، ومن هنا قال ابن الأثير فيما نقلناه عنه من قبل : « النصيحة

كلمة يعبر بها عن جملة ، هى ارادة الخير للمنصوح له ، وليس يمكن أن يعبر عن هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناه غيرها » فاللهم صل وسلم وبارك على من أوتى جوامع الكلم ••

وهذه الحقوق التى تتفرع على النصيحة للامة كثيرة ، منها :

١ – شعور الفرد بأنه لبنة فى البناء العام للأمة • وتخلصه تبعا لذلك من الأنانية الجامحة ، ونقول : من الأنانية الجامحة لأن هناك فرقا بين « الجموح » و « الطموح » فلا بأس على الانسان أن يكون طموحا عالى الهمة حريصا على أن يرتقى الى المقامات العالية ، وأن يتطلب المتاع الحسن ، ولكن ذلك مشروط بأن يظل فى حدود ما أحله الله له ، فلا يتجاوز ذلك الى ما حرم عليه ، والا أصبح طموحه جموحا •

ومن شأن الطموح أن يرقى المستوى العام للجماعة اذا كان على شرطه الذى ذكرناه، لأن الجماعة مكونة من افراد اذا ارتفع مستواهم بالحق والعدل ارتفع مستواها كذلك ، أما الجموح فهو شطط وتجاوز عن الحدود ، ومن شأنه أن يضر بالجماعة ، لأن ارتفاع مستوى الفرد فيه يكون عادة على حساب ظلم أو ضرر يصيب غيره ، والفرض أنه ملتزم بالنصح الى الجماعة •

٢ – أن يحب المرء للناس ما يحبه لنفسه، وهو مبدأ يحرص الاسلام على غرسه فى القلوب ويربطه بالايمان ربطا قويا ، ويجعله فرقانا أمام المؤمن ، فهو يسأل نفسه عن كل مايريد أن يعامل به غيره : هل يراه مناسبا له لو أنه عومل به ، فاذا اطمأن الى ذلك كان له أن يقدم على هذه المعاملة ، واذا حاك فى نفسه من ذلك اثم أو شك كان عليه أن يتراجع عنها ، وأن يكفى الناس شرها •

وفى ذلك يقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » •

« لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه » •

« الدين المعاملة »

« عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به »•

٣ – ايثار المرء لأمر الله ورسوله على كل ما سواهما ، وذلك يلتقى بمعنى النصيحة لهما ، ويؤول الى النصيحة للامة بتحقيق مصلحتها العامة على ما بينا من قبل •

وفى ذلك يقول القرآن الكريم :

« قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين » •

فقد جمعت هذه الآية جميع العوامل التى من شأنها أن تؤثر فى الناس وتصرفهم عن المصلحة العامة الى المصلحة الشخصية فذكرت ايثار المرء لقراباته على اختلاف درجاتها ، وذكرت ايثار المرء للمال المقترف – أى المكتسب بالحق أو بالباطل – والتجارة التى يخشى كسادها ، وذكرت الترف والنعيم الذى تمثله المساكن المرضية المحببة الى النفوس ثم بينت أن من يؤثرون ذلك على الله والرسول والجهاد فى سبيل الله لا بد أن يحل بهم أمر الله – أى عذابه الشديد فى الدنيا والآخرة – وذلك يكون فى الدنيا باضطراب أمور الأمة حين يغلب عليها أصحاب الأهواء الخاصة ، والرغبات الشخصية ، فيوضع فيها كل شىء فى غير موضعه ، ويتنكر فيها للمصالح العامة مهما كانت حيوية • وجاء آخر الآية تعليلا لذلك بذكر قانون الهى كونى اذ تقول « والله لا يهدى القوم الفاسقين » ، فالفسق هو الخروج على الصلاح والعدل والاخلاص والنصيحة لله ولرسوله وللامة ، ومن شأنه أن يودى بأصحابه ويقودهم الى هاوية الدمار ، والله يتركهم لما اختاروا بعد أن يبين لهم ، لأنه تعالى « لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »•

٤ ـ الغيرة على مصلحة الجماعة ، والغضب لانتهاك الحرمات ، وكلاهما حق للمجتمع على أفراده ، أى أن الفرد يشعر بالارتياح والسعادة اذا أحس بأن الأمور العامة تسير فى اتجاه مصلحة الجماعة ، ويشعر بالابتئاس والشقاء النفسى اذا أحس بأن الامور العامة تسير فى اتجاه خاطىء ، ولا بد أن يكون هذا الشعور ايجابيا حتى تتحقق الغيرة أو الغضب على صورة فعالة ، وهذا هو المعبر عنه فى الاسلام « بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » .

***

هذه المعانى التى تدور كلها حول النصح والنصيحة هى التى تصلح عليها الأمم ، واذا كانت الأمة متقبلة لها ، مستظلة بلوائها ، فانها تفلح وتقوى وتغلب وتسعد وتسعد ، أما اذا كانت متبرمة بالناصحين ، مستثقلة لمبدأ النصح والنقد البناء ، لا تفرق بين من يخلص لها ، ويصفيها الود ، ومن لا ينطوى الا على الغش والخديعة ونصب الحبائل لاصطياد المناصب والأموال والنفوذ ، فانها تكون معرضة للفناء .

وفى ذلك يقول القرآن الكريم :

« لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » .

« فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد فى الأرض الا قليلا ممن أنجينا منهم ، واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ، وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » .

وقد أنبأنا الله تعالى بأن « ثمود » قوم صالح عتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الرجفة ، « **فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين** » .

وفى ذلك دليل على أن الأمم التى تستكبر على النصيحة ، ولا تحب الناصحين الصادرين فى نصحها عن اخلاص وصدق ، تتعرض لمثل ما تعرض له قوم صالح من الرجفة أو الهزة حسية كانت أم معنوية .

***

* والاشتراكية العربية ترمى الى اهداف تريد بها تحقيق الصالح العام :

فهى تعمل على تربية الأفراد فى الأمة على الشعور بأنهم لبنات فى بنائها العام ، وفى الوقت نفسه لا تحول بين الأفراد وما لهم من طموح وان حالت بينهم وبين الجموح .

وهى تعمل على غرس بذور المحبة بين أفراد الأمة ، وأسلوبها فى ذلك أن تسوى بين القوى والضعيف فى حق التمتع بالعدالة ، وأن توفر الكفاية لجميع الأفراد ، ثقة منها بأن الضغائن انما تأتى من التفرقة ، أو من الفقر المثير للشحناء حتى بين الأب وأبنائه ، والأخ واخوته .

وهى تقدر القيمة العملية للمعانى الروحية وللمثل العليا التى هى المثال الواقعى لمحبة الله ورسوله وايثارهما على جميع من سواهما وما سواهما ، وتعمل على أن تؤيد الاعتراف بذلك بسند من الأفعال ، فتطلب من كل ذى منصب أو جاه أو توجيه ، أن يستمسك بالأخلاق الشريفة ، وأن يؤثر الأساليب النظيفة حتى يكون قدوة حسنة لجميع العاملين ، ويتآزر العمل مع النظر ، والواقع مع الفكر .

وهى تعمل على تربية الغيرة على الصالح العام ، ويدعو قادتها دائما الى أن يقوم كل فرد بواجبه فى النقد البناء ، وفى محاربة الفساد ، ومقاومة الشر ، ومساندة الحق والخير .

وفى سبيل ذلك تفرق بين الناصحين المخلصين الجادين فى الكشف عن أساليب الفساد والمفسدين ، والمتصنعين للنصح الذين تمتلىء قلوبهم بالحقد والكراهية ، ويتظاهرون مع ذلك بأنهم طلاب اصلاح ، ودعاة تجديد .

ومن حق المخلصين الصادقين عليها أن ترعاهم وتحميهم ، ومن حق الأمة عليها أن تضرب المنحرفين عن الطريق المستقيم ، والمحترفين للافساد والتضليل ، بيد من حديد فقد يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى تفسير الزمخشرى

الدكتور أحمد الحوفى

هذا هو الأصل السادس من الأصول العامة التى أقام عليها المعتزلة مذهبهم .

وذلك أنهم رأوا – كما رأى غيرهم من المسلمين – ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب ، ولكنهم ذهبوا الى الاقتصار على القلب اذا أغنى ، فان لم يغن القلب فباللسان . فان لم يكف القلب واللسان فباليد ، فان لم تنفع اليد فبالسيف .

فلننظر كيف فسر الزمخشرى بعض الآيات الكريمة المتصلة بهذا الأصل :

١ – قال فى تفسير الآية الكريمة : **« ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » .**

ان « من » للتبعيض ، فالأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر من فروض الكفايات ، لأنه لا يصلح له الا من علم المعروف ونهى عن المنكر ، وعلم كيف يرتب الأمر فى أوقاته ، وكيف يباشره ، فان الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر ، وقد يغلظ فى موضع اللين ، ويلين فى موضع الغلظة ، وينكر على من لا يزيده الانكار الا تماديا ، أو على من الانكار عليه عبث ، كالانكار على الجلادين وأضرابهم .

وقيل ان « من » للتبيين ، بمعنى كونوا أمة تأمرون بالمعروف ، كقوله تعالى : **« كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر » .**

وعن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه سئل وهو على المنبر : من خير الناس ؟ قال: **آمرهم بالمعروف ، وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأوصلهم » .**

وعنه – عليه الصلاة والسلام – : **من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، فهو خليفة الله فى ارضه . وخليفة رسوله . وخليفة كتابه .**

وعن على – رضى الله عنه – : **أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومن كره الفاسقين ، وغضب لله غضب الله له .**

وعن حذيفة : يأتى على الناس زمان تكون فيهم جيفة الحمار أحب اليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر .

ثم بين الزمخشرى حكم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فقال ان الأمر بالمعروف

تابع للمأمور به ، ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب، وأما النهى عن المنكر فواجب كله لأن جميـــع المنكر تركه واجب ، لأنه متصف بالقبح .

ولكنه اشترط للنهى عن المنكر شروطا ، هى أن يعلم الناهى أن ما ينكره قبيح ، لأنه اذا لم يعلم لم يأمن من أن ينكر الحســن ، وألا يكون ما ينهى عنه واقعا ، لأن الواقــع لا يحسن النهى عنه ، وانما يحسن الذم عليه والنهى عن أمثاله ، وألا يغلب على ظنه أن نهيه لا يؤثر ، لأنه عبث .

كذلك اشترط أن يغلب على ظنه وقــوع المعصية ، نحو أن يرى الشارب قد تهيــأ لشرب الخمر باعداد آلاته ، وألا يغلب عـلى ظنه أنه ان أنكر لحقته مضرة عظيمة .

ووضع طريقة للانكار هى أن يبتــدىء بالسهل ، فان لم ينفع ترقى الى الصــعب ، لأن الغــرض كف المنكر ، قال تعـالى : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الأخــرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله » .

ثم ضرب مثالا للانكار بالقــول والانكار بالقتال ، فقال انهم أجمعوا على أن من رأى غيره تاركا للصلاة وجب عليه الانكار ، لأن هذا الترك معلوم قبحه لكل أحد ، وأما الانكار الذى بالقتال فالامام وخلفاؤه أولى به ، لأنهم أعلم بالسياسة ، ومعهم عدتها .

وحدد الأمر الناهى بانه كل مسلم تمكن من الأمر والنهى وتوافرت له شرائطهما .

ثم حدد المأمور والمنهى بأنه كل مكلف ، وكذلك غيــر المكلف اذا هم بضرر غيــره كالصبيان والمجانين فانهم يمنعون والصبيان ينهون عن المحرمات حتى لا يتعودوها ، كما يؤخذون بالصلاة ليمرنوا عليها .

وعقب على هذا بأن مرتكب المنكر يجب عليه أن ينهى عن المنكر . لان ترك ارتكابه وانكاره واجبان عليه ، فتركه أحد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الاخر .

وأيد هذا الاستدلال بأن الســلف كانوا يقولون : مروا بالخير وان لم تفعلوه ، وبأن الحسن سمع مطرف بن عبد الله يقــول : لا أقول ما لا أفعل ، فقال الحسن : وأينايفعل ما يقول ، ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم ، فلا يأمر أحد بمعروف ولا ينهى عن منكر .

٢ ــ وقال فى تفسير قوله سبحانه وتعالى « ولا تســبوا الذين يدعون من دون الله ، فيسبوا الله عدوا بغير علم » .

لا تسبوا الآلهة الذين يدعون من دون الله، فيسبوا الله ، وذلك أنهم قالوا عند نزول قوله تعالى : « انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم » لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون الهك ، وقيل كان المسلمون يسبون آلهتهم ، فنهاهم الله عن ذلك لئلا يكون سبهم ســببا لسب الله سبحانه .

وأراد أن يزيد الحكم جلاء فتساءل : أليس سب آلهتهم حقا وطاعة ؟ فكيف صح النهى عنه ، وانما يصح النهى عن المعاصى ! وأجاب بقوله :

رب طاعة علم أنها تكون مفسدة ، فتخرج عن أن تكون طاعة . فيجب النهى عنـها . لأنها معصية ، لا لأنها طــاعة ، كالنهى عن المنكر ، وهو من أجل الطاعات ، فاذا علم أنه يؤدى الى زيادة الشر انقلب معصية ، ووجب الكف عنه ، كما يجب الكف عن المنكر .

أما ما روى عن الحسن وابن سيرين أنهما حضرا جنازة ، فرأى ابن سيرين نساء ، فرجع ، فقال الحسن : لو تركنا الطاعة لأجل المعصية لأسرع ذلك في ديننا ، فان هذا ليس مما نحن بصدده. لان حضور الرجال الجنازة طاعة . وليس سببا لحضور النساء فانهن يحضرنها سواء حضر الرجال أم لم يحضروا . بخلاف سب الآلهة . وانما خيل الى ان ابن

سيرين انه مثله حتى نبهه الحسن عليه .

٣ – وقال في تفسير الآية الكريمة في وصف اليهود :

« **وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان وأكلهم السحت ، لبئس ما كانوا يعملون ، لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت ، لبئس ما كانوا يصنعون** » .

كان الأحبار جعلوا أشنع اثما من مرتكبي المنكرات ، لأن كل عامل لا يسمى صانعا ، ولا كل عمل يسمى صناعة ، حتى يتمكن فيه صاحبه ويتدرب عليه وينسب اليه ، وكأن المعنى في ذلك أن مرتكب المعصية مدفوع بشهوة تحمله على ارتكابها ، وأما الذى ينهاه فلا شهوة معه في فعل غيره ، فاذا فرط في سيرين انه مثله حتى نبهه الحسن عليه .

ولعمرى ان هذه الآية مما يقذ السمع ، وينعى على العلماء توانيهم في النهي عن المنكر . وعن ابن عباس : هي أشد آية في القرآن ، وعن الضحاك : ليس في القرآن أخوف عندى منها .

٤ – كذلك علق على قوله تعالى في ذم اليهود : « **كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون** ، بأنهم كانوا لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر فعلوه ، وقد اكدت

الآية سوء فعلهم بالقسم ، فيا حسرة على المسلمين في اعراضهم عن التناهي عن المناكير كأنه ليس من ملة الاسلام في شيء ، مع ما يتلون من كلام الله .

وقال ان ترك التناهي وقع تفسيرا للمعصية والاعتداء ، **لأن هذا الذم مسبوق** بقوله تعالى : « **ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** » لأن الله تعالى أمر بالتناهي عن المنكر فكان الاخلال به معصية ، وهو اعتداء ، لأن في التناهي حسما للفساد ، فكان تركه على عكسه .

ثم افترض سائلا يقول : ما معنى وصف المنكر بفعلوه ، ولا يكون النهي بعد الفعل ؟ وأجاب بأن المعنى لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه ، أو عن مثل منكر فعلوه ، أو عن منكر أرادوا فعله ، كما ترى أمارات الخوض في الفسق وآلاته تسوى وتهيأ فتنكر . ويجوز أن يراد لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه ويداومون على فعله .

٥ – ولعله قد تبين من هذا التطواف مع جار الله الزمخشرى انه لم يدخر جهدا في الدفاع عن مذهب المعتزلة ، وفي تأييده بتأويل كثير من الآيات القرآنية تأويلا خالفه فيه عالم من علماء السنة هو ابن المنير .

وقد تبين من الخلاف أنه كان يتسم أحيانا بالعنف والتهجم . لان كلا من الرجلين حريص أشد الحرص على صفاء ايمانه وسلامته ، وعلى الدفاع عن دينه وعقيدته ، ويرى في تفسير الاخر مجافاة لهذه السلامة ، أو شططا في التأويل والاستنباط .

على أن كلا منهما لم يبتغ غير وجه الله ، فليغفر لهما الله

دعوة الميثاق إلى تعديل القوانين دعوة حق

الربا بين الشريعة والقانون

المستشار أحمد موافى

- ٤ -

أولا ــ الربا فى الشريعة :

الربا فى الشريعة نوعان : ربا الفضل وربا النسيئة ، ويقصد بربا الفضل ربا الزيادة وقد ثبت تحريمه بالسنة بقوله ــ عليه الصلاة والسلام : ((الذهب بالذهب مثل بمثل يد بيد والفضل ربا ، والفضة بالفضة مثل بمثل يد بيد والفضل ربا . والبر بالبر مثل بمثل يد بيد والفضل ربا ، والشعير بالشعير مثل بمثل يد بيد والفضل ربا ، والتمر بالتمر مثل بمثل يد بيد والفضل ربا والملح بالملح مثل بمثل يد بيد والفضل ربا)) .

أما ربا النسيئة فيقصد به ربا الاجل وقد ثبت تحريمه بالقرآن الكريم وهو الربا المعروف فى التعامل بين الناس ويعنى الزيادة التى يدفعها المدين للدائن فى نظير الأجل .

وقد كان الربا شائعا فى الجاهلية قبل الاسلام شيوع الخمر والميسر وكما حرم الله الخمر تدريجيا حرم الربا تدريجيا كذلك .

فالخمر حرمها الله على الناس على مراحل أربع : الأولى . بتبغيض الناس فيها والثانية بتحريمها تحريما ضمنيا والثالثة بتحريمها تحريما صريحا جزئيا والرابعة بتحريمها تحريما صريحا كليا وقاطعا .

المرحلة الاولى : مرحلة التبغيض :

وكان ذلك بما قاله سبحانه وتعالى فى سورة النحل :

« ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون » .

وسكرا معناه خمرا مسكرا وقد نقل عن ابن العربى فى تفسير هذه الآية أن المراد هو بيان قدرته تعالى على الجمع بين السم القاتل والرزق الحسن فى الثمرة الواحدة وان المقام للعبرة لا للامتنان وهذا المعنى قاله الشاطبى فى الموافقات والاشارة فى الآية الى الخمر باعتباره سما قاتلا يثير شكوك الناس فيه ويصرفهم عن تعاطيه .

المرحلة الثانية ــ التحريم الضمنى :

وكان ذلك بما قاله سبحانه وتعالى فى سورة البقرة :

((يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما » .

فتضمنت الاشارة الى الاثم تحريما ضمنيا فهمه البعض فكف عن تعاطى الخمر ولم

يفهمه البعض الآخر فظل يتعاطاها متعللا بما فيها من نفع اشارات الآية اليه ٠

المرحلة الثالثة ـ التحريم الصريح الجزئى :

وذلك حين حرم الله الخمر على الناس فى بعض أوقات اليوم دون بعضها الآخر فطلب منهم ألا يؤدوا الصلاة وهم سكارى ، فقال ـ عز من قائل فى سورة النساء :

« لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » ٠

ولا شك أن الصلاة وهى خمس مرات فى اليوم تحتاج أداء كل فرض منها على النحو الذى فرضته الآية الى استعداد خاص يقتضى عدم تناول الخمر قبل حلول موعد الصلاة بوقت كاف كيما يستطيع المرء اداءها وهو مفيق وقد أدى ذلك بداهة الى التقليل من كمية الخمر بتقليل عدد المرات التى تحتسى فيها فتهيأ من يتعاطاها باتباع هذا الأسلوب الى الكف عن تعاطيها ٠

المرحلة الرابعة ـ التحريم الصريح الكلى والقاطع :

وأخيرا خطا التشريع الحكيم الخطوة الايجابية الأخيرة بجعل التحريم صريحا كليا فقال الله تعالى فى سورة المائدة « انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » فاعتبر الخمر رجسا من عمل الشيطان وأمر باجتنابها فدل بذلك على انه حرمها على الناس كافة ولم يكن التحريم فى هذه المرة ضمنيا ولا صريحا جزئيا وانما كان تحريما صريحا كليا وقاطعا منصرفا الى الخمر بما فيها من اثم ومنفعة وفى جميع الأوقات لا فرق بين أوقات الصلاة أو غيرها من باقى الأوقات ٠

وهذا النهج الذى نهجته الشريعة فى تحريم الخمر سلكته أيضا فى تحريم الربا فأنزل الله ـ سبحانه وتعالى ـ بشأن الربا أربع آيات لتحريمه تدريجيا بغض الناس فيه فى الآية الأولى ثم حرمه تحريما حتميا فى الآية الثانية ثم حرمه تحريما صريحا جزئيا فى الآية الثالثة ، وأخيرا حرمه تحريما صريحا كليا وقاطعا فى الآية الرابعة وذلك على التفصيل التالى :

المرحلة الأولى ـ التبغيض فى الربا :

كان الربا قبل الاسلام منتشرا فى شبه جزيرة العرب ٠ ويقول المؤرخون « بأن المال كان موفورا فى مكة وكان أصحابه كثيرين فصحب ذلك وجود فئة من المرابين من اليهود وغيرهم الذين انصرفوا الى الربا حتى بلغ عدد المرابين مبلغا عظيما واستفحل ضررهم على المجتمع وكان الويل لمن يسقط فى شباكهم وتضطره الظروف الى الالتجاء اليهم لأنهم لم يكونوا يعرفون الرحمه ولا يرون فرقا بين التجارة والربا ويقولون انما البيع مثل الربا وكانوا يتلاعبون بالديون بأن يؤخروا آجالها أو يقدموها أو يضيفوا اليها الى غير ذلك من الأعمال التى كانت تؤدى الى خراب المدين واستعباده » ٠

فكان الربا فى ذلك الوقت مرضا اجتماعيا منفشيا واراد الله ـ سبحانه وتعالى ـ ان ينبه الناس الى ما فيه من ضرر تمهيدا لتحريمه فأنزل ـ سبحانه وتعالى ـ فى سورة الروم :

« وما آتيتم من ربا ليربو فى اموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون » ٠

أى ليزيد على حساب أموال الناس التى لا تحل لكم والمضعفون هم أصحاب الأضعاف ، اى أصحاب الاجر المضاعف ـ فاكتفى الله فى هذه المرحلة بتبغيض الناس فيه بما صرح به من أنه لا يربو عنده وأنه ـ سبحانه وتعالى ـ لا يبارك فيه كما يبارك فى الزكاة ، فوجه نفوس الناس بذلك الى مقت الربا وعدم الارتياح اليه وحينئذ أدرك بعض الناس قصد الله سبحانه وتعالى وكفوا عن التعامل بالربا وظل البعض الآخر يلتمس مزيدا من التوجيه والبيان ٠

المرحلة الثانية ـ تحريم الربا تحريما ضمنيا :

وبعد ان بين الله ما فى الربا من غضب ومقت بين للناس أنه كان قد نهى اليهود عنه فلم يمتثلوا لأمره وأكلوه ، فقال تعالى فى سورة النساء :

« فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما »

وفى هذه الآية صرح الله تعالى وهو يخبر الناس بما كان من أمر اليهود أنه كان قد نهاهم عن الربا فاخذوه وأكلوا أموال الناس بالباطل فدل بذلك على ان الربا كان محرما على اليهود وفى الاشارة الى ذلك ما يدل على تحريم الربا على المسلمين من با بأولى لأنه ليس ثمة ما يبرر نهى اليهود عن الربا واباحته للمسلمين .. غير ان هذا التحريم لا يعتبر تحريما صريحا وانما هو تحريم ضمنى فهمه العقلاء من المسلمين ممن اتقوا الله فاتاهم الله العلم والحكمة وظل الآخرون يلتمسون المزيد من التوجيه والبيان .

المرحلة الثالثة ـ تحريم الربا تحريما صريحا جزئيا :

بعد ان بغض الله الناس فى الربا ثم بين لهم أنه كان محرما على اليهود ودل بذلك بطريقة ضمنية على أنه محرم على المسلمين خطا التشريع الاسلامى بعد ذلك خطوة ايجابية نحو تحريم الربا فحرمه تحريما صريحا فى صورة من صوره وهو الربا المضاعف ، فقال تعالى فى سورة آل عمران :

« يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون » ، والربا المضاعف كان منتشرا فى الجاهلية .. وجاء فى كتب التفسير بيانا للربا المضاعف انه كان اذا حل الأجل زاد الدائن على المدين نظير الزيادة فى الأجل .. قال زيد بن ثابت : « انما كان ربا الجاهلية فى التضعيف يكون للرجل فيأتيه اذا حل الأجل فيقول تقضينى او تزيدنى ؟ » فنزل حكم الله الصريح بتحريم الربا المضاعف وظل الربا غير المضاعف محرما تحريما ضمنيا بقوله تعالى فى شأن اليهود « وأخذهم الربا وقد نهوا عنه » كما ظل معتبرا من المعاملات البغيضة الى الله بقوله « وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربوا عند الله » حتى كانت المرحلة الرابعة التى حرم الله فيها الربا تحريما صريحا فى كل صوره وألوانه .

المرحلة الرابعة ـ تحريم الربا تحريما صريحا كليا وقاطعا :

فى هذه المرحلة حرم الله الربا تحريما صريحا قاطعا شاملا لكل أنواعه وألوانه بأية صورة وبأى مقدار كما فعل فى تحريم الخمر فقال تعالى

« الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون » .

فتحريم الربا هنا صريح وقاطع وشامل لكل صور الربا فى قوله تعالى :

« أحل الله البيع وحرم الربا » وقوله : « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من

البقية ص ٩٦

الحلف الإسلامي

أسبابه وأهدافه

فضيلة الشيخ بسيوني رسلان

الاسلام ثورة على الفساد

ان الأديان السماوية كلها وفى مقدمتها الدين الاسلامى كانت ثورات انسانية استهدفت شرف الانسان وسعادته . والنهوض بالبشرية الى أوج السعادة والمجد ليكون الانسان جديرا بالخلافة فى الأرض ، فقد قام صلى الله عليه وسلم بالثورة الاسلامية الكبرى للقضاء على الاستغلال والفساد . وتطهير المجتمع عن الطغيان والاستبداد يحمل المصحف فى احدى يديه يدعو به الى الهدى والرشاد . ويحمل السيف باليد الأخرى حماية للدعوة وصيانة للفضيلة والمثل العليا . ودفعا للشر بمثله . وما زال صلوات الله وسلامه عليه يناضل ويكافح حتى علت فوق جميع الرايات رايته . وعزت بين العالمين رسالته . ودوت كلمة الحق فى جميع أرجاء الدنيا تعلن انه لا فساد ولا طغيان ولا استبداد بل عدل وحرية . واخوة ومساواة .

الثورة العربية الرائدة . امتداد للثورة الاسلامية الكبرى

وفى ضوء هذه الثورة الاسلامية الكبرى قامت الثورة العربية الرائدة سنة ١٩٥٢ م قامت لتصنع مجدا . وتكتب تاريخا جديدا . قامت لتطهر الأرض الطيبة من رجس الفساد والاستبداد وتدوس باقدامها على جميع الرواسب العفنة التى خلفتها عهود الاستعمار والطغيان من ملكية فاسدة . الى قطاع مستبد يملك الارض وما عليها ومن عليها . الى استعمار بغيض جثم على صدر بلادنا الطيبة اكثر من سبعين عاما . الى غير ذلك من عوامل الشر وجحافل الظلام التى كانت تتربص بكل عود أخضر من الأمل ينبت فى رحاب وادى النيل العظيم . .

وفتح الطغاة المستبدون أعينهم فاذا بالثورة تقتلعهم من حصونهم . وتهوى بهم من ابراجهم واذا بها تحقق الأمل بعد اليأس . والحياة بعد الموت . وتلك سنة الله فى كل صراع يقوم بين الحق والباطل . ولن تجد لسنة الله تبديلا (فأما الزبد فيذهب جفاء . وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض »

ومنذ قامت الثورة وهى تعمل ما وسعها الجهد على ايجاد مجتمع اشتراكى ديمقراطى

تعاونى تعلو فيه كلمة الحق • وترفرف فوقه الرفاهية • وتتحقق فيه العدالة الاجتماعيه الى جانب الحرية السياسية • ويتعاون جميع أفراده على القيام بتكاليف الحياة والوصول الى السعادة المشتركة المبتغاه شعاره فى كفاحه للنهوض بوطنه (من لم يقم بواجبه نحو الوطن فليس بأهل لأن يعيش فوق أرضه • ويستظل بسمائه • ويرتوى من مائه وينعم بخيراته وثمراته ، لان الموت لابد منه ولكن النفوس الشريفة لن تموت أبدا • قد وضع الشعب هذا الشعار موضع التنفيذ فاندفع بكل طاقاته نحو الفداء والبناء وانتصر انتصارا ساحقا فى جميع المعارك التى خاضها ضد اعدائه المتربصين به سواء كانت عسكرية أو سياسية أو اقتصادية وكان الشعب فى جميع المعارك التى خاضهـا مؤمنا بنصر الله الذى يقول (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) •• المؤمنين بالله المؤمنين بحقهم فى الحياة • الحياة العزيزة الكريمة •

والايمان كما نعلم يصنع المعجزات • ويحطم العقبات • فالأحداث الخطيرة والأزمات الكبيرة لا تستطيع أن تلقى فى نفس المؤمن بذور اليأس أو عوامل القنوط لأنه (لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون) ولا يقنط من رحمته الا الضالون وقد جاء فى الميثاق الوطنى (ان **القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان قادرة على هداية الانسان • واضاءة حياته بنور الايمان ومنحه طاقات لاحدود لها من اجل الخير والحق والمحبة)**

بدعة الحلف المزيف :

وازاء هذه الانتصارات الضخمة التى حققتها الثورة فى جميع الميادين على الصعيد العربى • والصعيد العالمى • ذهل الاستعمار • وأسقط فى يد الصهيونية والرجعية • ففكروا وقدروا كيف يوقفون هذا الزحف المقدس • ويعرقلون هذه الانطلاقة الكبرى ؟ وبعد التفكير والتقدير طلعوا علينا بهذه البدعة الخداعة وأطلقوا عليها تارة ــ الحلف الاسلامى ــ وتارة المؤتمر الاسلامى ــ وحينا ــ التجمع الاسلامى ــ الى غير ذلك من الأسماء البراقة التى يوحى ظاهرها بالوحدة وجمع الكلمة وهى تفريق بين المؤمنين وتمزيق لوحدة الصف العربى

(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم • ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)

لقد اراد الاستعمار والصهيونية بالتعاون مع الرجعية العميلة ان يبعثوا حلف بغداد من قبره تحت شعار براق وهو الاسلام •، والاسلام من مؤامراتهم براء لأن غاية مايستهدفه هذا الحلف المزيف هو جر المسلمين الى مناطق نفوذ الاستعمار وموالاة الأعداء • والاسلام يحذر اتباعه من موالاة أعدائهم • والسير فى ركابهم والتمكين لهم قال تعالى :

يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء • تلقون اليهم بالمودة • قد كفروا بما جاءكم من الحق • يخرجون الرسول وإياكم ؟ ان تؤمنوا بالله ربكم • ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى • تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل)) وقال جل شأنه فى آية أخرى •• (يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض • ومن يتولهم منكم فانه منهم)

والحلف المزعوم ما هو الا مسرحية قام الاستعمار والصهيونية بتأليفها واخراجها وعهد الى الرجعية العربية بتمثيلها امام الجماهير العربية لجر الدول العربية والاسلامية الى مناطق النفوذ الاستعمارى تحت ستار الاسلام ليكون المسلمون ذيلا لغيرهم فى الوقت الذى يدعوهم فيه الاسلام الى التحرر من التبعية والى الاستمساك بالعزة والكرامة فى قوله تعالى **(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) (ان الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم • قالوا كنا مستضعفين فى الأرض • قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها • فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا)**

ــ الحلف الاسلامى المزعوم شبيه بمسجد الضرار :

وقصة مسجد الضرار تتلخص كما ذكرها ابن كثير فى انه كان بالمدينة قبل مقدم النبى

البقية ص ٢٦٨

عود على بدء

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

لم نقصد فيما ينشر لنا من المقالات الا اغلاق باب الخلاف العنيف بين المسلمين فيما ليس من عقائدهم ..

- ١٠ -

... والآن ، وبعد ما علمت ، أيها القارىء الكريم ، ما بيناه فى المقال السابق ، من ان عظمة الرسول الأكرم ، صلى الله عليه وسلم ، شامخة ، سامقة ، **تطاول شم الجبال ، ساطعة ، وضاءة ، تعشى عين كل مكابر ، حسود**

فلنرجع بك ، وأنت مطمئن القلب ، الى اتمام الكلام ، عما قاله شراح الحديث ، فيما روى عن (**الاسراء والمعراج**) ، فنقول

مر بك بعض ما لاحظه الحفاظ ، على تلك الروايات ، من أوجه الاضطرابات ، واليك بعضا آخر منها

(الأول) أنه يلاحظ على بعض تلك الروايات ، أنها نصت على أن المقصود من شق صدره ، صلى الله عليه وسلم ، **هو اخراج علقة الشيطان** ، الى آخر ما قالوا ، واذا كان الأمر كما ذكر ، **فأى حكمة فى أن يكون الشق مستغرقا هذه المساحة الكبيرة ، من جسمه ،** صلى الله عليه وسلم ، **حيث تبدأ من أسفل العنق ، الى آخر مراقى البطن ، عند اعلى الوركين مباشرة ؟** انظر ذلك فى المقال السادس عدد صفر الماضى

وقد يكون هذا مما حمل بعض العلماء ، **على القول بأن كل ذلك كان مناما ، لأنه فى اليقظة غير مفهوم المعنى فى هذا التوسع**

و (ثانيا) يلاحظ قولهم : **ان البراق وهو ذاته ، فوق الحمار ، ودون البغل ، كان فى سيره يضع رجله عند منتهى طرفه ، يلاحظ على هذا أولا ، ان المسافة فيما بين المكان الذى فيه البراق ، وبين المكان الذى ينتهى اليه طرفه ، تعد بآلاف الأذرع ، فكيف تمتد فوقها رجل حيوان فى طول البغل ، ورجل البغل ، مهما طالت ، فانها لاتصل الى مسافة ذراع ، أو ذراع ونصف مثلا ، فكيف يتصور العقل هذا فى اليقظة ؟**

و (ثالثا) ان البراق وهو على الأرض ، يرى بطرفه السماء الدنيا ، ككل ناظر اليها

مما هو فوق ظهرها ، فاذا كان البراق هو الذى عرج به ، صلى الله عليه وسلم ، الى السماء ، كما قاله الحافظ فى المقال السادس ، عدد صفر الماضى ، يكون معنى ذلك أنه يقطع المسافة بين السماء والأرض بخطوة واحدة ، وهذا مستبعد ، لصعوبة تصوره فى اليقظة ، لأنه بذلك لايكون البراق دابة دون البغل ، وفوق الحمار ، بل يكون أشبه بالصاروخ فى العهد الحديث ، وقد يكون هذا أيضا مما دعا الى القول ، بأن ذلك كله كان مناما ، والرؤيا المنامية لا تخضع لما يجرى عادة فى اليقظة كما تقدم فى المقال المنشور فى عدد صفر

و (رابعا) مما يلاحظ أيضا على كونه يقظة ، أنه لو كان كذلك ، لما سلم ما اشتهر بين العلماء ، من أن نبى الله موسى عليه السلام ، هو كليم الله وحده ، حيث ثبت فى هذه الروايات أن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، كلمه ربه تسع مرات عند مراجعته لتخفيف الصلوات من خمسين الى خمس ، مع أن هذا المشتهر هو ما اختاره الكثرة من العلماء ، قال المرحوم الشيخ محمد عبده فى شرح آية ٢٥٣ من سورة البقرة « منهم من كلم الله » وهذا التكليم كان من الله تعالى ، لسيدنا موسى ، عليه السلام ، كما قال تعالى ، فى سورة النساء : « وكلم الله موسى تكليما » ، وفى سورة الأعراف : « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه » آية ١٤٣ ، وقال تعالى فى الآية التى بعدها : « .. انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى »

فهذه الآيات تدل على أن موسى ، قد خصه الله بتكليم ، لم يكن لنبى مرسل ، وان كان وحى الله عاما لكل الرسل ، ويطلق على الوحى كله أنه كلام الله ، كما فى آية : « ما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه مايشاء » آية ٥١ من سورة الشورى . اهـ

فجعل سبحانه كلامه لرسله ثلاثة أنواع ، الأول سماه وحيا – اى وحيا خاصا ، كما ستعلمه قريبا ، والمراد بهذا الوحى : شىء يلقيه سبحانه ، فى قلب عبد من عباده ، بحال يقطع بها العبد ، أن هذا وحى من الله تعالى ، كما حصل لأم موسى ، على قول ، فى قوله تعالى : « وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه » ، وعدوا من ذلك الرؤيا الصادقة فى المنام ، كما حصل لخليل الرحمن ، ابراهيم عليه السلام ، من رؤياه أنه يذبح ابنه ، فى آية ١٠٢ من سورة الصافات

والنوع الثانى من كلامه سبحانه لرسله ، أن يكلم نبيه مباشرة ، بلا واسطة ، لكن من وراء حجاب

والنوع الثالث أن يكلمه على لسان ملك ، يرسله اليه ليبلغه ما أمره ربه بتبليغه له ، وهذا النوع الأخير ، هو ما حصل كثيرا لرسل الله ، وكان رسول هذا النوع ، هو جبريل عليه السلام ، ويسمونه : أمين الوحى ، قال تعالى : « نزل به الروح الأمين » آية ١٥٣ من سورة الشعراء ، وقال سبحانه ، فى وصف جبريل أيضا : « انه لقول رسول كريم . ذى قوة عند ذى العرش مكين . مطاع ثم أمين » آيات ١٩ و ٢٠ و ٢١ من سورة (التكوير)

فمن كل هذا ، ومن قوله تعالى : « ان هو الا وحى يوحى » آية ٤ من سورة (والنجم) تعلم أن تكليم الله ، ووحيه تارة يطلقان على شىء واحد ، وهو : ايصال كل مايريد الله تبليغه ، لعبد من عباده ، تأخذ هذا من قوله : (يوحى) ، ومن قوله : (أن يكلمه الله الا وحيا) وتارة يطلق التكليم على معنى أخص كما فى قوله تعالى لموسى ، عليه السلام : « انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى » آية الاعراف المتقدمة .

فالمراد بكلام الله هنا : هو أحد الأنواع الثلاثة المتقدمة ، وهو الكلام من وراء حجاب .

ثم قال الشيخ محمد عبده : والظاهر أن تكليم الله لموسى ، كان من النوع الثانى فى آية ٥١ من الشورى ، وقال بعضهم : ان هذا النوع من التكليم ، كان لنبينا ليلة المعراج وجمهور العلماء على أن المراد به : موسى عليه السلام ، لما تقدم من أنه سبحانه ،

خصه بهذه الفضيلة ، وامتن عليه بها فى الآيات ١٦٤ النساء ، و ١٤٣ و ١٤٤ الاعراف المتقدم ذكرها ، **ويؤيد ذلك ما جاء فى حديث الشفاعة العظمى** ، الذى جاء فى الصحاح ، من أن الخلائق يو مالقيامة ، عندما يشتد بهم الكرب ، يهرعون الى الأنبياء ، يستشفعون بهم عند الله ، للخروج من هذا الموقف العسير ، **فيأتون آدم ، ويقولون له : أنت أبو البشر خلقك الله بيده ، وأمر الملائكة بالسجود لك ، وعلمك الأسماء كلها ، فيقول : انى عصيت ربى بالأكل من الشجرة ، فاذهبوا الى نوح ، فانه أول الرسل ، فيأتون نوحا ، فيعتذر بما وقع منه ، ويقول : اذهبوا الى خليل الرحمن ، ابراهيم ، عليه السلام ، فيأتونه ، فيعتذر ، ويقول : اذهبوا الى موسى ، فانه عبد ، كلمه الله ، فيأتون موسى ، فيقول : انى قتلت نفسا .. » ، اذهبوا الى خاتم الرسل ، فيأتى ، فيشفع فى فصل القضاء ، فيقبل الله شفاعته .**

لكل هذا وأمثاله ، قال الحافظ بن حجر ، فى الجزء السابع ، من كتاب فتح البارى ، (باب المعراج) : وذهب العلماء الى **أن الاسراء كان فى اليقظة ، والمعراج كان فى المنام ،** لأن الله سبحانه ، قال : « **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى** » ، **فلو كان المعراج وقع** يقظة ، كان ذلك أبلغ فى الذكر ، فلما لم يذكره سبحانه فى هذا المقام ، **مع كون شأنه أعجب ، وأمره أغرب من الاسراء بكثير ، دل ذلك على أنه كان مناما**

وقال : ومن المستغرب قول العز بن عبد السلام فى تفسيره : **كان الاسراء فى النوم ، واليقظة ، ووقع بمكة ، والمدينة ،** نقول للحافظ الكبير ، ابن حجر : لاغرابة فى كلام ابن عبد السلام ، لما قلت أنت نفسك ، فى تعليقك على حديث سمرة بن جندب ، المتقدم فى المقال الثالث عدد القعدة ، حيث قلت : **وفى هذا الحديث فوائد جمة ، منها : أن الاسراء وقع مرارا ، يقظة ومناما ، على وجوه شتى ، فارجع اليه ان شئت .**

ثم نقول : والأولى بالغرابة : أن ابن كثير ، وهو ممن يقولون : **ان الاسراء والمعراج ، كانا يقظة ، فيقول فى تفسيره ، فى الجزء الخامس ، صفحة (١٤٠) ، طبعة المنار (والمتفق عليه : أن الاسراء كان مرة واحدة ، ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الأخرى ، دليلا على أنها كانت مرة أخرى ، فأثبت بذلك اسراءات متعددة ، فقد أبعد وأغرب ، وهرب الى غير مهرب ، ولم يتحصل على مطلب ، ولو تعددت الاسراءات لأخبر به صلى الله عليه وسلم أمته**

نقول : الحافظ بن كثير ، الذى يقول هذا الكلام ، فى صفحة (١٤٠) ، فى الجزء الخامس من تفسيره ، كما تقدم ، **ينساه ، ويقع فيما عابه على غيره ، فيقول فى صفحة (١٤١) : (ثم اختلف الناس : هل كان الاسراء بجسده صلى الله عليه وسلم وبروحه ؟ أم كان بروحه فقط ؟ قولان فالأكثرون من العلماء ، على أنه أسرى ببدنه وروحه ، يقظة ، لا مناما ، ولا ينكرون أنه صلى الله عليه وسلم ، رأى قبل ذلك مناما ، ثم رآه بعد ذلك يقظة . اهـ)** ، أى أنه أسرى به أولا مناما ، ثم أسرى به يقظة ، أليس الكلام الأخير ، هو الذى عابه على غيره ، من القول بتعدد الحادثة ، لتعدد الروايات ؟

فسبحان من قال فى كتابه الكريم ، عن كتابه الحكيم : « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا» آية ٨٢ من سورة النساء .

ثم ماذا يقول ابن كثير بعد قوله : (ولا ينكرون أنه صلى الله عليه وسلم ، رأى قبل ذلك مناما) : **من هذا القول الذى يدل على أن الرؤيا المنامية ، كانت قبل الاسراء ،** ماذا يقول فى حديث سمرة بن جندب ، الذى تقدم فى المقال الثالث ، عدد ذى القعدة ، الذى يدل على أنه صلى الله عليه وسلم ، رأى الاسراء فى المدينة مناما ؟

(للبحث بقية)

خواطر مستشار

حلقة من سلسلة المقارنات بين الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية

حول الدستور الدائم والتشريعات الجديدة للجمهورية العربية المتحدة

المستشار علي علي منصور

بدأنا هذه الحلقة بمقال نشر فى عدد ربيع الثانى سنة ١٣٨٦ - يوليو سنة ١٩٦٦ محاولين أن نلقى بدلونا فى الدلاء ولنضع بين يدى قراء « منبر الاسلام » دراسة حول الدستور الدائم لبلادنا . وحفزنا على ذلك أن مجلس الأمة كون لجنة تحضيرية لوضع المبادىء العامة للدستور مسترشدة بآراء مختلف الهيئات . ولقد أبدى بعض أعضاء مجلس الأمة الرغبة فى أن تكون الشريعة الاسلامية هى المصدر لمبادىء دستورنا الدائم وأن تكون كذلك المصدر الوحيد لجميع التشريعات التى تصدر فى هذه البلاد . وتحدثنا فى ذلك المقال عن أن الشريعة الاسلامية من السعة والشمول بحيث تجد فيها جميع الدول أيسر الحلول لجميع مشاكل الحياة ، مشاكل الأفراد والجماعات والدول. وتكلمنا عن أثر الدين فى البلاد الاسلامية ، وعن الدين الاسلامى كمصدر للقوانين الوضعية فى مصر منذ الفتح الاسلامى الى الآن وعن الولاية التشريعية لهذا الدين وأنها عامة لا يشركها فى ذلك الديانة المسيحية ولا اليهودية ، كما يذهب الى ذلك معظم فقهاء القانون الوضعى بمصر ، وانتهينا الى أن تلك الولاية تقتضى موافقة جميع التشريعات الوضعية الى أحكام الشريعة الاسلامية بحيث لو وجد القاضى فى أى تشريع وضعى ما يصادم أحكام الشريعة أهدره ولم يطبقه احتراما لقاعدة دستورية القوانين اذ الأدنى منها يجب أن لا يناقض الأعلى .

وفى مقال جمادى الأولى سنة ١٣٨٦ - أغسطس سنة ١٩٦٦ تابعنا البحث وتكلمنا على أنواع التشريعات الوضعية فى مختلف الدول وطريقة سن كل منها وخصصنا التشريع الدستورى بنصيب وافر من البحث، ثم تكلمنا عن صلة الأديان بالقوانين الوضعية وعن الفرق بين قواعد الدين الاسلامى وقواعد الأديان الاخرى . ثم تكلمنا عن فصل أمور الدين عن أمور الدنيا فى أوروبا وان ذلك

الفصل كان له ما يبرره ، وعدنا تلك المبررات وأهمها ان الديانة المسيحية التى كانت تسود أوروبا لم تكن ديانة شاملة لنظم الديـن والدنيا كما هو الحال فى الاسلام • وذكرنا أنه لما ظهرت فى فرنسا بعد الثورة أول مجموعة للقوانين مجموعة نابليون ، هبت الدول الأخرى لمحاكاتها ومنها مصر فى عهد محمد على • وأخذ فقهاء القوانين الوضعية يفرقون بين القاعدة القانونية وقاعدة الأخلاق وأوامر الدين وقلنا لئن ساغت هذه التفرقة عندهم بالنسبة لأوامر الدين المسيحى فانهـا غير سائغة لدينا بالنسبة لأوامر الدين الاسلامى ووعدنا أن نفصل هذا الأمر فى المقال التالى ، وها نحن فى المقال الثالث نحاول ذلك فنقول :

دعوى فصل أمور الدين عن أمور الدنيـا فى بلادنا دعوى مغرضة مضللة :

ان الله ـ سبحانه وتعالى ـ جلت حكمتـه كان يرسل الرسل قبل الاسلام منـذ بدء الخليقة بحسب حاجة الناس ، ليردهـم الى التوحيد ان زاغوا ويعلمهم الفضائل • وكانت الرسالات محدودة بحدود زمن معين أو مكان معين وموضوعات معينة •

فلما درج العقـل البشرى وارتقت البشرية وأصبحت مهيأة لتلقى خاتم الرسـالات ، كان لا بد وأن تكون عامة للناس جميعا ، شاملة لتنظيم أمور الدنيا غير قاصرة على أمور الدين حتى لا يكون الناس بعد رسالة محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى حاجة لتدبيـر أمور معاشهم وأمور معادهم الا الى ما تهديهـم عقولهم الناضجة ، فى حدود القواعد العـامة التى شرعها الله فى الاسلام على لسـان خاتم الرسل وذلك مصداق قوله سبحانه وتعالى :ـ « **ما فرطنا فى الكتاب من شىء** » •

وجاء الاسلام مؤيدا للشرائع السابقة فيما لم تنله يد التحريف ومصدقا لها « ما يقال لك الا ما قد قيل للرسـل من قبلك » ، « انا أوحينا اليك كما أوحيـنا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيـم ••• » • ثم جاء الاسلام مكملا للديانات التى سبقته فيما لم تتضمن من نظم للدين والدنيا ، كما جاء ناسخا لما ادخل عليها من زيف « وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » ، « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضـيت لكم الاسلام دينا » ، « ومن يبتغ غير الاسـلام دينـا فلن يقبل منه وهو فى الآخـرة من الخاسرين » •

ولقد أحكمت الشريعة الاسـلامية أمور العبادات الأساسية احكاما لا محل لاجتهـاد العقل البشرى بعده ، وذلك منعا من التفرقة والاختلاف ، ولأن الله سبحانه وتعالى لا يعبد الا بما شرع وبما اختار لذلك من طرائق •• ولذا أدخل الفقهاء هذه الأمور فى القطعيـات التى قام عليها الدليل القطعى من الكتـاب والسنة • والعبادات هى صلة العبـد بربه وعليها الثواب فى الآخرة الى جانب ما تضفى على العبد فى الدنيا من كرامة وخير •

أما صلة الانسان بغيره من الأفراد وصلته بالجماعة التى يعيش فيها وحقوقه وواجبـاته فى هذا الصدد ، وصلة الدول بعضها ببعض ، وهى أمور الدنيا ، فقد بين الله فيها الحـلال والحرام وحد الحدود ، ثم شرع عموميـات القواعد وترك ما وراء ذلك لاجتهاد العقـل البشرى ، وذلك لأنه قد جرى فى سابق علم الله أن مصالح الناس فى هذه الفروع تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة ، وذلك كله تحقيقا على الناس ورعاية لمصالحهم ، وتقديرا لما يجد من أحداث بقدر من الرسالة « **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** » ، « **وما جعـل عليكم فى الدين من حرج** » ، « **فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون** » •

وشمل الاسلام أمثل أنواع القواعـد التى تنظم سلوك الجماعات والأفراد ففيه جمـاع القواعد القانونية • على نحو ما يقرره علمـاء القوانين الوضعية ، وفيه جماع القواعـد الخلقية الفاضلة وقواعد المجاملة ، من صدق ومروءة وتعاون وبر ورحمـة واماطة للاذى وعيادة للمريض وارشاد لمن جهل وبعد عن الأثرة وقرب من الايثار • وفضلا عمـا شرع

الاسلام من جزاء مادى لمن خالف القواعد القانونية الآمرة ، فهناك ميزة الثواب فى الاخرة من الله حيث الجزاء الأوفى لمن أطاع وتجنب المحارم وتخلق بالفضائل .

ولئن ساغ لفقهاء القوانين الوضعية أن يفرقوا بين القواعد القانونية الوضعية وبين أوامر الديانات المسيحية واليهودية على النحو الذى سلف ذكره ، فان ذلك غير سائغ ولا صحيح بالنسبة الى قواعد الدين الاسلامى وأوامره العامة الشاملة .

ولا يصدق قولهم فى أن الجزاء الذى يتهدد المخالف لأوامر الدين هو العذاب فى الاخرة ، بينما جزاء مخالفة القواعد القانونية مادى تتولى توقيعه السلطة العليا فى الجماعة . لا يصدق هذا الا على الأديان الأخرى دون الاسلام . وذلك لأن الاسلام أوامره فيها مختلف الجزاءات من مادية ومعنوية وأدبية، فضلا عن الثواب فى الاخرة لكل من أتى أوامر الدين الاسلامى وانتهى عن نواهيه ، ولنضرب لذلك بعض الأمثال :

١ ـ من القواعد القانونية التى وضعها الاسلام وجوب قيام سلطة حاكمة فى الدولة ، وهو ما عبر عنه الفقهاء بوجوب نصب الخليفة لاقامة الشرع ورعاية حقوق الأفراد والجماعة دينيا ودنيويا ، وفصل الفقهاء طريقة نصب الخليفة بالبيعة من أهل الحل والعقد ، وعددوا الشروط التى يجب توافرها فى الخليفة « رئيس الدولة » وفى الولاة الحكام وقواد الجيش وكيفية توليتهم وعزلهم ومراقبة الحاكمين لهم والصلة التى بينهم وبين مرءوسيهم وحقوق وواجبات كل من الطرفين ، وهذه هى أجل وأدق قواعد القوانين الدستورية والادارية العصرية .

٢ ـ ومن القواعد القانونية التى شرعها الاسلام حدود الكبائر أى عقوبات الجرائم الكبرى ، فحد القتل القصاص ، وحد السرقة القطع ـ أى قطع اليد ـ وحد الزنا الرجم ان كان الزانى محصنا ـ أى متزوجا ـ والا فالجلد ، وحد الخمر والقذف الجلد ، وحد السعى فى الأرض بالفساد القطع أو القتل أو النفى .

أما الجرائم الأقل شأنا من الكبائر فترك الاسلام تقدير العقوبة فيها لولى الأمر ، أى للحكومة ، بتعذير مرتكبها وقد يكون التعذير بالحبس أو بالغرامة أو الجلد وقد يصل الى القتل بحسب خطر الجريمة وفشوها .

ولا شك أن كل هذه الجزاءات جزاءات مادية دنيوية منوط توقيعها بالسلطة الحاكمة وذلك كله بناء على أوامر الدين الاسلامى . فليس بصحيح اذن أن أوامر الدين الاسلامى كأوامر الأديان الأخرى الجزاء عليها معنوى أخروى وليس بدنيوى مادى توقعه السلطة الحاكمة فى الجماعة .

٣ ـ وكذلك قواعد المعاملات فى الشريعة الاسلامية وهى التى تحكم جميع تصرفات الناس فيما بين بعضهم البعض ، وفيما بين الحاكمين والمحكومين وفيما بين الدول ، فكلها قواعد قانونية كاملة وفق ما يفهمه مشرعو القوانين الوضعية ، وفيها جزاءات مادية دنيوية .

والمعاملات فى الفقه الاسلامى تبلغ تسعة اعشاره وتناول فيها الفقهاء الأحكام العامة والأحكام الاجتهادية بالتفصيل فى الفروع فى جميع ما عرف وقت نزول الاسلام من عقود وتصرفات كالبيع والهبة والرهن والاجارة والشركة والاستصناع والمضاربة والمزارعة والمساقاة وغيرها ، أما ما لم يكن موجودا ولا معروفا وقت نزول الاسلام من تصرفات وما يجد للناس من احداث ومشاكل فى التعامل فيقاس على غيره ويجتهد فيه بحسب ظروف الزمان والمكان .

٤ ـ أما قواعد الأخلاق فجماع فضائلها فى الاسلام ، ولنا فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر .

فالله سبحانه وصف رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأكمل وصف فقال « وانك لعلى خلق عظيم» وقال « ولوكنت فظا غليظ القلب

لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر » وقال الرسول عن نفسه « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » وقال عن غيره « أقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطأون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون » .

٥ ـ أما قواعد المجاملة فى الاسلام فلا تحصى ومنها ما حض عليه الرسول العظيم من اماطة الأذى عن الطريق واكرام الضيف وعيادة المريض والكلمة الطيبة وصون اللسان وعدم الغيبة ومنها قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « أتدرون ما حق الجار ؟ ان استعان بك أعنته ، وان استقرضك أقرضته، وان مرض عدته ، وان مات تبعت جنازته ، وان غلى قدرك فاغرف لبنيه مما فيه » ..
وقوله « مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » وقوله « الجيران ثلاثة » وفصل لكل نوع حقوقه. وكذلك حضه على البر **بقوله « ما آمن بى من بات شبعانا وجاره جائع وهو يعلم »** ، وقوله فى حديث روى عن على بن أبى طالب « ان الله قد فرض على الاغنياء فى اموالهم بقدر ما يسع فقراءهم ».

ومن مزايا الاسلام فى القواعد التى تنظم المجتمعات سواء أكانت قواعد قانونية أم قواعد أخلاقية أو قواعد مجاملة ، أن من من يصدع بأوامره وينتهى عن نواهيه لايفعل ذلك خشية الجزاء المادى الدنيوى الذى توقعه السلطات الحاكمة فحسب ، ولا خشية ازدراء المجتمع أوتأنيب الضمير فقط، وانما يفعل ذلك أيضا انتظارا للثواب الأخروى من الله سبحانه وتعالى ، والخوف من معصيته ، فان قواعد الدين الاسلامى تراقب أعمال الانسان جميعها ما ظهر منها وما بطن ، وتنهض بشطرى الانسان المادة والروح وهى تعالج الأبدان والأنفس . ولكم قصرت القوانين الوضعية عن علاج المفاسد ما لم يكن هناك وازع من الدين وخشية من الله ، فجريمة الرشوة مثلا لما فشا أمرها فى مجتمعنا رفعت العقوبة الوضعية من السجن الى الاشغال الشاقة المؤبدة وهى عقوبة بعض جرائم القتل العمد، ومع ذلك لم تردع هذه العقوبة الشديدة من لم يشعروا بسلطان الدين عليهم .

وهذا الدين الاسلامى يساير الفطرة ولا يناكرها وبه تطمئن النفوس الى اتباع أوامره والابتعاد عن نواهيه « **فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ، « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية » .**

خصائص الشريعة الاسلامية :

للشريعة الاسلامية خصائص كثيرة أهمها :

أولا ـ المعنى التعبيرى الروحى الذى يلازم كل حكم شرعى ويكفل تربية الضمير وتكوين الوازع الدينى وفيهما أعظم كفيل باطاعة القانون ، وليس للقوانين الوضعية شىء من ذلك .

ثانيا ـ ان الأحكام الشرعية أوسع نطاقا من الشرائع الوضعية وبخاصة فيما يرجع الى الفضائل والرذائل ، فجميع الفضائل مأمور بها فى الشريعة وهى واجبة ، وجميع الرذائل منهى عنها فهى محرمة . وفى أحكام كل من النوعين المعنى الخلقى والمعنى التعبدى الروحى ، ولها بذلك قوتها وشمولها بخلاف الشرائع الوضعية فانها مع جفافها لا تنظر الى الفضائل الا النظرة المادية المجردة .

ثالثا ـ ان لكل من الأحكام الشرعية والقوانين الوضعية الجهاز الدنيوى الذى يراقب تنفيذه وهما سواء فى ذلك ، وتمتاز الأحكام الشرعية بمراقبة أعلى هى مراقبة العليم الخبير الذى يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور . فمن خالف القانون الوضعى ثم أفلت من جهاز المراقبة الدنيوى فلا عليه بعد ذلك . أما من خالف الشريعة الاسلامية وأفلت من جهاز المراقبة الدنيوى فانه لن يفلت من المراقبة العليا وهو ملاق جزاءه لا محالة . وذلك من أعظم مزايا التشريع

البقية ص ١٠٢

من حضارة الإسلام

طهارة الأبدان

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

الفطرة والايمان ـ اماطة الاذى ـ النار والماء الغسل والوضوء ـ ثورة استنباط ـ مدخل الصلاة .

الفطرة والايمان :

فى ضوء كضوء القمر الواضح فى هدوء وقرب يضع الصوفية فلك الايمان لأنه ليس بعيدا مجهولا كفلك زحل فيحتاج الى حساب ورصد وليس زاعقا يصرخ كالشمس فيضطر السائر الى احتماء واستظلال ، وانما فى ضوء القمر تستيقظ الهمة وتسكن النفس وتبين الخطأ وتتضح الطريق .

هكذا نظر الصوفية ـ بعد الاقتباس من الأقوال القديمة فى الفلك ـ الى فلك الايمان اذ رءوا معظم الأمور التى تستغنى عن تنبيه العقل واشعال الجهد تحتمى بكنفه وحسبها ان تناديها الغريزة السليمة وتهيب بها الفطرة المستقيمة فتسرع اليها وتستجيب .

ومثل الحياء والنظافة وحب الأهل والولد والوطن وأمور غيرها لا تحصى قد جاءت بها الاحاديث والآثار منسوبة الى الايمان لانها كالطباع التى لاتحتاج فى تنبيهها الى ضوء من علم او فلسفة ولا تحتاج فى اثارتها الى جهد من يقظة أو ذكاء .

غير أن الايمان الذى تنسب اليه أمثال هذه الاشياء مع انه امر من الخلقة فانه يفيق ويغفى وينقص ويزداد ، انه تماما كالقمر يظهر ويغيب وينقص ويكمل ، وفى ضوئه حين يزداد ويسدير يحلو السمر وتستمر السرى .

وهذا الضوء الهادىء للايمان أو للقمر وهو خير للمستضىء به فانه مطمع العدو اكثر من الظلمة الحالكة ومن الضوء المفرط اذ يتحين فيه الشيطان والعدو فرصة الغارة حتى يفسده باعطاب الأبدان والأموال واصابة القلوب والارواح وتكدير الجهات والألوان واخماد الهمة والنخوة وقتل الخلق والحياء .

وقد حرصت الشريعة الاسلامية على الايمان لئلا يغفى أو ينام فأوجبت تفقده كل يوم وحثه كل آن على ان يستيقظ ويشمر وان يكون فى كل وقت جديدا قشيبا ولا يكون المسلم الا

كالذى كان يفيق من الليل مرة بعد مرة ثم يتشهد فقيل له فى ذلك فقال : اتفقد به الايمان هل بقى أم لا ، ولئلا يكون الأمر للعادة وحدها، وجب التفقد اذ العادة قد تشترك فيها البهائم فلا يصير الارتفاع عن مرتبتها الا بالتوجه والهمة وهما كالكيمياء التى تنقل الشىء من طبعه الى طباع أخرى ، فلا قيمة للعادة الا اذا انتقلت بكيمياء النية والقصد الى احضار قلب وعبادة مقصودة .

ولا تقاس افاقة العقل بافاقة الايمان ،فحيث لا يرتطم القلب المطئمن بخطأ أو ضـــلال لا ينجو العقل ان يرتطم بهما . كراكب اللجة فى البحر أو الفضاء لا يكاد يحس بخوف او قلق حين يركبها طفلا أو مؤمنا متوكلا ، فاذا كبر ونظر فى مرايا التجارب لم يفارقه الخـــوف والقلق حتى يصل الى البر أو يهبط الى المستقر .

ونظافة الأبدان التى هى تخلص من قــذر او نجس قد يستوى الناس حيالها : المؤمن وغير المؤمن ، كلاهما من طبيعة الخلقة يعملان للتخلص منها ، غير ان الأثر الذى يقول انهما من الايمان — ويقرر ذلك ويؤكده — يراها تنقص وتزيد مع زيادة الايمان ونقصه ، وقد ترتقى فى زيادته الى مايسمى بالطهارة فتتسع وتتعالى: تتسع فتعم الاجساد والأموال ، وتتعـــالى فتبلغ العقول والأرواح .

ولامناص لفرد من البشر مهما فسد فيـــه الطبع ان يلجأ الى كنف النظافة ويعمل لوجودها فى كل مكان يعيش فيه مقيما أو متنقلا ، ينفى عنه الفضول والتلويث ، أما الطهارة فلأنها بعد النظافة فانها مرحلة سمو فى الايمـان ، ومن غيرها فلا مدخل للعبادة ولا طريق اليها ، ولذا فقد جعلت استعدادا لأداء فريضة كالوضـوء للصلاة أو جعلت هى فريضة لذاتها كوقوعها فى أموال الصدقة والزكاة .

وتبلغ الطهارة اعلى درجاتها اذا اصابت النفوس والأرواح ، وليس من الممكن أن يخف الانسان لرؤية ملكوت الله وكل افلاك نوره مالم يترق فى الطهارة من الكلمة الى المعنى ومن الظاهر الى الباطن ومن الجسد الى الروح .

اماطة الأذى :

وعنى الاسلام باماطة الاذى عـن الطريق ليجد السالكون فى نظافتها وطهارتها تلبيـة للفطرة السليمة وحياطة لهذه الفطرة من ان تفسد برؤية الاذى والتمرغ على فراش الدرن والاخلاد الى عوابث الآفات والأمراض .

والطريق التى يريدها الحديث هى طريق السير الحسية التى تنتهى الى غاية من مكان، وهى طريق السلوك الخلقية التى تفضى الى حقيقة من خير . وهى طريق التفكير العقلية التى ترمع الى قمة من فهم وعلم، وهى كل طريق لها بـداية ولها نهاية فانه يطلب الى المرء ان يزيل عنهن جميعا كل ما يعترض نظره من قذى ومايسىء الى أنفه من ريح وما يعوق سلوكه من وسوسة وما يعطل تفكيره من عقبات ، فكل هذه أذى يجب أن يماط عن الطريق .

واماطة الأذى عن الطريق كان امرا مكررا من الرسول للجماعة فى صيغ شتى تنبيها لها على انها مسئولية عامة بتنظيف الطرقات من كل مايكدرها من الأذى المجسد وغير المجسـد ، وباعطائها كل حقوقها ، ولابد ان يكون امرا نافذا لتكون سنة الاسلام قد اتبعت وشرائعه قد أطيعت فاذا تحولت بالاهمال الى تراكـم الأذى كان على الأمة ان تهب كلها لازالته كمـا نهب لدفع كوارث الطبيعـة او دفـع العـدو المغير .

واذا كان الايمان بضعا وسبعين شعبـه أو بضعا وستين وأدناها اماطة الأذى عن الطريق — كما جاء فى الحديث — فما أولى الناس أن يقيسوا أدنى الايمان من حال الطريق ، وحسب الذين تتراكم الفضلات فى طرقاتهم ان يزووا وجوههم عن الانتساب لادنى درجات الايمان .

أما الطرق التى تتخذ لهذه الاماطة فهى متروكة للأيدى والآلات لتزيلها ، وللعقول والتجارب لتفكر وتصل الى أيسر الطرق وانجعها وللآداب والأخلاق لحياطتها وفرض العقوبة على مـن يتحدى السنة ، بل على من يتحدى أقل درجات الايمان .

وأمر النبى للمسلمين جميعا بالحذر من ايذاء الطريق أو اماطة الأذى عنه كان مثله الأمر بصيانة الماء وحفظ الغذاء بايكاء الاسقية وتخمير الطعام والشراب - وهى أمور تتصل بالنظافة والطهارة - وكانت كلها كالمبادىء الأصيلة التى تركت للعقل والعلم والتجارب ان تشرع منها المناهل وتفرع الأغصان •

واحلام الاسلام للمحرم قتل فواسق الدواب فى الحرم كان تحريضا لغير المحرم - وهم المسلمون والناس جميعا فى كل الآفاق - ليعلنوا حربا عوانا عليها وعلى أمثالها من الحشرات والهوام وكل الكلاب والضوارى - ما عدا كلب صيد أو حراسة ما شية - حتى تبيد وينقطع أذاها • وتصير عليها الأرض كلها حراما

واجماع الامة على غسل اثر الكلب والهر والخنزير سبع مرات بالماء والثامنة بالتراب حتى يطهر الاثر أمر يستوجب من الأمة كلها التوقى من هذه الدواب ، ولا يطعن فى ذلك أحاديث الرفق بالحيوان فان الرفق لايمنع من أن يكون الناس أرفق بسلامتهم وسلامة أولادهم من التنوق فى الرفق الى حد بلوغ الهذر والهذيان •

واجابة جعفر بن محمد لابى جعفر المنصور حين سأله : لم خلق الله الذباب ؟ فقال له : ليذل به الجبابرة • كانت اجابة تحتاج الى تدبر وفكر • وسواء اكانت تلميحا من الصادق لسياسة المنصور ام كانت بريئة من هذا التلميح فانها بقيت بعد السائل والمجيب مقالة عامة فى أمر الذباب وأمثاله من الحشرات التى تقهر وتذل ، وبقيت بعثا للهمة فى العمل الدائم لمحاربة الذباب وما يشبهه لتدفع الامم والدول عنها وطاة الذل به أو تظل فى حيرة المنصور حين اقلقته ذبابة وضاق عن معرفة الحكمة فى التضاد المخلوق فى الوجود ووجوب دفع الأذى وطرد المكروه •

والنصائح الوقائية التى بذلت من النبى فكونت عند الرواة والعلماء ما يسمى بالطب النبوى ثم صنفت فيه الكتب ، هذه النصائح كانت مبادىء لاتقاء الأمراض والاحتياط منها قبل وقوعها ثم كانت حثا على التداوى بعد الاصابة بها •

ومبالغة المعتزلة الذين كانت منهم فرقة تقول ، ان من مرض فقد أخطأ ، كأنما لم يكن ذلك منها ابتداعا بل اتباعا ، فقد راعوا وجوب الاتباع والالتزام الى الحد الذى يخرج عن الطاقة وهو وان كان اسرافا منهم فى تحميل البشر والطب مالايطيقان لعجزهما الى اليوم عن الاهتداء الى أسباب كثير من الأمراض والتخلص منها فان كلامهم يبدو أشبه بالصدق وأقرب الى أن يكون رأيا يحمل الحجة والاقناع •

النار والماء :

ومما لاشك فيه ان النار والماء كانا أهم ما اتخذ من الوسائل العامة للتطهير بالفطرة عند الناس الا ان بينهما من الفروق ما بين العامل للحياة والجالب للموت أو ما بين لون النعيم ولون العذاب •

والنار مشبوبة محرقة وخامدة غير مشبوبة أما الثانية فهى النار الكامنة بما هى مغمورة به كنار الشجر ونار الحجر ونار الكبد والحسد أما الحارقة الأولى فهى النار الظاهرة فيما هى مجاورة له مما من شأنه قبول الاشتعال ، أو هى الواقعة فى اللغة على كل حار مضىء صعاد لطيف ، وهذه هى النار المشبوبة المحرقة التى خلقت للتطهير •

وكان من الابتلاء الشديد أن تمتحن بعض عقائد المشرق بالنار لتطهير الأبدان ، فانها مهما كانت تطهيرا للجسد - كما يقولون - فانها معاجلة بالهلاك فلا يعود للمحترق أن يستبرىء أو يرجع فيتوب ويستأنف عملا صالحا ، بل تحطم النار كل هيكله البدنى لينجو بروحه عند الحد الذى بلغته أعماله واستحق عليها أجره •

وساحل (النرفانا) أو الجانب الطاهر الذى ينقذف اليه المتهالك بالقاء نفسه على الشقاء أو قرض مواضع النجاسة من بدنه لم يكن يصل اليه البوذى أو اليهودى الا بتعطيل

حياته أو جزء من بدنه فكان كله اصرا حمله الناس من قبل الاسلام. وقد لايكون المتهالك بالشقاء قد أدى من الصالحات الا هذا التهالك على الدمار .

ولقد محا الاسلام بدعة هذه الطهارات . ومنذ أهلت طلعة النبى العربى وارهاص الميلاد باطفاء كل بيوت النيران جاء يؤذن بانقضاء عهد النار وأضواء الشمس والكواكب فى العبادة وانتقال التطهر الى الماء ، غير خصلة طبيعية للنار بقيت فى تطهير ما لايحس بها ولا بعذابها من الآنية وغيرها . ثم أوصى الى النبى حين أرسل أن الله جعل الماء طهورا لأمته من جميع الأخباث وجعل الصعيد مثله فى بعض الأوقات وعند الضرورات .

والماء ــ وهو أصل الحياة وعليه كيان دوامها ــ فأنه كائن علوى النزعة اذ يعلق بالسحاب خفيفا خفيا ويسقط منه مطرا نقيا وما اشبهه حين يسيل لطيفا على الاجسام والكثافات فيطهرها بالضياء الذى يسطع على الصخور والظلمات فينورها .

وقد ترادفت الآيات على ان كل ماء فانما هو من السماء كقوله تعالى : (وانزلنا من السماء ماء طهورا) وقوله (وانزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض) وقوله (الم تر أن الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض) ومن هذا وردت الأخبار التى تقول : ان خلق السموات والارض كان متاخرا عن خلق الماء .

ولقد كان التشبث بالماء اليق بالفطرة التى خلقت منه اذ مجرد لمسه موقظ للحواس منبه لها وكأنما جعل الطهور به ليكشف عن البدن مالابسه من الغفلة وبقية النوم ، ومن ثم فقد سن فى الشريعة ادخال الطهارة على الطهارة بما يسمى تجديد الوضوء .

والمطلق منه ــ وهو ما جهدت السنة فى تحديد صفاته ــ هو الماء الذى ينتفع به ويتطهر وسواء أكان عذبا فراتا أم كان ملحا اجاجا فانه اللائق بالفطرة أن تخاطب به جماهير البشر لكثرة وجوده فى الاقاليم المعمورة ، الا انه مهما كان صالحا للانتفاع والطهارة فمتى نبع من ارض أصيبت بالعذاب كآبار ثمود وان كان ماء طهورا فى ذاته فان التطهر به غير جائز ، وكذلك لايصح الانتفاع به لأنه ماء عذاب ، وهو ما لا يقاس عليه كل ماء تشبع بالاشعاع من التوويات فى عصرنا الذى نعيش فيه فانه متى خلا من الاشعاع حل التطهر منه والانتفاع به .

وقوله تعالى (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهر بكم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام ..) .

كان معجزة للنبى فى بدر بتوفيق القوم للطهارة بازالة النجاسة الحكمية والعينية ويطرد الوسوسة التى دخلت قلوبهم ثم يثبت اقدامهم ويشجعهم على المضى فى القتال .

وقد قرب القرآن بين عمل القلب بالتوبة وعمل الجسم بالطهارة اذ كلاهما ازالة خبث عينى أو معنوى ، وساوى بين التوبة من الذنوب والتطهر من الأقذار ، وجمعهما معا فى محبة الله لهما وذلك حين قال « ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » . ومهما كان سبب الآية عمل الانصار من أهل قباء حيث كانوا وحدهم من بين جميع الخلق يتطهرون بالمياه بعد الأحجار فانه صار حكما عاما لجميع التوابين وجميع المتطهرين .

والطهارة التى هى للامكنة وماتحويه من الابدان تنتقل مجازا الى الأزمنة التى تفعل فيها الطاعات وتقدم القربات كأزمنة الصوم والصلاة والحج والدعاء والاعتكاف وقد تمتد طهارة الزمن الى عصر جيل كامل كما امتدت بزمن الحواريين وزمن الصحابة الذين كانوا أسباب الوحى والتنزيل وأهل القرآن والترتيل .

الغسل والوضوء :

ولسنا نرمى فى كلامنا الى ان نفصل أبوابا من الفقه قد تم تفصيلها ، ولكنا نود ان نمس الغرض الذى نريده مسا خفيفا ارادة المنفعة برؤية الحكمة وادراك السر متى ألهم الله هذا الكلام بعض الحق وألقى عليه بعض النور ، غير أنه لابد من افراد الغسل والوضوء المفروضين فى الطهارة عند المسلمين ببعض الكلام .

واذا كان للطباع ان تستحسن النظافة والطهارة ــ اذا كان مفهومها واحدا ــ فان الطباع والعقول لا تستقل عن الشرع بما يوجب غسل البدن كله وما يستوجب غسل بعضه ، ولو وكل ذلك اليها لاكتفت بغسل موضع النجس

الظاهر ولم تذهب الى غيره ، ولكن الشرع أوجب غسل البدن كله فى جنابة تستغرق مشاعره كلها ليطابق الغسل الاستغراق ، وخص بعض الأعضاء عند الحدث بالوضوء ، ومع أن الحدث والجنابة امران مباحان أو ضروريان فانهما لايستويان •

واوجبت الشريعة الغسل فى الجمعة ، والعيدين وعند الموت • اما الجمعة فقد تسابق السلف فيه وبالغوا لئلا تتأذى انفاس الناس • وقد اخبر نافع عن ابن عمر انه كان يغتسل يوم الفطر قبل ان يغدو الى المصلى ، وأخبر جعفر بن محمد عن أبيه الباقر ان عليا رضى الله عنه كان يغتسل يوم العيد ويوم الجمعة ويوم عرفة • وأحب الشافعى كل ذلك ، الا انه ليس من هذا شىء أو كد من غسل الجمعة •

وأما الموت فلان خمود الأعضاء كلها يشبه الاستغراق فى الجنابة فجعل الغسل كغسل الجنابة سواء بسواء الا ان غيره يتولاه ، ولم يكن التوضىء يكفى لتجرى القاعدة مجراها ، وذلك فيما عدا الموت بالاستشهاد فان الشهيد باق على الحياة •

واكتفت الشريعة فى الوضوء بأربعة اعضاء هى الأعضاء الظاهرة من البدن والعارية عن الثياب فى الغالب وهى الوجه والذراعان والرأس والرجلان فقد شرع تطهيرها عند كل حدث ولم يشرع ذلك فى غير الاسلام فهو وحده الذى افترض على الأبدان هذا التطهير ، ولا يعارض هذا ما يلبسه بعض الناس من التجلل بالأثواب التى تسد المنافذ على كل الأعضاء التى نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ نهى عن اشتمال الصماء

وأعجب الأمر ان الحدث الذى يطهر منه البدن بتطهير هذه الأعضاء عند الوضوء ربما كان من غير جنايتها هى ومن غير ان تصيبها منه نجاسة • ولكن شريعة الدين كانت لسر لطيف هو سريان الطهارة من حسها الى معناها بسريانها من الأعضاء الظاهرة العارية الى المستتر منها فى غالب العادة بالأثواب •

وذكر الله على الأعضاء التى يصيبها الماء تسيل به الطهارة على الاعضاء التى لايصيبها

وكانما يتاثر الباطن بالظاهر عند الطهارة فيستجيب له ويمضى معه ، ويؤكد ذلك ماجاء فى الخبر الذى يقول « ان من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه الا ما أصابه الماء »وقداشتق الصوفية من هذا قولهم : ان الحدث الأصغر فيمن نظر الى نفسه وكونه والجنابة لمن كان عن الحضرة الالهية فى جنابة ، أما ماء الطهارة فانما هورمز مكشوف للدعوة الى تنقية البواطن وتطهير السرائر •

واسباغ الوضوء على الاعضاء — والاسباغ غير الاسراف — موجب لأهله أن يكونوا من الغر المحجلين يوم القيامة لقوله عليه الصلاة والسلام **« ان أمتى يدعون يوم القيامة غرامحجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل »**

وفى الوضوء سر لطيف اذ اعضاؤه لا تعتبر عورة وهى أحسن فى الخلق واجمل فى الصورة مما هو عورة ، فكان امرار الماء على الاحسن الأجمل ليظل حسنا جميلا أما ذلك المستور بالثياب فحسنه أن يظل خفيا مستورا •

ثم كأنما فرضت الشريعة عند الضرورة قصرا فى التطهير بالتيمم كقصر الصلاة فى السفر — والاتفاق ان التيمم يكون فى السفر عند عدم القدرة على الماء أو فقدانه أو الحاجة اليه — غير ان القصر بالتيمم كان فى الآلة والمكان والقصر فى السفر كان فى العدد والزمان ، فحيثما رأت الحكمة التخفيف أمضت حكمها • وقد انتقل الغسل المفروض فيه اسباغ الماء على الأعضاء الى مسح مبنى على المبالغة فى التخفيف بنفض اليد مما علق بها من الصعيد لكراهة التغبير بالتراب اطرادا فى الرحمة وابتداعا فى الحكمة فكلما ازداد أمر العبد حرجا زاد الله له فرجا ومخرجا •

ولا انفة ولاكبر من التراب الذى يعلق باليد فى التيمم اذ لايتصور أنه اكثف من التراب الذى يسفع الوجه فى كل طريق ، ولكن هذا الذى هو للتيمم تشترك فيه ارادة المتعبد عند التيمم وذلك يسفعه من غير أن يريد •

واشتراط التراب أو ما هو فى حكمه مع انعدام لثمن والقيمة ملحق له بالماء فى ثمنه وقيمه ، وتوسع للأمر بوجود التراب تيسيرا لا ينقطع العبد من فناء الله مهما ضاق به الأمر بل يتقرب اليه فى كل مكان ، وهو دوران بين التراب الذى هو اصل الهيكل والماء الذى هو اصل الحياة . وسواء رفع التيمم الحدث او اباح لعبادة من غير رفعه . كالخلاف بين السنة والشيعة — فانما أريد به الحاق ذل العبادة الذى ينتفى لو ضرب المتيمم بكفيه على . . أو جوهر — وذل العبادة تطهر للنفس واجتلاب لصحتها وبراءتها من أدناس الطمع — ولذا بعد اشترطت النية فى التيمم لأنه عبادة .

ومعنى ذلك انه تيسير بالذائع المنتشر على سطح الأرض دون البحث عن نحو لا يناله الا من يملكه ولا يستطيعه الا من يقدر عليه ، ولكن للعبادة فرضت على الخلق أجمعين « **وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون** » .

ثورة استنباط :

ولقد انتهت السنة من اقرار ترتيب الوضوء بالعمل المنظور من متوضىء سابق لمتوضىء لاحق نقلا عمليا عن النبى — صلى الله عليه وسلم — ولكن المستنبطين فيما بعد رأوا ان يعلموا مالهذه السنة العملية من سند فى القرآن

وكان لابد من استنجاد معانى الواو التى هى للعطف فى آية الوضوء التى تقول « **يأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وارجلكم الى الكعبين** »

أهى تفيد الترتيب أم هى لاتفيد غير الجمع المطلق من غير ترتيب ؟ وفى القرآن ذاته ما هو سند لافادتها الترتيب ولا سيما عند أمره بأعمال كما فى قوله تعالى . **ان الصفا والمروة من شعائر الله** » فما لم يبدأ السعى من الصفا سقط الشوط ووجب الرجوع اليه ، وكانت منه حجة الشافعى وكثير من كبار النحاة الفقهاء للواو المرتبة اعمال الوضوء كما رتبت اعمال الحج . ولكن القرآن جاء ايضا بما هو سند لافادة الواو جمعا مطلقا بلا ترتيب كما فى قوله تعالى « **فكيف كان عذابى ونذر** » والنذارة تقع قبل العذاب بدليل من القرآن ذاته فى قوله سبحانه . « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » وليس من ريب فى ان الآية قد اعتمدت سند الترتيب الذى جاءت به اسنة مبينة للكتاب . ثم كان من الترتيب — عند جميع الامة — تقديم الميامن على المياسر وهو مالم تتعرض له آية الوضوء .

هكذا لم يحدث فى ترتيب الوضوء خلاف . غير أنه ثارت مع واو العطف فى الآية نفسها ثورة أخرى : اتعطف الأرجل على الأيدى أم تعطفها على الرءوس ؟ فاذا عطفتها على الأيدى غسلت واذا عطفتها على الرءوس مسحت ، وتشبث أهل التشيع بالمسح وتسبب اهل السنة بالغسل وجرى كلاهما وراء الواو فجعلها الماسحون عاطفة على القريب وجعلها الغاسلون عاطفة على البعيد .

وكان لابد ان تلمع من بين ذلك كله آية تستوحى بلاغة القرآن سرا توحى به هذه البلاغة فلعلها تعين على تثبت الحقائق الشرعية ولعلها تقع على الدليل الذى يغسل الخلاف

ومن غير خوض فى اللجة مع الفقهاء من هنا وهناك فان الصلاح الصفدى — وهو من اعلام اللغة والأدب — يتهم بالخطأ من نسب الى الشافعى انه فهم الترتيب فى الوضوء من الواو لأن الواو فى اللغة قد تفيد الترتيب وقد لا تفيده فلها شطران ، والشافعى عنده وعند غيره أسمى من أن يعتمد على شطر واحد ويسقط من يده الدليل .

وادعى الصفدى أن الشافعى قد أيد السنة بسياق النظم وتأليفه فى القرآن وقال ان الله تعالى ذكر كل مغسول فى الوضوء ذكر حدوده أما الممسوح فلم يذكره محدودا وقد قطع النظرين لأنه لو لم يرد الترتيب لما قطع النظير عن النظير .

وتفصيل ذلك ان الآية فيها الرءوس تناظر الوجوه فى الوزن اللغوى وفيها الأرجل تناظر الأيدى فى هذا الوزن ، فلو لم ترد الآية الترتيب لجمعت النظائر وميزت المغسول كله فى جانب

والمسوح فى جانب ... وهذا ماقاله الشيعة واستمسكوا به .

أما اهل السنة فقد وجدوا - عندهم - وجوه الاقتصار فى الوضوء على مسح الرءوس : فان الآية لم تعطف الأرجل بالباء على الرءوس الملتصقة بها ولو عطفت لكان المسح فيها نصا ، ثم انها حددت بالكعبين فكانت نظير الايدى المحددة بالمرفقين وقد دل ذلك - عندهم - على جريانهما فى الحكم - الذى هو الغسل - مجرى واحدا .

ثم راى اهل السنة الغسل احتياطا - وان كان بعضهم اكتفى بالدلك - لأن الغسل يشتمل على المسح ولا ينعكس ، فالغاسل ماسح مع زيادته وليس الماسح غاسلا ، وربما عزز أهل السنة أقوالهم بغسل الأرجل حين لجئوا الى تنبيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للاعراب المتوضئين من غير ان يستوعبوا غسل الأرجل بقوله لهم « ويل للأعقاب من النار » وهو ويل لاينجى منه مسح ولودام الليل والنهار .

مدخل الصلاة :

وحيث تكون النظافة لذاتها وللتخلص من الاقذار الحسية لاتكون الطهارة الا لغيرها مع زيادتها عند النظافة بتطهير المعنويات . وكل فريضة تؤدى وحدها بادىء ذى بدأة الا الصلاة فانها لاتؤدى ولايدخل اليها الا بفريضة قبلها هى مفتاحها وهى الغسل والوضوء معا أو الوضوء وحده حسبما تكون الحال .

وكانت الصلاة كذلك لأنها أعظم أركان الاسلام العملية وواجهة الدين ، وكأن هذه الأعضاء التى شرع الدين تطهيرها فى الوضوء لم تطهر لذاتها وانما طهرت لغيرها ، اذ وكل اليها ان تؤدى أعمالا اصيلة فى الصلاة لاتتأدى الا بها حين يكون الجسد كله مستغرقا فيها ، فالرأس للسجود واليدان للاعتماد والرجلان للقيام ، أما بقية البدن فمتحرك بحركاتها ساكن بسكناتها .

ولامناص لنا من ان نعتمد الأفكار الصوفية التى كان لها شأن أى شأن فى حضارة الاسلام ، وهم يرون فى اختصاص هذه الأعضاء بالطهارة ان غسل الوجه مفتاح للحياء وباب للرؤية والكشف ويتولى شيخهم ابن عربى نظم هذا السر فيقول :

ان الحياء لباب الله فتاح
ووجهه خلف ذاك الباب وضاح
وغسلك الوجه بالشرع الذى شرعت
رسل الاله لذاك الباب مفتاح
فاقدح زناد وجود الكشف تحظ به
ان اللبيب لزند الكشف قداح

ويرى الصوفية ان غسل اليدين نفض لهما من الدنيا وغرورها والمضمضة لذوق الذكر والتلاوة والاستنشاق للأنفة عن الروائح المتضادة فى عالم الحس والكون ومسح الرأس استظلال بالرحمة ومسح الاذنين للاستماع الى كلام الحق وغسل القدمين تطهير لهما للسعى بين يدى الله وتثبيت لهما فى المعالم .

والاستغراق الذى يشبه الموت أو لايكون الا فى حالة منه هو الذى استوجب عندهم الغسل وأدى الى عموم الطهارة ، أما الغفلة التى تتخلل الحضور فقد اكتفت بسر الطهر المخصوص لبعض الأعضاء

وتطهير الثوب بالتقصير اشارة الى ان الفوز لأهل التشمير ، أما طهارة البقعة فليبعد التطهير عنها لون التخليط الى حقيقة التبسيط ورؤية العين عندهم طهارة والاحتجاب عنها نجاسة . والبدر والشمس يظلان طاهرين مالم يحجب البدر خسوف أو الشمس كسوف ، وكلها اشارات الى ان انبهام الرؤية للقلب نجاسة ووضوحها له طهارة ، وانما تصيبه الطهارة أو النجاسة بانجلاء البقعة أو خفائها واستعداده هو للانجلاء أو الانطماس ، لذلك وجب تطهير الثوب وتطهير المكان .

أما التكليف بالمرات الثلاث فى اجراء ماء الوضوء فانه عند الصوفية رقى فى الدرجات وتباعد رويدا رويدا عن الغلظة الى الرقة وعن الجهل الى العلم وعن البعد الى القرب وبعد الانقاء الى اللقاء وبعد الحجاب والستر الى الكشف والرؤية التى تتم فى الصلاة وفيها تتصل طاعة الأرض بأمر السماء ويتجمع ذل المتعبد كله فى فريضة الاسراء (*)

موقف الإسلام من
الحلف الإسلامى

فضيلة الشيخ صالح موسى شرف

اجتماع المسلمين واتحاد كلمتهم ووقوفهم صفا واحدا للذود عن الاسلام وحماية اوطانه امر دعا اليه الاسلام ، وحث عليه فى كل وقت وآن ، لأن هذه الوحدة قوة للمسلمين ، وفى اتحاد كلمتهم وجمع شملهم اعزاز لدين الله ، ونصر له ، قال تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فاصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) .. وقال ايضا (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) وقال « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) ، وقال صلى الله عليه وسلم : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) .

والمسلمون فى جميع الاقطار اخوة فى الدين مهما تباعدت ديارهم وأوطانهم ، واختلفت جنسياتهم ولغاتهم ، فالههم واحد، ورسولهم واحد ، وقبلتهم واحدة ، يدينون بدين واحد ، يدعو الى هذا الاخاء والمساواة والتعاضد والتعاون على البر والتقوى ، ولذا كان الحج على المسلمين القادرين فريضة ليجتمعوا ويتعاونوا ويتشاوروا فيما بينهم على مافيه الخير والنفع للمسلمين .. وليزدادوا بهذا الجمع ايمانا وقوة ، فتتوثق وشائج الاخوة فيما بينهم ، وليتخذوا من وحدتهم سلاحا قويا يرهب الاعداء، ويصدون به كل من تربص بالاسلام شرا ، ليصلوا بذلك الى طريق العزة والحرية والكرامة .

واذا أصاب المسلمين شر من عدو فى أى بلد فانه يلحق جميعهم ، ولذا كان الجهاد فرض عين على المسلمين اذا هاجم العدو أية بلد .

والدعوة الى هذا الاتحاد انما تكون مقبولة ومثمرة اذا خلصت النيات ، وارتفعت عن مستوى الشبهات والاحقاد والمنازعات .

كان الداعون اليه ممن عرفوا بالغيرة على دينهم والتمسك بمبادئه والعمل بها . اما كانت الدعوة ليست خالصة لله . بل تحركها عوامل سيئة . أو تحيط بها شكوك وشبهات . أو تقف من ورائها دول تكيد للاسلام شرا . وتتربص بالمسلمين الدوائر فهى دعوة زائفة وتتستر باسم الدين للتغرير والخداع . لانها تخفى وراءها بث التفرقة بين المسلمين ووقوع الشقاق بينهم . فيستفيد المستعمر من ذلك ضعف المسلمين ووهنهم . فينفذ الى ديارهم . يستنزف ثرواتهم وخيراتهم . وهذا ما نراه الآن من الدعوة والمناداة بالحلف الاسلامى . فان ظاهره الرحمة وباطنه الشر .

وفى الواقع أنه حلف شيطانى . يتبين ذلك جليا من الداعين اليه والساعين الى تحقيقه . ومن الدوافع والعوامل التى تقف وراءه . فالداعون اليه والمتحمسون له معروفون لدى العالم الاسلامى أو العربى ومعروفة ايضا دوافعهم ومقاصدهم من هذا الحلف . وانهم يسيرون وراء مخطط مرسوم من دول تكيد للاسلام والعرب . وليس هذا الحلف الا خدمة لهؤلاء المستعمرين . لاحداث الفرقة بين المسلمين والعرب . كما انه مناوىء لحركات التحرر العربى . والمد الثورى .. ولهذا أدركت الطلائع الثورية حقيقة هذا الحلف ومراميه . وانه صورة مقنعة لحلف بغداد بعد فشله وتسميته بالحلف الاسلامى خداع وتمويه واغراء والاسلام منه براء . لان الاسلام يدعو الى حسن النية والاخلاص والنصيحة . وهذا الحلف يقوم على أساس من التدبير السيىء وسوء النية .

والاسلام يدعو الى المحبة والتعاون من أجل الخير وتحقيق الحياة العزيزة الكريمة للعرب والمسلمين . ومقاومة كل عدو واجنبى يتصدى للنيل من حريتهم . واغتيال خيرات بلادهم . وما كان هذا الحلف الا تعاونا مع الاعداء . وفتا فى عضد الوحدة والاخاء .

والاسلام يدعو الى الشورى واستطلاع أهل الرأى . فهل تشاوروا مع الشعوب الاسلامية وأخذوا رأى علماء المسلمين فى ذلك ؟

وفى الحق أن الدعوة لهذا الحلف استجابة لنوازع الشر والحقد والكيد لحركات التحرر والنهوض . التى تعمل وتسعى جاهدة للوحدة العربية الشاملة . ولتحقيق العدالة والمساواة .

وان الجمهورية العربية المتحدة التى تحمل لواء هذا التحرر والنهوض لخير العرب والمسلمين . والعمل الجاد البناء باخلاص وأمانة وتضحية من اجل تطهير البلاد العربية من رواسب الاستعمار واطماع الصهيونية — لهى ماضية فى طريقها . معتزة بوفائها لعروبتها ودينها .. وهى تدرك أن الاسلام ليس تغريرا وتضليلا . ولا لبس شعار مزيف . انما الاسلام عمل متواصل لخير الناس . وتضحية وجهاد . وتعاون يحقق آمال الامة الاسلامية فى الحرية وحياة العزة والاستقلال .

وبالجملة فان هذا الحلف بما يحوطه من سوء النية وما يكتنفه من العوامل والدوافع بعد مؤامرة استعمارية مكشوفة .. وممالأة للأعداء . والاسلام ينهى اشد النهى عن ذلك قال تعالى : **« يايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة » . وقال : « يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا . ودوا ما عنتم . قد بدت البغضاء من افواههم . وما تخفى صدورهم اكبر » .**

ونحمد الله سبحانه وتعالى ان هب فى وجه الدعاة لهذا الحلف الشعوب المؤمنة المخلصة . وحكام العرب الاحرار . الذين يشعرون انهم مسئولون أمام شعوبهم . مؤتمنون على حقوقهم . فرفضوا الاشتراك فى هذا الحلف . وحذروا المسلمين من الوقوع فى شباكه . **« أولئك حزب الله . ألا ان حزب الله هم المفلحون » . وصدق الله حيث يقول : « فأما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض » .**

من توجيهات النبوة

جهد البلاء : كثرة العيال وقلة الشيء

فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكي

١ ـ هذا حديث صحيح ، ذكره بعض أئمة السنة ، كابن حجر فى فتح البارى وذكرته كتب اللغة أيضا فى الشواهد .. وفى معناه « شر الفقر كثرة العيال ، وقلة المال »

وحديث الموضوع ليس فيه أمر صريح ، ولا نهى صريح .

وانما هو توجيه نبوى الى شأن واقعى فى الحياة. يحسه كل امرىء منا اذا اكتنفته كثرة الذرية ، وضاقت ذات يده عما يحتاجه .

٢ ـ وتوجيهات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وان لم تكن أمرا ، ولا نهيا . فهى لاتخرج ، ولا تبعد عن نطاق الأمر ، والنهى .. لأنها دائما للتعليم ، والتثقيف ، والاقتناع بالطاعة والعمل .

ومرمى هذا الحديث ونحوه توعية المسلم أن يتعرض لجهد البلاء بكثرة العيال وقلة المال : فان جهد البلاء ـ معناه البلاء المجهد للانسان ، والمشقة المتعبة ، وهى الكثرة فى العيال مع القلة فى المال .

وانما كان هذا بلاء شاقا لأن المرء حينئذ لايكون فى هم واحد ، بل يكون رازحا تحت أعباء ثقال ، ومكدودا فى هموم متراكمة فهو فى ضيق من شعوره بحرمان نفسه من حاجاته ، ورغباته ، والنفس راغبة دائما .

وهو فى مضض من حرمان أولاده وأهله من ضروراتهم . ومشتهياتهم . وما تلتقى به أنظارهم .

ثم هو مع الحرمان مفضيا بين قومه على مسكنة ومذلة .. وهو يتلظى جمرات الأسى كلما وجد نفسه وأولاده محبوسين فى اطار هذا البلاء المجهد .

ولو كان هما واحدا لاحتملته

ولكنه هم ، وثان ، وثالث

٣ ـ فكيف نلتمس لأنفسنا دفعا لهذا البلاء قبل نزوله .. وهل نجد فى الدين وتوجيهاته مخلصا من هذه الهموم المتلاحقة ؟

ان الدين الاسلامى قد أجاز لنا أن نعالج العقم فى المرأة ، أو الرجل العقيم وأباح لنا اتباع العلم النافع فيما يجدى علينا اتباعه والأخذ به من وسائله المشروعة

فهل يضيق بنا الدين عندما ترهقنا الذرية، وتثقلنا الأعباء ، وتكون الكثرة عند بعضنا ، أثقل هما ، وأكثر ايلاما للنفس من العقم عند العقيم ؟

الدين يسر ، لا عسر .. ولم يجعل الله علينا فى الدين من حرج ، ما دمنا ناخذ بهديه، ونسير فى حوزته ، ونتوخى مقاصده ، ولا نتلاعب على حسابه .

ومن قبيل ذلك يكون تنظيم النسل بعلاج العقيم ، والتخفيف عن المكثرين .

أما العقيم فليس بحاجة الى تشجيع ، فانه مدفوع بفطرته الى علاج أمره حتى يقضى الله معه ما شاء له .

وأما الولود المكثار فالحديث معه ، وهو المقصود بتوجيهات الرسول فى توعيته الحكيمة ليحتاط قبل تورطه

فما الوسيلة فى الوقاية .. والوقاية أيسر علينا من العلاج بعد ذلك ، هل تكون الوسيلة جنوحا الى العزوبة كما يصنع الملاحدة ومقلدوهم .. ذلك انحراف عن الفطرة فان الذكر لايكمل الا بالأنثى الى جانبه ، والعزوبة حل ناقص معيب ، وعلى حساب الأخلاق ، وهى نقص لبناء المجتمع ، فالأعزب أنانى ، متخلف عن البناء فى مجتمعه ، بل هو هدام لما يبنيه سواه .

فلتكن الوسيلة الى دفع هذا البلاء ، هى الاقتصاد فى الانجاب ، دون تورط فى الكثرة المرهقة ، ودون التعرض لجهد البلاء ، كما ينصح بذلك توجيه الرسول عليه الصلاة والسلام .

ذلك علاج ندفع به الضرر ، وخاصة عند ذوى العسرة ، وأصحاب الموانع الصحية ، والأعذار المتحكمة فى حياة الناس .

هذا كلام يفهمه على وجهه الواضح من تضيق بهم مجالات العمل فى دنيا الكفاح ، ومن تقعد بهم العقد المستعصية الحل عن كثرة الحمل ، أو عن متابعة الحضانة للرضيع ، والفطيم ، وعن رعاية المريض ، والضنين أو عن الجمع بين شىء من هذه الاعتبارات وبين مؤازرة الرجل فى النهوض بأعباء اهله .

وكذلك الكلام فى حياة المجتمع ، اذا خيف أن ينفرط النسل ، وتقل الكفاية ويصبح ولاة الأمور فى مخافة : يرقبون فى الأفق نذرا تهدد بضنك ، أو مجاعة أو ازمات يتأثر بها المجموع .. كما سمعنا عن مجاعات اجتاحت أقواما آخرين - والسعيد من وعظ بغيره ، والشقى من وعظ بنفسه .

والاسلام نفسه لم يسقط من حسابه تلك الاعتبارات الداعية الى الاقتصاد فى النسل أحيانا .. فأجاز عزلة الزوج عن زوجته قبل نهاية اللقاء الجنسى وتعرض الاسلام فى أحكامه لانزال ماء الرجل من مكانه فى المرأة عند الحاجة - وفى ذلك تفصيل يعرف من موضعه فى فقه الأئمة -

وما دام الاسلام يراعى ضرورات الناس ، وحوائجهم ، ويرسم لنا بعض الحلول ويجيزها ويعتمد كثيرا على آراء الأطباء الثقات الأمناء فليكن من هذا تنظيم النسل فى ضوء المصلحة ولعل تناول الحبوب المستحدثة أيسر وسيلة فى تمويع ماء الرجل قبل علوقه بالرحم وقد عشنا طويلا فى كنف الاستعمار ، وكانت أمورنا غير مضبوطة ، فلم نأخذ بتنظيم زواج ولا نسل ، ولم نحسب للمستقبل حسابه ، حتى خرجنا من معاطن الاستعمار مبعثرين أشتاتا فى أودية غير محدودة ، ولا مكفولين بنظام نرجع اليه فى تسوية أمورنا الاقتصادية ، ولا تدبر حياتنا بوجه عام .. فكنا على حافة ضياع ، وعلى شفا مهلكة بين زوابع السياسات ثم تلقفتنا حياة جديدة تقتضى أن نكون صفوفا منظمة وجماعات متضامنة وأن نتبصر الأهداف ، وننطلق أنفسنا من قيود رسفنا فيها طويلا ، وأن نطرح كثيرا من التقاليد اكثر أغمضنا عنها الطرف حتى كادت تسد علينا

منافذ الرأى ، وأذن الله لمصر الاسلامية بثورة فتية ، وأذن الله للثورة أن تكتشف عن شعبنا هذه الغمامات حينا بعد حين ودون تريث ، أو تراجع فكان لابد لمعضلة الكثرة فى النسل من تنظيم ، حتى تتوازن كثرتنا مع كفاياتنا، وتخف عن كاهل الحكام أعباء التدبير للاقوات والمؤن وتخف عن كواهل الآباء والأمهات متاعب الكثرة المرهقة : كما نراها ، ونحسها اليوم فى كل مجال .

وبذلك التدبير ونحوه يكون عمل الثورة متمشيا مع توجيهات الدين فى تدارك ما فات

ولكنا نرى بجانب هذا النشاط جماعة من الناس لايدركون مرامى هذه الدعوة ولا يفطنون الى دوافعها ، فيحسبون تنظيم النسل منافيا لدعوة الاسلام « تناكحوا تناسلوا ، فانى أباهى بكم الأمم يوم القيامة » فالنبى يطلب من أمته أن تعمل على الكثرة وفاتهم أن الكثرة المرغوبة هى الكثرة الصالحة لبناء أمة .

وهى الكثرة القوية بما لها ، وعلمها ، وانتاجها ، وسبقها فى مجال الحياة على سواها وليست هى الكثرة الهزيلة الفقيرة المحتاجة الى غيرها ، وليست الكثرة الضائعة بجانب سواها من الشعوب .

وحينما دعا النبى - صلى الله عليه وسلم- الى الكثرة لم يكن تاركا لجانب العمل ، ولا ناسيا لأهميته ، ولا داعيا للناس أن يتناسلوا وهم قعود عن طلب الرزق والتفوق فى جوانب الدنيا ، بل كان ينشد كثرة يكون بعضها الى جانب بعض كالبنيان المرصوص .

وحينئذ تكون الكثرة من الذرية مغطاة بالأرزاق الواسعة أو تكون كثرتها متعادلة مع ثرائها ، وغنيتها .

وهكذا يحب الاسلام أن يكون المسلم صاحب يد عليا ، كما ان الاسلام بطبيعته وخصائصه وتوجيهاته يعلو ، ولا يعلى عليه

أما الكثرة فى النسل دون مراعاة لتلك الاعتبارات فليست من اهداف الاسلام ، لأنها جهد البلاء وحسبنا الحديث الذى فتحنا به موضوعنا .

ورب قائل : ان فى الكثرة رهبة لعدونا ، ونحن اليوم بين خصوم يكاثروننا ، ويتربصون بنا المهالك ، فاذا اقتصدنا فى الذرية والموت بطبعه ينتقص العدد منا فستكون مطمعا للطامعين فينا ، وربما كان منطقا فى تقليل النسل غير مأخوذ به عند غير المسلمين ، فنصبح نحن قلة فى بلادنا .

ونحن فيما ذكرنا لاندعو الى تعطيل النسل اطلاقا أولانظن غيرنا تعرضوا لهذه الناحية وانما نتكلم عن تنظيم هذه الكثرة المتدفقة فى همجية ضاقت بها المساكن ، والطرقات والمواصلات ، وفاضت بها القرى حتى غصت بها المدن وضجر الناس من تضخم أعدادهم فى كل بقعة ، ورقعة ، واخيرا اقتضت ضرورة الحياة حسن التفكير فى دفع هذه الأعباء وتوفير الحياة لمن تتسع لهم رقعة هذا الوطن دون أن يحيف هذا بوفرة الأعداد التى يعتصم بها الوطن .

وحينما نتلافى هذا التضخم ونخفف الكثرة العارمة يكون الأمر رهن التجارب والحياة كلها دورات وتطبيقات فى حدود التجارب ، فلا بأس أن يسير النظام على بركة الله .

حول خطاب الرئيس فى عيد الثورة الرابع عشر

شعبية الثورة سر نجاحها

الدكتور عبد الغنى الراجحى

اذا كان يوليو هذا العام العيد الرابع عشر للثورة وقيامها . فانه عيد عاشر لتأميم القناة . ففيه منذ اربعة عشر عاما . بزغ فجر الثورة . ونفذ الابطال مخططهم فى ليلة الثالث والعشرين منه . وفيه من منذ عشر سنوات . انطلقت الصيحة القوية من ميدان المنشية بالاسكندرية تعلن تأميم القناة . كانت حركة الاحرار . فى ليلة الثالث والعشرين ثورة على الظلم والفساد الداخلى. تطهر منه ارض الوطن الحبيب . وتعطى للشعب فرصة للتعبير عن آماله . والتطلع الى حياة عزيزة كريمة . وكان تأميم القناة . ثورة على الظلم والاستبداد الاستعمارى . وتحكم الجائر فى مياه العرب وبحارهم وثغورهم .. حيث تشق القناة بسواعد مصرية . وتجرى فى ارض مصرية. ثم تسيل حصيلتها نهرا من الذهب الخالص . يصب فى لندن وباريس دون ان يمر على القاهرة منه الا أقل القليل . لان الانجليز والفرنسيين قد استطاعوا فيما مضى ان يضللوا اسماعيل فيغرقوه فى العبث والمجون . والاسراف والتبذير . ثم يغرقوه فى الديون . ثم يحرموا مصر كلها من خير القناة وعائدها .

ان ثورة يوليو سنة ٥٢ وتأميم القناة فى يوليو سنة ٥٦ عملان متكاملان بينهما ترابط وتلازم . الهدف منهما واحد والدافع اليهما واحد .. والنتيجة من ورائهما واحدة .. الشعب . الجماهير . البؤس الذى يعانونه الشقاء المضروب عليهم . التخلف الذى يقاسونه . الجهل والفقر والمرض. والعبودية والمذلة والمهانة على الصعيد العالمى . الضياع الاجتماعى والسياسى والتاريخى الذى كانت مأساة فلسطين من اظهر مظاهره . الاقطاع . الرجعية . الرأسمالية . الخواجات . فى أعلى عليين فى ابراج عالية . فى الذرى والقمم . يمتصون الدماء والاموال امتصاصا من اجساد الفلاحين وحقولهم . حتى انتفخت أوداجهم . وانتفخت جيوبهم . وانتفخت كروشهم . وتمددت وآن لها أن تنفجر ، الأمر الذى كان جمال الدين الافغانى يدعو ليه . ويحرض عليه بقوله :

(انت ايها الفلاح المسكين . تشق قلب الأرض لتنبت فيها ما تسد به الرمق وتقيم اود العيال . فلماذا لا تشق قلب ظالميك . لماذا لا تشق قلب الذين يأكلون ثمرة جهدك !؟) .

من اجل هذا الشعب الكادح . من اجل رفاهيته . ورد حقوقه اليه . ورفع الظلم عنه . وتصنيع بلاده وتخطيط مستقبله . وبناء سده العالى . وعزته وكرامته . وزيادة دخل افراده . اصحاب المصلحة الحقيقية فى بلادهم . قامت الثورة . وأممت القناة. ولم يكن ذلك خافيا ولا غائبا عن ذكاء هذا الشعب الذكى بفطرته الحصيف بطبيعته .

الذى ادرك لاول وهلة . ان الثورة من اجله . وانها منه واليه . فساندها . وناصرها . بل وتبناها . فى صبيحة ميلادها بالقاهرة . وفى رابع ايام وجودها فى الاسكندرية . وفى يوم تأميمها القناة . وفى يوم محاربتها فى القناة . احس كل فرد ان الثورة ثورته . وان المصلحة مصلحته . وان الوطن وطنه . فكان الناس فى صبيحة العدوان الثلاثى فى الشوارع والطرقات . فى القاهرة وفى كل مكان تلقائيا لا شعوريا . يهتفون : سنقاتل .. سنقاتل . وتقدمت جماهير الشعب برغبتها الى ساحات التدريب متطوعة . والى ميادين القتال محاربة . وعملت فرق المقاومة الشعبية جنبا الى جنب مع الفدائيين وأفراد القوات المسلحة . حتى كتب لنا النصر . وخرجت القوات المعتدية كالجرذان المذعورة بعد ان تركت كرامتها غريقة فى مياه القناة . او دفينة فى مواطىء اقدام الفدائيين . وبعد ان تركت لنا – اخزاها الله – متحفا اثريا رائعا فى بور سعيد . تتحفظ فيه الحكومة المصرية . على آثار الضابط الانجليزى المتهور « مور هاوس » لتحكى هذه الآثار للاجيال القادمة . قصة الرعونة والحماقة من جانب الاستعمار . وقصة البسالة والتضحية من جانب بورسعيد . التى شدت اليها انظار العالم . ثم خرجت من هذه المعارك . والعالم يتوجها بلقب ستالينجراد العرب . وكان هذا اول رد اعتبار للعرب بعد مأساة فلسطين . حيث امكن لهم فى دولة واحدة ان يواجهوا عدوان ثلاث دول . فيصمدوا له . ثم يردوه على اعقابه خاسرا . وكان هذا اول برهان عملى على ان الحرب فى فلسطين ضد الصهيونية لم تكن جدية . ولم يتوفر لها عنصر الاخلاص ولم تكن أكثر من مجموعة خونة ولصوص .

لقد كان تأميم القناة خيرا وبركة . وكان اعلان الحرب علينا من جانب الغرب والصهيونية خيرا وبركة .. وصدق الله اذ يقول (كتب عليكم القتال . وهو كره لكم . وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم . وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون) . لقد اعطانا الاستعمار الغاشم فرصة لاظهار كفاءتنا وجدارتنا . وأعطى نفسه فى الوقت نفسه فرصة لاظهار طيشه وجهله وتفاهته . وصدق الشاعر اذ يقول :

ما يبلغ الاعداء من جاهل
ما يبلغ الجاهل من نفسه

هذه النتائج الباهرة . التى بهرت أنظار العالم . انما كان بطلها . وبطل قصتها . الشعب . الجماهير التى ساندت . وساهمت وعملت وحاربت بحافز من نفسها ووعيها وشعورها بأنها تعمل لنفسها ومستقبلها ووطنها وحياتها . لان هذه الثورة هى ثورتها وهذا النضال هو من أجلها من اجل تحقيق آمالها وعزتها وكرامتها . وهذه هى الحرية والديمقراطية فى اعلى صورها . وابهج كمالاتها . حيث تعطى الاداة الحاكمة أدوار القيادة وفاعليتها والاضطلاع بها للشعوب والجماهير تعانى ذلك بنفسها . وتدفع طلائعها الى تحقيقه . وقد عبر الميثاق عن هذه المعانى اجمل تعبير فى قوله : « ان هذا الشعب البطل . راح يعلم طلائعه الثورية أسرار آماله الكبرى » . لقد تناول الرئيس فى خطابه هذه المعانى بالذكر والشرح والتحليل فى اكثر من موضع وبأكثر من صيغة وعبارة وذلك حيث يقول : (يوم الثورة وفى معركة السويس اتضح لنا ان الجماهير وحدها هى القادرة على الوفاء بدون الجماهير . بدون التأييد الشعبي . لا تكون هناك (ثورة) . بل كان يكون انقلاب على السلطة) . وحيث يقول : (ان جماهير الشعب . الشعب العامل . صاحب المصلحة الحقيقية فى الثورة . يؤيد هذه الثورة . بدون تأييد الجماهير ووضوح الهدف لهم . كان تأميم قناة السويس يتحول الى مظاهرة لا امل فيها) . وحيث يقول (ويوم رحت الازهر ٢ نوفمبر وكانت غارات على القاهرة . كان الناس على طول الطريق تقول: سنحارب . سنحارب . الشعب يعرف ان الثورة ثورته .

قامت تصفى الفوارق بين الطبقات . وتقضى على الاستغلال والاستعمار) وحيث يقول : (وقت العدوان فى معركة التأميم . ناحية ايجابية ظهرت كل الناس طلعت وتلاقت فى بور سعيد . ناس قاتلت وناس ماتت وناس تطوعوا فى الحرس الوطنى . وناس لاقوا العذاب . وتحدوا الانجليز فى بور سعيد . كانوا يعملون مجلات ومنشورات ويهاجمون الانجليز ويكتبون على الحوائط ناس لا نعرفهم . لكنهم من صميم الشعب) .

الثورة اذن باقية ما بقى الشعب . والشعب باق ما دام يريد الحياة . والقدر يعطى الحياة للشعوب التى تريدها .

اذا الشعب يوما اراد الحياة
فلا بد ان يستجيب القـــدر
ولابد لليــل ان ينجـلى
ولا بد للقيــد ان ينكسـر

شعبية الثورة سر نجاحها .. وطاقة خلاقة فى حيويتها وفاعليتها واستمرارها . انها عنصر بقائها وخلودها وانتصارها فى معركة بعد اخرى . شعبية الثورة هى القاعدة الصلبة والصخرة العاتية التى تحطم تحت اقدامها احلام المترددين والمنحرفين والحاقدين على الثورة ومعطياتها وانتقالها من نصر الى نصر .

ان التشكيلات الشعبية والتنظيمات الجماهيرية بكافة مستوياتها . من اتحاد اشتراكى . ومنظمات شباب . ومجلس نيابى . وعامل وفلاح . وجامعى وموظف . عليهم جميعا أن يعوا هذه الحقيقة ويدركوها ويجعلوها نصب أعينهم ، ويعملوا على اشاعة روحها بين الناس جميعا ليكونوا جنود الثورة وحراسها وحماة مكاسبها ومنجزاتها . لا بالقول والكلام فقط . ولكن بالعمل البناء المثمر . واعطاء القدوة والمثل الاعلى فى جدية العمـل . ونظافة السلوك . واشتراكية الفكر والتطبيق . وتطهير الصفوف من السلبيين . وكشف وتصفية الاقطاعيين والرجعيين . الامر الذى يؤكده الميثاق ويحض عليه فى قوله (ان فلسفة العمل الوطنى يجب ان تصل الى كل مواطن فى كافة المجالات) . والامر الذى ذكره الرئيس فى خطابه اكثر من مرة . حيث اخذ يناشد جميع قوى الشعب ومستوياته ومجالاته . ان يعطوا مزيدا من العمل والجد . ويحذر من التوقف عند اى نصر نحصل عليه . لان من يتوقف يتخلف . لابد من التقدم والاستمرار ومواصلة الكفاح من أجل الانتاج وتحقيق الخدمات والتحويل الاشتراكى . والديمقراطية السياسية والاجتماعية . ومجتمع الرفاهية . بالثورة فى كل المجالات والعمل فى كل المجالات . فى مجال الزراعة وفى مجال الصناعة . فى الاتحاد الاشتراكى . فى قطاع الجامعات . فى تقنين الثورة وعمل دستور دائم للامة .. وتعديل القوانين التى لا تتفق مع الحيـاة الثورية الجديدة . الايجابية . والتجارب فى مواجهة المشكلة الاقتصادية وخطة التنمية بالاقتصاد فى المصروفات والحد من زيادة الاستهلاك . والاقتصاد فى النسل والحد من زيادة عدد السكان .. لتوقى خطر الانفجار السكانى الذى يقول عنه خبراء الاجتماع والاقتصاد انه اخطر من الانفجار الذرى .

ما كان اعظم ان استهل الرئيس خطابه التاريخى ببيان طائفة من المقارنات التى كانت بمثابة مراجعة لكشف الحساب .. حساب الثورة مع اعدائها . طائفة من المقارنات . بين ما كان يرجوه للثورة اعداؤها . وبين ما صارت اليه الثورة من نجاح مضطرد . حيث كان (ايدن) يقول ان القناة اذا تم لمصر تأميمها ستتحول الى بركة تسدها الرمال والاتربة . وتتعطل الملاحة فيها . ويسد شريان من اهم شرايين المواصلات العالمية فاذا بالقناة بعد التأميم وتحت الادارة المصرية . تؤدى رسالتها افضل مما كانت الادارة الاجنبية . ويظهر المهندسون والمرشدون والاداريون المصريون كفاءات نادرة المثال بشهادة العالم جميعه . فتزداد حركة الملاحة فيها . ويزداد حجم التحسينات التى تدخل عليها . ويزداد دخلها وايرادها .

متخذا مسيرته الطبيعية نحو صالح الشعب الذى هى فى أرضه . والذى قام بشقها بسواعده بدلا من اتجاهه فيما سبق الى جيوب الدخلاء والمقامرين والاستعماريين وسماسرة السياسة .

وكان « ايدن » فى دوامة كراهيته العمياء، وحقده الاسود . يقول : ان حلم المصريين فى بناء السد العالى سوف يتبدد لانه اكبر من قدرتهم . ولان تكاليفه ستكون عبئا لا يستطيعون حمله . فاذا بالسد العالى يصبح اليوم حقيقة ماثلة للعيان . ويشهد العالم حفل تدشينه . وتتم مرحلته الاولى الخاصة بحجز المياه من منذ سنتين . وسوف تتم مرحلته الثانية الخاصة بتوليد الكهرباء بعد سنة واحدة .

وكان (ايدن) يريد بحرب السويس . تحطيم الثورة وتحطيم القوات المسلحة المصرية . لانها تشكل اكبر خطر على المصالح البريطانية . وكان يقول ليلة ان بلغ بنبأ تأميم القناة . وتقول معه الخيانة والرجعية العربية لقد آن لنا ان نتخلص من عبد الناصر . فاذا بالثورة ما تزال مستمرة، تزداد يوما بعد يوم قوة ونجاحا . واذا بالجيش المصرى ما يزال يشكل الخطر الداهم على الاستعمار وأعوانه . واذا بعبد الناصر يظل فى قيادته لشعبه . متقدما يوما بعد يوم من نصر الى نصر ، مناديا بأعلى صوته . « على الاستعمار . ان يحمل عصاه ويرحل مصفيا قواعده منهيا وجوده وحياته فى البلاد العربية » واذا بثلاثى الاعتداء : ايدن ومولييه . وابن جوريون تنتهى حياته السياسية مع حياة الرجعية فى العراق .

وكان (ايدن) امام مجلس العموم البريطانى . يحاول تبرير عمله الطائش فى حرب السويس . باكيا ساجدا مدعيا أن مصر ستتحول بالتعامل مع روسيا الى مستعمرة روسية . وقاعدة سوفيتية لغزو الشرق كله . وان اللغة الروسية التقطت منها اشارات بين قواد الدبابات فى سيناء . وانه أعدت ملايين البطاطين والملاءات للجيش الروسى فى مصر فاذا بالايام تثبت عكس ذلك . واذا بالقاهرة أكثر حرية واستقلالا من لندن التى تستأذن واشنطن فى مجرد الالفاظ والكلمات التى تنطق بها فى اى قضية دولية . واذا بصحيفة بريطانية واسعة الانتشار . ترسم بالكاريكاتير ملكة انجلترا تركب حصانا يجرى بها . وقد علقت على صدرها لافتة مكتوبا عليها (بريطانيا للبيع)

لقد كان الرئيس كعادته . واضحا تمام الوضوح وصريحا تمام الصراحة فى اعلان سياسة الجمهورية العربية وخطتها ومناصرتها للقضايا التى تناصر قضية العروبة والاسلام ومقاطعاتها للقضايا غير المخلصة للعروبة والاسلام . فبينما يعلن ان اشتباك سورية مع اسرائيل بالمكانة الاولى من اهتمام الجمهورية العربية ومساندتها . لان الاعتداء على اى شبر عربى اعتداء على العرب فى كل مكان . يعلن فى الوقت نفسه . عدم اشتراكه فى مؤتمر القمة القادم . لان الرجعية العربية المشتركة فيه تتخذه ستارا لضرب العرب من الخلف وانها تستمد سلاحها وقوتها من نفس المصدر الذى يمد اسرائيل بالسلاح والقوة . وانها تعمل فى نفس المخطط الذى أخذ على عاتقه محاربة التقدم العربى . وبذلك تكون دسيسة على العرب لا نصيرا للعرب . ويعلن كذلك اصراره على محاربة ما يسمونه بالحلف الاسلامى . لان الذين يدعون اليه . ليسوا من الاسلام فى عير او نفير . ولا فى قبيل او دبير . واذا كانت المسألة مسألة اسلام وقضايا اسلامية فلدراسة ذلك أسلوب آخر ومنهج آخر . يستطيع ان يضطلع به علماء الاسلام . ورجال الدين فى الازهر الشريف . او الحرم الشريف . واذا كانت المسألة مسألة خداع سياسى . وتضليل استعمارى . فقد مضى وقت الخداع والتضليل . وفى مثل هذا وذاك من المواقف والمقامات .. يقول سبحانه لخاتم رسله : « واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين » .

لم أكن قد أكملت الكلام ، فى العدد السابق ، على الامام على ، وانما استبقيت تتمة الحديث عنه الى هذا العدد ، لأن لها أهمية خاصة ، بل ومعنى خاصا يتناوله الكثيرون بالجدل والمناقشة .

فكثيرون هم الذين يرون ، أو يقولون ، ان الامام كان أقل فى السياسة دهاء من معاوية ابن أبى سفيان ، وان معاوية قد غلبه على أمره بهذا الدهاء .

وما نشك فى أن معاوية كان من دهاة العرب وفحول رجال السياسة والرأى ، بل انه ليعد فى مقدمة هؤلاء الذين اتصفوا بالبراعة السياسية والمرونة فيها . ولقد شهد بذلك المؤرخون قاطبة لم يشذ منهم أحد ، سواء من المسلمين أو من الأجانب الذين أرخوا للعروبة والدولة الاسلامية .

ولعل أدهى رجالات العرب فى ذلك الزمان كانوا أربعة ، من جانب معاوية ، كان هو واحدا منهم ، بطبيعة الحال ، وكان الثلاثة الآخرون هم : المغيرة بن شعبة ، وعمرو بن العاص ، وزياد بن أبيه .

وأما من جانب على ، فكانوا على ما هو

معروف ، قيس بن سعد الذى كان عامله على مصر وكان ندا لمعاوية وعمرو بن العاص ، ثم الأشتر النخعى الذى أبلى فى الحروب وفى السياسة بلاء مشكورا ، والذى كان على قد رشحه مندوبا عنه فى التحكيم ، لولا أن أصر بعض رجال جيشه على ترشيح أبى موسى الأشعرى ، ثم ابن عباس ، ابن عم الامام ، وعامله على البصرة ، ومناصره فى الحروب الى أن اعتزل •

ولقد وجد معاوية الى جانبه هؤلاء الدهاة الذين ذكرناهم آنفا ، يمدونه بالرأى السديد وينفعونه بالمشورة الصائبة ، والفكرة الناضجة ، مخلصين له فى ذلك ، وكانت مساندتهم له ، ومعاونتهم اياه ، ذات نفع عظيم ، وفوائد جليلة لاتنكر بالنسبة لما نهض به من أعباء وعلى الأخص فى مواجهة على وسياسته نحوه •

***

وأما على فقد أقام سياسته ، منذ أول الأمر الى نهايته ، على مبدأين عظيمين هما :

- الدين •

- ومكارم الأخلاق •

وكان هذان المبدآن هما عماده ، لا فى سياسته فحسب ، ولكن فى تصرفاته كلها ، مع نفسه ، ومع عماله ، ومع الناس أجمعين ، فى الحرب والسلم ، وفى الشدة والرخاء على سواء ، فلم يكن يحيد عنهما ، فى قليل أو كثير من مهام الحياة العامة والخاصة •

ونقرر ، دون حرج علينا فيما نقرره ، أن جماع الظروف التى أحاطت بعلى فى أدوار حياته وتطوراتها منذ أن ولى الخلافة الى حين وفاته هى التى غلبته على أمره •

وبتعبير أكثر افصاحا عن الواقع ، فان القدر هو الذى غلب عليا ، فقد كان أقوى منه قوة ، وأعظم منه قدرة •

وانه وان يكن لسياسة معاوية ، وأساليبه فيها ، كما ألمحنا اليها آنفا ، دخل كبير ، وأثر ظاهر ، غير أنها لم تكن هى السبب الرئيسى ، ولا السبب الأصيل فى انهزام على عن غاياته ، بل لقد كان القضاء المحتوم هو أس البلاء النازل الذى جعله ينحرف عن مقاصده راغما ، ويصدر عن غاياته غير مختار •

ومن هو الذى فى مكنته أن يعاند القدر ، مهما أوتى من عزيمة ، وحنكة وحكمة وحذر ؟

***

أولا - الدين

- كان كل من طلحة والزبير يطمع فى أن يلى الخلافة بعد مقتل عثمان ، رضى الله عنه ، فلما بويع على فى المدينة نفسا عليه ذلك ، وكرها أن يكون خليفة دونهما ، وقد جاءاه يوما يعتبان عليه ترك مشورتهما فيما جد من الأمور فقال لهما : « نظرت الى كتاب الله ، وما وضع لنا وأمرنا بالحكم فاتبعته ، وما استمد النبى صلى الله عليه وسلم ، فاقتديته ، فلم أحتج فى ذلك الى رأيكما ، ولا رأى غيركما ، ولا وقع لى حكم جهلته فأستشيركما واخوانى المسلمين ، ولولا ذلك لم أرغب عنكما ولا عن غيركما » •

فأنت ترى أن عليا كان له مرجع أوحد فى سلوكه أحكامه ، وهوالقرآن والسنة ، ينظر فيهما لاستنباط الرأى وما يجب أن يتبع فى أحوال الدنيا ، ومشاكل الحياة ، ما هو واقع منها ، وما يستجد من أمورها ، ولا يأبى المشورة ان حزبه أمر أو استعصى عليه رأى ، فالمشورة من الأصول التى هدى اليها القرآن الكريم ، ونصح أو أمر بها •

وهذه القاعدة التى التزمها على أساس سليم للاعمال والأفعال التى تصلح بها الدنيا كما تصلح بها الآخرة ، لأن القرآن والسنة هما مصدر التشريع ، ومصدر الأحكام ، فى الاسلام ، وما زلنا نحن المسلمين ننادى بضرورة استمداد تشريعاتنا كلها ، من مدنية ، وجنائية ، وغيرهما ، من هذه الأحكام لأن فيها رحابة تتسع لكل مسألة ، وتضم كل مشكلة ، وتستوعب كل صلة من صلات العباد فيما بينهم وبين الله ، وفيما بينهم

وبين أنفسهم ، وهى صالحه لكل زمان ومكان ، دون ريب فى ذلك أو مراء ، وقد أجمع جمهرة العلماء والمشرعين على أن الاسلام فى أصوله ينبوع لاينضب معينه ولا يفنى ، بل هو باق ما بقيت الحياة ، وصالح ماصلحت الحياة .

***

– ولما أن ولى على أمر اليمن، أيام الرسول، صلوات الله عليه ، أبى على بعض الصحابة أن يركبوا ابل الصدقة ، وقال لهم : « انما لكم منها سهم كما للمسلمين » .. فما يريد أن يميز أحدا على أحد من غير حق .

– ومنذ ولى الخلافة أخذ فى عزل الولاة الذين كانوا قد استباحوا الغنائم المحظورة ، وطمعوا فى بيت مال المسلمين ، وأطمعوا الرعايا فيه ، كما كان حادثا فى أواخر خلافة عثمان وكان سببا من أسباب الثورة به .

ولقد طالما لام على عثمان على استبقاء هؤلاء العمال على ولا ياتهم ، فلم يكن من المعقول ، ولا من السياسة ، أن يلوم عثمان فيهم ثم يستبقيهم بعد ذلك ، فضلا عن أن عزلهم كان هدفا من أهداف الثورة بعثمان ، رضى الله عنه .

– ثم رد القطائع التى كان عثمان قدوزعها على الأقارب والأتباع والأشياع

– ولما تصرف ابن عمه ، ابن العباس ، وكان عامله على البصرة ، فى بيت المال ، تصرفا لايرضيه ، ولا يرضى الحق بحال ، طلب منه حسابا عنه ، وشدد النكير عليه ، فأبى ابن عباس أن يجيبه الى ما طلب ، ثم اعتزل عمله وترك البصرة ولحق بمكة حيث لاينا له على لأنها بلد حرام .

– ولم يكن على يحب اهراق الدماء ، فلم يكن يلجأ الى الحرب الا كارها لها مرغما عليها ، وكان يسبقها ، دائما ، بمناظرة محاربيه فى الدين والصالح العام ، عسى أن يقتنعوا فيعدلوا ، ومن ذلك أنه كان أول من فكر فى اخلاص فى الاحتكام الى القرآن ، وكان ذلك قبل موقعة الجمل ، اذ أمر فتى من فتيانه فحمل المصحف وأخذ ينادى بالاحتكام اليه ، فلما فعل الفتى ما أمره به على رماه جيش طلحة والزبير بالنبل فمات ، فلم يكن بد ، بعد اباء الاحتكام الى شرعة الله ، من الضراب والقتال .

واذا كان هو قد احتكم ، فى هذه الموقعة ، الى القرآن ، فقد كان ذلك سابقة أوحت الى عمرو بن العاص أن يحتذيها فى موقعة صفين ، بين على ومعاوية ، عندما حاقت الهزيمة بجيش معاوية ، وكاد معاوية أن يفر بنفسه ، غير أن عليا كان خالص النية لله ، سليم الطوية بالنسبة الى ما فعل فى موقعة الجمل ، أما عمرو بن العاص فكان سيء النية ، اذ كان يرمى السهم خدعة حتى يختلف جيش على ، وينقسم على نفسه ، وهو ما قد حدث فعلا ، مما ترتب عليه استحكام الخلاف فى صفوف هذا الجيش ، على ما فصلناه سابقا ، وما هو معروف من أمره .

– ولما أن اعتدى عليه عبد الرحمن بن ملجم فأصابه اصابة قاتلة قال : « يابنى عبدالمطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قتل أمير المؤمنين ، ألا لايقتلن أحد الا قاتلى » . « أنظر يا حسن ان أنا مت من ضربته هذه فاضربه ضربة بضربة ولا تمثل بالرجل فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اياكم والمثلة ولو أنها بالكلب العقور » .

فحتى وهو يجود بنفسه الأخير ، أثر ضربة من سيف مسموم ، لم ينس أن يوصى أولياء دمه باتباع أحكام الدين فى القصاص ، النفس بالنفس فلا يزيدون على ذلك شيئا ، ولم ينس أن يوصهم بالتزام السنة فلا يمثلون بقاتله انتقاما منه لفعلته الشنعاء لأن النبى الأكرم قد نهى عن المثله !

وقد شهد له عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، حين أوصى بالشورى فى الخلافة بعد موته فقال : « لو ولوها الأجلح لحملهم على الجادة الى فضائل كثيرة يعرفها له أصحاب

النبى على اختلافهم ، ويعرفها له خيار المسلمين من التابعين » . فعمر كان يرى عليا أشبه الناس به فى شدته فى الحق . والاستمساك بعروة الدين ، وغلظتــه على الذين ينكرون الحق أو يضيقون به .

ويقول الدكتور طه حسين ، فى كتابه « على وبنوه » « أنه لم يكن ينحرف ولا يميل ، ولا يدهن فى الاسلام فى قليل أو كثير .... وانه انما يعنيه كل العناية أن يجد أثناء طريقه وفى آخرها رضى ضميره ورضى الله »

***

وبالجملة فقد كان على يعمل جاهدا على أن تبقى للدين والسنة سطوتهما وقوتهما المؤثرة كما كان الحال على عهدى أبى بكر وعمر ، وكان يداب جاهدا على ارضاء الحق والعدالة فى كل صورة من صورهما ، لايحيد عن ذلك أبدا .

***

ثانيا ــ مكارم الأخلاق

كان على ، كرم الله وجهه ، لايبدأ أحدا بقتال وله مندوحة عنه ، وكان يقول لابنه الحسن « لاتدعون الى مبارزة فان دعيت اليها فأجب ، فان الداعى اليها باغ ، والباغى مصروع » .

وكان يأبى على جيشه أن يقتلوا مدبرا ، أو يجهزوا على جريح ، أو يكشفوا سترا ، أو يأخذوا مالا .

وكان يعفو عند المقدرة ، فقد ظفر بألد أعدائه ، عبد الله بن الزبير ، ومروان ابن الحكم ، وسعيد بن العاص ، وعمرو بن العاص ، وكان « أخطر عليه من جيش ذى عدة » ، فعفا عنهم جميعا ولم يتعقب أحدا منهم .

ــ وكانت عائشة أم المؤمنين منضمة الى طلحة والزبير منحازة اليهما فى موقعة الجمل ، تحرض عليه ، وتنفر الناس منه ، فلما أن عقر جملها ، وتم النصر له ، أمر بنقلها ، معززة مكرمة ، الى دار عبد الله بن خلف الخزاعى ، بالبصرة ، وقال لها ، عنــدما زارها فى تلك الدار « عفا الله عنك » . ولم يوجه اليها حتى ولا كلمة عتاب ! بل لقد عاقب بعض نفر أسمعوها ما تكره ، أشد عقاب !

كذلك لما أن أسمعته بنت الحارث صاحبة تلك الدار بعد مقتل الخزاعى ما يكره من عبارات وألفاظ أعرض عنها ولم يحاول صدها بعنف أو بقول أو عمل ، بل لقد قال اننا أمرنا بأن نحسن معاملة النســاء ، حتى نساء الجاهلية ، فكيف بنا لانحسن معاملة نسائنا فى الاسلام !

ــ وبعد وقف القتال فى موقعة صفين ، والاتفاق على التحكيم ، وتحرير وثيقتــه ، واعلانها على ملأ من الجيش ، واختلاف هذا الجيش عليها وعلى التحكيم فى ذاته ، نبذ الخوارج طاعة على ونقضــوا بيعتــه ، واذ ناظرهم ، بعد أن اعتزلوا فى حروراء قرب الكوفة ، بمــا كاد يقنعهم ويعــود بهم الى صفوفه ، طلبوا منه نقض ما وعد والتخلى عن التحكيم فرفض ، وأصر على البر بعهده الذى عاهد الطرف الآخر عليه ، فكان ذلك سببا فى مناوأة الخوارج له ، فعاثوا فى الأرض فسادا ، مما أرغمه على محاربتهم ، اتقاء لشرهم .

ولو ســمحت لعلى أخلاقه بخلف الوعد ما تعرض لما تعــرض له من جانب هــؤلاء الخوارج ، بل لكان قد ضمهم الى صــفوفه وكسب معاونتهم فيما كان ينتويه من محاربة معاوية وأهل الشام ، ولكن أخلاقه الكريمة أبت عليه ألا أن يبر بوعده ، ويفى بعهده .

***

وتلك أمثلة قليلة مختارة ناطقة بما كان عليه على من مكارم الأخلاق نقدمها بين يدى القارىء دلالة على أنه كان يتمسك بها ، كما كان يتمسك بدينه ، كما أنزل الله ، لايفرط فى شىء منه أبدا .

***

أحكام القضاء وأحكام القدر

قلنا ان سياسة معاوية لم تكن هى التى غلبت عليا على أمره ، كما يبدى بعض الناس

ويعيد ، ولكن القضاء والقدر هما اللذان غلباه فآلت أموره الى ما آلت اليه .

ودليل ذلك :

– لما رفض معاوية مبايعتـــه على الخلافة والدخول فى الجماعة ، عزم على محاربتـــه ، فجمع جموعه وتجهز لهذه الحرب ، ولكنه فوجىء بأن طلحة والزبير قد لحقا بالبصرة فى جيش كبير لمناجزته ومحاربته ، بغيا وعدوانا، فلم يكن بد من أن يعـــدل عن اتجاهه الى معاوية ، ويميل بجيشه الى البصرة لكى يقف طلحة والزبير عند حدهما ويردهما عن غيهما، فحدثت موقعة الجمل ، وانتصر على ، ثم عاد أدراجه ليتجهز لحرب معاوية .

– وقد تقابل الجيشان ، جيش على وجيش معاوية ، فى موقعة « صفين » المشهورة التى كادت الهزيمة فيها تحيق بجيش معاوية ، وكاد معاوية أن يفر بنفسه ، لولا أن رفعت المصـــاحف على الرماح ، خدعة ، فتـــوقف القتـــال ، ولم يظفـــر على من تلك الحرب بطائل !

– ولما انتهى التحكيم الى ما انتهى اليه ، ومكر عمرو بن العاص بأبى موسى الأشعرى، ثم أعلن من فوق المنبر ، أنه يخلع عليا ، كما خلعه أبو موسى ، ويثبت صاحبه معاوية ، وأقبل أهل الشام على معـــاوية مبايعين ، تمت الخدعة ، ولم يكن بد من الحرب مرة أخرى لرد معاوية وأهل الشام الى الجماعة والزامهم البيعة كما بايع غيرهم من قبل .

– وتجهز على لحرب معـــاوية ، وخـــرج بجيشه متجها الى الشام ، ولكنه علم ، وهو فى طريقـــه اليهم ، أن الخوارج قد أخـــذوا يعيثون فى الأرض فســـادا ، فخشى ، وخشى أصحابه ، أن يعتدى هؤلاء على الكوفة ، أثناء غيابهم ، كما خشوا أن يهاجموهم من خلف ، فعاد على بجيشه أدراجهم للقضـــاء على حركة هؤلاء الخوارج ، ثم هزمهم فى موقعة النهروان، ورأى أصحابه أن يأخذوا قسطا من الراحة والاســـتجمام ، وأن يستـــعدوا ، فى الوقت نفســه ، للخروج بعد لحرب الشام .

– على أن فترة الاستجمام قد استطالت، واستكان أهل الكوفة الى الهدوء والسكون !

– وحاول أن يستنهضـــهم ويستنفرهم ، فكانوا يسمعون ولا يعملون شيئا حتى كاد ييأس من نهوضـــهم الى الحرب التى يريدها ضد معاوية .

على أنه جمع رؤساءهم وقال لهم انهم ان لم ينفروا للحرب هاجمهم معاوية فى ديارهم : وفى هذه المرة سمع الرؤساء وعملوا – وتجهز الجيش استعدادا للخروج الى الشام ، ولكن القضاء لعب دوره الأخير فقتل على غيلة بيـــد عبد الرحمن بن ملجم .

فأنت ترى أن عليا حاول حرب الشـــام مرات ، وكان القدر له بالمرصـــاد فى كل مرة منها .

وكأنما أراد القـــدر أن ينهى عصر الخلافة الدينية ، بعـــد الخلفاء الأربعة ، ليبدأ عهد الدولة الدنيـــوية ، أو سرعان ما تأسست الدولة الأموية ، ثم تلتها الدولة العباسية على ما هو معروف .

فالقدر هو الذى غلب عليـــا وحوله عن غاياته ، ولم يكن معاوية هو الذى غلبـــه على أمره .

وهكذا شاء ربك ، ولا راد لقضائه والى الله عاقبة الأمور .

كلمة أخيرة حول

القرآن الكريم والحديث القدسي والحديث النبوي

الدكتور مصطفى زيد

اذا كان الله عز وجل قد ميز الانسان بالعقل ، وتفضل عليه فعلمه مالم يكن يعلم ، فقد أوجب عليه أن يكون أمينا فى عمله لا يتهم بريئا . ولا يخطىء مصيبا ، ولا يتساءل عن مدى طمأنينة مؤمن على دينه ، وهو يعلم قبل غيره – ان من رمى مؤمنا بكفر فهو كقتله ، كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أقول هذا الكلام لأطبقه على نفسى ، قبل أن أطالب غيرى بتطبيقه على نفسه . وأقوله قبل ان أستعرض الوقائع ، ليكون الحكم الذى يصدر فى الموضوع نابعا منه ، ملتزما هديه .

وهذه هى وقائع القضية ، قضية التفرقة بين القرآن الكريم والحديث القدسى ، أعرضها هنا ، وأدع لها وحدها أن تتكلم

١ – قلت فى مقالى الأول (وهو المنشور فى عدد شهر صفر من هذه المجلة الغراء – العدد الثانى من السنة الرابعة والعشرين ، تحت عنوان بين القرآن الكريم والحديث القدسى

« والذى لا ينبغى أن يشك فيه مسلم ان السنة النبوية كلها من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظا ومعنى ، فقد عصمه الله من الخطأ فى أمور الشريعة ، ووكل اليه أن يبين بعبارته ماأنزل عليه ، وكلف تبليغه للناس ، وهو لاينطق عن الهوى ، ولا يخضع للعاطفة ، ولا يشرع للناس أمور دينهم وفقا لرغباته ، بل وفقا لما أنزل عليه ، وكلف ان يهدى الناس اليه . ومن ثم كان لسنته التى صحت عنه المكان الثانى بعد القرآن الكريم ، فهى المصدر الثانى للتشريع ، وهى من النصوص التشريعية التى يجب الرجوع اليها لبيان القرآن ، ولاستنباط الأحكام الشرعية التى تكفلت ببيان ما سكت عنه القرآن منها ..)

٢ – وفى موضع آخر من المقال المذكور عدت فقلت بصدد بيان الفرق بين الحديث القدسى والحديث النبوى .

« أما الفرق بين الحديث القدسى والحديث النبوى فهو أن الحديث القدسى معناه من الله وان كان لفظه للرسول ، فهو موحى به وان كان بغير طريق الملك . أما الحديث النبوى فقد يكون بوحى ، وقد يكون باجتهاد ، الا ان الرسول لايقر على اجتهاد خطأ . فكل ما اقر

عليه صار من سنته ، وان كان مبنيا على اجتهاد »

٣ – ومرة ثالثة عدت للكلام عن الحديث النبوى ، وكان ذلك قرب آخر المقال ، فقلت بالحرف الواحد ما يأتى :

« أما الحديث النبوى فقد يكون بناء على وحى ، وقد يكون مبنيا على الاجتهاد ، غيران رسول الله لايقر على اجتهاد الخطأ فيه ، وهو بعد معصوم لايخطىء فى أمور التشريع ، ولا ينطق عن الهوى ، فكأن حديثه فى جملته من الوحى ، بحكم أنه كله حق لا انحراف فيه ولا خطأ »

٤ – فهل فهم أحد القراء من هذه الفقرات .. أو من احداها – فى مقالى السابق اننى أنكر السنة النبوية ، أو انكر ان تكون من الوحى ؟ ولكن شيخا اجله واكبره ينشر انه فهم من مقالى شيئا خطيرا ، هو اننى انكر السنة ، وأنكر أن تكون وحيا .. ثم يمضى به الفهم الى حد أن يتساءل قائلا :

« ثم اذا طاوعنا غيرنا فى ابعادهم للسنة عن الوحى السماوى : فما هو الهدف العلمى ، وهل يكون ذلك الابعاد نافعا للناس أو ضارا فى دينهم ؟ وهل يكون ذلك المسلك ظاهرة صحيحة لكمال الايمان ، والحيطة له ، ويكون صاحب هذا المسلك مطمئنا على دينه بعد ان واتيناه بالآيات السابقة ، وهو على تشبثه الخاطىء ؟ »

ونحن نضيف الى الآيات التى استند اليها آيات أدل على ماقلناه ، وما يريد هوان يجردنا منه وينسب الينا عكسه . تلكم الآيات هى قوله تعالى : « من يطع الرسول فقد اطاع الله » « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ، « والله ورسوله أحق أن يرضوه » بضمير الواحد » يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون » استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » بضمير الواحد كذلك .

ونحب أن يطمئن فضيلته على أننا – بحمد الله – لانقل عنه ايمانا ، واننا نعرف لايماننا حقه علينا ونحتاط له ، غير اننا قد نختلف معه فى ان الدين الاسلامى دين أسرار كما يبدو من كلامه ، فليس فيه كهنوت ، وليست فيه حقائق يجب ألا تقال للعامة . فكل ذى عقل يدرك ادراكا سليما كل كلمة سجلناها فى مقالنا الأول ، ويعرف جيدا ما فيها من معان . وكل مسلم يجب ان يعلم من أحكام دينه كل ما يستطيع ان يعلم ..

ونحن بعد هذا لا ننكر السنة ، ولا نبعدها عن الوحى السماوى ، ولا نشك فى انها هى المراد بقوله صلى الله عليه وسلم : « ألا وانى أوتيت القرآن ومثله معه ، من ثم قلنا انها هى المصدر الثانى للتشريع بعد القرآن الكريم ، وانها هى بيانه ، وقد تأتى بأحكام تفصيلية كثيرة لم يتعرض القرآن الا لأصولها »

٥ – ولعل القارىء معى بعد هذا فى ان الكلام عمن يكذب على النبى صلى الله عليه وسلم متعمدا وما ينتظره من عذاب النار ، وعن بيان السنة للصلاة والزكاة والحج وغيرها من أمور الدين – كلام لا محل له ولا مناسبة او هو على الأقل لايوجه لمثل بعد الذى قلته عن السنة النبوية وصلتها بالوحى ، وانها بجملتهما تعتبر من الوحى ..

على أننى لا أحب أن أسجل عليه فى مقاله تناقضا حين قال : « وقد كان تفسير النبى صلى الله عليه وسلم بقدر مادعت اليه حاجتهم يومذاك ، ثم كان نموذجا لنا فيما نسير عليه ازاء المناسبات التى تتجدد لنا مع الزمن الطويل فان القرآن مساير للحياة الانسانية فى مداها الواسع الى نهاية الحياة الدنيا » فان هذا الكلام يحمل فى ثناياه أن سنة رسول صلى الله عليه وسلم لم تكن كلها وحيا – وانها لكذلك – اذ لايمكن أن تكون كلها وحيا ثم تكون مع ذلك نموذجا لنا ، نحن الذين لايوحى اليهم ، وكيف يباح لنا نحن ان نجتهد فى أمور الدين ثم يمنع الرسول مما ابيح لنا ، فيحرم عليه ان يجتهد فى شئون الدين ، ولايباح له الاجتهاد الا « فى غير شئون الدين » كما يقول الشيخ الجليل ؟

ثم ماذا يقول فضيلته فى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ازعاج صيد مكة ، وعن قطع شوكها ، وقد كان ذلك باجتهاده بدليل أنه لما عقب العباس على هذا النهى بقوله الا الأذخر يا رسول الله – قال صلى الله عليه وسلم : الا الأذخر . وأقره الوحى على ذلك بالسكوت ؟

وماذا يقول فضيلته فى قوله صلى الله عليه وسلم : « لاتنكح المرأة على عمتها ، ولا على خالتها ولا على ابنة اخيها ، ولا على ابنة أختها فانكم ان فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم » . وفيه يتضح القياس على ما نصه الكتاب من حرمة الجمع بين الاختين . ومثله قوله صلى الله عليه وسلم: « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » فان وضع هذه القاعدة مبنى على قياس مالم ينص عليه منها على ما نص عليه ؟

ثم ماذا يقول فى قوله صلى الله عليه وسلم – فيما روته أم سلمة رضى الله عنها – : «انى أقضى بينكم بالرأى فيما لم ينزل فيه وحى »

٦ – بل تجاوز رسول الله هذه المرحلة من الاجتهاد الى أمر أصحابه بالاجتهاد فى حياته ، فقد قال لعمرو بن العاص فى بعض القضايا : احكم . فقال عمرو اجتهد وانت حاضر ؟ قال : « نعم ان اصبت فلك اجران وان اخطأت فلك اجر ، ثم حكم سعدا فى بنى قريظة . فحكم فيهم باجتهاده ، فأقر حكمه . والحادثة معروفة .

وروى عن ابى سعيد الخدرى ان رجلين خرجا فى سفر ، فحضرت الصلاة وليس معهما ماء ، فتيمما وصليا ، ثم وجدا الماء فى الوقت فتوضأ احدهما واعاد الصلاة ، ولم يعد الآخر . ولما ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال للذى لم يعد « أصبت السنة ، وأجزأتك صلاتك ، وقال للذى توضأ وأعاد : « لك الأجر مرتين » فأقر كلا منهما على اجتهاده فى موضع لانص فيه !

وقصة النهى عن صلاة العصر الا فى بنى قريظة ، عند التوجه اليها لغزوها بعد العودة من غزوة الأحزاب معروفة ، فلا داعى لتكرارها

٧ – ولاحاجة لنا بعد هذا كله ان نسأل : أكانت هذه الاجتهادات كلها فى غير شئون الدين ، فان الجواب معروف ، على ان الذى لايجوز المراء فيه ان المراد بقوله تعالى : « ان هو الا وحى يوحى » هو القرآن الكريم وبعض السنة النبوية ، لاكلها ، والا لما جاز ان يوجه الله النبى الى تغيير بعض ما اجتهد فيه ، فان حدوث هذا التوجيه وتكرره فى عدة أمور دليل صريح على انه صلى الله عليه وسلم لم يكن كل كلامه وحيا . واعتقد أن هذا واضح لاخفاء فيه . !

٨ – ونكتفى من الكلام على اجتهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا القدر ، لنعود الى ما قلناه نحن فى مقالنا الأول عن السنة ، فقد قال الاستاذ الجليل ان فى عبارة منه تناقضا بينا ، وانه لايجوز شرعا سكوته عن تفنيد هذه العبارة ، ثم تلطف فقال انها خطيئة منى عن غير قصد . قال أكرمه الله :

(وقد قرأت لبعض الاخوة عبارة لايجوز شرعا سكوتنا عن تفنيدها ، لأنها خطيئة منه عن غير قصد ، وهى قوله فيما نشر: « والذى لاينبغى ان يشك فيه مسلم ان السنة النبوية كلها من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم لفظا ومعنى ، فقد عصمه الله عزوجل من الخطأ فى أمور الشريعة ، اذ وكل اليه ان يبين بعبارته ما أنزل عليه وكلف تبليغه للناس . وهو لاينطق عن الهوى ، ذلك كلام لاموضع له فى الذهن بعد الذى أوضحنا ، وهو كلام متناقض مع نفسه ، اذ كيف يبين النبى بعبارته هو ما أنزل عليه ولا يكون الذى انزل عليه وحيا ؟ وما معنى كونه انزل عليه ثم يكون من عنده هو لفظا ومعنى ؟ فهنا بيان بكلام النبى وهنا شىء أنزل عليه ، وذلك اعترافه .

ويمضى الشيخ الكبير يقول . (**ويقول الكاتب : فقد عصمه الله من الخطأ فى أمور الشريعة ، فهل يريد الامور التى هى من الوحى**

الذى يقر به ثم ينكره ؟ أو تكون الأمور كلها من باب الاجتهاد مع أن الاجتهاد اضيق ابواب الوحى ، وأضعفها كما علمت ؟ ذلك اتجـاه يشق علينا فهمه ، ويشق علينا التوفيق بين صدر الكلام وعجزه الاخير)

وقد عجبت كثيرا واستبدت بى الدهشة عندما قرأت تعقيب الشيخ على كلمتى التى نقلها وتحليله لها ذلك أن عباراتى التى نقلها وزعم ان فيهـا تناقضا ، أسلم وأوضح وأدق من ان يغيب معناها على فضيلته ، ثم هى - كما سنرى - ليست متناقضة اطلاقا ، ولاتمت الى التناقض بصلة .

ان الشيخ يتساءل فى استنكار : (كيف يبين النبى بعبارته هو ما أنزل عليه ، ولا يكون الذى انزل عليه وحيا ؟) والجـواب فى هدوء أن (ما أنزل عليه) تعبير لايحتمل الا معنى واحدا هو القرآن الكريم ، وان بيان النبى صلى الله عليه وسلم لهذا الذى أنزل عليه (والشيخ يتفق معى فى ان هذا البيان يكون بعبارة النبى صلى الله عليه وسلم حتى حين يكون وحيا) هذا البيان هو سنته فأينا الذى قال اذن ان الذى أنزل عليه ليس وحيا ؟

ويتساءل الشيخ مرة أخرى قائلا : (وما معنى كونه أنزل عليه ثم يكون من عنده هو لفظا ومعنى ؟) ومرة ثانية اجيب فى هدوء : ان هنا شيئين لاشيئا واحدا : المبين (بفتح الياء المشددة وبصيغة اسم المفعول) والمبين (بكسر الياء المشددة وبصيغة اسم الفاعل) الأول فهو القرآن الكريم وهو وحى كله ، لاكلام فى هذا . وأما الثانى فهو السنة ، وهى كلها بعبارة النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى ما كان طريقه الوحى من بينها ، بدليل أنه تجوز روايتها بالمعنى ، والموحى به لفظا لاتجوز فيه الرواية بالمعنى !

٩ - ونمضى فى مناقشة ما أدعاه الشيخ علينا فنجده يقول بعد التساؤلين السابقين « فهنا بيان بكلام النبى ، وهنا شىء أنزل عليه ، وذلك اعترافه) وأنه ليطيب لى أن أؤكد هنا هـذا الاعتراف ، واوثقه ، وازيد ايمانا به واصرارا عليه . اليست النصوص التشريعية الاسلامية قرآنا وسنة ؟ . ثم اليس القرآن منزلا من عند الله ، والسنة بألفاظ الرسول وان كان معظمها وحيا ؟ فهما القرآن وبيانه من السنة اذن ، اذن ، وهنا بيان بكلام النبى ، لشىء أنزل عليه وهو كلام الله . وقد صرح القرآن الكريم نفسه للنبى صلى الله عليه وسلم وظيفتين لاواحدة أما أولاهما فهى التبليغ ، وهذه لاخلاف عليها وقد عبر عنها القرآن بأكثر من أسلوب فقال (وليس هذا حصرا) : ان عليك الا البلاغ (أى لا ماوراءه من هداية الناس) ، ان انت الانذير « انما أنت مذكر » « يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك » ادع الى سبيل ربـك بالحكمة والموعظة الحسنة » وبين ان هذا الحصر يراد به أنه ليس مسئولا اذا بلغ عن عدم هدايتهم بأكثر من أسلوب أيضا ، فقال : ليس عليـك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء » انك لاتهدى من احببت » «لست عليهم بمسيطر « لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين » « فلا يحزنك قولهم » وهكذا .

أما الوظيفة الثانية للرسول صلوات اللـه وسلامة عليه فهى البيان ، بيان القرآن الذى أنزل عليه من عند الله ، بقوله وعمله وتقريره والقرآن صريح فى هذا أيضا ، ففيه : «وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » ومن البدهى الذى لامجال للمشاحة فيه أن البيان ليس هو البلاغ . أما قوله تعالى : « ثم ان علينا بيانه » فليس المراد بالبيان فيه فيما نعتقد أن بيان القرآن كله من عند الله ، بل لعـل الأقرب الى السياق أن يكون المراد به هنا :أن نبينه على لسانك ، أو يكون المراد به ، بيان ما أشكل عليك من معانيه ، أو يكون المراد ببيانه هنا اظهاره كما قال الآمدى . مستدلا بأن المراد جميع القرآن ،والمجمل انما هو بعضه ، ولا اختصاص للامر المذكور ببعض دون بعض .

١٠ - وأخيرا يقول الشيخ بصـدد عصمة الله للرسول عن الخطأ فى أمور الشريعة

متسائلا ايضا : « .. فهل يريد الامور التى هى من الوحى الذى يقر به ثم ينكره ؟أوتكون الامور كلها من باب الاجتهاد و... الخ)

وأجيب فى هدوء : لم انكر الوحى قط ،وليس فى مقالى - على طوله - ما يفهم منه هذا ولو من بعيد ولم اقل كذلك ان الامور كلها من باب الاجتهاد وانى لأؤكد هذا ،والا فليضع الشيخ يدى مشكورا على الكلام الذى انكرت فيه الوحى ، أو قلت فيه ان الامور كلها من باب الاجتهاد .

ولا على بعد ذلك ألا يقر هو هذا الاتجاه الذى نسبه الى ولم أقل به ، فأنا أيضا لاأقره بل أنكره بقوة ، لا فى مقالى هذا ولكن فى مقالى الأول ..

١١ - وبعد ، فقد انستنى مناقشة الشيخ فيما ألصقه بى - أن أعرض لموضوع الحديث القدسى ، مع انه هو أصل المسألة، وأحب أولا أن اسجل أن الشيخ قد تنازل عن موقفه حين قرر ان الجهابذة من الأئمة يجمعون على أن الحديث القدسى لفظا ومعنى من عند الله عز وجل ، ليس للرسول فيه الا التبليغ كالقرآن الكريم ، فقد عاد وقرر لفظة مختلف فيه ألرسول هو أم لله ؟

ولا يعنينا ربطه بين القول بأنألفاظه للرسول وبين انكار أن تكون السنة وحيا فهذا اسلوب لم يقل به غيره فيما أعلم ، ثم انه لا يعتمد على منهج علمى سليم ، فضلا عما فيه من تسليم بأنه من السنة ،مما يشعر به تسميته حديثا . أما استهانته بالمؤلفين الذين نقلت عنهم فى مقالى الاول وتسميته لكتبهم بالمختصرات فلا يقللان من شأنهم ولا من شأن هذه الكتب. على أننى قد ذكرت من بينهم الكرمانى صاحب الشرح الأول للبخارى ، وصاحب الابريز ، والطيبى ، وسعد الدين التفتازانى ،فلماذا لم يجرحهم كما جرح غيرهم وكيف استباح لنفسه أن يستشهد بكلام الجلال المحلى معاصر السيوطى والمتوفى سنه ٨٩٠ هـ ، كأنه خير منهم ،أما قوله فى مقاله : « يقول قائل : ان ابن حجر يقول بذلك ، وهو امام جليل » . وجوابنا على ذلك ان ابن حجر الذى شرح الاربعين ليس هو ابن حجر العسقلانى .. وانما هو ابن حجر الهيثمى » فأحب أن أهمس فى اذن الشيخ : يستطيع أن يرجع الى مقالى الأول ، فسيجد أن الذى قلته فيه : (من بينها كتاب ابن حجر الهيثمى (فتح المبين بشرح الاربعين) ،واننى لم أنقل منه شيئا لكنى احلت عليه من يريد الاستزادة فى الموضوع ! ولو انه راجع مقالى قبل ان يكتب لوفر على نفسه هذا الكلام وكفانى مؤونة الرد .

١٢ - والكلمة الاخيرة لى فى الموضوع هى ان الحديث القدسى وحى بمعناه فقط . اما لفظه فللرسول ، واذا كان ما قدمته حتى الآن من الأدلة لايكفى الاستاذ الجليل فليذكر (١)ان الأحاديث القدسية كلها رويت بطريق الآحاد، فليس من بينها حديث واحد متواتر ، ٢ وان رواية الآحاد ظنية وليست قطعية ، وما ينبغى أن يكون كلام الله بلفظه ظنى الثبوت ٣ وانها بمقتضى كونها آحاد يجوز ان تتعدد الرواية فيها ، وتختلف بعض الألفاظ فى بعض الروايات عنها فى بعضها الآخر ، ولايجوزهذا فى كلام قاله الله بألفاظه ٤ وانها تجوزروايتها بالمعنى كسائر الأحاديث ، أذ لاتمتنع الرواية بالمعنى الا للقرآن الكريم وحده .

فان بقى عند رأيه بعد هذا ، فالمسألة مسألة دين ، ليس علينا فيها الا ان نقول ، ما نعتقد وفق مايهدينا اليه البحث ، أماالباقى فلله عزوجل ..

وختاما لا أحب أن أضع القلم قبل أن أعتذر الى القارىء الكريم ، فقد شغلته معى اربعة اشهر ، وأطلت عليه . لكنه بما جبل عليه من اخلاص لدينه سيستفيد دون شك بما يقرأ ، وهذا هو عذرى اليه ، وانى لأرجو مخلصا ان يقبله ، وان يكون هذا آخر عهدى بهذا الموضوع ، فى هذه المجلة التى تفسح صدرها مشكورة لنشر هذه الابحاث ، ايمانا منها بحرية النشر لكل باحث

الجذور الإسلامية فى الاشتراكية العربية

الدكتور أحمد شلبى

فى الحديث السابق بدأنا كلامنا عن « الاشتراكية العربية فى الميزان الاسلامى » ، فذكرنا اتجاهات الفكر الاسلامى فى الاقتصاد، وأخذنا نقارنها بواقعنا قبل يوليو سنة ١٩٦١ ثم أبرزنا كيف تمشت قوانين يوليو مع التفكير الاسلامى ، فيما يتعلق بالملكية الفردية وحراستها ، وننتقل اليوم الى ابراز موقف الاسلام من تحديد الملكية الزراعية :

كان من القوانين المبكرة التى اصدرتها الثورة تحديد الملكية الزراعية وجعلها ٢٠٠ فدان ، ثم جعلتها قوانين يوليو سنة ١٩٦١ مائة فدان مع زيادة خصصت للاطفال فى الحالتين ، ثم جاء فى الميثاق « ان روح القانون تفرض أن يكون هذا الحد « مائة فدان » شاملا للاسرة كلها أى للاب والأم وأولادهما القصر ، حتى لا تتجمع ملكيات فى نطاق الحد الأعلى تسمح بنوع من الاقطاع » .

وفى الحقيقة هناك أكثر من جانب اسلامى يجعل تحديد الملكية الزراعية عملا ليس فقط مشروعا بل ضروريا ولازما ، فهناك مبدأ المبدأ الاسلامى الذى يقضى بعدم تجمع الثروات فى أيد قليلة ، ومن الواضح أن الملكية الزراعية قبل الثورة كانت تجميعا للثروة الزراعية فى أيد قليلة كما تدل على ذلك الاحصائيات التى يمكن اجمالها فى أن ٢ ٪ من الملاك كانوا يملكون ٥٠ ٪ من مجموع مساحة الأراضى المنزرعة ومن بينهم ٦١ مالكا كانوا يملكون ٣٣ ٪ من مجموع الأراضى المنزرعة بنسبة عشرة آلاف فدان للواحد فى المتوسط ، فى حين يملك ٥٠٠ر٠٠٠ر١ « مليونان ونصف من الأفراد » ٣٣ ٪ من الأراضى المنزرعة بنسبة أقل من نصف فدان للفرد فى المتوسط ، وهناك كذلك الفكره الاسلامية وهى ضرورة أن تقتصر الملكية الفردية على المال بحيث لا تتعداه الى الناس ، ولكن كانت الملكية الزراعية قبل الثورة اقطاعا يملك فيه المالك الأرض ورقيق الأرض ، وهناك أيضا الفقير المحروم الذى ورث الحرمان عدة أجيال ، ويبيح التفكير الاسلامى لولى الأمر اصلاح حال هذا المحروم واتاحة الفرصة له لحياة كريمة ، وهناك المأساة الكبرى التى كانت تقضى على الكفاءات وتقتل المواهب الطيبة وتفرض الطبقية الثابتة ، فابن الطباخ يرث مهنة الطبخ عن أبيه ، ويرث ابن الزارع الفأس والكدح عن أبيه مهما كان ذكاؤه ومهما كانت عبقريته ، أما ابن الاقطاعى فتفتح له المدارس وينجح بألوان مختلفة ، وتسند له أمور الأمة موظفا ومالكا وعضوا للبرلمان ، ووزيرا مهما كان قصور عقله وضحالة تفكيره وتلك مأساة كبرى كما قلنا يعود شرها على المجتمع كله .

هناك هذا وذاك ، ولكن هناك ما هو أهم من هذا وذاك ، هناك أحكام أثبتتها لنا كتب

الفقه والتاريخ الاسلامى وهى ترينا بوضوح ما المدى الذى يبيحه التفكير الاسلامى فى مثل ما كان عندنا فى موضوع الملكية الزراعية .. وتصلح هذه الأحكام لمقارنة دقيقة واضحة ، وهاك عناصر هذه المقارنة :

١ - لما أتم المسلمون فتح أرض العراق والشام فى عهد عمر ، رأى الفاتحون أنه يلزم أن تقسم عليهم الأرض المفتوحة ، وكتب قواد الجيوش يستأذنون عمر فى ذلك ، ولكن عمر كان له رأى غير هذا ، كان يرى ألا توزع الأرض وأن تبقى للامة ، يفرض عليها الخراج ويظل زراعها بها ، ومن الخراج تدفع أجور الموظفين وتكاليف الجند ومطالب الدولة على العموم ، وقد عارض بلال والزبير بن العوام رأى عمر ، وأيده عثمان وعلى وطلحة وكثيرون غيرهم ، واحتكم عمر لمجموعة من الأنصار فأيدوه واستقر الرأى على ذلك ، وصارت الأرض المفتوحة ملكا للامة .

٢ - وفى عهد عثمان بدأ يظهر « الاقطاع » فى العالم الاسلامى اذ رأى الخليفة أن يقطع من أرض الأمة لرجال اختارهم أكثرهم من أقاربه ، وكان الخليفة يقصد تنظيم استغلال أرض الأمة ولذلك سمى هذا اقطاع استغلال لا اقطاع تمليك فكان الرجل يتسلم مساحة من الأرض السابق ذكرها لاستغلالها ويدفع الخراج عنها كما سلم عثمان لمعاوية «اقطاعا» لا ليدفع عنه خراجا بل يكون الاقطاع زيادة فى مرتب معاوية اذ وافق الخليفة عثمان ومعاوية على أن مرتبه لا يكفى مسئولياته ، ولكن هذا الاقطاع وذاك اتجها طبيعيا ليكونا اقطاع تمليك أو ما يقرب منه .

٣ - وجاء عهد على فأسرع باسترداد القطائع التى أقطعها عثمان لأقاربه من بيت المال ، ولم يسمع لنصح أقاربه وأتباعه الذين أشاروا عليه أن يؤجل هذا التصرف ريثما تستقر له الأمور .

وحدث فى عهد الأمويين تصرف كتصرف عثمان كما حدث أيضا تصرف على ، فانه لما انتقلت الخلافة الى الأمويين ظهر اقطاع التمليك واضحا اذ أعطى خلفاء بنى أمية إقطاعات واسعة الى أهليهم وذويهم « واعتبر هذا امتدادا لتصرف عثمان » .

وجاء عهد عمر بن عبد العزيز ويروى لنا ابن الجوزى مؤرخ حياة عمر موقف الخليفة الصالح من هذه الاقطاعات فيقول : انقطع عمر عن الناس ثلاث ليال اضطرب لها وجوه بنى مروان وبنى أمية وأشراف الجنود العرب ووقفوا ببابه ينظرون ما يخرج عليهم منه ، أما هو فقد أخذ مع مزاحم وزيره ومستشاره يجمعان سجلات القطائع التى اقتطعت للامراء وسجلات الهبات الضخمة التى صرفت لهم ، وعهود الأموال التى تجرى عليهم ، فلما اجتمعت لديهم السجلات والكتب أمر عمر أن ينادى بصلاة جامعة فاجتمع الناس وخرج عمر فصعد المنبر ووقف دونه مزاحم ثم خطب عمر فقال : ان السابقين أعطوا عطايا ما كان لهم أن يعطوها وما كان لها أن تقبل ، وانى قد بدأت بنفسى فرددت الحقوق الى أصحابها ورددت القطائع والأموال الى بيت مال المسلمين ، وتثنيت بأهلى ، اقرأ يا مزاحم ، فأخذ مزاحم يقرأ سجلا سجلا ثم يأخذه عمر فيمزقه ويعلن عودة الأرض الى بيت المال أيا كان المعطى وأيا كان الموهوب له ، وما زالا كذلك حتى جاء وقت الظهر « ويعتبر تصرف عمر بن عبد العزيز امتدادا لتصرف على بن أبى طالب » .

هذا جانب من المقارنة يمكن ايجازه فى :

١ - أرض ملك للدولة .

٢ - يقطعها حاكم بغير حق .

٣ - يستردها حاكم صالح ويعيدها كما كانت .

تعال بنا الى الجانب الثانى من المقارنة وله نفس الخطوات الثلاث .

١ - فى عهد محمد على وبعد مذبحة المماليك أصدر محمد على قرارا بالغاء الالتزام وأعلن تأميم الأرض وجعلها كلها ملكا للدولة .

٢ - ثم بدأت الاقطاعات فاقطع محمد على وأولاده من بعده الاقطاعات الضخمة لذويهم ولمحاسيبهم وطباخيهم اليهود الذين خدعوهم بألوان الخدع وللنساء والجوارى .

وفيما يلى نماذج قليلة من هذه الاقطاعات :

٣١٥٠٠ فدان لوالدة الخديوى اسماعيل .

١٥٠٠٠ فدان لاسماعيل باشا زادت فى عهده حتى أصبحت خمس الأرض الزراعية .

٤٠٠٠ فدان لابراهيم باشا يكن .

٣٠٠٠ فدان وأربع قرى لحسين بك طبوزاده

٢٠٠٠ فدان لاسماعيل باشا راغب ، باشمعاون الخديوى

١٠٠٠ لطلعت باشا كاتب الديوان .

٦٠٠ فدان لخسرو باشا .

٥٠٠ فدان لجلسون بنت طوسون .

٥٠٠ فدان لأصلان باشا اليهودى .

٣٠٠ فدان لحرم مأمور الضابطية .

٣٠٠ فدان لحرم ناظر المسافرخانة .

٢٥٠ فدانا لكل من الخواجة جاكيه بك والخواجة سوتيرى .

١٢٠ فدانا للبنات تريزا وروزا وماريا ، بنات الخواجة سونافو الايطالى .

١٠٠ فدان للاسطى فرج الطباخ .

١٠٠ فدان للاسطى محمد الحلاق .

١٠٠ فدان لساقى القهوة .

فدان للبيس « الذى يساعد فى تقديم الملابس » .

وهكذا مئات الأفدنة وآلاف الأفدنة منحها من أموال الشعب محمد على وأولاده لليهود والأجانب والمحاسيب والنساء والخدم والحلاقين كفاء ابتسامة أو كأس .

وكان أستاذنا المرحوم الدكتور ابراهيم سلامة يقول : ان السبب فى فقرى أن جدتى لم تكن وصيفة فى القصور الملكية ولو كانت كذلك لانهال علينا المال : مال الشعب أو دمه .

٣ - الخطوة الطبيعية الثالثة من المقارنة هى أن يمسك الرئيس جمال عبد الناصر بهذه الوثائق ويمزقها ويعيد الأرض لأصحابها الحقيقيين أى للأمة على النحو الذى فعله على ابن أبى طالب وعمر بن عبد العزيز ، ولو فعل الرئيس جمال عبد الناصر هذا لكان تصرفا اسلاميا واضحا ومطابقا بكل دقة للمقارنة التى عقدناها ، ولكن الرئيس ذهب الى أبعد حدود الرحمة فترك للملاك مقدارا كبيرا وأمم الباقى .

وقبل أن ندع حديثنا عن الأرض الزراعية فى القوانين الاشتراكية نقرر أن بعض الملاك حصلوا على أطيانهم بطريق غير المنح التى وصفناها آنفا ولكن المشرع حينما يصدر قانونا يصدره بناء على الغالب ، هذا ويمكن القول أن الطائفة التى امتلكت الأرض الزراعية بواسطة المنح الظالمة نالتها الرحمة بسبب هؤلاء الذين امتلكوا الأرض الزراعية بالجهد والكدح لأن قانون الاصلاح الزراعى لم يستول على الأرض وانما ترك منها مقدارا كافيا ومنح ذلك القانون هذه الأرض للفلاح الذى عاش عمره مظلوما معتدى عليه ، يكدح فى الأرض وجنى الاقطاعيون ثمرة كدحه .

وفى المقال التالى سنستمر فى الحديث عن الجذور الاسلامية فى الاشتراكية العربية .

الدعوة روح الفكرة

السيد جمال الدين الأفغاني

الأستاذ عبد السميع البطل

- ٢ -

أرى خلل الرماد وميض نار
ويوشك أن يكون لها ضرام
فان النار بالعودين تذكى
وان الحرب مبدؤها كلام

انتهينا فى المقال السابق الى مقابلة السيد لتوفيق باشا المقابلة الأخيرة التى انتهت بنفى السيد ، بعد أن أشعل النار فى الشعب المصرى لاثارته ومطالبته بالاصلاح ، ويحسن بنا قبل أن نتحدث عن أعماله بعد النفى من مصر أن نذكر كيف امتزجت روحه بروح تلميذه الأول ، وكيف أن الشيخ محمد عبده من دون عشاق السيد هو الذى خلفه فى اصلاحه ، وهو الذى كان ترجمانا لأفكاره ولا نرى خيرا مما كتبه السيد رشيد رضا فى هذا الموضوع ، وقد كان للاستاذ الامام ، كما كان الاستاذ الامام للسيد جمال الدين ، كل منهما ترجمان لأفكار صاحبه ومتمم لما بدأ به، قال السيد رشيد وأحسن المقال :

اتسعت بذلك مسافة الخلف بين الشعوب فى العلم والعمل ووسائلهما ، واشتدت الحاجة الى تجديد الحياة فى المتخلفة منها عن المتقدمة ، لا ينهض بمثله أمثال أولئك المجددين القدماء بالوسائل القديمة وحدها ، ولا يطمح اليه صوفى يستمد قوته من الأموات ، ويتكل على الكرامات ويغتر بالمنامات ، ولا يطمع فى تذليل صعابه واقتحام عقابه ، غريق فى بحار النظريات العقلية ، ومفترق الأفكار بنظريات الفلسفة ولا يطلع ثناياه ، ويجتلى خفاياه منقطع الى كتب الشرائع واستنباط أحكام الوقائع ، ولا يتسامى اليه من تعلم العلوم والفنون العصرية تعليما آليا ليكون أحد العمال فى دائرة من دوائر الحضارة أو ديوان من دواوين حكومتها •

ان هذا لبدع من الخطوب الكبرى غير عادى ، لا ينبعث الى تلافيه الا بدع من كبراء الرجال غير عادى ، أمم قوية بالعلم الجديد ، والفن الجديد ، والسلاح الجديد • والنظام الدقيق فى السياسة والادارة والمال ، والتعاون بتوزيع الأعمال ، واستخدام قوى الطبيعة ، تستلب ملك أمم جاهلة متفرقة متخاذلة مختلة النظام ، مستعبدة للمستبدين ، منقادة

للخرافيين ، وقد قذف فى قلوبهم الوهن ٠٠ فمن ذا الذى يضطلع بتجديد حياة هؤلاء الموتى ويحشرهم من قبورهم ٠

الا ان الرجل الذى ينبعث الى نفخ روح الحياة فى شعوب هبطت الى هذه الدركات من الوهن وبعثها الى مجاهدة أمم عرجت الى تلك الدرجات من القوة ، يجب أن يكون ذا روح علوية ، أوتيت حظا عظيما من وراثة النبوة ، فى كمال الايمان ، وصحة الالهام وعلو الهمة ، وقوة الارادة ٠٠ وصدق العزيمة ، واخلاص النية ، وقوة الفراسة ٠٠ والزهد فى الشهوات البدنية ، واحتقار الزينة الخادعة والزهد فى الجاه الباطل ، وعدم الخوف من الموت ، وأن يكون ذا وقوف على حالة العصر ، وتاريخ الشعوب الدينى والسياسى ، وسنن الله فى الاجتماع ، وفصل الخطاب فى الاقناع ، وفصاحة اللسان وبلاغة التعبير ، وقوة التأثير ، ثم يكون ما يحذقه من سائر العلوم مدد السر فى عمله ٠

حكيم الشرق والاسلام

كذلك كان ذلك الروح العلوى النبوى الذى تمثل فى الأفغان فى ناسوت بشرى ، جلس فى دروس العلم ، فحذق العلوم والفنون القديمة بقلبيها وعقليها فى بضع سنين ، وألم بالهند لتلقى مبادىء العلوم الأوربية ، فوقف على ما شاء منها فى زهاء سنتين ، ثم حج فى سنة ١٢٧٣ ، ومكث فى سفره زهاء سنة يتقلب فى البلاد الاسلامية لاكتناه أخلاقها وعقائدها الدينية ٠٠ واختبار أحوالها الاجتماعية والسياسية ٠٠ ثم عاد الى بلاده فانتظم فى سلك حكومتها وهى ممزقة بالفتن الداخلية وموبوءة بالدسائس البريطانية ٠٠ فكاد بتدبيره يخلص الأمر فيها لأميرها محمد أعظم خان ، الذى بوأه مكان الوزير الأول عنده ، لولا ما عارض ذلك من الدسائس الانكليزية التى تمدها القناطير المقنطرة من الجنيهات الاسترلينية والروبية الهندية ، واضطر بفشل أميره الى هجر وطن ولادته ونشأته الى حيث يمكنه الاصلاح من أوطان أمته فمر بالهند فبالغت حكومتها الانكليزية فى الحفاوة بضيافته ، مع احاطة عمالها وجواسيسها بمجالسه ومنع علمائها من الاتصال به ، ولكنه نفخ فيمن لقيه من كبرائها روح الاستقلال والجرأة على كسر مخاطر الاستعباد ، ثم كان يغذى ذلك الروح بالكتاب وتلقين الأفكار لمن يلقى من رجالها فى مصر وأوربة وسائر البلاد وبمقالات له فى الجرائد نشرناها فى المنار ، وناهيك بالعروة الوثقى التى كادت تضرم نيران الثورة فيها ، وكان موقنا باستقلالها من بعده ، حتى انه قال للشيخ عبد الرشيد التتارى : يا ولد ، انك ستصلى صلاة الجنازة على القيصرية الروسية وستحضر تشييع جنازة الامبراطورية الانكليزية فى الهند ، وقد تمت البشارة الأولى ، وظهرت بوادر الثانية فى هذه الأعوام ٠

أقول : وقد تمت البشارة الثانية بعد وفاة المرحوم السيد رشيد رضا ، وأصبحت الهند مستقلة استقلالا تاما ، وان كانت لا تخلو من دسائس الانكليز ، كما لا تخلو منها أمة أخرى ٠

قال السيد رشيد : وأغرب من ذلك أنه حمل تقريرا منه الى جمعية سياسية سرية فى عاصمة الروسية رئيسها عم القيصر، وقال له: اذهب بهذه الرسالة وأوصلها الى الغراندوق فلان ، واعلم أنك اما أن تقتل ، واما أن تفوز وتغنم ، فأوصلها فقام الغراندوق لها وقعد ٠٠ ثم أعاده بها الى بلاد اليونان ليطبعها فيها باللغة الروسية ويرسلها اليه ، وعرض عليه من المال ما شاء ، فلم يأخذ الا القدر الضرورى ولقى أهوالا كادت تذهب بحياته ٠

جاء هذا السيد مصر فنفخ فيها روح الحكومة النيابية ، وألف فيها الحزب الوطنى الأول لتقييد سلطان الحكومة الشخصية ٠٠ وغذى تلاميذه ومريديه بعشق الحرية ووسائلها من العلم والكتابة والخطابة ، كما أرشد المسلمين منهم الى الاصلاح الدينى ٠٠ والجمع بينه وبين العلم العصرى ٠

ذهب الى ايران ، فنفخ فيها روح التجديد فى السياسة والعمران ، فما زال يفعل فعلته

فيها بين قيام وقعود ، وهبوط وصعود، حتى ظفرت بالحكومة النيابية فى عهد الشاه مظفر الدين خان ، وما زالت تتنقل فى أوطار التجديد والاصلاح .

ثم انتهى الى عاصمة الدولة العثمانية فأنشأ يرشد السلطان الى وسائل الاستفادة من منصب الخلافة الاسلامية ويجمع له كلمة الشعوب والمذاهب المختلفة حتى أنه أقنع كثيرا من علماء الشيعة المجتهدين بالاعتراف بخلافته ، وجعلها مناط الوحدة الجامعة للمسلمين ولكن قرناء السوء خوفوا السلطان من النهوض بهذه الجامعة فأعرض عنها ، وكان السيد ، مع ذلك يبث هنالك أفكار الاصلاح والتجديد الجامع بين الطريف والتليد الى أن قضى نحبه ولقى ربه ، رحمه الله وقدس سره .

الأستاذ الامام

أرأيتك هذا المصلح العظيم والمجدد الحكيم انه لم يظفر فى شعب من الشعوب الاسلامية بمن يصلح أن يكون خليفة له ومتمما لاصلاحه بما يرجى به دوامه بعد أن وجه اليه الوجوه ، وعلقت بقلبه القلوب ، على كثرة من المصطبغين بصبغته ، الا رجل مصر الشيخ محمد عبده ، لأن منصب امارته الاصلاح والتجديد لا يرتقى اليه بوسائل الذكاء والتفكير والتربية والتعليم وحدها ، بل لا بد فيه من الاستعداد الروحى والمواهب الفطرية كما قررنا .

كان الشيخ محمد عبده ، سليم الفطرة ، قدسى الروح ، كبير النفس .. وصادف تربية صوفية نقية ، زهدته فى الشهوات والجاه الدنيوى ، وأعدته لوراثة هداية النبوة ، فكان زيته فى زجاجة نفس صافيا يكاد يضىء ولو لم تمسسه نار ، فمسته شعلة من روح السيد جمال الدين ، فاشتعل نورا على نور « يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس ، والله بكل شىء عليم » .

ثم قال بعد كلام جميل :

تلك الوراثة النبوية التى عبر عنها يوم موت السيد بقوله فى رثائه الوجيز البليغ :

والذى أعطانى حياة يشاركنى فيها على ومحروس — وهما أخوان للشيخ محمد عبده — والسيد جمال الدين أعطانى حياة أشارك بها محمدا وابراهيم وموسى وعيسى ، صلوات الله وسلامه عليهم ، والأولياء والقديسين ، ما رثيته بالشعر لأنى لست بشاعر ، ما رثيته بالنثر ، لأننى لست الان بناثر ، رثيته بالوجدان والشعور لأننى انسان أشعر وأفكر .

هذه الوراثة هى التى أخرج الله تعالى بها محمد عبده من خمول تصوفه ، وخمود أزهريته الى ميادين الجهاد فى سبيل التجديد الدينى والاصلاح الاجتماعى المدنى ، يخوض غمرات الثورات ، وتتقاذفه أمواج الأشعار ، وتكافحه فتن الأمراء المستبدين وجهلة حملة العمائم الجامدين .

ثم يقول : بهذا الروح العلوى كان يقول أستاذه السيد جمال الدين وهو مجاور يلبس الزعبوط : قل لى بالله : أى أبناء الملوك أنت ؟ ذلك السيد الذى كان يخاطب الملوك خطاب الأقران ، بل يهدد بعضهم ويمن على بعض ، فيقول للسلطان عبد الحميد : اننى لأجل أمرك قد عفوت عن شاه ايران ، ويقول له السلطان : بحق يخاف منك الشاه خوفا عظيما .

ويقول السيد رشيد : بل بهذا الروح العلوى كان أميره « عباس حلمى » يكبره ويهابه ويقول : انه يدخل على كأنه فرعون ، وانما كان يدخل عليه كدخول موسى — عليه السلام — على فرعون ، متوكئا على عصا الحق داعيا الى الاصلاح والخير، ناهيا عن الاستبداد والبغى ، كقوله له فى مجلس تشريف المقابلة الحافل بالعلماء : ان مجلس ادارة الأزهر لا يعرف لسموكم أمرا عليه ، الا بهذا القانون الذى بين يديه ، دون الأوامر الشفوية التى يبلغها عنكم من لا يثق به المجلس لمخالفته لقانونكم .

تلك آيات بينات من حياة كل من الروحين على الانفراد ، فما رأيك اذا اجتمع هذا الروح العلوى بذلك الروح الأعلى الذى أذكى سراجه

الوهاج ، واتحدا فى عمل من الأعمال ، ذلك ما كان من اصدارهما جريدة العروة الوثقى التى لا نعرف فى تاريخنا كلاما بشريا أبلغ من مقالاتها فى احياء مواقع الوجدان من النفس ومواضع الاقناع من العقل ، وتجرئة الضعفاء على الثورة على الأقوياء ، والجهاد لتحرير أمتهم واستقلال بلادهم .

انتهى المراد نقله فى هذا الباب .

أما جريدة العروة الوثقى ، فسنفرد لها كلاما ، ونقتبس منها أنوارا حين نتكلم عن ترجمة الأستاذ الامام ، واتصاله بأستاذه فى باريس، وما قاما به من أعمال عظام، قل أو ندر من يقوم بها فى هذا العصر ، أو فى عصر آخر، وقد كان لها دوى عظيم فى الشرق والغرب ، وأقضت مضجع الدولة البريطانية ، وضاق عنها صدرها الواسع ، وسياستها المرنة ، فلم تسمح باصدار أكثر من ١٨ عددا منها ، ثم صادرتها من البلاد التى كانت ترسل اليها .

السيد جمال الدين والماسونية

كان السيد يطرق كل باب ، ويتبع كل سبيل للوصول الى بث أغراضه وتنوير الأذهان بتعاليمه ، فرأى أن المحفل الماسونى الاسكتلندى يضم كثيرا من الشخصيات وفيهم بعض المصريين ، وظن أن حرية القول فيه ربما كانت أوسع فانضم اليه ، ولكن خاب الظن ، وأخطأ الوهم ، اذ رأى أن الأعضاء يتحرجون من الكلام فى السياسة وهو ما دخل المحفل الا لهذا السبب ، فثارت ثائرته وأخذ يهاجمهم ، ويتهكم بجبنهم ، وقال : أول ما شوقنى للعمل فى « نيابة الأحرار » عنوان كبير خطير : حرية . مساواة . اخاء . وأن غرضها منفعة الانسان ـ سعى وراء دك صروح الظلم ـ تشييد معالم العدل المطلق ـ ولكن كنت أنتظر أن أسمع وأرى فى مصر كل غريبة عجيبة ، ولكن ما كنت لأتخيل أن الجبن يمكنه أن يدخل بين اسطوانتى المحافل الماسونية .

اذا لم تتدخل الماسونية فى سياسة الكون ، وفيها كل بناء حر، واذا كانت آلات البناء التى بيدها لا تستعمل لهدم القديم وتشييد معالم حرية صحيحة واخاء ومساواة ، واذا كانت لا تدرك صروح الظلم والعتو والجور ، فلا حملت يد الأحرار مطرقة ، ولا قامت لبنايتهم زاوية قائمة .

وما لبث أن استقال من هذا المحفل وأنشأ محفلا آخر تابعا للشرق الفرنسى ، وسرعان ما بلغ أعضاؤه ثلاثمائة عضو كانوا ملتهبين حرية ، وقد قسمهم الى شعب ، فشعبة للحقانية والعدل وأخرى للمالية وثالثة للاشغال وهكذا لكل وزارة ومصلحة شعبة تدرس وزارتها وطرق اصلاحها وما يطرأ عليها من فساد، وكل شعبة تتصل بالوزير المختص وتبلغه رغبتها فأحدث ذلك رجة فى جميع الأوساط ، وبذلك سيطر جمال الدين على جميع الوزارات والمصالح .

شنشنة عرف بها منذ شبابه حين انغمس فى السياسة ، يرجح كفة أمير على أمير .. ويثور على أمير ليناصر أميرا ، وهكذا وضع السياسة فتى وخاض غمراتها كهلا ثم شيخا ، ولم يعشق غيرها ، ولا شغله سوى حبها !!

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى
فصادف قلبا خاليا فتمكنا

يقول الدكتور أحمد أمين : وهكذا اتسعت دائرة نفوذه وأعماله ، فقد بدأ يدرس فى حجرة ثم أخذ يسيطر على عقول مستمعيه فى « قهوة » ثم ها هو ذا يريد أن يسيطر على الوزارات ومصالح الحكومة بمحفله ، وكان يدرس فى بيته كتب الفلسفة والحكمة فاذا به فى مجتمعاته ومنتدياته يشرح حالة الأمة الاجتماعية ويبين حقوقها وواجباتها ، ثم اذا به آخر الأمر يضع يده فى صميم الحياة السياسية .

خلقة فيه ظهرت منذ كان شابا يلعب دوره فى نصرة أمير على أمير فى ولاية الأفغان ، لايقنع حتى يتزعم ولا يهدأ حتى يضع يده على الأزرار التى تصرف الأمور ، ولكنها أزرار مشحونة بالكهرباء ، مثيرة للاضطراب هو لا يعبأ بها ، ولكنها على رغمه تنال منه .

للترجمة بقية

أقوى دعائم الانتصار

فضيلة الشيخ
عبدالله المشد

الانسان فى حياته تعترضه عقبات وازمات . وتحيط به مشاكل واحداث . يعانى آثارها البدنية والنفسية والمالية ، ويلمس نتائجها فى نفسه واسرته وفى محيط عمله . وكذلك الامة تتناوبها الازمات وتحيط بها الاحداث . فيهتز كيانها الاقتصادى ويتاثر نظامها السياسي ووضعها الاجتماعى . وتبدو آثار ذلك فى امنها الداخلى ومركزها الدولى وعلاقاتها بالدول والأمم الاخرى .

وكل ازمة من هذه الازمات لها حلولها المناسبة وترتيباتها الخاصة . يقوم بها رجال لهم خبرة فى مواجهة هذه الازمات واستعداد معين لاحكام الاجراءات المناسبة . والقائمون بكل ذلك بشر واقعون تحت تاثيرات مختلفة اما من داخل النفس فى تركيبها الطبيعى او بيئتها واحوالها الخاصة . واما من خارجها من العوامل والظروف والمؤثرات الموجودة فى محيط العمل او العلاقات الاجتماعية المختلفة . وهم تحت هذه المؤثرات قد يوفقون لحل المشاكل وقد يخفقون . وقد تقصر معهم المعاناة وقد تطول .

وقد صدقت الاخبار واثبتت التجربة ان هناك عاملا قويا يساعد على النجاح فى كل عمل من الاعمال . يمد صاحبه بالقوة . ويوضح له معالم الطريق . ويجنبه المزالق والاخطار . وذلك هو عامل الايمان .

نعم .. الايمان ، الايمان فى جميع صوره وبكل مظاهره . سواء منه الايمان بالله الذى بيده كل شيء . والايمان بالحق الذى يحرص عليه الانسان ويضحى فى سبيله . والايمان بالنصر الذى يطمئن اليه المجاهد ويثق به المكافح المخلص . هذا الايمان هو اقوى عامل فى التغلب على الازمات والانتصار فى جميع المعارك . فهو يهب المناضلين قوة وشجاعة ويشد من عزائمهم ليواجهوا الخطوب بعزم ثابت وارادة صلبة . وصبر وجلد وثقة ، يتخطون بذلك اقوى الحواجز ويقتحمون اخطر العقبات . والايمان ايضا يدفع الى الاخلاص فى العمل والتفانى فى بذل الجهد والتضحية بكل نفيس من نفس ومال فى سبيل المبدأ الشريف والغاية النبيلة والحق الذى آمنوا به . وكذلك يورث الايمان قلوبهم الطمأنينة . ويفسح صدورهم بالامل فى النهاية العادلة والجزاء الحق والعوض المكافىء .

والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة شاهدا صدق على ان الايمان هو ركيزة الانتصار فى كل معارك الحياة . قال تعالى: **((وكان حقا علينا نصر المؤمنين)) وقال : ((ان الله يدافع عن الذين آمنوا)) وقال : (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) . وقال (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وقال (ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا)**

وقال النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الله ابن عباس رضى الله عنهما :

(واعلم ان الامـة لو اجتمعت على ان يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك) .

وهذه الحقيقة التى قررها القرآن وايدتها السنة ليست حقيقة نظرية بعيـدة عن التطبيق فى عالم الواقع . ولكنها حقيقـة مقررة بشواهدهـا الحية البارزة ووقائعهـا الثابتة فى قديم التاريخ وحديثه . واصدق مثل على ذلك هم الانبياء والمرسلون . فهم مؤمنون بالله وبالحق وواثقـون من النصر للمجاهدين المخلصين والمكافحين فى سبيل الغايات النبيـلة البعيـدة عن الاغراض شخصية والاهواء المنحرفة والنزعات السيئة .

فلنأخذ مثلا سيدنا ابراهيم الخليل عليـه وعلى نبينا افضل السلام وازكى التسليم . ان ايمانه القوى بربه ايمان لا يتطرق اليـه الشك . وقد سجل القرآن عقيدته فى الله فى غير آية . ومن اعظمها واوضحها دلالة قوله تعالى :

(قال افرأيتم ما كنتم تعبـدون . انتم وآباؤكم الاقدمون . فانهم عـدو لى الا رب العالمين . الذى خلقنى فهو يهدين . والذى هو يطعمنى ويسقين . واذا مرضت فهـو يشفين . والذى يميتنى ثم يحيين . والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين)

وقال الله فى معرض حجاج ابراهيم مـع قومه وتهديدهم له بغضب الهتهم عليـه :
(وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سـلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون . الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون)

وعندما اعتزم المعاندون احراقه بالنـار واعدوا له المنجنيق ليقذفوه به فيها . وبينما هو فى هذه اللحظات الحرجة ولم يبق بينه وبين النار الا لحظات ينزل عليـه جبريل فيعرض عليه خدماته بأمر ربه ويقـول له : يا ابراهيم ألك حاجة ؟ فيرد عليه ابراهيم فى كبرياء المؤمن وعزة الواثق : اما الحاجة اليك فلا . واما الحاجة الى الله فنعم . علمـه بحالى يغنى عن سؤالى . حسبى الله ونعم الوكيل . بهذا التوحيد المجرد . وهـذه الطمأنينة البالغة يرد ابراهيم على جبريل :
(ذى قوة عند ذى العرش مكين . مطاع ثم امين)

كأنه يقـول له – من قوة ايمانه بربه ، وتوكله الكامل على مولاه – يا جبريل : أنت عبد ضعيف وانا عبد ضعيف . وكيف يعتمد الضعيف على الضعيف ؟ (حسبى الله ونعم الوكيل) ما اجملها من كلمة تهب القلب ثقة وطمأنينة . وتشد العزم وتقـوى الارادة . لم يكن هناك يا ابراهيم من مكافأة اجـزل ولا من تقدير اعظم . الا قـول الله للنار : **(يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم) .** وصدق الله العظيم **(وكان حقا علينـا نصر المؤمنين) .**

هذا مثل فى قديم التاريخ وامثاله كثير فى عالم الرسالات ودنيا المصلحين . ومن دوحة ابراهيم فى ايمانه وجهاده كان فـرع محمد صلى الله عليه وسلم . مجـدد دعوة ابراهيم والمتبع لملته القيمة .

(قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفـا وما كان من المشركين . قل ان صلاتى ونسكى ومحيـاى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين)

فى حياة محمد صلى الله عليـه وسلم امثلة واقعية كثيرة على قوة ايمانه وعلى نصر الله له . ولا يغيب عن ذهـن الأكثرية وقفتـه الصامدة المشـهورة امام جبروت الكافرين وطغيان ذوى الجـاه والنفوذ من قريش ، وهى من هى من قوتهـا ومركزهـا الاجتماعى والقبلى بين العـرب جميعـا . صدع بأمر ربه وواجه كل هذه التحديات . اثقا بنصر الله وتأييـده . وحين أحس أن

عمه ابا طالب سيتخلى عنـه وقد كان له دريئة تهاب الناس مركزه . قالهاكلمة مدوية

(والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على ان اترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله او اهلك دونه) .

انه محمد بايمـانه القوى وثقته الكاملة بالله . لا يعتمد كل الاعتماد على معونة مادية او اسلحة عادية مهمـا كثرت وقويت . بل كل اعتماده على من يملك كل قوة ويهب كل سلاح . ولعل مما يوضح ذلك موقفه الرائع وهو فى احرج الاوقات واشد الازمات . حين احاط العدو بالغار وهو مختبىء فيه مع الصديق أبى بكر . ويحس ابو بكر بالخطر يحدق بهما ويعتقد انهما مأخوذان لا محالة. فيقول : والله يا رسول الله لو نظر احدهم تحت قدميه لرآنا . ولكن محمدا يرد عليه بلغة الواثق المطمئن : **(يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ لا تحزن ان الله معنا).** وهنا كانت يد القدرة تعمل عملهـا . وكان من آثارها عنكبوت حجب الرؤية وهو الضعيف الضعيف . وحمامة قامت بدور الحارس وهى الضعيفة الضعيفـة . ولكن كما يقول البوصيرى :

وقاية الله اغنت عن مضاعفة
من الدروع وعن عال من الأطم

قال تعالى فى تسجيل هذه الواقعة :

(الا تنصروه فقد نصره الله . اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغـار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنـا . فأنزل الله سكينته عليـه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفـروا السـفلى وكلمة الله هى العليا . والله عزيز حكيم)

وقد تحمل المسلمون بفضل ايمانهم ضروبا من الاذى محتسبين صابرين واثقين بنصر الله لاوليائه المؤمنين . ويشد من عزمهم قول النبى صلى الله عليه وسلم :

(والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون).

وخاض هؤلاء الجنـود المخلصون معارك كثيرة . ابلوا فيها بلاء حسنا لا يبالى احدهم ماذا تكون النتيجة فهى احدى الحسنيين . النصر او الشـهادة . وكلاهما محبب الى نفسـه . وفى الالتحامات مع العدو ـ وهى غير متكافئة عددا وعدة ـ كتب الله النصر للقلة المؤمنة على الكثرة الكـافرة **(ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم)** . انهم هم الذين وصفهم الله بقوله : **(الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) .**

وبعد فهذه سنة الله مع المؤمنين فى جميع العصور . يدفـع عنهم ويمدهم بعـونه . وينصرهم بقوته . وقد شهدت امتنا العربية ازمات واعترضتها عقبات. ونكبت بالاستعمار فى كثير من اقطارها . لكن احرارهـا لم يصبروا على الذل ولم يرضـوا بالضيم . فهبوا بحركاتهم الثـورية مؤمنين بربهـم متمسكين بحقهم فى الحرية والحياة الكريمة. وكـان نصر الله حليفهم فى معـاركهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية . لأنهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه . من الايمان به والثقة بوعده والاخـلاص للدين والوطن . ومعاركهم شـاهدة على ذلك فى عزماتهم الصلبة وارادتهم الجبارة . التى انتزعوا بها اعجاب العالم كله . وما يزال النضـال مع المستعمر واعوانه قائما على اشده فى عـدة بقاع من العالم العربى والاسلامى . ونحن واثقون ان النصر حليف المؤمنين المخلصين **(ولينصرن اللـه من ينصره ان اللـه لقـوى عزيز) .**

التكافل الاجتماعي في الإسلام

١١ في محيط المسئوليات والتبعات

الدكتور محمد سلام مدكور

عرضنا فى المقالين السابقين الى مظهر التكافل الاجتماعى فى تحريم الربا ، وبينا أن الشارع كثيرا ما يقرن تحريم الربا بالحث على الصدقة ، ليحرص على اسعاد المجتمعات ويحقق أبرز المعانى الانسانية الفاضلة وهى التعاون والتآزر فى تحقيق الخير ودفع الأذى والضر ، وبذا يزرع فى القلوب بذور الخير ويطهرها من أوزار الحقد والغل ويعالج التشريع الاسلامى الناحية الاقتصادية علاجا خلقيا عظيما شأنه فى علاج كل المشاكل ••• ووعدنا فى نهاية المقال السابق بالكلام عن مظهر التكافل فى محيط المسئوليات والتبعات :

يتجلى مبدأ التكافل الاجتماعى فى المسؤوليات والتبعات فى مظاهر من التشريعات الاسلامية تفوق العد والحصر وأساس هذا كله قول النبى صلوات الله عليه « كلكم راع ومسئول عن رعيته •• » ولما أراد النبى أن يبين لأمته أنواعا من تلك الرعاية قال على سبيل التمثيل لا الحصر : « فالامام ـ وهو الحاكم ـ راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى بيته ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى بيت سيده ومسئول عن رعيته •• » ثم ختم الحديث بمثل ما بدأ به ليظهر أن ذلك التصوير على سبيل التمثيل فقال :

« كلكم راع ومسئول عن رعيته »

ومن تأمل فيما ساقه النبى صلى الله عليه وسلم هنا للتمثيل به ، وربط بينه وبين ما يتصل به من أحكام شرعية فانه يتبين فى ذلك الشىء الكثير العظيم من توجيه الاسلام ورعايته لمصالح جميع الأنام حتى يعيشوا اخوانا متحابين ، وأسرة واحدة متساندين تحقيقا لمعنى الحديث الذى يشبه المسلمين فى تماسكهم وتساندهم بالجسد الواحد الذى يألم كل عضو فيه لتألم العضو الآخر •

فهو يقرر مسئولية الحاكم بفرض رعايته لكل فرد من أفراد أمته بنفسه أو بواسطة نوابه ، فهو مسئول ان يرعى مصالح كل فرد فى الدولة فى رزقه وفى صحته وتعليمه وتقويمه اذا اعوج ، فى كل ما يتصل بشخصه فى الحياة يقول عبد الرحمن بن عوف : طرق بابى عمر بن الخطاب بعد منتصف الليل

وقد هجعت الأعين ونام كل انسان فى مرقده فقلت : ما أتى بك يا أمير المؤمنين هنا فى هذه الساعة ؟ . فقال : دخل المدينة قوم غرباء فأردت ان استصحبك معى لنبيت على حراستهم . »!!

فانظر كيف يغرس الاسلام فى نفوس معتنقيه ان الحاكم مسئول أن يرعى شئون افراد دولته حتى فى أمثال هذه الصغائر ، ورعاية الحاكم تتحقق باختيار نوابه ووضع القواعد والنظم الصالحة المصلحة ، وهكذا كل رئيس فى دائرته وكل مختص فى جهة اختصاصه ، فانه لافرق بين شخص وآخر فى الالتزام بالمسئولية تحقيقا لمعانى الاصلاح المنشود ، ومن هنا كان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من الزم الواجبات فى الشريعة وجاريا على وفق ذلك التكافل فى المسئولية لأنك اذا رأيت واحدا ممن وجبت عليك رعايتهم متلبسا بمخالفة من المخالفات ولم تحاول قمعه وتقويمه كانت رعايتك فاسدة .

واذا تفكرت فى معنى رعاية الرجل بيته وأسرته فانك تستطيع ان تفسر ماجاء به الفقه الاسلامى من أحكام كثيرة فى شئون الأولاد ونفقاتهم وتهذيبهم وتربيتهم ، فالأب مسئول عن أولاده أن يشركهم معه فيما رزقه الله من أموال وان يصلحهم ويتعهدهم وان يقوم زيفهم وعوجهم ، كذلك هو المسئول عن زوجه بما كلف به نحوها ونحو أولادها منه مما يتضمنه قول الله سبحانه وتعالى «ياأيها الذين آمنوا قوا انفسكم وأهليكم نارا » . قال ابن عباس رضى الله عنه فى معناها : « علموهم وقوموهم فواجب الرعاية والمسئولية يقضى بأن يحمل الرجل شأن بيته وأهله والا يترك أمرهم سدى ولا هملا ولا يلين فى أخذهم بعزائم التربية الصحيحة .

وكما أوجب الاسلام الرعاية على الرجل فى بيته كذلك أوجبها على المرأة فى بيت زوجها من طاعته فى حدود طاعة الله وان يتوخى مراضيه وان يتحاشى كل ما يكدر صفوه حتى تقوم الحياة بينهما على اساس من التوفيق والسعادة المزدوجة يقول الرسول صلوات الله عليه « الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة التى اذا نظر اليها سرته واذا أمرها **اطاعته واذاغاب عنها حفظته فى نفسهاوماله »**

وانظر كيف أمعن الشارع الحكيم فى اعتبار المسئولية حتى جعل الخادم راعيا فى بيت سيده ومسئولا من تلك الرعاية ومطالبا ألا يقصر فيها ، والا يخون مخدومه ، ولا يخالف أوامره فى دائرة عمله المشروع دون خروج على أحكام الدين وآدابه السمحة الكريمة

ولاشك ان هذا وما قبله من أبرز مظاهر التكافل الاجتماعى فى محيط المسئوليات والتبعات ومن أقوى العوامل التى تقوى الترابط بين الأفراد وبين الجماعات وتخلق مجتمعا كاملا متعاونا يحرص كل من فيه على تحقيق الخير للاخرين ودفع الضر عنهم ، دون ان يكون فى نفوس الناس مكان لحقد أو غل ، ولا فى تصرفاتهم موضع لظلم وجور . فتصفو النفوس وتخلص النوايا ويتحقق الحب والوئام بين الجميع ويتم التعاون بين أفراد المجتمع ويبيت كل عن أخيه راضيا وتصبح **الأمة بحق خير أمة أخرجت للناس لأنها بهذا يتحقق فيها انها قامت بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتزمت أوامر الله واتبعت تعاليمه يقول الله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أبرز العوامل التى تحقق معنى التكافل والتعاون فى محيط المسئوليات والتبعات**

فالاسلام يعتبر بعض المؤمنين أولياء بعض، وهذه الولاية رتب علها ان يحمل كل واحد منهم تبعات ومسئوليات يصورها بوجه عام قول الرسول صلوات الله عليه « ان المسلمين تتكافؤ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم .

ومما رتبه الفقهاء على تلك الولاية بينهم ان الجهاد فرض كفاية على المسلمين فاذا قصر من يجب عليه الجهاد حمل عار ذلك التقصير وما يترتب عليه من اخلال بشئون العزة الاسلامية واستحق ما وصفه الله به من صفات تضعه فى احط صفات الانسانية ، وليس هذا معنى الا تكافل المسلمين وتحميلهم تبعات التقصير

وكذلك يقرر الفقهاء وجوب الدية ـ وهى قدر من المال يقرره الشارع فى بعض حالات القتل ـ هذه الدية أوجبها الشارع على العاقلة ـ وهى أقاربه من العصبة التى ترثه اذا مات وتعقل عنه اذا جنى . فهذا نمط من التكافل فى المسئولية والتبعة كثيرا ما يكون من آثاره ان يتعاون هؤلاء الأقارب على عدم العدوان حتى لايقعوا فى تلك المغارم .

وكذلك القسامة وهى تتمثل فى ان يجنى مجهول على انسان ما فى احد الأحياء أو القرى فان الشارع يحكم بأن يختار أولياء الدم خمسين رجلا من الصالحين فى ذلك المكان يحلفون بانهم ما قتلوه ولا علموا قاتله فاذا حلفوا فان دية القتيل تدفع من أهل البلد جميعا فان عجز هؤلاء وهؤلاء كانت الدية فى بيت المال ، فهذا نمط واضح من تحمل المجتمع لبعض تبعات الافراد ومسئولياتهم عند العجز .

وان الفقة الاسلامى على مقتضى ذلك التكافل فى التبعة والمسئولية يعتبر الامان الذى يعقده أحد أفراد المسلمين مع حربى ولا يهدره

يروى أن أم هانىء بنت أبى طالب قد أجارت حربيا وأراد احد المسلمين ان يستحل دمه. **فعرضت أمرها على النبى فقال : قد اجرنا من اجرت يام هانىء »**

وهذا وان كان فيه ما يدل على ما يكون بين الأمة الواحدة من تحمل التبعات والتضامن فى الالتزامات فان فى قواعد الاسلام مايقتضى أن للحاكم ان ينظم ذلك بما يحفظ التوازن ويحول بين تدخل الأهواء ، والشهوات .

وبعد . فان ابناء الوطن الاسلامى بمقتضى تعاليم دينهم شركاء فى تحمل التبعات والمسئوليات العامة كل فيما أعده الله له . فالعلماء مسئولون عن التوجيه والارشاد ورجال الامن مسئولون عن استتباب الأمن والمحافظة على الأرواح والأموال ، ومن أعدوا للقتال والدفاع مسئولون عن حماية البلادهم ومن يعاونونهم، والحكام والولاة مسئولون عن توفير الرعاية والعدالة بين الناس ، والاغنياء مسئولون بحكم الاسلام عن اسعاد الفقراء حتى أن الرسول قال : ما آمن بالله من بات شبعان وجاره جائع .

وجدير أن يكون فى هذا ونحوه ما يصور نزعة الاسلام الجماعية التى سبق الاسلام اليها كل تشريع وقانون وانه يبنى كل أمة تنتسب اليه ويصوغ كل جماعة تنتهج نهجه على أن يحمل بعضهم اعباء بعض ، وان يرعى بعضهم شئون بعض . اسأل الله ان يوفق امتنا الى ما فيه صلاحها واسعادها

والى لقاء آخر نختم فيه الكلام عن التكافل الاجتماعى فى الاسلام اذ يتبين مظهره فى النواحى الخلقية الصرفة مما يدل على تغلغل هذه المعانى والقيم فى نفوس المسلمين اخذا من تعاليم دينهم الذى جاء بالمبادىء الاشتراكية الحقة .

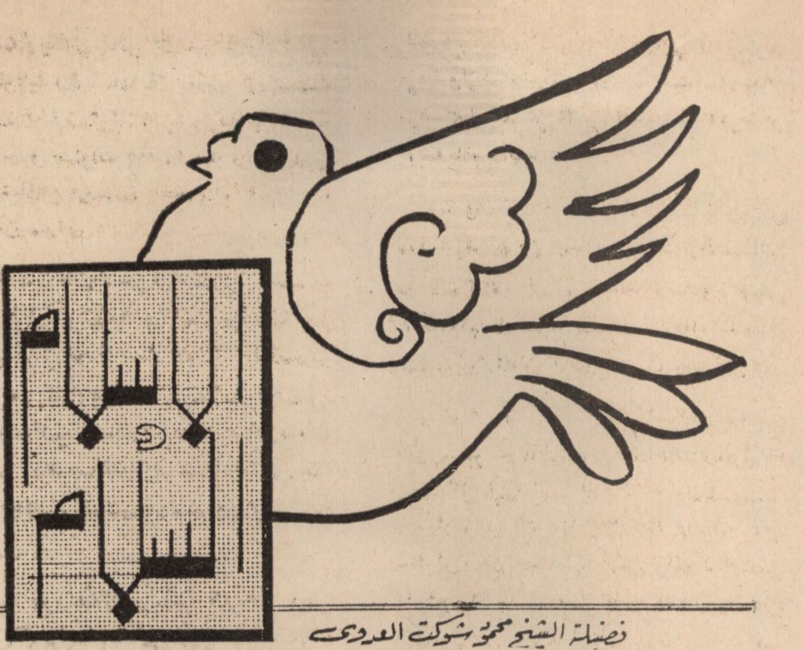

فضيلة الشيخ محمود شوكت العدوي

تغمر العالم الآن موجة من الذعر والفزع والقلق والاضطراب ، ومبعث ذلك – ولا شك – الخوف من حدوث صدام مسلح بين قوى العالم المتصارعة ، يكون فيه القضاء على الكثرة الكاثرة من أبناء الشعوب ، وتدمير المدن العامرة ، وتخريب وسائل الحضارة والتقدم والرفاهية .

فهناك الصراع الذى لاينقطع بين الكتلة الغربية والكتلة الشرقية ، تحاول كل منهما القضاء على الاخرى . ليخلو لها الجو وتنفرد بالزعامة .

وهناك الدول الاستعمارية التى كانت – الى زمن قريب – تفرض سيطرتها على كثير من الشعوب المغلوبة على أمرها ، تستنزف مواردها ، وتحرمها من خيرات بلادها ، وتذيقها أقسى ألوان المذلة والهوان ، فلما آن لهذه الشعوب أن تستيقظ من شبابها وتنفض عن كاهلها رداء الاستكانة والخضوع وتتنسمت نسيم الحرية ، وأصبحت مواردها ملكا لها ، ومحرمة على غيرها من المستبدين الغاصبين ، هال ذلك المستعمرين ، وكبر عليهم أن يحرموا من تلك النعمة التى ذاقوها ، ونعموا بها زمنا ليس بالقليل ، هالهم ذلك ، واقض مضاجعهم ، فلجاوا الى طريقة أخرى من نوع جديد ، وذلك ببث الفتن ، وتدبير المؤامرات بين هذه الشعوب الآمنة ، حتى تندلع الثورات ، ويضطرب الامن . ويقف دولاب العمل ، وتسوء الاحوال الاقتصادية ، وتتعطل المشاريع العمرانية وهنا يجد المستعمر منفذا لفرض سيطرته ، وبسط نفوذه ، وذلك بدعوى ان هذه الشعوب مازالت فى حالة من التاخر والانحطاط ، وانها غير جديرة بالاستقلال ، وانها عاجزة عن ادارة شئون البلاد ، فلا مناص – حينئذ – من فرض الوصاية عليها لتدبير شئونها ، وتبصيرها بما يعود عليها بالخير والمصلحة .

ذلك وصف موجز لعالمنا الذى قدر لنا ان نكون من أفراده ، عالم يسوده القلق والفزع ، عالم محروم من الهدوء والاستقرار ، عالم يتوقع بين لحظة واخرى ان تنبعث شياطين الشر والاجرام ، فتثير حربا طاحنة ، تستخدم فيها احدث ما استنبطه العقل البشرى من آلات الهلاك والدمار ، التى لايعلم مدى نتيجتها الا الله العليم ببواطن الامور .

ولكن ايمكن علاج هذه الحالة ، لينجو العالم من هذا الشر المتوقع ؟

نعم : العلاج موجود ونتيجته مضمونة ، لو وجد آذانا صاغية ، وقلوبا واعية ، ونفوسا طيبة

هذا العلاج ينحصر فى اتباع تعاليم الاسلام ، ذلك الدين القويم ، الذى جاء به خاتم الرسل محمد – صلوات الله وسلامه عليه – ليخرج الناس من الظلمات الى النور ويهديهم الى صراط العزيز الحميد ، ذلك الدين الذى حوى من الاسس القويمة ، والمبادىء المستقيمة ، والتشريعات السامية ، ما لو تمسك العالم بها وحافظ عليها ، لعاش فى يمن ورخاء وسعادة واستقرار ومحبة ووئام .

ايها الاخ الكريم : تصور معى ماذا يكون عليه العالم لو اذعن افراده للاله بالربوبية وخضعوا له بالعبودية ، ونزهوه عن الشريك ، وآمنوا بعظمته وجبروته وصدقوا بقدرته وحكمته وجميع صفات الكمال التى انفرد بها المولى عز شانه وتقدست اسماؤه ؟ ماذا يكون عليه

العالم ، لو نطقوا بكلمة التوحيد ، تلك الكلمة البسيطة المبنى الجزيلة المعنى ، المشتملة على خير الدنيا والآخرة التي من نطق بها عن عقيدة ويقين ، فاز بالسعادة الدنيوية والنعيم الاخروى ؟ هذه الكلمة كلمة التوحيد تدعو الى الوحدة . وحدة الشعوب جميعا . فالكل يتجه الى معبود واحد ، يخضع لعظمته ، ويسعى في سبيل مرضاته ، وذلك باتباع اوامره واجتناب نواهيه والسير على ضوء تعاليمه المجيدة .

فاذا تركنا جانبا ناحية العقيدة ، واتجهنا الى التشريعات العملية - سواء اكانت عبادات ام معاملات ام عقوبات - نري ان هذه التشريعات ، قد امتازت بالسمو والكمال ، وارتفعت الى اوج العظمة والجلال ، ولا غرو ، فهى ليست من وضع البشر ، ولكنها من لدن حكيم خبير .

وسنضرب لذلك بعض الامثلة ، ومنها يتبين ان في اتباع هذه التعاليم ، الضمان الكافي لحماية السلام . ونشر الامن فى كل مكان .

ولنبدأ بفريضة الصلاة ، هذه العبادات التى تلى فى المنزلة ، الايمان بالله تعالى ، هذه العبادات التىاعتبرت من اسس الدين ومقوماته .

بنى الاسلام على خمس : شهادة ان لا اله الا الله . وان محمدا رسول الله . واقام الصلاة . وايتاء الزكاة وصوم رمضان . وحج البيت من استطاع اليه سبيلا

هذه العبادات التى تطهر النفوس . وتزيل الريب . وتمحو الشرور ، وتسمو بالانسان الى اعلى درجات الكمال .

« واقم الصلاة . ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر والله يعلم ماتصنعون »

ان الصلاة بما اشتملت عليها من شروط واركان . كفيلة بتحقيق الوحدة بين جميع الطبقات ، ونزع الشر من النفوس ، وغرس المحبة والصفاء بين جميع الافراد ، هذه العبادة التي يتجه فيها البشر الى قبلة واحدة . يدعون الله ويناجونه بقلوب مخلصة ونفوس راضية . لسانهم يلهج بالثناء عليه ، وافئدتهم خاشعة لعظمته وجبروته ، فلا اطماع ولا احقاد ولا بغى ولا عدوان

وكيف يتصور ان يبغى انسان على اخيه الانسان الذى يشاركه فى العقيدة ويتحد معه في العمل ؟ كيف يتصور ان يكون للحقد مكان بين اناس . ارتبطت قلوبهم بالمحبة واجتمعت كلمتهم على عبادة اله واحد ؟

اما الزكاة ، تلك الشريعة المالية المنظمة ، التى شرعت للحد من طغيان راس المال على حرية الافراد وكرامتهم ، هذه الشريعة التى تجعل للفقراء حقا معلوما فى اموال الاغنياء ، وبهذا تتقارب الطبقات . وتزول الفوارق وتستل الاحقاد ، وتختفى الضغائن ، فيتجه الافراد الى العمل المنتج البناء مما يعود على الدولة بالرخاء العميم والخير الوافر ، وبهذا تعيش آمنة مع جيرانها الذين يشاركونها ايضا في العقيدة والعمل ، ويصبح الناس جميعا امة واحدة .

فليس لدي الاسلام شرق ومشرق
وليس لدى الاسلام غرب ومغرب

وفريضة الصوم ايضا لها دخل كبير فى تهذيب النفوس ، وتربية السلوك ، وصفاء القلوب ، وهى مظهر للاشتراك الروحى بين الصائمين فى جميع اقطار الارض يصومون فى وقت واحد ، ويفطرون فى وقت واحد ، وليس الصوم امساكا عن اللذات الحسية فحسب ، بل هو امساك عن اللذات النفسية ، ليتجهوا بالتأمل والتعبد والخشوع الى الله معبود الجميع ، فيغضوا ابصارهم عن المنكر ، ويصونوا السنتهم عن الفحش ، ويصموا آذانهم عن اللغو ، ويغلوا ايديهم عن الاذى فتنقطع الشرور ، ويختفي الاجرام ، وتنتشر الفضائل من البر بالمساكين ، والعطف على الفقراء والمحتاجين ويشعر الجميع بان اجسادهم المتفرقة ، تسرى فيها روح واحدة ، يصدر عنها هذا الوجود المتحد ، وهذا الشعور المشترك .

ان هذه الشعيرة الاسلامية . تصلح اساسا للوحدة بين الناس فى جميع الاقطار وحدة لاتتقيد بالزمان او المكان ، ولا تتقيد بالمسافات او الابعاد او الحدود الجغرافية - سياسية كانت او طبيعية - ولا تتقيد بالجنس

فالدين الاسلامى ، لايعترف فى بنائه لامته ، وتكوينه لمجتمعه ، وتوثيق الروابط بين امته ، بشىء من ذلك كله يقول المولى - عز شانه :

« يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم »

ويقول المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه - « لا فضل لعربى على عجمى ولا لابيض على اسود الا بالتقوى كلكم لآدم وآدم من تراب »

بهذا تنقطع الخصومة بين الناس بانقطاع اسبابها ، وتقوى اواصر الالفة والمحبة ، وبالتالى لاتجد الحكومات سبيلا للاعتداء لان الكل اخوة ، عقيدتهم واحدة ، ودستورهم واحد ، ذلك الدستور المنبثق من القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، والقواعد العامة المستمدة من كليات الشريعة .

اما الحج الى بيت الله الحرام ، فهو مؤتمر سنوى عام ، يجتمع فيه الموحدون من شتى انحاء العالم ، يتدارسون فيه مشاكلهم ، ويضعون لها الحلول السليمة ، التى تقضى على اسباب النزاع والخصام ، في هذا المؤتمر الكبير ، يقف العربى بجوار الهندى والصينى والاوربى والامريكى والروسى .. الكل سواء . متحدون فى الشعائر ، متفقون فى المناسك ، دعاؤهم واحد ، ومعبودهم واحد ، وهذا كله من شانه ان يغرس فى الناس معانى الوحدة والنظام والالفة والالتئام ولا يبقى هناك مجال للفرقة والانقسام ، وما اروع قوله صلى الله عليه وسلم - تاكيدا لهذا المعنى « لايؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » وقوله : «مثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم . كمثل الجسد الواحد . اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى »

واكتفى الان بما قدمت من هذا البيان الموجز الذى اوضحت فيه ما لهذه العبادة الاساسية من أثر واضح على تحقيق السلام في العالم وتعميم الرخاء وبث الطمانينة ونشر الامن ، وعسى أن يوفقنى الله لاتمام البحث بذكر ما اشتملت عليه التشريعات الاخرى .. من مبادىء سامية . وقوانين عادلة ، ونظم كاملة ، لو سار عليها العالم ، انقلب الى جنة وارفة ، يعيش الناس تحت ظلالها آمنين مطمئنين ، ويسود الوئام ، ويعم السلام .

ألفاظ القرآن الكريم

فضيلة الشيخ أحمد الشرباصي

تابع سورة البقرة

اللفظة	رقم الآية	المعنى
فاتقوا النار	٢٤	تجنبوا الأسباب التى تجعلكم تستحقون العذاب فيها •
وقودها الناس والحجارة ...	٢٤	حطبها هم الكفار والأصنام ، والوقود – بفتح الواو – ما توقد به النار •
وبشر	٢٥	أخبرهم بما يسرهم ، والبشارة هى الاخبار بما يسر المخبر به •
جنات	٢٥	جمع جنة ، وهى البستان ، والمراد بها هنا دار النعيم فى الآخرة للمؤمنين •
تجرى من تحتها الأنهار ...	٢٥	تجرى الأنهار من تحت أشجارها وحول بيوتها •
وأتوا به متشابها	٢٥	أى يقدم اليهم يشبه بعضه بعضا فى الشكل لا فى الطعم •
أزواج مطهرة	٢٥	زوجات كملت لهن الطهارة فى الحواس والنفوس ، فليس بهن قذر مادي ، ولا عيب فى أخلاقهن •
خالدون	٢٥	أى يدومون فيها دواما أبديا ، لا يخرجون منها ، ولا تفنى بهم
أن الله لا يستحيى	٢٦	الحياء عند الانسان انكسار فى النفس اذا عرض لها أو نسب اليها ما تعتقد أنه قبيح ، فيؤدى هذا الانكسار الى انقباض النفس عن القبائح ، وهذا المعنى لا يجوز فى حق الله تعالى ، بل الاستحياء فى حقه هو الترك ، فمعنى لا يستحيى : أنه لا يمتنع من ضرب المثل •
فما فوقها	٢٦	أى ما فاقها وعلاها فى مرتبة الصغر ، وكلمة «فوق» تستعمل أحيانا بمعنى « دون » • فالمراد هنا : فما دونها • و « فوق »

اللفظة	رقم الآية	المعنى
		قد تكون « دون » بالنسبة الى ما هو فوقها ، و « دون » قد تكون « فوق » بالنسبة الى ما هو دونها •
الا الفاسقين	٢٦	الفسوق الخروج والتجاوز • يقال : فسقت الرطبة ، اذا خرجت من قشرتها ، ويقال للفارة : فويسقة ، لخبثهـا أو لخروجها من بيتها مرة بعد أخرى ، والفسق يقع بقليل الذنوب وكثيرها ، وقد يطلق الفاسق على الكافر لأنه بكفره خرج عن مقتضى الفطرة والعقل ، والمراد بالفاسقين هنا : الخارجين عن هداية الله تعالى :
ينقضون عهد الله	٢٧	النقض ضد الابرام ، ونقض الحبل نثره ، وعهد الله : أوامره • والمعنى أنهم يعصون أوامر الله ، ويخالفون أحكامه وينبذونها •
ميثاقه	٢٧	الميثاق عقد مؤكد بيمين وعهد ، والميثاق اسم لما يوثق به الشيء ويكون متينا يصعب نقضه • والله تعالى قد وثق أوامره بجعله العقول السليمة متقبلة لها ، ووثق أوامره أيضا بتأييده رسله بالآيات والدلائل •
ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل	٢٧	القطع هو الفصل بين الشيئين ، والمعنى أنهم لم يطيعوا الله في أمره بوصل كل من أمر بصلته من أوليائه وأحبائه •
ويفسدون في الأرض	٢٧	يراد بالفساد في الأرض هنا كل معصية تعدى ضررها الى غير فاعلها ، فهم يخيفون السبيل ، ويقطعون الطريق ، ويرتكبون الآثام •
الخاسرون	٢٧	أصل الخسران ذهاب رأس المال ، والخسران أيضا النقصان ، والمعنى أنهم أهلكوا أنفسهم بكفرهم ، فهم كالذى هلك رأس ماله •
وكنتم أمواتا	٢٨	أى كنتم أجزاء متفرقة فى الأرض ، أو كنتم نطفا فى الأرحام ليس لها حياة ظاهرة •
ثم يحييكم	٢٨	اى يعيدكم أحياء بعد الموت ، ويبعثكم يوم القيامة •
استوى الى السماء	٢٩	يقال : استوى الى الشيء ، عمد اليه وقصده ، والمراد هنا أن ارادة الله تعالى توجهت الى مادة السماء لخلق السموات السبع •
فسواهن	٢٩	بناهن وسواهن وأتم خلقهن •
خليفة	٣٠	الخلافة النيابة عن الغير ، والله قد شرف الانسان فاستخلفه في الأرض ليخضع لأمره وينفذ حكمه •
يسفك الدماء	٣٠	سفك الدم صبه ، والمراد أنه يريق الدماء بغير حق •
نسبح بحمدك	٣٠	ننزهك عما لا يليق بك •
ونقدس لك	٣٠	نصفك بالتقديس ، فنطهر صفاتك وذكرك من كل سوء •
وعلم آدم الأسماء	٣١	آدم هو أبو البشر ، والمعنى أن الله تعالى علمه معانى الأسماء المتعلقة بشئون الدين والدنيا •
سبحانك	٣٢	ننزهك التنزيه اللائق بجلالك •
اسجدوا لآدم	٣٤	اخضعوا له مقدرين فضله ، وليس السجود هنا سجود عبادة •
ابليس	٣٤	كان فردا من الملائكة ، فابى أن يسجد لآدم ، فغضب الله عليه ومسخه ، فصار عنوانا للشر •
ابى	٣٤	ترك الطاعة وامتنع •

اللفظة	رقم الآية	المعنى
واستكبر	٣٤	تجبر ورفع نفسه الى مرتبة لا يستحقها ، فلم يطع أمر الحق ترفعا عنه .
رغدا	٣٥	واسعا طيبا هنيئا ، والرغد النفع الواسع الكثير الذى ليس فيه عناء ، والرغد السعة فى العيش ، ويقال : أرغد فلان ، اذا صار فى خصب وسعة .
حيث شئتما	٣٥	من أى مكان أردتما .
ولا تقربا هذه الشجره ...	٣٥	أمرهما بألا يأكلا من الشجره التى عينها الله لهما ، ولم يعينها لنا ، فلا نجزم فى تعيينها بشىء ، وان كان قد قيل انها السنبلة ، أو الكرمه ، أو التينه أو الكافور .. الخ .
فأزلهما الشيطان عنها ...	٣٦	أى استزلهما ، بمعنى أوقعهما فى الزلل بسببها . وقيل : حولهما وزحزحهما فأبعدهما عن الجنة ، ومن قرأ : «فأزالهما» أراد : نحاهما .
بعضكم لبعض عدو	٣٦	أى أن الشيطان عدو للانسان ، فيجب أن يكون الانسان عدوا للشيطان .
مستقر	٣٦	موضع استقرار واقامه .
ومتاع	٣٦	تمتع وتلذذ .
الى حين	٣٦	أى ان استقراركم وتمتعكم فى الأرض ينتهيان عند زمن محدود ، فالمراد بالحين هنا الأجل ، وان كان الحين يصلح للدلالة على الأوقات كلها .
فتلقى آدم من ربه	٣٧	أى تقبل من ربه العلى عن طريق الالهام أو الوحى .
كلمات	٣٧	هى - كما فى سورة الأعراف - : « ربنا ظلمنا أنفسنا ، وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » . وقيل غير ذلك
التواب	٣٧	الذى يقبل التوبه كثيرا .
الرحيم	٣٧	الثابت له صفه الرحمة . فهى دائمة واجبة ، لا تنقطع ولا تزول .
أصحاب النار	٣٩	الملازمون لها ، لدوام بقائهم فيها ، فكأنهم أصحابها .
يا بنى اسرائيل	٤٠	يا نسل يعقوب بن اسحاق .
وأوفوا بعهدى	٤٠	اعبدونى ولا تشركوا بى شيئا ، وآمنوا برسلى ، واخضعوا لأحكامى .
أوف بعهدكم	٤٠	أعطكم ما وعدتكم من الثواب على وفائكم ان وفيتم .
واياى فارهبون	٤٠	خافونى وحدى ، ولا تخافوا سواى ، فبيدى ملكوت كل شىء
أول كافر به	٤٠	أول فريق كافر بالقرآن . وقيل ان المعنى : لا تسارعوا الى الكفر به .
ثمنا قليلا	٤١	المراد بالثمن هنا مال الدنيا وجاهها .
واياى فاتقون	٤١	واخشونى ولا تخشوا غيرى .
ولا تلبسوا الحق بالباطل	٤٢	لا تشتروا الحق بالباطل عن طريق الافتراء أو التحريف ، أو النقص أو الزيادة ، ولا تخلطوا الحق بالباطل .
وأقيموا الصلاة	٤٣	أدوها مستقيمة كاملة بخشوع واخلاص .
وآتوا الزكاة	٤٣	ادفعوا زكاة اموالكم المفروضة عليكم الى مستحقيها .
واركعوا مع الراكعين	٤٣	صلوا مع المصلين ، فهو حث على صلاة الجماعة بعد الأمر باقامتها .

« يتبع »

الحكم حَزْم وعدل الله أُوْحاه

الشاعر كامل عبد الجواد القاياتي

الحكم حزم وعدلُ الله أوحاه　　　و «ناصر» الحق عينُ الله ترعاه
يا عصبة الشر ليس الرأى أجهزةً　　　من الدمار وإلا خاب مسعاه
الرأى إن كان مبنيا على أُسس　　　من الصلاح فما أحرى وأمضاه

* * *

ماذا أردتم بمن يسعى لمجدكم　　　من حارب الغاصب الشانى وأجلاه
وعز بالرأى رشدًا فى حصافته　　　أمضى من السيف يوم الفصل معناه
وهب فى وجه الاستبداد فى ثقة　　　لا شئ غير جلال الله يخشاه
جمالها الفَذُّ من عَزَّ السلام به　　　والحق تاه به فخرًا وحياه
محطم الجور والطغيان ، غايته　　　شريعة العدل لاذل ولا جاه

* * *

هل نص فى الدين أن القتل متبع　　　فى مثل ذاك وهل أوحى به الله
يا شر أمتكم ما كان منتظرًا　　　ان تجعلوا الدين مهزلة لأعداه
لو كان فى الله حقًّا قام أمركم　　　لصانه اللهُ بالحسنى ووَالاه
لكنّه ضل واتجهت مطامعُه　　　للختل فى دينه من أجل دنياه

* * *

«جمالها» ... ناصر الأخلاق أنقذه　　　من سوء ما دبر «الأعداء [redacted]» مولاه
وانقذ الشعب طرًا فى سلامته　　　وهل جمال سوى شعب بأقصاه

مؤامرات الرجعية والاستعمار باسم المؤتمر الإسلامي

للأستاذ أحمد وافي

في غير الموعد المقدور ، وخلال عاصفة (عائلية) كادت تقوض اركان البيت السعودي ، قفز (فيصل) الى العرش انتزاعا من اخيه الذى استسلم مرغما بعد أن كفلوا له ، فى مهجره أو منفاه ، مئات الملايين ، دخلا ثابتا غير مقطوع ولا ممنوع ، الى ما يملك لنفسه خاصة ، من أرصدة ضخمة تفهق بها خزائنه وخزائن عديد من بيوت المال الاجنبية فى الخارج ، وهو بهذا المورد الثرار يعيش الان فى بذخ الملوك وسفه السفهاء متنقلا بين ماشاء وشاء رفاق هواه من مدن اوربا ومغانى لهوها ، ترافقه في حله وترحاله ، واقامته وظعنه (قافلة) كبيرة من رجال ونساء ، وخدم واتباع ، يمثلون حواليه ، وبين يديه حاشية الملك ، ومراسم السلطان ، وحريم القصور ، تماما ، كما لو كان لايزال ملكا متوجا ، وصاحب عرش وصولجان ، وهو ومن معه ، وبمن يحيطون به ويتواقعون عليه من ذئاب البشر وذباب الآدميين ، يحيون هناك حياة تبذل وتحلل ، وسرف ، يجاوز الحدود ويشد انتباه الراصدين والمتربصين من اعداء العروبة والاسلام ، واولئك يلتقطون هذه المعابث وينشرونها فى تهويل وتجسيم ، قائلين (هذه هى حياة ملوك العرب وائمة المسلمين . ترفا ومجونا . ولهوا وحريما . وهكذا شعوبهم والناس على دين ملوكهم ؟ ..) .. ومن هنا تجد الدعايات الصهيونية مادة التعريض والتشهير مثلا ناهضا ، تحت أعين الأجانب الذين نحاول جاهدين أن نبدد فيهم غواشي الدعايات المضللة التى رانت على أفكارهم نيلا من حضارتنا ، وانتقاصا من نهضتنا ، وكيدا لديننا ، وبذلك كان سعود فى كلا حاليه ـ ملكا مسئولا ـ أو ملكا معزولا ـ عارا على العرب .. وسبة على المسلمين ؟ !

وقد كان خيل للناس أن فيصل خير من سعود حكما ، واكثر روية فى أمضاء رأيه وتوجيه سياسته. وحسن تقديره للمسئولية الكبرى التى القيت على كاهله ، كملك عربى فى ظروف عسيرة تتشاجن فيها على العرب مطامع الاستعمار ومساخط الرجعية ومؤامرات الصهيونيين ،اذكان أقرب القرباء

الى مسرح الاحداث واشدهم احساسا بظواهرها وخوافيها ومؤثراتها فلم يكن ينقصه العلم بأن الذى أصاب اخاه وافسد حكمه وادال منه ، انما هو وقوفه موقف التحدى للتيار العربى المتحرر ، متعاونا مع الاستعمار الاجنبى فى محاولات عدوانية آثمة لم يتورع فيها عن الائتمار ببطل الثورة العربية وزعيمها الرئيس جمال عبد الناصر ، باذلا ملايين الجنيهات ثمنا لاغتيال حياته خيانة وغدرا ، وحفظ الله سبحانه وتعالى ، حياة البطل المؤمن المخلص ، وخيب سعى المتآمر الغادر ، وضاعت ملايينه هباء ، وكانت فضيحة ؟ ! ولكنه مع ذلك لم يتوار خجلا ، أو ربما لم يكن يسعه ان يتوارى ، فقد كان اسلم زمامه الى امريكا ، وهذه تحركه وترسم له وتوجهه ، وتقوده الى حيث تشاء وتريد فهو منها تابع الى متبوع ، ومقود الى قائد ؟ ذهابا مع الوهم الذى تلقاه عن أبيه ، ويعيش بكل وجدانه فيه ، وهو أن أمريكا هى مصدر الثراء الذى رفع اسرتهم من حضيض البداوة الجافة المقفرة الى حياة القصور الناعمة ، الزاخرة بشتى الوان الرفاهية والمتاع ، مما لم يكن يخطر لهم ولا لآبائهم من قبل على بال .. وكان الأمر خليقا أن يكون على نقيض هذا ذلك لان الثراء الذى يدينون فيه لامريكا بالولاء ليس سوى قطرة من بحار البترول التى تفيض فى ارض العرب ، وتجرى تحت أقدامهم تسلل اليها الامريكان واحتازوها احتكارا باتفاقات غير متكافئة ، فهم فى هذا أجانب ودخلاء وخاطفو أرزاق وثروات لايملكونها اصلا ، ويملكها العرب وحدهم بلا شريك ، ولكنه الوهم ممتزجا بالجهل ، والشر ، مختلطا بنزعة التفرد ، والافتتان بالنعمة ممشوجا بالخوف من زوالها ، كل هذه المركبات النفسية الرخيصة ، قد تفاعلت فى سعود وجعلت من السيد مسودا ومن المتبوع تابعا ، ومن المطلوب طالبا ، ومن صاحب الحق أجيرا ، وقديما قيل : اذل الحرص اعناق الرجال ؟

ذلك الى ما اصبح يداخله من الفزع لاندلاع الثورة العربية فى مصر مؤذنة بالقضاء على الاستعمار واحلافه من ملكيات جائرة ، ورجعيات مستأثرة ، واحتكارات متآمرة ، فهو – مأخوذ بوسوسة ملهميه من شياطين الاستعمار – ترتعد فرائصه رعبا من امتداد هذه الاضواء الثورية الى بلاده نورا للشعب ونارا على عرشه ، وجاه أسرته ، وقد اعمته مركباته النفسية المعقدة عن المرونة الحكيمة والتدبير الحصيف لملاقاة التطور العربى الزاحف، ملاقاة صداقة وفهم وصدق مشاركة فما كان أيسر أن يأخذ موقف المبادرة لفتح الابواب والنوافذ لتنهض بلاده على يديه ، فيصبح له ، من ثم ، فى شعبه مكان القائد والمنقذ ، والملك الصالح ، ويكون له من تقدير هذا الشعب له والتفافه حوله ، واعتداده به درع تحميه ، وقوة تزود عنه ، وتاريخ يخلد ذكره .. ولكنه لسوء حظه . لم يشأ أن ينال فخر السبق الى هذا . وآثر ان يحالف الشيطان الاستعمارى ،وينزع نزعه ،متحصنا بقواعده وقلاعه ، ومحالفاته ؟!

وكما يؤتى الحذر من مأمنه ، عوجل سعود فى عرشه فتهاوى وانهار ، وانهارت معه امانيه واحلامه ، وسقط اللاعب قبل أن يتم دوره المرسوم ؟!

ذلك كان شأن سعود الراحل ..

وجاء فيصل فى صورة احتجاج على مواقف أخيه وتصرفاته واتجاهاته ، فلقد كان يبدو فى تحركاته وتصريحاته – وهو لما يزل اذذاك وليا للعهد – كأنه الذكى الفطن ، البعيد مدى النظر ، المصقول التجربة ، الواسع الافق ، المأمول الخير ، الناقم على حماقات أخيه ، فقلنا ، وقال الناس : ان فى العباءة الجديدة شيخا عاقلا ، ورأيا راشدا ، وفكرا متجددا ، ولعله بهذا ، ومع هذا ، اطهر ذمة واخلاقا ، واحكم تصرفا ، واسلم عاقبة ؟ ولكن فيصل اتخذ من أخطاء أخيه مجازا الى اجلائه ، ومعبرا الى اعتلاء عرشه ، ولم يفد منها عبرة وعظة ودليلا مرشدا الى الحق والصواب ، فما لبث ان نضا عنه عباءة الابرار الصالحين ، متجردا من جلده

المرقش بالاصباغ والمداهين ، ليظهر اشد ضراوة من سعود ، وأكثر منه اندفاعا فى التصدى للتيارات العربية المتحررة ، وكأنما كان عيب أخيه عنده ، أنه اقصر خطوا ،واقل اقداما على مصانعة الاستعمار . والتنمر للعرب ... فهو – اذن – يملأ الفراغ ويسد الثغرة ، ويسلك مسلك العداء والتنكر للجمهورية العربية المتحدة ، وأبطال ثورتها.

وقد بدأ عهده مخاتلا ، ناعم الملمس ، واستجاب من فوره الى دعوة الرئيس جمال عبد الناصر الى مؤتمرات القمة التى انعقدت بالقاهرة اولا وفى الاسكندرية ثانيا وفى الدار البيضاء ثالثا ، وكانت له رئاستها فى أحد ادوار انعقادها ، واشترك اشتراكا ايجابيا فى قراراتها الجماعية التى استهدفت تحرير فلسطين واستغلال روافد نهرالاردن لمصلحة العرب ، افسادا لخطط اسرائيل واجهازا على مشروعاتها التوسعية والتمكين لذلك بقوات عسكرية ، واعتمادات مالية مشتركة. بين الدول العربية . الى آخر ماهو معروف ومشهور .. ومضى فى هذا مخفيا نواياه ، ومطلعا على أدق واخطر الوسائل والتدابير واسرار المشروعات على الصعيد العربى الاعلى ، الى أن بدا وجهه الحقيقى من زاوية الثورة اليمنية ، فمن بلاده ، وعلى حدود اليمن تجهز القوات والاقوات والعتاد واكياس الذهب ، وتطلق تسللا عبر الجبال ،والكهوف لمواثبة الثورة وابتغاء ازعاجها وشراء ضمائر شيوخ القبائل ، للمروق من صفها ، وتتابع القوافل (السعودية) قافلة فى أثر اخرى وكانت الجمهورية العربية المتحدة ، قد أسرعت الى نجدة الثورة اليمنية الشقيقة تلبية لدعوتها ، وقياما بواجبها ، وفق منهجها وميثاقها ، فكانت القوات الجمهورية المشتركة تقابل هذه التسللات بما ينبغى لها من بطش وتنكيل ، وسحق وابادة ، وتلاقت – لقاء فكر واتجاه هدف – رجعية الملك السعودى واحلام الامام الطريد ، ومكر الاستعمار البريطانى بمنطقة الخليج ، فتوالت التسللات ، وتوالت هزائمها وخسائرها ، وكثرت ضحاياها ، واشفق الرئيس جمال عبد الناصر على الدم العربى يراق على الأرض العربية ، وبأيدى العرب انفسهم ، فدعا فيصل الى الاجتماع به لتقرير وقف هذه المحاولات المجنونة ، على أساس من الحق والعدل وارادة الشعب ، وكانت الدعوة من مركز القوة بدافع من شعور السيد الرئيس كانسان عربى يدرك حق الادراك ان هذه الآلاف التى يحصدها الموت كل يوم انما تساق سوق الأنعام الى المجزر مغررا بها دون أن تدرى ، فهى ضحايا بريئة لمطامع ملكية حاقدة واستعمار مذعور ، ومن ثم كانت اتفاقية (جدة) على أن يلتقى طرفا الخصومة (ممثلو الجمهورية اليمنية مع ممثلى أسرة حميد الدين) لتقرير دعوة الشعب ليختار حرا نظام حكمه واجتمع هؤلاء وهؤلاء ،وبدا جليا أن الشعب اليمنى لن يرضى بديلا من جمهوريته ، ولن يقبل التفريط فى ذرة من مكاسب ثورته ،.. لقد انطلق من قيوده . واستمتع بحريته وحقوقه ، ورأى ملءعيونه وايديه ومشاعره ، الحياة الجديدة تنفحه اصلاحا وحضارة وصحة وعلما ونورا ، واشتراكية عادلة مسماحة ، تتألق باسمى وارحب مبادىء الدين الاسلامى فالظلمات قد تبددت ، والظلم قد باد ، والعدل قد ارتفع لواؤه خفاقا ، فكيف يستبدل بهذه النعم السوابغ ، شقاء وفقرا ، وجهلا ومرضا مرتدا الى ظلام السجون : وسياط الجلادين واعواد المشانق هذا مستحيل ؟

وازداد احساس فيصل بخطر الموج التحررى **يعلو ويرتفع ويهدد بالفيضان على شواطىء الرجعية ادنى مايكون اليه وجها فاوجس منه خيفة على ملكه وسلطانه ، وهيله وهيلمانه واستطاع الاستعمار أن يهيج مطامعه ويؤجج نوازعه ، فترامى بين احضانه ودار فى فلكه ، واستعداه على قومه ووطنه ، انسيابا مع الفتنة التى غلبت عقله واندماجا فى الدور الذى اختير ليؤديه ؟**

فما يزال يناهض فى عناد واصرار ثورة

اليمن باسطا حمايته على اعدائه ، منفقا من مال شعبه الفقير المحروم مئات الملايين ذهبا فى غارات مأجورة على الشعب الذى تحرر وعرف نفسه واستعاد حقه ، وخرج من الظلمات الى النور ...

وهو يسالم الاستعمار البريطانى فى عدن وامارات الخليج والجنوب العربى ويخفض له جناح الذل من الخوف والطمع ، وانجلترا تقبل عليه وتظاهره وتشد من أزره وتمده بالاسلحة والطائرات والخبراء ، ويفسح لهؤلاء الخبراء الاجانب فى حكومته ،ويمكن لهم من المراكز الهامة فى دولته الاسلامية .

وتقوى اواصر ارتباطه بامريكا فيزورها ويبتلع الاهانات المذلة التى قوبل بها هناك تشيعا للصهيونية ، كما حدث لاخيه من قبل ، ويؤكدلامريكا عهودالصداقة والاخلاص وينال منها (شحنات كبيرة) من الاسلحة الحديثة بمئات الملايين

وواضح ، أن أمريكا وانجلترا ما كانتا لتعينان فيصل هذا العون ، وتمكنان له هذا التمكين ، لولا انهما قد استيقنا تماما من انه قد ابق الى غير مآب من الصف العربى فهما — على التأكيد ، لايظاهران دولة عربية تعادى ، او يحتمل ان تعادى عداء مسلحا وليدتهما المدللة (اسرائيل) وانما يفعلان ذلك له ، كما يفعلانه لاسرائيل ، لالتقائه معهما ومعها فى معاداة القومية العربية الناهضة والتحرش بها ووقف مسارها ؟..

ويتردى فى اجولة (الحلف أو المؤتمر الاسلامى)التى ينسج خيوطها الخبث الاستعمارى وكانت قد ظهرت من قبل فى عهد سعود ، وفطن الوعى العربى لما قد دسوا فى كأسها المذهبة من سموم قاتلة ، فانتبذها المسلمون واجتووها ، وقذفوا بها فى وجه سقاتها وصانعيها ، وظن الاستعمار انه وقع من فيصل على الرجل الاقوى فبعثها من مرقدها ، وعهد بها اليه . ليتولى اخراجها وتمثيلها مشتركا مع رفاقه فى البطولة من ملوك الرجعية الساخطين فى الدول الاسلامية ، وتداعى هؤلاء عليها تداعى الجياع على القصاع ، وكانت ثمة ، بينهم ، ومنهم ، زيارات ولقاءات ، واحاديث ، ونشرات تلقاها المسلمون فى بلادهم أو فى تجمعاتهم حول الحرمين الشريفين خلال فريضة الحج ، ساخرين من هذه المحاولة السخيفة المفضوحة ، ومرة اخرى أعرضوا عنها ، وعن دعاتها ، ادراكا لسوء نواياهم وتفهما صحيحا للحوافز التى دفعت اليها ، والظروف التى ظهرت فيها ..

والحقيقة التى يخشاها ويتجاهلها،فيصل وشركاؤه ، شاه ايران وحسين وبورقيبة ومن وراءهم ، ان الامر لم يعد اليوم أمر ملوك واباطرة يتحكمون فى مصائر الشعوب ومقدرات الأمم ، ويفرضون عليها ما شاءوا من قرارات وتوجيهات ،وانماهو أمر هذهالشعوب والامم قد استيقظت ورشدت وتحررت وعرفت ان البلاء كله موكل بأولئك الملوك فما يعنيهم الا ان يظلوا على عروشهم تمسكا بأسطورة « الحق الالهى » وامتدادا للحكم البيروقراطى الموغل فى أعماق القرون الوسطى وبالفة مابلغت محاولاتهم لاتقاء الزلزال التحررى القاصف فانهم لن ينجوا آخر الأمر من المصير المحتوم ، ولعله اقرب اليهم مما يظنون ؟!

ان تلهية شعوبهم عن حقوقها وحرياتها ، بادعاء الاحتشاد والتجمع لحماية الدين الاسلامى من خطر الاشتراكية — كما يزعمون — لن تتحقق ابدا لان هذه الشعوب حتى لوجازت عليها الفكرة ، عن سلامة طوية لاتؤمن بصدق مدعيها او الداعين اليها ...

فهذا فيصل — مثلا — :

استولى أبوه « عبد العزيز آل سعود » على الحجاز فى غبار غارة بدوية ، واقصى الهاشميين وشتت شملهم واقام من شخصه ملكا على الجزيرة بقوة الفتح ، وايده الانجليز

متخلين عن وليهم وصديقهم الحميم « الشريف حسين بن عون » وماخالف الانجليز عن طبعهم وسياستهم ، فهم كذلك دائما ، يعتصرون الخونة ، حتى اذا استنزفوا آخر قطرة فيهم القوا بهم وراء ظهورهم ، عظاما نخرة ، وجيفا نتنة ليشدوا على يد « خائن » جديد أكثر قوة واصلب عودا ، واصفق وجها !..

وحاط « عبد العزيز » نفسه وابناءه وأهل بيته بمظاهر دينية متشددة واقامهم عمالا بأسمه على المدن والثغور واقسام الجزيرة — ومعهم العلماء والفقهاء من رجال الدين على المذهب الوهابى المعروف ، فهم يرون فى كل مالا يروقهم ، بدعة وضلامة ومنكرا ،ويصدون الناس ، قهرا ، عن كثير من مألوف معتقداتهم ومياسير دينهم ، ويأمرون بهدم الاضرحة وقبور الصالحين والائمة واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوى سد الذريعة الوثنية ، ولايجيزون استخدام اجهزة اللاسلكى والاستماع الى « الراديو » لانه فى رأيهم الدينى منكر ومن عمل الشيطان ولا يخرج من هذه الآلات والاجهزة الا أصوات الشياطين ؟! ويحظرون على الناس حياة الترف والدعة ويفرضون عليهم التقشف وكبح النفس عن رغائبها الى آخر ما غالوا فيه ، وابعدوا الخطو على طريقه ، وادرك الناس من بعيد انها استهلالات متزمتة « باسم الدين » تمكينا لملكية طارئة تدخل تاريخ الحكم لاول مرة ، فلم يستغربوا ذلك ، وان ضاقوا به !..

ومع الهالة المشرقة التى احيط بها « عبد العزيز آل سعود » ملكا عربيا ثائرا ، يرجى أن يكون عضدا للنهضة العربية التى كانت قد تحركت ونشطت ثم أمتدت اليها أصابع الاستعمار فتراخت ووهنت ، مع هذه الهالة أبى عبد العزيز أن يشارك بقليل أو كثير فى أية حركة وطنية ، وفى أية بقعة من البقاع العربية ، وبدأ كأنه مشغول عن هذا بتنظيم الامور فى مملكته الجديدة .. ولكن حقيقة نواياه كانت تتكشف ، الفينة بعد الفينة ، من خلال مناسبات عارضة، فاذا هو باحجامه عن تأييد النهضات العربية انما يقصد ذلك ويتعمده ، ارضاء للاستعمار الأجنبى ، واجتنابا لمغاضبته ومعاداته ، ليس لمجرد اتقاء شره ومناصرة الهاشميين عليه، بل وفاء بعهده معه ، وقد ذكر « سانت جون فيلبى » فى كتابه « أربعون عاما فى الصحراء » الذى نشره بلندن فى سنة ١٩٥٧ أنه :

« كان من سياسة الملك عبد العزيز أن يتحامى التدخل باى شكل من الاشكال ضد المصالح البريطانية فى البلاد التى هى فعلا تحت انتداب بريطانيا ، أو تحت حكمها ونفوذها ، وهى بلاد : فلسطين — الاردن — العراق » .. ومايكون ذلك بطبيعة الحال ، الا ثمرة مواثيق صداقة وعهود التزام مع بريطانيا، أفدح الدول الاستعمارية استعمارا واستغلالا للبلاد العربية ، واشدها وطأة وبلاء على العرب والمسلمين !..

ويقول « جون فيلبى » ايضا ، وهو الانجليزى الذى اعتنق الاسلام وعاشر السعوديين زمنا طويلا واتخذه عبد العزيز وأولاده صديقا ومستشارا أمينا ، « كان مستقبل فلسطين كله بالنسبة الى الملك عبد العزيز أمرا من شأن الدولة المنتدبة — انجلترا — تتصرف فيه كيفما تشاء .. ولا يرى فى قضية فلسطين انها تستحق المجازفة بتعريض علاقاته الممتازة بالغرب للخطر الخ » ..

ويقول كذلك فى كتابه المشار اليه :
« كان الملك عبد العزيز راضيا أعظم الرضا عن الحكومة الامريكية فى الوقت الذى كان الرئيس الامريكى « هارى ترومان » يضغط فيه على بريطانيا لفتح ابواب فلسطين لمزيد من المهاجرين اليهود !.. »

وامتنع عبد العزيز عن الاستجابة لرجاء

ممثلي عرب فلسطين في أن يضغط على أمريكا بما في يده من بترول الجزيرة لتتخلى عن تأييد المطامع الصهيونية في اقامة دولة يهودية في فلسطين ، ولم يقف محايدا ، بل استعمل ضغطه على سوريا العربية مهددا متوعدا اذا حاولت من جانبها استخدام انابيب البترول في اراضيها سلاحا ضد العدوان الصهيوني المؤيد من أمريكا !؟..

ولما اخذت المؤامرة الصهيونية تتجمع عناصرها وتظهر في اخريات عهد الانتداب البريطاني ، لفلسطين ، لجأ قادة الفلسطينيين الى ملوك الدول العربية ليعينوهم في كفاحهم ضد هذه المؤامرة ، فتلقاهم الملك ((عبدالعزيز)) اسوأ لقاء وكشف لهم عن صدره قائلا في غضب ((انه اقام ملكه بما يزيد على ثلاثين جرحا في صدره ، وليس مستعدا للتفريط في هذا الملك من اجل .. قرية !!!)) والقرية التي يعنيها هي : فلسطين .. كما هو واضح

وكان لا يكف عن اظهار مخاوفه وشكوكه من المسلمين وليس من الاجانب ، ففي احدى حواشي المرحوم الشيخ رشيد رضا على كتاب ((لماذا تاخر المسلمون !؟)) للامير شكيب ارسلان .. قال :

« في محفل حافل بحجاج الاقطار الاسلامية بمكة وقف مصري أزهري ليعرب عن رجاله في ان يشارك الملك عبد العزيز في صد عدوان الانجليز والفرنسيين على المسلمين فعقب جلالته على ذلك بقوله : « الانجليز والفرنسيون معذورون اذا عادونا .. ولكن المصيبة التي لاعذر لاحد فيها ان المسلمين أصبحوا أعداء انفسهم ، وانا والله لا أخاف الاجانب وانما اخاف من المسلمين »

بهذه الروح ، وبهذه السياسة ، كانت مواقف وتصرفات الملك عبد العزيز آل سعود تفتحا للانجليز والامريكان ، ومودة لهم ، وحفاظا على مصالحهم ، وانقباضا عن العرب وعن قضاياهم ونهضاتهم ، وتطيرا بهم ، وحذرا منهم ؟!..

وانتهى عبد العزيز ، وورثه في ملكه ولداه سعود وفيصل على التوالي ، فالتزما منهجه وسارا على طريقته ، ورميا عن قوسه ، ولكنهما جاوزا الحدود ، واضطربا في متاهات الرجعية والاستعمار ، فتورطا فيما كان خيرا لهما تحاميه واجتناب التردي فيه !..

واكبر الاخطاء التي تورط فيها ((فيصل)) بعد أخطاء أخيه ، هو مدابرة الرأى العام العربي ومجافاة نهضة القومية العربية المنطلقة ، وتنكره للواجبات والعهود التي ارتبط بها ، وواثق عليها ، تجاه ((فلسطين)) البلد العربي الذي اغتصبه اليهود ، ومالأهم عليه الاستعمار ، وتخضبت أرضه بدماء الشهداء من العرب ، وتفرق أهله في الافاق ، بعد انتهاب املاكهم واموالهم وارزاقهم ، وظلوا ثمانية عشر عاما يحيون حياة الاغتراب والشراد ، جوعا وعريا ومرضا ، وعويلا على الحق الضائع ، والوطن السليب ؟!..

وكان اجماع العرب ، ومايزال : أن استرداد فلسطين واجلاء اليهود عنها واعادة أهلها اليها ، ليس فقط واجبا عربيا مقدسا ينبغي أن ينهضوا به جماعة انقاذا لركن عزيز من أركان الوطن العربي يضم بين جوانحه مقدسات دينية تتصل بقلوب العرب المسلمين وارواحهم وعباداتهم ، وانما هو كذلك ، واجب عربي ، مقدس ، للقضاء على هذه الجرثومة الصهيونية التي القاها الاستعمار في قلب الشرق العربي ومكن لها من الوجود والحياة ليفوق منها سهامه الى صدر التجمعات العربية المتحررة ، وقد تخلقت هذه الجرثومة الخبيثة على يد الاستعمار

صارت شيئا اسمه : دولة ، تصرخ فى وجه العرب مهددة متوعدة ، ولا تخفى مطامعها فى التوسع واستعادة ماتدعيه من ((ملك سليمان)) وفى اكثر البلاد العربية أجزاء تتلمظ عليها اسرائيل بدعوى هنا ((الميراث)) .. فثمة خطر صهيونى محقق يحيط بالوطن العربى من جميع أقطاره ، لاتختلف فيه دولة عربية عن أخرى ، فكان لزاما على العرب أن يتناسوا فى وجه هذا الخطر بالذات ، اختلافاتهم فى السياسة وانظمة الحكم ، ليتفقوا اتفاقا جماعيا صريحا ، على أن ينهضوا على قلب رجل واحد ، لاجتثاث جذور اسرائيل وليدة الاستعمار وقاعدة الرجعية ورأس الرمح المسدد الى قلب العروبة والاسلام ، وانه فى الواقع لواجب الدفاع عن أوطانهم جميعا ، وليس مجرد دفاع عن فلسطين وحدها ، ومن أجل ذلك ، كان القعود عن هذا الواجب أو التخذيل فيه مروقا من الصف الجامع ، وانتهاكا لمقدسات الدين وتفريطا فى حق الجهاد ، وارتكابا للخيانة العظمى ؟!..

والملك فيصل يعلم هذا حق العلم ، وهو يذكره ، ويكرر ذكره ، حتى فى الوقت الذى يزور فيه أمريكا ويجدد معها عهود الصداقة ويتزود منها بالسلاح الذى لاتسمح به لغير اوليائها المقربين ، فى نطاق ماتزعمه من (ميزان القوى) فى الشرق الاوسط ..

. حتى فى هذا الوقت يصرخ فيصل بأن اسرائيل خطر على العرب يجب ان يزول .. وهى كلمات لاتكلفه شيئا هاما ، تقال لمجرد الاستهلاك المحلى ، حفظا لماء الوجه ودفعا للشك الذى يحوم عليه فى علاقاته بالاستعمار الامريكى ، وامريكا لايفوتها - بداهة - القصد والمراد من هذا التمثيل ، فتغضى عنه ولا تباليه ، وثوقا فى رجلها وصنيعها !.. ولكن سرعان مايسقط القناع عنه فيما قرره وعالن به من تجميد التزاماته فى القرارات الاجماعية التى صدرت عن مؤتمرات القمة بشأن فلسطين !..

وفى الوقت نفسه لاينفك مواصلا نشاطه فى مشروع الحلف أو المؤتمر الاسلامى « لحماية الدين » من خطر الاشتراكية التى يغالى فيسميها (شيوعية) ملحدة ؟!

والاشتراكية التى يراها خطرا على الدين والحادا فيه ، ويؤلب المسلمين من اجلها على الجمهورية العربية المتحدة ، هى التى قضت على الاقطاع والرجعية وفساد الحكم وحطمت الحواجز والاسداد بين الطبقات ، واقامت الحياة على قواعد العدل الاجتماعى والحق الانسانى ونشرت ألوية الحرية والمساواة على رؤوس الجميع ، واتاحت فرص العيش الكريم والرزق الحلال للمواطنين كافة وطهرت البلاد من محتليها الاجانب ، واطلقت اقتصادها ومصادر ثروتها من القيود ومن سيطرة رأس المال المستغل واستردت اموال الشعب الى الشعب ، وجعلت أمر الأمة شورى بين ابنائها من نيابة حرة ، ووطدت أركان الدين وأولته اهتماما جليلا ونشاطا بعيد المدى ، فانشأت الجامعة الازهرية الى جانب الجامع الأزهر توسيعا لساحة العلم ، الدينى ، وتكثيرا من موارده ، وتجاوبا مع المطالب الانسانية المتطورة ، فى اطاره ،واقامت فى هذا الرحاب الفسيح مدينة البعوث الاسلامية دار أمن وقرار لطلبة العلم المسلمين الوافدين على مصر من مختلف الاقطار والأمم ، وانشأت المجلس الاعلى للشئون الاسلامية مكونا من اكابر علماء الدين وفقهاء الشريعة ممن ملأنا بهم آفاق الدنيا علما ونورا ، كالاعداد له من دراسات وبحوث وتفاسير وتوضيحات الى آخر ما يصدره متدفقا فى مطبوعات تجوب سائر أنحاء العالم شرقا وغربا ، مضافا الى مبعوثى الأزهر ووزارة الأوقاف هنا وهناك تبشيرا بالدين ودعاية له . وافصاحا عنه . وتجميعا على نوره .

هذه هي الاشتراكية ، نابعة من صميم الدين الاسلامي ، ومستهدية بهديه ، وسالكة سبيله ومدعمة بنيانه ، وسابحة في آفاق الدنيا جميعا !.. ففي أي موضوع من هذا كله يقع الالحاد الديني الذي يزعمونه ، ويتداعون عليه ، في أحلاف ومؤتمرات ؟!

انه ليس ثمة ، في الحقيقة ، سوى الدجل السياسي متخفيا في العمائم واللحى والمسابح والصياح الأجوف ، والعالم الاسلامي ، في وعيه ويقظته وطول تجربته ، يعرف ماوراء هذه المحاولات الاستعمارية الخبيثة المموهة بالقشور البراقة ، عن مقاصد هدامه ، ودعايات مفرقة ، ولا يندعن ادراكه ان اكبر هذه المقاصد والغايات ، وربما كانت جميعها ، انما تعني عند العصابة المؤتمرية أن يبقوا ملوكا وأصحاب عروش في منعة ودعة وامتداد سلطان واستطالة نفوذ ، ومن بعد رؤوسهم الطوفان ؟

هي ، اذن شنشنة نعرفها من أخزم !..

وقد كان فيمن قبلهم من ملوك وأصحاب عروش من استطالوا وجشعوا وعقوا شعوبهم وخانوها ، وكادوا لها ، انسياقا مع هاتيك المطامع والاماني ، فترددوا في الهاوية وساءت مصائرهم ، وفقدوا العروش والحياة معا !. ولا يحيق المكر السيء الا بأهله ..

وهذه المظاهرات « الدينية » التي ينظمون مواكبها استغلالا لمشاعر المسلمين ، لاتستطيع أن تحمي عروشا تقوم على الظلم والاستبداد ، والتهام خيرات البلاد وحقوق العباد . وقد ارتدى نابليون في غزو مصر سنة ١٧٩٨ مسوح الدين الاسلامي ، وأدنى منه علماء المسلمين ، وجعل اليهم تدبير الأمور العامة في « الديوان » العام ، فلم تجز الحيلة على الشعب ، ومع فرط ماكان يكابده ويقاسيه من ظلم المماليك وجور البكوات ، فقد ثار على الفرنسيين ، وأقض مضاجعهم ، ولم يزل بهم حتى اجلاهم !؟ ومثل نابليون ، وموسوليني حينما أعلن أنه حامي حمى الاسلام ، تغريرا بالشعب المسلم في ليبيا ، وكان هو الآخر ، كاذبا ومنافقا فلم يصدقه احد وكانت نهايته المعروفة ، وساء مصيرا !..

وماذا عسى بالله أن تبلغ من نفوس المسلمين دعوى فيصل أنه الغيور الغاضب لدين الله ، الزائد عن حماه ، والمسلمون يرون موارد الجزيرة العربية بملايينها الكثيرة يذهب تسعة اعشارها في مخصصات الملك واخوته الأمراء ، وابنائه ، وابناء اخوته ، وقصوره ، وقصور اخوته ، والعشر الباقي من هذه الموارد ينتهي الى ايدي عملائهم من شيوخ العشائر في شكل مرتبات او مكافآت ليضعوا الأغشية على العيون ، والكمائم فوق الأفواه ، وعلى الشعب في الصحراء المحرقة وفي منابت الكلأ المتباعدة وفي خيامه الممزقة ، أن يقنع بالانعام يرعاها ، وبالعيش الجاف يبتلع به وبالحرمان يروض نفسه عليه ، فالقناعة كنز لايفنى ، والحرمان قربة الى الله ومدخل الى الجنة ؟؟

هذه هي حال الجزيرة العربية التي تفجرت فيها وفاضت آبار البترول واستحالت رمالها ذهبا ، قد جمعها عبد العزيز آل سعود في قبضة يده ملكا خالصا له ولولده وأهله واستبدل باسمها اسم « السعودية » وبهذا التخصيص تدار الأمور فيها لحسابهم في عزلة عن الشعب ؟

فدعوة فيصل الى المؤتمر الاسلامي ، ضرب **من المخاتله والخداع ، وتسمية الاشياء بغير أسمائها ، ولئن كان قد وجد من يظاهره في دعوته هذه مخدوعا ، أو مأجورا ، والمال وفر ، فهو ، - على اليقين - لن يجد العالم الاسلامي الذي يحاول أن يفتنه ويشده اليه ، فقد بانت دواعيه ، وانكشفت خوافيه ، وأسفر الصبح لذي عينين ؟!**

وعلى مسرح هذه الدعوة ، أو المأساة ، يظهر

الى جانب فيصل ثالوث عجيب ، هو أبعد مايكون بعدا عن الدين ، وثقة الجماهير ، ونزاهة القصد ، وجادة الطريق ، واقرب مايكون قربا الى الاستعمار وحكم الفرد ، وظلم الشعب ، وفساد السيرة .

وفى ايجاز يفرضه ماقد طال من هذا الحديث ، لايرى المسلمون فى شاه ايران وحسين وبورقيبه الا مايرون فى رابعهم فيصل ، أدوات عاملة فى الجهاز الاحتكارى وعجلات أربعا فى العربة التى يقودها الاستعمار الامريكى البريطانى ، وقد اتخذ من أطماعهم الرجعية ومطامحهم الرئاسية ، سبيلا الى تنفيذ سياسته ، ومخططاته ، والحفاظ على مصالحه ومصالحهم التى استقرت له ولهم مدى أجيال فى منطقة الشرق العربى استغلالا لما حباها الله به من موارد وثروات بترولية ومعدنية تمثل أكبر نسبة انتاجية فى العالم الى مايكفل له من قواعد عسكرية ومحطات استراتيجية يقيمها سدا فى وجه المعسكر الشيوعى ، وحزاما حوله ، كما يتوهم ، ويتوهمون !..

وأعدى أعدائهم فى هذا السبيل ، هى ثورة ٢٣ يوليو التى أعلنت حرية الشعب ، ونادت بالخلاص ، وحملت المشاعل ، وأيقظت النيام ، وتفجرت فى أثرها الثورات والانتفاضات حتى مايكاد يخلو اليوم منها موضع من أرض العرب ومن هنا تجمعوا واحتشدوا لصد تيارها وتفادى خطرها ، وكان الدين وسيلتهم الى ذلك ، وما كانوا فى وسيلتهم هذه الا كواضع الماء فى غربال ، أو مختزن الهواء فى سروال ؟

فأما فيصل فقد عرفنا من أمره وأمر أخيه وأبيهما مالا يحتاج بعد الى مزيد بيان

وأما شاه ايران ، فأمره أشد اثارة وأدهى داهية ، فهو الى كونه ، كذلك ، ملكا وطاغية واقطاعيا يملك أكثر الأرض فى بلاده ، وينتهى الى شخصه أكبر نصيب من دخل البترول ، ويحيا حياة ذهبية موفورة ، وشعبه يتقلب على شواظ من سعير الفقر والجهل والمرض والحرمان فهو ، الى ذلك ، أكثر ملوك الرجعية انحلالا خلقيا ، وقد حدث منذ سنوات أن كانت احدى شقيقاته « الاميرات » تزور اليونان فى سياحة ترفيهية مكشوفة ، فتعلقت هناك بشاب يونانى يعمل ندلا «جرسونا» بالفندق الذى كانت تقيم فيه ، وتفاقمت هذه العلاقة بينهما « جنسيا » وتحدث عنها الناس والصحف ، ولم تخجل من المجاهرة بها، كما لم تخجل من أن تعود بفتاها هذا الى ايران متأبطة ذراعه ، وهاجت مشاعر الشعب الايرانى المسلم استنكارا لهذا « الفعل الفاضح » ، فأعلن الشاه أن علاقة الاميرة بالخادم اليونانى قد حازت رضاه ، وكللها بالزواج ، وجمع الرأسين فى الحلال ؟

وكانت زوجة الشاه السابقة « الامبراطورة ثريا » من أحب النساء اليه ولكنه اضطر الى طلاقها بعد أن عجزت لعقمها أن تعطيه وارثا للعرش الذى استولى أبوه عليه خطفا من أصحابه .. وافترقا على اتفاق بينهما ، مجريا عليها مرتبات ضخمة ومخصصات كبيرة تتفق مع حياتها ومظهرها كامبراطورة ايران وزوجة الشاه « سابقا » .. ولم تستطع هذه الامبراطورة أن تحيا الحياة الوقورة البعيدة عن الشكوك والمظنات فانطلقت مع شهواتها التى انطبعت عليها فى قصر الشاه ، وغاصت الى أذنيها فى مثابات الطيش والاثم، وراحت تبحث عن الحب والرجال ، وتداول بين العشاق والمحبين ، فى دنيا الملاهى والفسوق والمغامرات واشتركت فى تمثيل الأدوار النسائية المستهترة ببعض افلام هوليود ، وكانت سيرتها واحداث لهوها ، وماتزال حديث الاندية والمجتمعات ، ومشغلة الصحف وآلات التصوير .. ولم ينكر الشاه « المسلم » شيئا من هذا ، ولم ينقطع عن الاغداق عليها ، ولم يفكر لحظة فى تجريدها من لقب الامبراطورة وزوجة الامبراطور سابقا،

كما لو كان سلوكها الداعر يطابق رغبته ، ويجرى وفق هواه ؟! ثم هو الملك المسلم الوحيد الذى يضع يده فى يد اسرائيل جهرة ، ويفتح أبواب بلاده أمامها ويبادلها تمثيلا سياسيا ، ويصطفق معها تجاريا ، ويجعل من بلاده سوقا لتصريف منتجاتها ومتاجرها متحديا الدول العربية فى قرارات المقاطعة وحظر التعامل مع هذه العصابة الصهيونية .

وأما الملك حسين ، فحسبنا وحسب العرب المسلمين معرفة به ، وعلما بتاريخه ومواقفه المتناقضة ، انه سليل سمية « الشريف حسين » الذى تربى وعاش صباه مكرما معززا فى قصور آل عثمان ثم واليا مختارا منهم على جزيرة العرب ، فكان جزاؤهم منه أن ثار عليهم ووضع الخنجر فى ظهورهم وهم فى معمعة الحرب العالمية الأولى ، منفذا خطة الانجليز وضالعا معهم ضد سادته وأولياء نعمته ..! ثم كان عبد الله بن حسين هذا وجد حسين (الحالى) أول شريف عربى واطأ اليهود فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ متآمرا لحسابهم على جيش العرب وكانت اليه قيادته العليا ، فأطار بخيانته النصر من أيدى العرب ، وفتح الطريق أمام اليهود ليقتحموا المعاقل ، ويخربوها ، وينكلوا بالشعب الفلسطينى ، العربى ، فى أفظع ما يروى التاريخ من بربرية الابادة والعدوان على الأرواح والحرمات ، والاعراض ، .. وسقطت فلسطين فى أيدى اليهود ، وتشرد من بقى حيا من أهلها فى مناكب الأرض وكانت المأساة ، والمشكلة الى يومنا هذا وحسين حفيد هذا الخائن ، ينهج نهج جديه ، مستندا الى حراب الاستعمار ، ودباباته وطائراته ، وذهبه ورابطا نفسه مع الانجليز فى المصاهرة الزوجية وفى تنظيمات الجيش ، وتنفيذ المشروعات !

وهذا ، وأكثر منه ، يقال عن سيرة بورقيبة ، وأخلاقياته السياسية والدينية ، نزوعا الى الاستعمار وكراهية للعرب واغتيالا للاحرار ، وولاء لاسرائيل ، وتمردا على الدين فهو الذى لم يتحرج من اصدار الامر الى شعبه المسلم بافطار رمضان معطلا ركنا أساسيا من أركان الاسلام الخ .. الخ .

هؤلاء هم الذين يصطنعون الغيرة على الدين ويتزعمون الدعوة الى التحالف لحمايته من الكفر والالحاد ؟

فهل هم واجدون ، بعد ، سميعا أو مصدقا ، أو من يثق بدعوتهم هذه بين مئات الملايين من المسلمين !.. كلا .. والف مرة ، كلا .. ذلك لأنهم قد عرفوهم ، وتبينوا خفيات أمرهم ، وياسوء ماعرفوا عنهم وتبينوا فيهم ؟!

ليتهم يجدون من يقرئهم قول شوقى ، رحمه الله من ثلاثة وأربعين عاما ، وكأنما كان يعنيهم به :

جلال الملك أيام وتمضى
ولا يمضى جلال الخالدينا
وهل تلقى المهيمن فوق عرش
ويلقاه الملا مترجلينا
زمان الفرد يا (فرعون ، ولى
ودالت دولة المتجبرينا
وأصبحت الرعاة بكل أرض
على حكم الرعية نازلينا

فلعلهم حين يستمعون الى « أمير الشعراء» فى شعره هذا ، ان يتعقلوا ، ويتعظوا ولا يخاصموا فى باطل ، فان « من يخاصم فى باطل لم يزل فى سخط الله حتى ينزع » وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كيف ابتدأت اسرائيل وكيف تنتهى ؟ (١)

الدكتور محمود دياب

ان أول شيء يجب ان نعرفه هو الكشف عن جذور الصهيونية وكيف سارت في تنفيذ اهدافها وكيف انطلقت مجدة فى سبيل تحقيق أهدافها وأولها تكوين اسرائيل وأعلانها على باب الكنيست « من النيل الى الفرات احكمي يا اسرائيل » .

ان الصهيونية حركة سياسية واسرائيل قامت نتيجة لتخطيط منظم بذلته الصهيونية العالمية ومن يتتبع الحركة من أولها الى آخرها يجدها تسير تبعا لقيادة واحدة تفكر وتدبر وتنظم وتصل الى ما ترجو نتيجة الرجاء والرشوة والالحاح والمساومة والتضليل والتعصب .

ولا أنسى حين تخرجت من كلية الطب سنة ١٩٣٢ عملت كطبيب وقائى أطعم ضد الجدرى فى منطقة السكاكينى وكان يسكنها فى ذلك الوقت اليهود المتمصرون .

والمتمصرون الذين يمتون بصلة الى بعض البلاد العربية والعرب منهم براء لانهم يتكلمون الفرنسية ويعملون كبطانة للمحتل أينما سار .

ذهبت الى منزل من المنازل لاطعم سكانه وكانت العادة أن نكتب الاسماء ثم نطعمها ووجدت أن هناك اسما لم نطعمه فقيل لى انه وضع نفسه فى غرفة مظلمة ويعذب نفسه كما كان يعذب قدماء المصريين أجداده ورجونى أن أطعمه فى الغد يوم الاحد لانه سار على هذه الطريقة فلا يعمل ولا يتكلم يوم السبت فطلبت منهم أن أراه ولا أكلمه وسأعود اليه فى الغد وفعلا رايته وعدت اليه فى اليوم التالى وسألته لماذا يفعل ذلك قال آليت على نفسى أن أقوم بهذه العملية من التعذيب حتى تعود فلسطين لليهود فابتسمت ساخرا وظهر ان كلامه قد تحقق سنة ١٩٤٨ وانى كنت أسخر من نفسى وظهر أن هذا الشاب هو أحد زعماء اسرائيل الحالية .

اذن كان هؤلاء يعملون ونحن نقلل من أهمية عملهم حتى ظهرت لنا دولة خطيرة تهدد حياتنا وتهدد كياننا أكثر من ضياع الاندلس لان الاندلس كانت على أطراف الدولة الاسلامية والدولة العربية . أما فلسطين فهى قلب العروبة النابض واذا تمكن السرطان من القلب فقد انتهت الحياة .

ومن عجب أن اليهود من نسل ابراهيم عليه السلام ونحن أبناء ابراهيم من نسل اسماعيل عليه السلام فنحن أبناء عمومة لا نقول ذلك تقربا من هؤلاء الجاحدين لليد التى أطعمتهم من جوع وحفظت جموعهم على مدى القرون فلقد حميناهم فى الاندلس حين كانت ملكا لنا وأنزلناهم مراكز رفيعة فى الدولة العربية وحين ضاعت الاندلس حميناهم فى المغرب وفى جميع بلاد العرب الاسلامية من الجزائر الى مصر الى بغداد .

وحماهم المسلمون فى الدولة العثمانية حتى تمكنوا منها وجعلوها حطاما ممزقة تسير وفق أهواء اسرائيل ويحكمها جماعة الدونما وهم اليهود الذين أسلموا بالاسم وبقوا يهودا بالفعل حسب نص بروتوكول حكمائهم .

هذه مقدمة لابد منها ليعرف العرب أنهم أمام قوم متعصبين لايعرفون فى الله الا ولا ذمة ولا يعرفون معنى لخدمة قدمت او يد سلفت والان نعدد كيف بدات اسرائيل

يقول دافيد بن جوريون فى مذكراته :

منذ آلاف السنين ورغبة اليهود فى العودة الى ارض اسرائيل لاتموت وأحيانا كانت هذه الرغبة تتعدى مجرد رغبة العودة الى الرغبة فى زراعة الارض ذاتها ففى سنة ١٥٩٣ جاء « دون جوزيف ناسى » مع أتباعه من اسبانيا الى فلسطين حيث اقام اول مستعمرة زراعية فى الجليل على شاطئ بحيرة طبريا .

ومن أكثر من مائة سنة حاول مليونير انجليزى يهودى اسمه السير « موسى مونتفيور » أن يقنع اليهود المتوطنين فى فلسطين بأن يتحولوا الى فلاحين ومن أجل هذا الهدف أقيمت أول بيارة يهودية من بيارات البرتقال بالقرب من يافا سنة ١٨٥٦ وفى سنة ١٨٧٨ اسس يهودى من القدس أول قرية يهودية كاملة سماها « بتاح تكناه » اى باب الامل .

ثم بدات الهجرة مع التحول الى زراعة الارض بالذات تتوالى موجات فقيرة تاتى من روسيا وشرق أوربا بوجه عام وأموال تاتى من غرب أوربا برز من بين دافعيها اسم البارون لادمون دى روتشيلد ، رجل العائلة المالية الشهيرة التى كانت تمول أعتى حكومات أوربا كما كانت تمول أقسى حروبها ، نفس العائلة التى مولت شراء انجلترا لاسهم قناة السويس التى كانت تملكها مصر على يد الخديوى اسماعيل .

وفى ١٨٩٦ أصدر صحفى ومؤلف مسرحى يهودى اسمه تيودور هرتزل كتابا صغيرا اطلق عليه اسما غريبا فى ذلك الوقت الدولة اليهودية كان هرتزل قد أرسلته صحيفة نمسوية الى باريس ليبعث اليها بتفاصيل محاكمة الضابط الفرنسى اليهودى «درفوس» فتاثر بما وجد من نزعة الى معاداة الساميه فى هذه المحاكمة قالت وفى يوم صدور هذا الكتاب الصغير ولدت الحركة الصهيونية التى وضعت نصب عينها اقامة دولة يهودية .

ولم يحدد المكان الذى يمكن أن تكون فيه الدولة اليهودية فقد كان هرتزل ذاته يدعو الى امة مستعمرة يهودية تحت وصاية انجلترا تكون فى فلسطين أو الارجنتين .

وهنا يدل على أن حركة الصهيونية فى اقامة وطن لليهود فى الارجنتين لاسباب سياسية لاعلاقة لها بالدين.

والعودة الى فلسطين تحقيقا لنبوءات العهد القديم قد أدخلت بعد ذلك للاستفادة من جاذبيتها وكسب الانصار .

وفى سنة ١٨٩٧ انعقد أول مؤتمر صهيونى عالمى فى مدينة بال بسويسرا وقال هرتزل « اننا هنا لنضع حجر الاساس فى بناء البيت الذى سوف يجمع الامة اليهودية وأقترح برنامجا من ثلاث نقاط .

أولا ـ تشجيع القيام بحركة هجرة منظمة واسعة النطاق الى فلسطين .

ثانيا ـ الحصول على اعتراف دولى بشرعية التوطن فى فلسطين .

ثالثا ـ انشاء منظمة دائمة لضم صفوف يهود العالم اجمع وراء القضية الصهيونية .

وقبل ان يتم المؤتمر اعماله كان قد فرغ من وضع اول نظام للمنظمة الصهيونية العالمية بما فيها من أجهزة قيادية وأجهزة تقوم مقام وزارة الخارجية فى أى بلد فمنذ سنة ١٨٩٧ كان قد تم وضع الخطة ورسم الاهداف واقام جهاز حكومى يتولى التخطيط والتنفيذ وانطلق هرتزل بوصفه أول رئيس للمنظمة الصهيونية العالمية الى العمل .

وفى المقال التالى ان شاء الله سنبين كيف عملت هذه المنظمة فى جميع الميادين .

بقية مقال « دعوة الميثاق الى تعديل القوانين دعوة حق » (ص ٢٨)

الربا ان كنتم مؤمنين » وقوله « وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » .

والآيات الثلاث الأخيرة آيات مدنية نزلت بالمدينة ، أما الآية الأولى وحدها فآية مكية نزلت بمكة ، وقد يكون من المناسب أن أشير فى هذا الصدد الى ما قاله العلماء بصدد الفرق بين مكى القرآن ومدنيه ومنه أن المكى يتجه نحو الأحكام الكلية فيأمر بها أو ينهى عنها من غير أن يعرض لتقييد فيها أو تفصيل لها ، والمدنى يأتى بعد ذلك مكملا لتلك الكليات بوضع قيودها وتفصيل أحوالها وتتميم أحكامها أو يأتى منشئا لأحكام جزئية اقتضتها ظروف الحياة الجديدة من اتساع العمران واختلاط المؤمنين بغيرهم فى صلات السلم أو خلاف الحرب .

والخلاصة مما تقدم أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى سبيل تحريم الربا بدأ بتهيئة النفوس لتحريمه بتبغيض الناس فيه ، وبيان أنه يمقته ثم بين للناس أنه كان محرما على اليهود ليشعرهم بأنه كذلك محرم عليهم ثم بعد ذلك حرمه عليهم تحريما صريحا فى صورة من صوره ، وأخيرا حرمه تحريما كليا وقاطعا ، بكل صوره وألوانه .

والى المقال القادم حيث نتناول بالكلام الربا من وجهة نظر القانون وان مجتمعنا الاشتراكى لم يعد فى حاجة الى الربا وكما أن النصوص الخاصه بتحريم الربا فى بعض صوره والعقاب عليه باتت فى حاجة ماسة الى التعديل استجابة لدعوة الميثاق بشأن اعادة صياغة القوانين من جديد .

كلمات قرآنية

التوكل على الله قوة دافعة الى العمل

فضيلة الشيخ عبد الرحيم فودة

لكى نفهم معنى التوكل على الله حق الفهم ينبغى أن نعود بالكلمة الى الأصل الذى اشتقت منه ، لان ذلك يعين على فهمها وعلى سلامتها واستقامتها •

فمعنى التوكيل كما قال الراغب : أن تعتمد على غيرك وتجعله نائبا عنك ••والوكيل فى الاستعمال العربى الأصلى أو الحقيقى هو من ينوب عن غيره فى شأن من شئونه أو عمل من عمله ، فمعنى التوكل على الله أن تجعل الله وكيلك وتثق فى عونه وفضله وعدله ، كما يفهم من قوله تعالى : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » •وقوله ـ جل شأنه ـ : « وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا » •

لكن التوكل ليس معناه اهمال ما أمر الله به من الأسباب والوسائل والتماس الخير من غير طرقة التى شرعها وأمر باتباعها ، والتطلع الى الحياة الطيبة دون جهد أو عمل ، فان ذلك هو التواكل والتكاسل وهما مظهر الضعف وعدم الثقة بالنفس ، بل هما آية العجز وهوان القدر • كما يفهم من قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى •

غير أن الأخذ بالأسباب ليس معناه كذلك الثقة المطلقة فى أنها تؤدى الى النتائج المرجوة منها • وتحقيق الخير المنشود من ورائها • فان ذلك يخل بمعنى التوكل ، ويلغى أمرا لا بد من استحضاره واستذكاره ليصح معه الايمان • ويستقيم عليه معنى التوكل ، ذلك هو أن الله خالق الأسباب والمسببات ، وقد يعطل الأسباب عن عملها فى تحقيق ما يراد منها ، بل قد يجعلها تؤدى الى النتائج

الضارة من حيث يراد منها النتائج السارة ، كما يشاهد فى واقع الحياة وكما يفهم من قوله تعالى : وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم .

فالتوكل على الله يكون بمجموع أمرين لا بد منهما معا ، الأول الاعتماد عليه والثقة فيه والايمان بأنه ـ جل شأنه ـ كما يقول : ألا له الخلق والأمر . وكما يقول : بيده الخير وهو على كل شىء قدير .

والثانى ـ الأخذ بالأسباب والوسائل التى ربط بها النتائج المرجوة ورتب عليها الآمال المنشودة ، وأمر باتباعها والتزامها والعمل على هداها .

وبذلك يكون المؤمن متوكلا على الله حق التوكل ، ويكون الله معه بعونه وتوفيقه كما يقول : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » أى كافيه ومغنيه عن غيره . وكما يقول ـ جل شأنه ـ «وكفى بالله وكيلا » .

والمؤمن حين يمتلىء قلبه بالثقة فى الله والشعور بالاطمئنان اليه ، والاعتماد عليه يكون من القوة والمنعة بحيث يستسهل الصعب ويستعذب المر . ويستعصى على عوامل اليأس والوهن التى تهدم الشخصية ، ومن ثم كان المؤمنون أمام أعدائهم كما يقول الله فيهم :

« الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » .

فالتوكل بهذا المعنى مظهر من مظاهر القوة وليس مظهرا من مظاهر الشعور بالضعف ، بل هو فى الحقيقة مصدر الشعور بالقوة ، لأنه يقوم على الايمان بالله ، وبأنه القادر القاهر فوق عباده ، وبأنه كما يقول سبحانه :

« ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده » .

وكما يقول ـ جل شأنه ـ « وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شىء قدير » .

وقد بين الله فى كتابه الكريم أن الحياة فترة ابتلاء واختبار يظهر بها المحسن والمسىء، والبر والفاجر . ثم يحاسب كل على مابذل من عمل :

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

وذلك بعض ما يفهم من قوله تعالى : **« الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا » . وقوله جل شأنه : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين » .**

بل ان الحياة فى التقدير الاسلامى هى الفرصة التى يجب أن يحرص الانسان على العمل فيها وأن يتزود منها لحياة أعظم وأكرم **« يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا » .**

والعمل مطلوب لهذه الحياة ولما بعد هذه الحياة والعاقل الرشيد من فطن الى هذه الحقيقة ووضعها نصب عينيه واستغل صحته وماله وقوته فى العمل الصالح يحقق به الخير والحياة الطيبة فى الدنيا ويهيىء له الأمن والنعيم المقيم فى الآخرة، والأحمق الضائع العاجز من غفل عن هذه الحقيقة وأنفق أيام

حياته الغالية فى تواكل وتكاسل وسلبية ..
فخسر بذلك الدنيا والآخرة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : والمؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف » . وقال عليه الصلاة والسلام : « اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك . وصحتك قبل سقمك . وغناك قبل فقرك . وفراغك قبل شغلك . وحياتك قبل موتك » .

فالشباب وهو زمن العزة والحيوية .. والقدرة على العمل والكفاح يجب أن يغتنمه الشاب فى الكسب الطيب والسعى المثمر لينتفع به حين يدركه الهرم ، ويقعد به الضعف فى الشيخوخة عن العمل والانتاج .

والصحة - وهى فرصة العمر الذهبية - يجب أن يستغلها الانسان ويتزود منها لما قد يتعرض له من مرض حتى لا يجتمع عليه الم المرض وذل الحاجة ومرارة الحرمان ، والغنى كذلك فرصة يجب أن تستغل فى مواجهة الفقر بادخار ما يمكن ادخاره واستثمار ما يمكن استثماره ، والفراغ من الأعباء والمسئوليات يجب أن يستغل بالعمل المثمر قبل الشغل بما يجد فى المستقبل من أعباء ومسئوليات ، أما قتل الوقت باللهو فى الملاهى والجلوس فى المقاهى ، أو بالاستسلام الى الأحلام والأوهام والآمال التى يصنعها الخيال فهو فى الواقع قتل للنفس واهدار لجانب من العمر وشلل يصيب المواهب والمدارك والملكات ..

والحياة كلها فرصة يجب أن تغتنم قبل الموت ، لأنها اذا أفلتت فلن تعودمرة أخرى ، وقد نبه النبى - صلى الله عليه وسلم - الى ذلك حيث قال فى احدى خطبه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الموت ، فوالذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ، ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار .

هذا الى أن الدعوة الى العمل تطالعهاحيثما نجد الدعوة الى الايمان فى القرآن ، وفى كلامه - عليه الصلاة والسلام - وذلك دون شك يدل على ما للعمل من قيمة عظيمة فى الاسلام، لأنه دين الحياة بكل ما تتسع له كلمة الحياة من حركة وقوة على الحركة واحساس بالوجود . وادراك لما فيه من خير وشر ، ونفع وضر ، بل لأنه دين الحياة الطيبة الخليقة بأن تسمى حياة كما يفهم من قوله تعالى : « **يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » وقوله - جل شأنه - : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون »** .

وقد كان - صلى الله عليه وسلم - يستعيذ بالله من الهم والحزن ، ومن العجز والكسل ويقول لابنته فاطمة - رضى الله عنها - : « **اعملى يا فاطمة فلن أغنى عنك من الله شيئا» ويطلب الى كل من يباشر عملا أن يحسنه ويتقنه كما يفهم من قوله - عليه الصلاة والسلام - : ان الله يحب من العامل اذا عمل أن يحسن ، بل لقد كان - عليه الصلاة والسلام - يؤثر أن يقوم بنصيبه فى العمل كأى واحد من أصحابه مع مكانتسه الكريمة العظيمة التى لا ترقى اليها مكانة انسان ويقول : ان الله يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه ..**

فالتوكل على الله قوة دافعة الى العمل والأخذ بأسباب النجاح والحياة الطيبة الكريمة ، والدين ليس تواكلا وتكاسلا وسلبية ، انما هو ايمان راسخ يعمر القلب . وعمل متصل يعمر الحياة ، وثقة كاملة بان الله كما يقول سبحانه : « انا لا نضيع أجر من أحسن عملا .

الحلف المنبوذ

فضيلة الشيخ
سليمان حسن عبد الوهاب

هذا هو الاسم الذى ينبغى أن يطلق « على الحلف الاسلامى المزعوم » لأن جميع الشعوب نبذت هذا الحلف . وجميع الأمم لفظته . وطرح طرحا من حساب الناس .

والحلف معناه ارتباط جماعة للدفاع عنهم لغرض معين .. وهذا الحلف الغرض منه تشتيت الجمهورية العربية المتحدة . والقضاء على الزعيم الثورى جمال عبد الناصر الذى حرر العالم .. وأطلق الحرية من عقالها ، أبقاه الله لتحرير الأمم وتجديد الهمم، واضافة كلمة الاسلام الى هذا الحلف اضافة كاذبة لغرض التضليل . وهو فى الواقع حلف ضائع لم يجد له مكانا . ولم يجد من يعطف عليه وهو فى الوقت نفســـه تجديد لحلف بغداد أو حلف ايزنهاور . وبعث للمؤامرات الاستعمارية وقد دبره الاستعمار والصهاينة وأرباب الرجعيـــة ومن لف لفهم من منافقى العرب الذين يحاولون أن يتقربوا للاستعمار والرجعية لحفظ مراكزهم . ويالتهم تحالفوا على الدفاع عن العرب وعن دولة الاسلام .. وانما تحالفـــوا لتثبيت الاســـتعمار وعودة الرجعية ، مع أن الاســـلام نهانا عن موالاة الأعداء والاطمئنان اليهم . يقول تعـــالى فى سورة الممتحنـــة آية رقم ١ (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق » ويقول تعالى : فى سورة آل عمران آيةرقم١١٧ « يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطـــانة من دونكم لايألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلـــون » وقال تعالى : « ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لايهدى القوم الظالمين » .

والحلف الاسلامى المزعوم ما هو الامسرحية قام الاستعمار والصهاينة بتأليفها واخراجها . وعهد الى الرجعيـــة العربيـــة بتمثيلها امام جماهير المســلمين لجذب الدول الاســلامية والعربية الى مناطق النفوذ . وربط المسلمين بمناطق الاستعمار وموالاة الأعداء . والاسلام قد حذرنا أشد تحذير من اتباع هؤلاء وهؤلاء حتى لايكون المســلم امعة وذيلا للامم ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا .

وقد تحالف رسول الله فى مبدأ الاسلام مع اليهود لتأليف قلوبهم ودعوتهم للاســلام . ولكنهم مكروا به وغدروا بعهده ونقضـــوا حلفه كيهود بنى قينقاع ويهود بنى قريظـــة ويهود بنى النضير . ولكن الرســـول تنبه لهم وأجلاهم عن المدينـــة وما حولها الى غير رجعة .

ولما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة • وجد بها طائفتين خبيثتين طائفة المنافقين وطائفة اليهود • وهاتان الطائفتان تتشابهان مكرا • وتتباريان لؤما• وتتنافسان فسادا فالمنافقون يقولون مالايفعلون ويظهرون غير مايبطنون • ويعلنون شعائر الاسلام من الشهادة والصلاة بأفواههم دون قلوبهم لأنهم يخفون الكفر ويبيتون الاثم يقول فيهم من يعلم سرهم ونجواهم (**اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون**) •

وأما اليهود الذين تجمعوا من آفاق البلاد واتخذوا المدينة موطنا • وأرض العروبة مسكنا • فكانوا أشر من المنافقين • وأشد بلاء على المسلمين لأنهم كانوا يدأبون على تدبير المؤامرات • ويمكرون فى المدينة • ويفسدون بين الناس • ويكيدون لرسول الله كيدا عانى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم بلاء مرا وايذاء ومكرا •• تزول منه الجبال وترعد له السماء • ولولا الوحى الذى كشف عن مؤامراتهم • وفضح حيلهم لقضى على الاسلام ولما قامت دولته •

تبدى لؤم اليهود ومكرهم فى أول عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة اذ دعوا رسول الله الى منازلهم لاجراء صلح بينهم وتحمسوا ظاهرا لتلك الدعوة المكذوبة • وبيتوا قتل رسول الله بالقاء حجر فوق رأسه • من أعلى السطح وقد هيأوا لرسول الله مجلسا تحت الجدار • وبينما الرسول سائرا اليهم اذ بالأمين جبريل يخبره بنيتهم السيئة فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة مغضبا • وأرسل اليهم ابن مسلمة لينادى فيهم • أيها اليهود اخرجوا من بلادى لاتجاورونني بعد اليوم واعلنهم بالجلاء فى مدى خمسة عشر يوما فقال لهم المنافقون لاتخرجوا ونحن معكم • فلما جاء الموعد خرج الرسول صلى الله عليه وسلم الى حصونهم فهدمها • والى بيوتهم فخربها والى زروعهم فحرقها • فخرجوا لايحملون شيئا سوى ثوب واحد يستر أجسادهم • ولم يستطع المنافقون أن ينصروهم وصدق الله اذ يقول :

«ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لاينصرون»

وقد سجل الله ذلك فى كتابه الكريم اذ قال تعالى ((هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار •• ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار »

وفى مبدأ السنة التاسعة من الهجرة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتال الروم فى تبوك • وعند خروجه قابله نفر من المنافقين • وقالوا يا رسول الله لقد بنينا مسجدا لأداء الصلاة فى ليلة البرد ليصلى فيه المريض والعاجز والضعيف الذى لايستطيع السير الى مسجدك ونريد أن تعرج عليه وتصلى فيه ليرضى عنه المسلمون• فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى على سفر وعند عودتى من الغزو سوف أعرج عليه • وعند العودة نزل عليه الأمين جبريل• وقال لاتعرج على ذلك المسجد ولا تصل فيه أبدا فانهم كاذبون فى أقوالهم • وانما اتخذوه لتدبير المؤامرات وللتفريق بين المسلمين • ولاثارة الحرب بينهم • وانها لخدعة مكشوفة وشعار مكذوب • فأرسل الرسول من هدمه وحرق خشبه • وأصبح كومة من التراب تبول عليها الحيوانات • وافتضح الأمر وظهرت الخدعة ونزل قول الله :

« والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون لاتقم فيه أبدا »

ما أشبه اليوم بالأمس . فالحلف الاسلامي المزعوم . الذي يروج له الآن . هو بعينه مسجد الضرار الذي اتخذ من قبل شعارا للصلاة في الظاهر ، وفي الباطن لتدبير المؤامرات . وصنع الفساد . وما أكثر تلك الشعارات المضللة التي تتخذ تحت اسم الدين أو الاصلاح أو التعليم . وهي في الواقع أوكار للشيطان واثارة للحروب .

وكم من شعارات أقامها الاستعمار في بلادنا ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب . فقد تبنى مدرسة للتعليم . ولكنها في الواقع مدرسة للفساد . وقد يقام ناد للثقافة ولكنه أقيم للاغتيال . وقد يشيد مستشفى لعلاج المرضى وقد شيد لحبك الانقلابات وتشتيت أمر الشعب . وكلمة الحلف الاسلامي لفظ معسول لأنه يحمل شعار الاسلام . ولكنه شعار باطل وخدعة مفضوحة . لم يكن لله . ولا للاسلام . وانما اتخذ للقضاء على تجميع العرب . وتشتيت أمر الجمهورية العربية المتحدة . زعيمة العرب والاسلام .

وتقويض اتفاق الوحدة العربية . وتمييع قضية فلسطين . واعاقة التقدم العربي ، والدليل على ذلك . أن الذي يروج لذلك الحلف هم اليهود ، والاستعمار ، وعملاء الاستعمار ، وأعداء الوحدة العربية ، ومن لا يعرفون بخدمة الاسلام . وتجميع المسلمين . وتوحيد الصفوف . فاحذروا التغرير بكم . ولا يخدعنكم شعار ذلك الحلف المضلل الكاذب .

بل ان الحلف الاسلامي المزعوم الذي يدعو اليه من لاعلاقة له بالاسلام . ومن لايعرف شيئا عن مبادئ الاسلام خدعة ظاهرة . وعنوان كاذب وطعنة في ظهر الاسلام فلا تصدقوا ذلك الهذيان . واتقوا الله وتمسكوا بالايمان . واعلموا أن الشعوب الاسلامية قد عرفت طريقها الى الحرية . وعرفت طريق العزة والكرامة . ولن تغلب أو تستعبد بعد اليوم .

ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز . والله الهادى الى الحق والى طريق مستقيم .

بقية مقال : خواطر مستشار « ص ٣٩ »

الاسلامي ومن أقوى العوامل على اطاعته وتنفيذ أحكامه في السر والعلن .

رابعا - ان الفقه الاسلامي بجميع أحكامه قد عاش قرونا متطاولة متتابعة الأمر الذي لم يظفر به ولا يقرب منه تشريع في العالم لا في القديم ولا في الحديث ، اذ من المعلوم أن فقه التشريعات الغربية في أوروبا وأمريكا وليدة قرن وبعض قرن من الزمان منذ أن فصلوا أمور الدين عن أمور الدنيا . أما التشريعات الروسية الشيوعية في القانون والاقتصاد فتقوم وحدها على المادة وتنكر الأديان وهي وليدة نصف قرن من الزمان اذ أن التجربة الروسية لتطبيق شيوعية ماركس الملحدة بدأت بعد سنة ١٩١٧ في حين أن التشريع الاسلامي له أربعة عشر قرنا ولقد طوف في الافاق شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، ونزل السهول والوديان والجبال والصحارى ، ولاقى مختلف العادات والتقاليد ، وتقلب في جميع البيئات وعاصر الرخاء والشدة والسيادة والاستعباد والحضارة والتخلف ، وواجه الأحداث في جميع هذه الأطوار فتكونت بذلك للشريعة ثروة فقهية ضخمة لا مثيل لها ، وفيها يجد كل بلد أيسر الحلول لمشاكله . وقد حكمت الشريعة الاسلامية في أزهى العصور فما قصرت عن الحاجة ولا قعدت عن الوفاء بأي مطلب ولا تخلفت بأهلها في أي حين . فحرام علينا أن نتسول ونحن الأغنياء وأن نتطفل على موائد المحدثين ونحن السادة الأكرمون ، قاتل الله الاستعمار التشريعي وصنائعه وما يفعلون .

والى المقال القادم لنتابع البحث حول الدستور الدائم والتشريعات الجديدة وما يجب علينا من اتخاذ الشريعة الاسلامية أساسا لهما والله ولي التوفيق .

الإسلام بين القومية والعالمية

فضيلة الشيخ
عطية صقر

فى نحو عشرين موضعا من القرآن الكريم جاءت الآيات صريحة واضحة فى الدلالة على عالمية الدعوة الاسلامية ، وانها لاتخص جيلا معينا ولا أقليما خاصا ولا بيئة محددة ، كقوله تعالى « قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا » وقوله « ومأرسلناك الا رحمة للعالمين » وقوله « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » • وكذلك ورد النص على عالميتها فى نحو ثلاثين حديثا نبويا كقوله صلى الله عليه وسلم « كان النبى يبعث الى قومه خاصة ، وبعثت الى الناس عامة » وقوله « فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا ، وأرسلت الى الخلق كافة ، وختم بى النبيون » •

وبالرغم من كثرة الأدلة على هذه الحقيقة والتى على ضوئها بلغ النبى رسالته الى العالم كله وأرسل الكتب للرؤساء والملوك يدعوهم اليها ، وجدت تيارات تصد هذه الدعوة ان تتخطى حدود الجزيرة أو تتجاوز العرب الى أقاليم أخرى أو شعوب غير عربية ، وليست هذه التيارات وليدة العصور الحديثة ولكن لها جذور قديمة ، وأول من بعثها هم اليهود فقد شذ منهم جماعة عرفوا بالعيسوية ،نسبة الى أبى عيسى اسحق بن يعقوب الأصفهانى ، الذى ابتدأ دعوته فى آخر زمن الأمويين ايام مروان بن محمد ، وتقوم دعوته على الاعتراف بنبوة عيسى ومحمد ، ولكن نبوة عيسى الى بنى اسرائيل على ما جاء فى الانجيل ،ونبوة محمد الى بنى اسماعيل والعرب • وقد حاول كثير ممن تشبعوا بهذه الدعوة أن يلتمسوا لها أدلة من القرآن أو من واقع حياة النبى صلى الله عليه وسلم وأسلوب دعوته ، ويردد هذه الفكرة حديثا « وليم موير » فى كتابه عن الخلافة فيقول : ان فكرة عالمية الرسالة قد جاءت فيما بعد ، وان هذه الفكرة على الرغم من كثرة الآيات والأحاديث التى تؤيدها لم يفكر فيها محمد نفسه ، وعلى فرض أنه فكر فيها فقد كانت الفكرة غامضة ، فان عالمه الذى كان يفكر فيه انما كان بلاد العرب ••• ويردد هذا الكلام أيضا « ساوندرز » فى دروسه التاريخية التى يلقيها فى جامعة « كنتربرى » بزيلاندة الجديدة • وسأحاول الآن أن أفند بعض الشبه التى استندوا اليها فى زعمهم والتمسوا لها مبررا من القرآن الكريم • مبتدئا بتركيزهم على قومية اللغة التى جاءت بها الدعوة •

يقولون : ورد فى القرآن قوله تعالى : « انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » وقوله « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين » وقوله « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » وهذه الآيات تدل على أن الرسالة هى للعرب فقط لأنهم هم الذين يستطيعون أن يفهموا القرآن ويقوموا بتكاليفه ، وليس من عدل الله ـ كما يقولون ـ أن يطالب أمة يوم القيامة باتباع رسول لم يأت اليهم ولا وقفوا على كتاب بلسانهم .

ونرد على هذه الشبهة فنقول :

جميع الآيات الواردة فى هذا الشأن خاصه بلغة القرآن تدل على مجرد وصف القرآن بانه عربى ، وليس فيها ما يدل على قصر توجيهه على العرب ، بل ذكرت أن الحكمة فى كونه عربيا تيسير فهمه على الناس وامكان تذكره وتدبره ، ومعنى هذا ان اللغة العربية لون ثقافى فقط لا شأن له فى العصبية والقومية ، لقد بلغ النبى الرسالة الى العرب بلغتهم ، وبلغها الى غيرهم باللغات الأخرى ، فكتب للعظماء والملوك كتبا حملها من يستطيع ترجمتها وتفهيم ما فيها الى المرسل اليهم بلغتهم او بوساطة المترجمين ، ولعل قائلا يقول : ان الكتب كانت مكتوبة باللغة العربية فلماذا لم تكتب بلغة الذين أرسلت اليهم ؟ ويجاب عن ذلك بانه لابد أن تكون هناك لغة رسمية محددة تبلغ بها الرسميات ، خصوصا فى المسائل والقضايا الكبرى الهامة ، حتى يرجع اليها عند الاختلاف فى النقل والترجمة ، وهذا أمر مشاهد فى العصور الحديثة حيث تكون الاتفاقات الدولية بلغة تختار من بين اللغات الممتازة فى دقتها وضبطها لتكون مرجعا عند الاختلاف فى فهم النصوص . واللغة العربية هى اللغة الرسمية للدولة الجديدة المنتدبة لتكون عالمية ، وهى ممتازة بمزايا لاتوجد فى غيرها من اللغات مهما بلغت من الدقة والضبط وقد شهد بذلك علماء اللغات ، وبخاصة منهم من تذوق أسرارها وأدرك حلاوتها ودقتها بمقارنتها باللغات الأخرى .

يقول « ارنست رينان » فى كتابه تاريخ اللغات السامية : من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية وتصل الى درجة الكمال وسط الصحارى عند أمة من الرحل ، تلك اللغة التى فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها ، وكانت هذه اللغة مجهولة عند الامم ، ومن يوم علمت ظهرت لنا فى حلل الكمال ، الى درجة انها لم تتغير أى تغيير يذكر ، حتى انها لم يعرف لها فى كل أطوار حياتها لاطفولة ولا شيخوخة ، لانكاد نعلم من شأنها الا فتوحاتها وانتصاراتها التى لاتبارى ، ولا نعلم شبيها لهذه اللغة التى ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج ، وبقيت حافظة لكيانها من كل شائبة ..

ومن هنا نعلم أن قومية اللغة لاتعنى قومية الدعوة والرسالة ، لأنها كما قلت لون ثقافى لايصح أبدا أن يقسم الناس على أساسه بما يفصم عروتهم أو يطغى على انسانيتهم الجامعة .

وقد رد ابن تيمية شبهة من قال : ليس من العدل تكليف قوم برسالة جاءت بلغة غير لغتهم لصعوبة فهمها عليهم ، فقال : ان شرط التكليف هو تمكن العباد من فهم ما أرسل به الرسول اليهم ، وذلك يحصل بأن يرسل بلسان يعرف به مراده ، ثم جميع الناس متمكنون من معرفة مراده بأن يعرفوا ذلك اللسان أو يعرفوا معنى الكتاب بترجمة من يترجم معناه ، وهذا مقدور للعباد ، ومن لم يمكنه فهم كلام الرسول الا بتعلم اللغة التى أرسل بها وجب عليه ذلك ، فان ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب . الى أن قال : وقد زوج هذه الشبهة اليهود والنصارى ، ولكن كيف يتملص اليهود والنصارى من العرب من الايمان بمحمد لنزول القرآن بالعربية وهم أنفسهم يعرفون العربية بحكم اقامتهم او اتصالهم البعيد المدى ، على انهم قبلوا ديانة موسى وعيسى مع أن الكتاب الذى نزل على موسى والذى نزل على عيسى لم يكن باللغة العربية ومع ذلك آمنوا بهما ، اما بتعلم التوراة والانجيل ، واما بنقلهما بطريق الترجمة . وقد ثبت أن هؤلاء اليهود والنصارى جادلوا

النبى فى أمور عرفوها من القرآن ،اذن وسيلة العلم بالرسالة كانت ميسرة لهم بأى نحو من الانحاء ، فلا حجة لهم فى التخلص من المسئولية ويقول ابن تيمية :

ليس من الظلم أن يكلفوا برسالة جاءت بغير لغتهم ، فمن المسلم به أنه لو جاءت رسالة من ملك الى ملك بغير لغتـــه لطلب من يترجم مقصود المرسل ، ولم يجز له أن يقول : لم لم تبعث الى من يخاطبنى بلغتى ؟ ولو أمر بعض الملوك رعاياه بلغة وهم قادرون على معرفة المأمور به بأية وسيلة لم يكن ذلك ظلمـــا ، فليس هناك ظلم من الله أن يرسل رســولا باحدى اللغات لتكون رسالته الى عامة الناس مهمـا اختلفت لغاتهم .

ويقول الزمخشرى فى معرض الحديث عن عموم الدعوة الاسلامية مع نزول القرآن باللغة العربية : لايخلو اما أن ينزل - أى القرآن - بجميع الألسنة أو بواحد منها ، فلا حاجة الى نزوله بجميع الألسنة ، لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفى التطويل ، فبقى أن ينزل بلسان واحد ، فكان أولى الألسنة لسان قوم الرسول لأنهم أقرب اليه ، فاذا فهموه عنه وتبينــوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم ببيــانه وتفهمه ، كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم فى كل أمة من أمم العجم .

تلك هى شـبهة المغرضين الذين يريدون للاسلام أن يكون دينا قوميا محليا لادينا عاما عالميا ، يربطون بينه وبين اللغة التى جاء بها، وقد علمت قيمة ما استندوا اليه ، وبالرغم من شـبهاتهم التى أثاروها من قرون طويله مضت ، كانت اللغة العربيـــة نفسها تنتشر بسرعة فى خط متواز تقريبا مع انتشار الدعوة، حتى رأينا أن أطراف المملكة الاسلامية نبت فيها علماء من الأعاجم والترك كانوا أساطين فى العلوم الاسلامية المختلفة وألفوا فيها باللغة العربية ، بل ان منهم من ألف فى بلاغة اللغة العربية وفى فقهها وفلسفتها وألفاظها ومعانيها، حتى كانوا هم أساتذة العرب أنفسهم أصحاب اللغة الأولى ، بل ان اللغة العربية كادت تكون لغة عالمية لايقتصر التحدث والتعليم بهـا على المسلمين ، بل تجاوزتهم الى اليهود والنصارى والملل الأخرى ، وقدروت كتب التاريخ والأدب أن كثيرا من أحبار اليهود ورهبان النصارى نبغوا فى اللغة العربية التى تلقوا دروسها من علماء الأندلس وألقوا بها شعرا ، والتأليف بالشعر أمارة التمكن من اللغة ، وقد انصرف الناس اليها عن اللاتينية التى كانت لغة العلم فى أوربا اذ ذاك ، ونذكر فى هذه القائمة أسماء « فردريك الثانى » ملك سبيليا وألمانيــا فى القرن الثالث عشر ، الذى أنشـــأ جامعة فى نابولى سنة ١٢٢٤ على نظام جامعة قرطبة وقد تعلم العربية ودرس علومهـا وآدابها وحذق الرياضة والطب والفلسفة والطبيعة على أيدى أساتذة العرب تلاميذ ابن رشـــد . وكذلك البابا الأكبر « سلفستر الثانى » كان عالما دينيا كبيرا ، وصل الى الأندلس فى أيام الخلافة الأموية وحصل من شـيوخها على أجازة فى التدريس والرياضة والفلك ، وكذلك « روجر الأول » ملك صقلية سنة ١١١٢ الذى تلقى التاريخ الطبيعى على يد العرب « والفــونس العاشر » ملك قشتالة الذى درس العربيـــة وأمر بنقل علوم العرب ونافسه فى ذلك ملوك أوربا ، وغير ذلك كثيرون .

وننتهى من هذه الكلمة الى أن قومية اللغة العربية لاتدل على قومية الدعوة الاسلامية ، وانما هى لسانها الرســمى الذى بلغت به الدعوة ، وكادت لسهولتها ودقتها واصالتها أن تكون لغة عالمية ، لولا أن أصابها ماأصاب الاسلام من ضمور سياسى بسبب العصبيات المتربصة له . والتى ظهرت باقوى أشكالها فى العصور الوسطى بالحروب الصليبية وفى العصور الحديثة بالاستعمار ، وسأبين فى المقال التالى العلاقة بين البيئة العربية وعالمية الدعوة الاسلامية فالى اللقاء .

من أعلام الإسلام

صلاح الدين الأيوبي

الأستاذ محمد عطية الإبراشي

نشأته : على ربوة مرتفعة تحيط بها المروج الخضراء، وتكتنفها الحدائق والبساتين نشأ صلاح الدين فى مدينة بعلبك ، ينعم بخيراتها ، ويمتع نظره بجمالها .

ولما شب ارسله والده الى المدرسة ،فتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، وكان والده يمرنه على استعمال أدوات الحرب ، وطرق القتال ، فأظهر مهارة فائقة ، وكان الى جانب ذلك دمث الخلق ، نبيل النفس ، رقيق القلب .. مرهف الحس .. وكان يرتاد مجالس العظماء ، ويستمع الى أحاديثهم عن أبطال المسلمين الذين يجاهدون فى سبيل الله ، ويعملون لنصرة دينه الحنيف ، وانقاذ بلادهم من أيدى الأعداء ، فكانت تتوق نفسه لأن يكون أحد أولئك الأبطال الذين يتحدث الناس عنهم فى اجلال واحترام .

انتقاله الى مصر : ولما انتقل عمه أسد الدين شيركوه القائد العظيم الى مصر ، انتقل معه صلاح الدين وهيأت له المقادير ما كانت تتوق اليه نفسه ، واظهر من ضروب الشجاعة والبسالة فى قتال الأعداء ما أدهش القواد ، ثم اخذ يتقرب من الشعب المصرى ، ويختلط بجميع طبقاته ، ويتفقد أحوال الأهلين ، ويبحث ويدقق فى كل ما يرى ويسمع ، فاعجب به المصريون وأحبوه .. وتمنوا ان يأتى ذلك اليوم الذى يتولى فيه أمرهم ، لينقذهم مما يرزحون تحت أعبائه من ظلم الحكام ، وجور الرؤساء ، واستبداد الجند ، وقد كان لهم ما تمنوا .. فبعد أن مات عمه اختاره الخليفة الفاطمى وزيرا له بدلا من عمه ، فجعل نصب عينيه القضاء على المظالم ، فرد الحقوق الى أهلها ، ومنع الرشوة وعاقب كل من يرتكبها أشد عقاب ، وضرب

على أيدى اللصوص ، وعنى بالرى ، ونظم جباية الخراج ، وتفقد أحوال الناس وفتح أبوابه لطلاب الحاجات ، وجلس بنفسه للنظر فى المظالم ، وأعد جيشا قويا هابه الأعداء ، فأحبه المصريون ، وأخلصوا له .

ولما مات الخليفة الفاطمى نصب نفسه حاكما ، ونزل قصر الخلافة بالقاهرة واقام فيه ، واتخذ لنفسه الحرس من جنده المخلصين ، وتقاطرت وفود البلاد عليه تهنئه وتدعو له بدوام الملك والسلطان ، وترجو أن يكون عصره عصر سعادة وهناءة للجميع . فأعلن لهم أنه لن يسير فى حكمه بغير العدل ، وأنه لن يحتجب عن طالب حاجة ، ولن يترك مظلوما حتى يأخذ له حقه من ظالمه ، ولن يدع عابثا يتمادى فى بغيه وعدوانه .

صلاح الدين البطل الشجاع :

أعد صلاح الدين جيشا عظيما كامل العدة كثير العدد ، وقاده بنفسه ، بعد أن بث روح الشجاعة والجرأة والاقدام فى نفوس جنده . سار الجيش فى حماسة وشجاعة وقطع صحراء سينا فى أيام القيظ من غير أن تهن قوته ، أو تفتر عزيمته ، أو يصيبه كلال ، حتى وصل الجمع الى دمشق ففتحوها بعد قتال لم يدم طويلا ، ثم تقدم الى البلاد الأخرى يفتحها ، وكلما اقترب من بلدة دب الذعر فى نفوس حاميتها، وولت الأدبار هاربة من وجه صلاح الدين وجيشه الباسل .. ثم توجه الى بيت المقدس وحاصره حصارا شديدا وأبدى من ضروب البسالة ، ما أدهش قواد الأعداء ولما رأوا أنه لا قبل لهم بدفعه ورده عن دخول بيت المقدس سلموا له المدينة .

وحينما اجتمع قواد الأعداء وملوكهم فى بلاد الشام بعثوا الى صلاح الدين ليعرضوا عليه مطالبهم ، فسار اليهم فى كتيبة من جنده الأشداء ثم دخل عليهم فحياهم وطلب اليهم أن يقولوا ما يريدون . فقالوا له :

« تعلم أننا جئناك بجيوش لا قبل لك بها ، وأن أوربة قد بعثت اليك بملوكها وأبطالها ، فخير لك ولقومك أن تخلى بيت المقدس فى الحال ، والا فلا تلومن الا نفسك » .

فقال صلاح الدين : انكم تعتزون بكثرتكم ولكننا نعتز بقوة ايماننا وصدق عزائمنا .. وانكم قوم تحبون الدنيا وتتعلقون بها ، أما نحن فقوم نحب الآخرة ونعمل لها ، ولن ينتصر من أحب الحياة ، ولن ينهزم من طلب الموت وأراده » .

فقام ريتشارد من مكانه وقال : يا صلاح الدين ، اننى ريتشارد ، اننى قلب الأسد : نحن نعتز بقوتنا قبل كل شيء .. ثم أتى بقضيب من الحديد يبلغ قطره ثلاثة سنتيمترات ووضع أحد طرفيه على نضد والطرف الآخر على نضد آخر ، ثم شهر سيفه وضرب به القضيب فشطره شطرين ، ثم عاد الى مجلسه شامخ الرأس يتيه كبرا وعجبا ، وصفق الملوك والأمراء اعجابا ببطولته النادرة

ولكن صلاح الدين نظر الى ريتشارد فى سخرية واستهزاء وقال : « ليست أمور الحرب راجعة الى صلابة السيوف وقوة الضرب ، وانما مرجعها الى مضاء السيف واجادة الطعن .. ثم أخرج منديلا من الحرير الرقيق وقذف به الى أعلى ثم استل سيفه من غمده ، وتلقف به المنديل فى أثناء هبوطه وشطره شطرين ، فبهت الحاضرون ، وساد المكان صمت عميق وشب لهيب الحرب بينهما أمدا طويلا ، ثم انتهت بانتصار صلاح الدين انتصارا حاسما .

عدله وصفحه :

لما دخل صلاح الدين بيت المقدس ظافرا منتصرا ، لم يسفك دما ولم يقتل انسانا ولم يأسر أحدا ، ولم تنهب جيوشه بيتا ، فقد أمن الجميع على أموالهم وأمتعتهم ، وساوى بين الكل فى الحقوق والواجبات ، فدهش أعداؤه لعدله وصفحه .

وسأله واحد منهم مرة فقال : « أيها الملك لقد كتب لك الظفر على أعدائك ، فلم لم تنتقم منهم وانت تعلم أنهم أتوا من الفظائع ما ترتعد له الفرائص رعبا وفزعا ؟

فقال له صلاح الدين : يا هذا يمنعنى من ذلك دينى وضميرى .

فقال له ذلك الرجل : « وهل دينكم يمنعكم من الانتقام من قوم بدءوكم بالعدوان وساموا قومكم الخسف والعذاب ؟ »

فأجابه - « نعم ان ديننا يمنعنا من أن نجارى خصومنا فى عنادهم ، ويأمرنا أن نكون أوفياء بعهودنا وأن نصفح عمن أساء وتتجاوز عمن أثم عند المقدرة » .

فقال الرجل - « لنعم الدين دينكم . وانى أحمد الله على أن هدانى الى ما فيه خيرى فى اخريات أيامى » .. ثم سأل : وماذا يفعل من يريد الدخول فى دينكم ؟ » فقال صلاح الدين : « يؤمن بوحدانية الله وصدق رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - ويفعل ما أمر به ويتجنب ما نهى عنه . فأسلم الرجل ، وحسن اسلامه واقتدى به كثير من قومه .

ولما قسمت غنائم الحرب بين الجند والأمراء تنازل صلاح الدين عن نصيبه للفقراء ، وأعتق من كانوا من نصيبه من الأسرى ، وكان من بينهم فتاة فرنسية ، فتقدمت نحو صلاح الدين وقالت له : لقد قتلت أبى أيها المجرم السفاك ، وأسرت اخوتى ، واستوليت على ماكنا نملك، فلم يعد لى عائل ، ولم يبق لى ما أقتات منه ، وهأنتذا تمن على بالعتق كيما يزداد بلائى .

ولكن تلك الشتائم المرة لم تثر صلاح الدين ، بل تجاوز عنها ، وهش فى وجهها ، وقال لها : ما اسم أخويك ؟ فذكرت اسميهما فبعث بمن أحضرهما ، وخلى سبيلهما ، ورد لهما مالهما ، وأقبل نحو الفتاة وقال : « أما زلت عند رأيك فى أننى مجرم سفاك ؟ » فقالت الفتاة : « عفوا يا مولاى ، فانما هى ثورة الحزن على أبى المقتول ، وفقد العائل ، وضياع المال ، وخوفى مما تأتى به الأيام .. وما كنت أسمعه فى بلادى خطأ عن ظلم المسلمين وجورهم ، كل هذا جعلنى أنطق بما لا أعى واننى مع هذا لست يائسة من صفحك وكرم عفوك » ثم رجعت الى بلادها وأشادت بفضل صلاح الدين :

والفضل ما شهدت به الأعداء

مرضه ووفاته :

مرض صلاح الدين ، ولما اشتدت عليه وطأة المرض ، ورأى أنه هالك لا محالة تنازل عن جميع ما يملك لأعمال الخير ، وبناء المساجد والمدارس .

ثم فاضت روحه الى جوار ربها ، فحزن العالم الاسلامى لموته حزنا شديدا واجتمعت الآلاف المؤلفة ليودعوا بطلهم العظيم الوداع الأخير .

وها هى ذى الأعوام تمضى طوالا على موت صلاح الدين الأيوبى ، وما زال اسمه يذكر بكل اعجاب وفخار ، وما زال القواد والملوك فى مشارق الأرض ومغاربها يدرسون تاريخ حياته ، ليقفوا على مواطن بطولته كيما يسيروا على نهجها ويهتدوا بهديها .

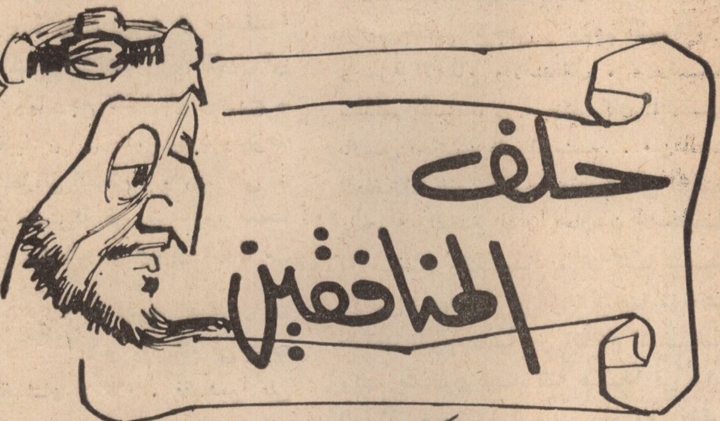

الدكتور على حسنى الخربوطلى

ما اشبه الليلة بالبارحة .. وما اشبه منافقى الامس بمنافقى اليوم .. والتاريخ يعيد نفسه دائما مهما اختلف الزمان والمكان .. ودعاة الحلف الاسلامى اليوم يذكروننى بجماعة المنافقين التى شهد عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.. وشاه ايران البهلوى الصهيونى يذكرنى برأس جماعة المنافقين عبد الله بن أبى سلول حليف اليهود .. فقد تظاهر المنافقون بالامس بالاسلام واتخذوه ستارا يسترون وراءه نواياهم السيئة . ولكن الله عز وجل كشف سترهم وابان غدرهم وخيانتهم . وفطن المسلمون الى مكرهم والتوائهم . فوقفوا منهم موقفا حازما حاسما وفوتوا عليهم تآمرهم على الاسلام والجماعة الاسلامية .. وقد كشف الله تعالى اليوم النقاب عن دعاة الحلف الاسلامى . وادرك العالم الاسلامى كله ان هذا الحلف ما هو الا ستار يخفون وراءه حرصهم على الاحتفاظ بسلطتهم الاستبدادية وحماية حكمهم الرجعى .. وتفتيت الوحدة العربية .. وتفريق صفوف العرب .. ونحن اذا استعرضنا تاريخ جماعة المنافقين فى فجر الاسلام . لوجدنا انه من العسير علينا ان نفرق بين المنافقين بالامس . والمنافقين اليوم .. فالاهداف واحدة .. والاغراض متشابهة . وسيكون المصير واحدا ان شاء الله .

***

قدمت قبيلتا الاوس والخزرج من اليمن ، وأقامتا فى يثرب . ومارستا نشاطا اقتصاديا واسعا . مما اثار حقد وغيرة اليهود . الذين كانوا يحتكرون موارد يثرب

الاقتصادية . واشتبكت القبيلتان العربيتان في حروب طويلة مع اليهود . وكان لهما النصر . ثم عمل اليهود على تفريق هذا التحالف العربى . فبدأ العداء بين القبيلتين واشتبكتا فى حروب عنيفة . كان النصر فيها لقبيلة الخزرج . واراد اليهود ان يضعفوا هذه القبيلة المنتصرة فانضموا الى الاوس فى حرب جديدة مما رجح كفتها على الخزرج . ثم فطنت القبيلتان الى خداع اليهود ومكرهم فرأتا ان تجنحا الى السلام . واتفقتا على ان تقيما حكومة مشتركة فى يثرب ويرأسها زعيم الخزرج عبد الله بن ابى بن سلول .

ورأى المستنيرون من أبناء القبيلتين أن خير وسيلة لتحقيق الأمن والسلام فى يثرب ان تعتنق القبيلتان الاسلام . فقدموا على الرسول واعلنوا اسلامهم ودعوه للقدوم الى بلدتهم . وهاجر الرسول والمسلمون الى يثرب التى اصبحت تعرف منذ ذلك الحين بالمدينة المنورة . وكان عبد الله بن أبى ينظم التاج الذى سيتوج به ملكا على يثرب . ولذا آلمه ان يعتنق مواطنوه الاسلام . فقد ضاعت اماله فى الملك والنفوذ . ولكنه اضطر ازاء الاقبال الكبير الذى لاقاه لاسلام بعد هجرة الرسول . ان يعتنق الاسلام . او فى الحقيقة ان يتظاهر باعتناقه . وشاركه فى ذلك بطانته وحاشيته .

وبدأ عبد الله بن ابى يكيد للرسول والمسلمين وكبار شخصيات المسلمين . فكان يحضر اجتماعاتهم . وكان الرسول فى أول الأمر يستمع الى أحاديثه . ويصدق ما يبديه من رغبة فى التقرب منه . ولكن الرسول سرعان ما اكتشف حقده وغيرته ومكره . وادرك ان صداقته زائفة . ولذا سماه (المنافق) . وظل عبد الله وجماعته من المنافقين يمثلون (الطابور الخامس) ودعاة الهزيمة والرجعية فى المدينة المنورة .

ودعاة الحلف الاسلامى اليوم . يتظاهرون بالاسلام . وينادون بحلف اسلامى مزعوم يتخذونه اداة سياسية يستفيدون منها فى تدعيم حكمهم الرجعى ونفوذهم الاسبدادى . وحماية الاقطاع والاستغلال . ولارضاء سادتهم المستعمرين . وكما كان المنافقون بالأمس يحقدون على المؤمنين . فان دعاة الحلف الاسلامى اليوم يحقدون على المؤمنين بالحرية والتقدم الذين يحاربون الاستعمار والاستغلال والاستبداد . ان كنا شهدنا بالأمس (عبد الله بن أبى) واحدا . فاننا نشاهد اليوم عصبة من الحكام المسلمين وكلهم يشبهون عبد الله هذا فى نواياه السيئة وغدره وخيانته .. وهو وهم يخفون اغراضهم ويستترون وراء الاسلام .. ولكن الاسلام اكبر .

***

وتجلى نفاق عبد الله بن ابى وجماعته فى كثير من المناسبات فقد حاول الرسول صلى الله عليه وسلم ان يجذب اليهود الى الاسلام ولكنهم أبدوا عداءهم المستمر للرسول والمسلمين . وتكرر غدرهم وخيانتهم . مما جعل المسلمين يقاتلونهم . وحاصر الرسول قبيلة بنى قينقاع اليهودية خمسة عشر يوما حتى نزلوا على حكم الرسول . وقرر الرسول – بعد مشاورة كبار المسلمين – قتلهم جميعا . جزاء لغدرهم . ولم يعارض هذا القرار احد من المسلمين سوى عبد الله ابن ابى بن سلول . حليف اليهود . فقال للرسول : احسن فى موالى . فابطأ الرسول عليه فى الاجابة ، فكرر عبد الله الطلب .

فاعرض الرسول عنه . فادخل عبد الله يده في جيب درع الرسول مما اثار غضبه وقال: ارسلني ويحك ! فقال عبد الله : لا والله لا ارسلك حتى تحسن في موالي ! وغضب احد المسلمين المخلصين فاشتجر مع عبد الله وشجه . وابدى اليهود عطفهم على حليفهم فقالوا : والله لا نقيم ببلد تشج فيه بابن أبي ولا نستطيع عنك دفاعا !.

والتاريخ يعيد نفسه حقا .. فان الشاه البهلوي الصهيوني اليوم يدافع عن اليهود . وعن اسرائيل .. ويفتح لليهود ابواب ايران على مصاريعها ليحتكروا مواردها الاقتصادية وهو يبدى عطفه الدائم على الصهيونية . ويفخر بصداقته لاسرائيل .. مثلما كان عبد الله بن ابى يدافع بالامس عن اليهود ..

وكما أشاد بنو قينقاع بالأمس بعطف ابن أبي عليهم . فان اذاعة اسرائيل اليوم تشيد بعميلها الشاه البهلوي وتبدى عطفها عليه . وتشجعه على المضي في سياسة عقد الحلف الاسلامي الذي يدعو اليه هو وجماعة المنافقين.. وتعده اسرائيل بالمؤازرة والنصرة .. حتى تهدم القومية العربية التى تهدد كيانها .

***

خرج المسلمون يوم (احد) لقتال الوثنيين . وعند جبل احد شاهد الرسول كتيبة من الجند لا يعرف أهلها . فسأل عنها فقيل : هؤلاء حلفاء ابن ابى من يهود . فقال صلى الله عليه وسلم : لا يستنصر بأهل الشرك على اهل الشرك ما لم يسلموا . فانصرف اليهود عائدين الى المدينة.وتقدمت بطانة ابن أبى اليه توغر صدره على الرسول والمسلمين . حتى انسحب مع جنده من الميدان . وعادوا الى المدينة . وثبت الرسول والمسلمين وقاتلوا الوثنيين .

واليوم .. يتصادق الشاه البهلوى مع اليهود . ويتخذ منهم عدته وانصاره .. ولكن المسلمين اليوم لن يمدوا ايديهم الى الشاه حليف اليهود .. مثلما رفض رسولنا الكريم بالامس ان يستعين باليهود في قتال الوثنيين رغم انه كان في حاجة الى الجند ، فقد كان المسلمون يوم أحد سبعمائة . بينما كان القرشيون اكثر من ثلاثة آلاف .. كما ان العرب والمسلمين اليوم فى غير حاجة الى مؤازرة اهل الشرك دعاة الحلف الاسلامي فى مناهضة اهل الشرك الآخرين الصهيونيين .

***

استعد الرسول والمسلمون لقتال قبيلة بنى النضير اليهودية التى اعلنت عداءها للاسلام ، وبعث عبد الله بن ابى رسولين الى هؤلاء اليهود يعدهم بالمساعدة ويطلبا منهم الا يغادروا ديارهم . ولكن يهود بنى النضير رفضوا عرض ابن ابى . فقد كانوا لا يثقون فيه . ويدركون نفاقه وخداعه . وقد سبق له ان تخلى عن يهود بنى قينقاع بعد ان بذل لهم الوعود البراقة .

ونحن نقول للشاه البهلوى : ان اليهود يؤيدونك اليوم لانهم يحتكرون موارد بلادك . ويسيطرون على وسائل الاعلام فيها . ويتخذونك سلاحا يشهرونه فى وجه العرب والمسلمين . ليهدموا الوحدة العربية والتضامن الاسلامى .. ولكن اليهود فى قرارة نفوسهم يدركون نفاقك وخداعك . كما فطن يهود بنى النضير بالامس الى نفاق سلفك عبد الله بن أبى ! .

وفى غزوة بنى المصطلق . خرج عبد الله ابن ابى والمنافقون للاشتراك فى المعركة ابتغاء الغنائم . واراد ابن أبى ان يوقع بين المهاجرون فى ديارنا . والله ما عدنا واياهم الكريم فى تحقيق الاخاء بينهم فأصبحوا قلبا واحدا . فقال ابن ابى للانصار : لقد كاثرنا المهاجرين فى ديارنا . والله ما عدنا واياهم الا كما قال الاول (سمن كلبك يأكلك) اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل !.

وهذا هو الشاه البهلوى الصهيونى .. وقد آلمه اتحاد العرب . واجتماع كلمتهم . ووحدة صفوفهم .. فرأى ان يهدم وحدتهم ويشتت شملهم .. فهو يحاول ان يجذب اليه بعض زعماء العرب لينضموا اليه فى حلفه الاسلامى المزعوم.. حتى يهدم الجامعة العربية .. ويخدم حليفته اسرائيل .. ولكن كما بسط المولى - عز وجل - حمايته على وحدة المهاجرين والانصار بالامس . ورد كيد عبد الله بن ابى . سيحمى الله تعالى اليوم وحدة العرب وسيرد كيد ذلك الشاه الصهيونى وعصابته !.

***

دعا الرسول المسلمين للتجهز لقتال الروم . واقبل الجميع يلبون النداء . عدا جماعة المنافقين التى لم تكتف بالتخلف عن قتال الاعداء . بل ارادت أن تثنى المسلمين عن لقاء عدوهم . وزعموا ان الحرارة شديدة لا تسمح بالقتال . فنزل قوله تعالى : **(وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون. فليضحكوا قليلا ولبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون) .** وخاب فأل المنافقين . فقد التف جميع المسلمين حول الرسول . ونجح فى تكوين جيش كثيف بلغ عدده اكثر من ثلاثين الفا من المؤمنين . ووصل الجيش الى تبوك . فانسحب الروم الى داخل بلاد الشام .

واليوم .. يستعد العرب للقاء عدوتهم اللدودة اسرائيل.. وهم يعملون على توحيد صفوفهم وتكوين جيش كبير للقضاء على تلك الدويلة التى اغتصبت اراضى فلسطين العربية واخرجت اهلها عنها .. ولكن الشاه البلهوى الصهيونى يريد حماية حليفته اسرائيل. فهو يكيد للعرب ليحول دون تكوين مثل هذا الجيش .. وان كان ارتفاع درجة الحرارة هو الوسيلة التى لجأ اليها المنافقون بالامس. فان الحلف الاسلامى المزعوم هو وسيلة الشاه وعصابته من دعاة حلف النفاق **(فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون) .**

لم يعمر عبد الله بن ابى بن سلول بعد موقعة تبوك طويلا .. فقد مرض بعد شهرين من الموقعة ثم مات . وضرب الرسول مثلا للتسامح والعفو والكرم . فقد صلى عليه وقام على قبره حتى دفنه . وبموته مات النفاق وانفضت جماعة المنافقين. واعلنت بطانته ندمها وتوبتها وطلبت العفو من الرسول

أيها الشاه .. هذه هى نهاية النفاق والمنافقين .. وهذه هى خاتمة سلفك عبدالله ابن أبى بن سلول.. فهل لك ان تتعظ وتثوب الى رشدك .. وأن تعلم أن للاسلام ربا يحميه من كيد المنافقين .. وان تدرك ان (حلف النفاق) الذى تدعو اليه لن يحمى تاجك او عرشك .. وكما سقط تاج عبد الله ابن أبى سيسقط تاجك .. وكما تحطم عرش اسلافك الاكاسرة سيتحطم عرشك .. انك اليوم تضحك قليلا .. وغدا ستبكى كثيرا جزاء لك على ماتدبر وتخطط .. وان غدا لناظره لقريب .

ظهرت فى أفق الشرق العربى دعوات منحرفة هدامة ، تتسلل من معاقل الاستعمار، وأوكار المخابرات الغربية التى ما فتئت تحارب الاسلام والمسلمين ، وتحيك الدسائس والمؤامرات، وتتخير من بين العرب والمسلمين أنفسهم ، حكاما ومحكومين ، شيوخا مخرفين وشبابا منحرفين •

نفرا من ضعاف الايمان والنفوس ، تمنيهم بالوعود الكاذبة وتغريهم بالمال الوفير ، وتفتنهم بالدينار والدولار ، وتمدهم بالسلاح وتزودهم بجعبة حافلة بالاشاعات المضللة والأكاذيب ، وتنتحل لهم اسماء جديدة بدلا من الأسماء القديمة التى هتك سرها ،وانكشف سترها ، فظهرت للشعوب العربية اليقظة الواعية نواياها الشريرة وأهدافها الأثيمة •• وتتسلل هذه الدعوات الهدامة فى جنح الظلام متسربلة ثيابا براقة جديدة تخفى وراءها ملامحها القبيحة القديمة • وقد سبق ان مثلت معاقل الاستعمار الرأسمالية ومكاتب المخابرات الغربية هذه المسرحيات الهازلة على مسرح القومية العربية ، مرات ومرات وكان مصيرها الفشل فى كل مرة ، فيعاد تمثيلها تحت اسم جديد ، ولكن ما يكاد ينزل الستار حتى يدرك الشعب العربى اليقظ الواعى ما تهدف اليه هذه المسرحيات الهازلة من دعوات منحرفة هدامة تهدف الى تشتيت شمل العروبة وتفرق كلمتها ، والقضاء على استقلال البلاد المتحررة الذى انتزعته عنوة واقتدارا من براثن الاستعمار البغيض ، بعد جهاد طويل وكفاح مرير ، وأعادتها ثانية الى مناطق السيادة والنفوذ •

وتهدف كذلك لبذر بذور الشك فى ديننا الحنيف الذى نؤمن به ، وقيمنا الأخلاقية التى نعتز بها ، وتقاليدنا العتيدة التى عصمتنا حتى اليوم من الانحراف والالحاد • وتهدف أخيرا للقضاء على لغتنا الفصحى التى هى ترجمان ديننا وأدبنا وتراثنا الخالد •

ومن أخطر هذه الدعوات شأنا ، وأشدها ضراوة الدعوة لما يسمى بالحلف الاسلامى او المؤتمر الاسلامى ، والدعوة للانحلال الخلقى والارتداد الدينى تحت اسم الفلسفة الوجودية الالحادية •

وقد لاتكون هذه الدعوات كلها من صنع الاستعمار وتدبيره ، وقد لاتكون أركانا لخطة واحدة مرسومة ، وقد لا تكون متصلة اتصالا مباشرا فى وسائلها وأهدافها ، ولكنها على كل حال ، منها ما هو من صنع الاستعمار وتدبيره ومنها ما يخدم أهداف المخطط الاستعمارى الصهيونى المرسوم •

أما الحلف الاسلامى ، فقد كشف الرئيس جمال عبد الناصر القناع عن وجه الاستعمار القبيح ، واستنكرته الشعوب العربية المتحررة الواعية والدول الاسلامية الرشيدة ، فكان الأزهر الشريف الذى كان ولا يزال وسيظل أبدا معقل الدين وحصن اللغة ومنبر الوطنيه وقلعة الحرية الحاكم عليه بتهمة الكفر والارتداد عن الدين والقاضى عليه بالاعدام ، وهو العقاب العادل لجريمة المرتدين • وقد كثر الحديث عن فساد هذه الدعوة ، وتعددت الأدلة على بطلانها بما لم يترك فى مجال القول زيادة لمستزيد • ولكننا مع هذا نسوق هذه الحقائق الدامغة ، تذكرة للعرب والمسلمين •

١ ـ كان حلف بغداد يسيطر على بعض البلاد العربية والاسلامية عندما كانت خاضعة للاستعمار وداخلة فى دائرة نفوذه • ولما حطمت ثورة العراق قيود التبعية وقضت على حكم الرجعية انسحبت من الحلف ، فذهب الى غير رجعة • وكان هذا صدمة قاسية للرئيس أيزنهاور ، وتمخض عقل وزير خارجيته ـ دالاس ـ عن مشروع جديد ، واختار أيزنهاور ملك السعودية السابق ـ سعود ـ ليكون داعية لحلف جديد وضعوا له اسما اسلاميا بدل اسم بغداد العربى •• ولم تنشط الدعوة ولم تقم ، فكان الحلف المركزى الجديد •

٢ ـ واستطاع جمال عبد الناصر ، بطل الحرية ومحطم العدوان الثلاثى ورائد القومية العربية ونصير الشعوب المكافحة وباعث الاشتراكية العربية أن ينشر النور الجديد فى كل ، وسرت كلماته فى جميع الشعوب المتحررة والمناضلة فتقبلتها القلوب واتخذتها شعارا للمبدأ ودليلا للعمل ، وجمع عبد الناصر ملوك ورؤساء الدول العربية فى مؤتمرات القمة • فرأوا بأعينهم ولمسوا بأنفسهم مبلغ نجاح الاشتراكية الاسلامية فى بناء المجتمع الجديد ، مجتمع الكفاية والعدل • وهال الملوك والرؤساء الحاكمين المطلقين الاستبداديين الذين يستأثرون وحدهم ، هم وأسراتهم ، بكل خيرات بلادهم ، ويحرمون شعوبهم من هذا النجاح المنقطع النظير •• للانفاق على متعهم وملاذهم ويبيعون دينهم بدنياهم وهم بعد مسلمون ، ورأوا فيه الخطر كل الخطر على عروشهم المتداعية من شعوبهم التى بدأت تنفض عنها غبار العبودية وتحطم قيود الاستبداد وتتطلع الى فجر الحرية ، ورغم انهم اضطروا فى مؤتمرات القمة ـ تحت ضغط الرأى العام ـ فى بلادهم وفى العالم العربى والاسلامى ، للموافقة الاجماعية على مناهضة الاستعمار وتحرير فلسطين وجنوب اليمن المحتل ، فانهم عادوا الى بلادهم وفى نفوسهم حقد ، وفى قلوبهم ضغينة ، وفى نيتهم النكث والغدر •

واستغل الاستعمار هذه الفرصة الذهبية لتحطيم الجبهة العربية فوضع مخططين •• أولهما ينفذه بورقيبة ، رئيس تونس الذى أعلن خروجه على الاجماع ، وحنث بالعهد الذى قطعه على نفسه دون أى خجل أو تأنيب للضمير ، وقاطع اجتماعات مؤتمر القمة والجامعة العربية ونادى بالصلح مع اسرائيل صنيعة الاستعمار وعدوة العرب والمسلمين ، كل هذا لقاء بعض مساعدات أمريكية ضئيلة كضآلة مكانته ، تافهة كتفاهة عقله ، وهى لا تبلغ عشر معشار ما تغدقه أمريكا على اسرائيل ، اما مباشرة واما عن طريق ألمانيا الغربية •

أما المخطط الثانى فهو الدعوة للحلف أو المؤتمر الاسلامى ، وهى المسرحية الهازلة ، التى يقوم بتمثيل أدوارها الرئيسية : شاه ايران والحبيب بورقيبة ، وداعيتها الملك فيصل •

٣ ـ ونتساءل أولا ـ هل الاسلام فى محنة وهل هؤلاء هم أبطال الاسلام الذين سينقذونه من هذه المحنة • وان كانت هناك محنة أليس الأولى أن يتداركها الأزهر الشريف أولا •• ورجال الدين فى العالم الاسلامى ، ولا يضيرنى أن أقول ـ والجمهورية العربية ـ حامية الاسلام والعروبة • وها هى منظماتها الدينية وبعوثها وكتبها ونشراتها ومؤتمراتها ، تنشر الدعوة فى كل مكان ، وتبصر الناس بأمور دينهم ودنياهم •

وما هو شاه ايران وما نصيبه هو من الاسلام حتى يتصدى للدعـوة له ، وليس له من الاسلام الا مجرد اسمه • وهل يكون من يعترف باسرائيل ويتحالف معها ويعقد معها الاتفاقات ويتلقى منها ومن أسيادها فى الغرب المساعدات ، مسلما حقا او منتحلا صفة الاسلام • وما هو أبو رقيبة الذى أفتى بجواز الفطر فى رمضان واختزل عطلة العيد

وألغى الأرقام العربية والسنة الهجرية وفوق هذا غير اسم ابنته ووزير خارجيتـه من - جان الفرنسى - الى الحبيب بن الحبيب • أما الملك فيصـل فعلته الحـرية التى يخشى منها على ملكه ونعيمه الذى يرتع فيـه وسلطانه الذى لا حد له •

ان الاسلام بخير ، ما دام هنـاك قرآن وأزهر ، وجمهورية عربية متحدة تحميـه وترعاه ••

أما الدعوة الهدامة الثانية فهى الوجـودية الالحادية ، وليس الفلسفية ، التى انتشرت كالوباء من ألمانيا الى فرنسـا ، فأوروبا وأمريكا ، وسرت الى الشرق العربى فأصابت عدواها بعض الشبان المراهقين غير الناضجين الذين لا ترقى عقولهم ولا يصل ادراكهم الى فهم فلسفتها ، ولكنهم قرأوها قراءة سطحية بقدر ما تسمح به ثقافتهم ودراساتهـم الفلسفية واكتفوا بالقشـور بعد أن حرفوا معانيها واتخذوها دستورا لسلوكهم فانزلقوا الى هاوية الانحراف الخلقى والدينى وانزلاق شباب أية أمة الى هـاوية الانحراف الخلقى والالحاد الدينى يؤذن بالتخلف والانهيار •

والمجال لا يتسع لعرض آراء كبار فلاسفة أمثال كيركجورد - هيدجر - سارتر • فهم جميعا يدعون لمذهب فلسفى واحد ، ولكنهـم يختلفون كل الاختلاف فى تحديد مفاهيم هذا المذهب ، وتفسير مصطلحاته الجديدة التى وضعوها ، وأغرب من هذا أنهم ينكرون أنهم وجوديون • وأساتذة الفلسفة المعروفون فى جامعات أوروبا يحارون أنفسهم فى فهـم مصطلحاتهم ، وجـود الذات ، وفى الذات وللذات ولأجل الذات والوجود والكينونه فما بالنا بالشباب المراهق غير الناضج ،السطحى الدراسة حتى وان كان يدرس الفلسفة بالذات•

وعذرا ان أتعبت القارىء الكريم فى محاولة فهم يعطى للمبادىء التى ترتكز عليها الوجودية والتى يدعى اقطابها انها تعالج النقص فى كل الفلسفات القديمة ، من سقراط الى هيجل وكانت ، وتكشف أخطاءها ، النى لم تهدمها هدما ، وهكذا بمحاولة الوصول الى المفهوم الحقيقى للوجود تهدم وتنتهى الى العدم •

يقول كيركجورد : ان اعتبار الانسان كجزء من كل « أى فى الجماعة الانسانية والكون » يلاشه ويلغى وجوده • واستطيع أن أقول : اننى اللحظة التى نعيشها ذاتى ، وأرفض أن أكون حلقة فى سلسلة نظام •

ويقول فلاسفة الوجودية - الدين فى أعلى مراحله يلغى العقل ويلاشيه، ويؤكد النجسين من خلال فكرة مولد الكائن الأبدى «الانسان» فى مكان ما وفى لحظة ما من الزمن والتاريخ : ان القلق النفسى هو أساس ادراك الوجـود ، وتجربة القلق تطلعنا على ذواتنا ، فقد ألقى بنا فى هذا العالم ، فى عزلة وبلا مأوى وبلا امل فى اتصال • ونحن لا نعرف لماذا ألقى بنا الى هذا العالم • اننا نوجد ولا ندرى سـببا لوجودنا ومن ثم فنحن وجود بلا ماهيـة •• ومع ذلك فنحن فى هذا العالم المحـدود نأتى بحركات متعالية الى العالم والمستقبل والى الناس الآخرين ، لكنها لا تتعـالى الى اله ، لأن الاله غير موجود ، ويقصد - هيـدجر - بكلمة التعالى محاولة الوصول الى الغـاية

التى تسير اليها ، وبذلك نرتفع ، واذن لا يمكن أن يكون كائن مثل الله كائنا متعاليا ، وانما الانسان وحده هو الذى يستطيع أن يتعالى • والحقيقة هى مجرد ترك الأشياء تسير سيرها ، فالحقيقة تنبع من الحرية .. وفى هذه الحقيقة لا نجد مكانا لوجود الله .. أما والوجود متناه ، ومصيرنا الى المـوت والعدم ، فلا مبرر لوجود الأمل أو الثقة فى حياة أخرى • والأخلاق لا تعـدو أن تكون شكلية صرفة وتحتمل العديد من التفسيرات وهى لذلك لا يمكن أن تكون أخلاقا أبدا ..

ويقول هيدجر : ان الانسان يوجد فى عـالم يملؤه القلق ويحده الموت ، وهو يدرك نفسه كمخلوق يحيا أصـلا فى القلق ، وأنه يعش قسرا تحت وطأة وحدته ، داخل أفق زمانه ، ويقول سارتر: ان الانسان بمعارضته الوجود فى ذاته يكون موجودا لذاته ، وبذلك لايعرف الراحة أبدا ، ويحاول عبثا أن يحقق وحـدة الوجود فى ذاته والوجود لذاته ، والوجوديون على وجه العموم يؤكدون الوجود ، ولكنـه وجود يتحـرر من كل تراثه الانسـانى وجوانبه الاجتماعية والتاريخية ، فالدعوة الى الوجود عندهم دعوة الى الهروب من الواقع ، واحلال الوجود المصنوع المفتعل محل الوجود الحى القائم • وكأن الانسان يقول عن نفسه، على لسان الوجوديين : أنا قد ألقى بى الى هذا العالم ، وأنا فيه على ما أنا عليه ولست أعرف لماذا وكيف • والرأى الوحيـد الذى أعرفه حق المعرفة هو أنى سـاموت يوما من الأيام • مستقبلى محدود متناه ، وأنا أعرف ذلك • هذا هو موقفى من العالم • اعرف انى وجودى غير ثابت وقصير الأجل ، وانى سوف أفقده ، وهذا هو الشئ الوحيـد الذى أملكه ثم أفقده • ولا يزال الفلاسفة الوجـوديون وتلاميذهم يجادلون ويناقشون • أما الشباب فقد خرج من كل هذا التيـه بفكرة هدامة مدمرة • وهى أنه ما دامت الحقيقـة هى الحرية ، فالانسان حر فى جميع تصرفاته دون أى اعتبار لأى قيم أخلاقية أو اجتمـاعية أو دينية ، وما دام القلق ملازم للوجود والحياة محتومة بالموت والعدم ، فلا سـبيل للتخلص من هـذا القلق الا الاغـراق فى الملذات والشهوات • وما دام لا يضمن وجوده الا فى اللحظة الاتية التى يعيش فيها ، فليشرب كأس المتعة حتى الثمالة ، ولينتهب اللذة الى أقصى حدود المتعة ، وما دام ليس هناك اله ، فليس هناك حياة أخرى ، ومن ثم لا حساب ولاعقاب، وكان لرجل الأدب والفن المنحرفيـن من غير الفلاسفة أثر كبير فى نشر هذه الدعوة الهدامة وأشعلت مجلات الاثارة الفرنسية ، ومجلات فوج ، ومدموازيل الامريكية ، وبعض المجلات المماثلة العربية، وعروض الخنافس الانجليزية وأفلام : القس بريسنلى ، وروايات فرنسواز ساجان فى العـرب ، وكوليبت الخورى فى الشرق النار فى قلوب المراهقين والمراهقـات فى أوروبا وأمريكا ، فاقبلوا عـلى الخمور والمخدرات والانحراف والشذوذ الجنسى .. وأصبحوا مشكلة جنسيـة اخلاقية واجتماعية تهدد المجتمع الغربى بالانحلال والتـدهور ، الى جانب الالحاد الدينى الذى يكاد يقضى على البقية الباقية من العقيدة والأخلاق الفاضـلة والاداب العامة والتقاليد المرعية ، ونحمد الله على أن الشباب العربى الواعى المناضل الثائر المؤمن بربه ووطنه وعروبته ونفسه ، المتطلع للعزة والمحبة ما يزال بخير •

والله نسأل أن يجنب الشعوب العربيـة الواعيـة خطر الوقوع فى حبائل الحلف الاستعمارى المسمى بالاسلامى ، ويجنب شباب العرب الناهض خطر التردى فى وهدة الوجودية الالحادية •

والله الموفق على كل حال •

الحقوق والحريات العامة للمواطنين العرب بالسعودية

الدكتور محمود حلمى

يقسم فقها القانون العام الحكومات الى حكومات مطلقه تتركز فيها السلطة فى يد شخص واحد أو هيئة واحدة ، وحكومات مقيدة تتوزع فيها السلطة بين عدة هيئات أو أفراد .

وكذلك يقسمون الحكومات الى حكومات قانونية يخضع فيها الحاكم للقانون الموضوع مقدما ، وحكومات استبدادية لا يخضع فيها الحاكم للقانون ولا يحد من سلطانه شئ . فيستخدم الحاكم سلطانه حسبما يتراءى له ووفق هواه .

وهذه التقسيمات متداخلة ، بمعنى أن من الجائز أن تكون الحكومة مطلقة تتركز فيها السلطة فى يد واحدة ، ومع ذلك فتكون قانونيه يخضع فيها الحاكم للقوانين التى يصدرها .

وأيا كان وصف الحكومة - استبدادية أو قانونية ، مطلقة أو مقيدة ، دكتاتورية أو ديمقراطية - فان الرأى متفق على أن للمواطنين فى الدولة حقوقا تجب حمايتها وحريات تلتزم الدولة بصيانتها .

فقد اختلفت النظريات الفقهية فى أساس نشأة الدولة وسلطانها وسيادتها ، ومع ذلك فتتفق هذه النظريات على ضرورة حمايه حقوق المواطنين وحرياتهم ، فى حدود سيادة الدولة

فنظرية القانون الطبيعى تقوم على أساس وجود قانون وضعى أبدى سرمدى سابق على وجود أى تنظيم ، وأن أى قانون وضعى يجب أن يوضع على أسس هذا القانون الطبيعى . وتستند حقوق الأفراد وحرياتهم الى هذا القانون ، ويتعين على الدولة احترامه وسن القوانين الوضعية متمشية مع أحكامه .

وتقوم نظرية التحديد الذاتى لسيادة الدولة على أن الدولة هى التى تضع قوانينها بمحض ارادتها ، وليس عليها سلطان ، لأن مصلحتها تقتضى أن تكون قوانينها معتبرة ومحترمة . وتحديد الدولة لسيادتها - طبقا لهذه النظرية - وأن كان يتم بمحض ارادتها ، الا أنه أمر حتمى ، اذ بدونه يسيطر الاستبداد وينهار النظام . كذلك الحال بالنسبة لاحترام حقوق الأفراد وحرياتهم ، فانه أمر حتمى ، وبدونه تسود الفوضى ويعم الطغيان .. لذلك تضع الدولة القوانين التى تكفل حقوق الأفراد وحرياتهم .

أما نظرية الحقوق الفردية فتقوم على أساس حماية الحقوق والحريات الفردية مباشرة • ويقول أصحاب هذه النظرية أن الأفراد كانوا أحرارا متمتعين بكافة الحقوق والحريات قبل نشأة السلطة العامة ، ولكنهم أرادوا – حتى يضمنوا التمتع بهذه الحقوق والحريات ، وأن يحققوا الاستقرار فى حياتهم – أن يعيشوا فى مجتمع منظم خاضع لسلطة عامة فالسلطة العامة لم تنشأ ولم تعط ما أعطيت من امتيازات الا بقصد حماية هذه الحقوق والحريات الطبيعية الأصيلة التى نشأت قبل نشأة الدولة •

وحتى بالنسبة للنظريات التيوقراطية التى ترجع نشأة الدولة وسلطانها وسيادتها الى أساس دينى ، فانها ترى أن الدين يلزم الملوك والسلطات العامة باحترام حقوق الأفراد وحرياتهم •

ومعروف أن الاسلام لا يعترف بفكرة الحق الالهى التى كان ملوك أوروبا يستندون اليها ويزعمونها ، وانما يستمد الرؤساء فى الحكومات الاسلامية سلطانهم من رضاء الشعب عنهم ، ويلزمون بالحكم طبقا لأحكام الاسلام وفى حدود القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقد قيل لابى بكر ذات مرة – يا خليفة الله ، فقال : « لست خليفة لله ، وانما أنا خليفة رسول الله » •

وقد أقر الاسلام الحقوق والحريات العامة، والزم الرؤساء باحترامها وصيانتها من قبل أن تقرها الثورة الفرنسيه التى قامت من أجل الدفاع عن هذه الحقوق والحريات بنحو ألف سنة •

واذا كانت الثورة الفرنسية قد أصدرت غداة نجاحها سنة ١٧٨٩ وثيقه اعلان الحقوق والحريات ، التى أطلق عليها اعلان حقوق الانسان والمواطن – **فان الاسلام قد تضمنت أحكامه فى مجموعها ضرورة حماية هذه الحقوق والحريات وصيانتها • ولم يجعل هذه الحقوق والحريات وقفا على المسلمين أو على مواطنى الدولة الاسلامية وانما فرضها لجميع الناس وحرم اعتداء الحكام عليها وحرم اعتداء الأفراد عليها • بل ان الاسلام قد حرم أن يعتدى الشخص نفسه على حقوقه نحو نفسه ، فحرم الاعتداء على النفس ، وحرم** على الناس **أن يلقوا بأيديهم الى التهلكة •**

وتعتبر حرمة المساكن نتيجة مباشرة للحرية الشخصية ، وضرورة لازمة لضمان هدوء الشخص وعدم اقلاق راحته • وقد نص عليها القرآن الكريم صراحة وبوضوح وتفصيل فى الآيات ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ من سورة النور •

يقول تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون • فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم • وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم • والله بما تعملون عليم • ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم ، والله يعلم ما تبدون وما تكتمون » •

ويأمر الاسلام بحرية العقيدة والعبادة ، ويسمح باقامة كافة الشعائر الدينية واعتناق أى من المذاهب ، فى حدود النظام العام ، فلا يرغم الاسلام أحدا على ترك دينه أو على اعتناق دين لا يعتقد فيه •

وفى هذا يقول سبحانه وتعالى : **« لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى » •**

واذا كان هذا هو شأن الاسلام بالنسبة لعقائده الدينية،فانه بالنسبة للافكار الفلسفية والنظريات الانسانية والاجتماعية أكثر سماحة • وقد أعطى الاسلام كل فرد الحق فى ابداء رأيه ، وجعل من أظهر صفات المؤمنين أنهم يجهرون بالحق ، ولا تأخذهم فى الله لومة لائم بل ان اعلان الحق والجهر به والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، انما هى فرائض فى دين الله وواجب على المسلمين •

وبشر القرآن الكريم المقصرين فيهـا بسوء المصير فى الدنيا والآخرة ٠

يقول سبحانه وتعالى فى سورة آل عمران (١٠٤) : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » ٠ وفى آيه اخرى من سوره آل عمران (١١٠) يقول سبحانه وتعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعـروف وتنهون عن المنكر وتؤمنـون بالله ، ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم » ٠ وفى آيه اخرى من نفس السورة (١١٤) يصف سبحـانه وتعالى الصالحين بقوله : « يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكـر ويسـارعون فى الخيرات ، وأولئـك من الصالحين » ٠

وقد أمر الاسلام بحماية هذه الحقوق فى مواجهة الحكام ومنع هؤلاء من الاعتداء عليها٠ وكانت حرية الرأى مكفوله فى صدر الاسلام الى أقصى الحدود ٠ ومما يذكر فى هذا الصدد أن قال رجل لعمر بن الخطاب « اتق الله يا عمر » ، فقال آخر « أمثل أمير المؤمنين يقال مثل هذا الكلام ! » فأجاب عمر « لاخير فيكم ان لم تقولوها ولا خير فى ان لم أسمعها »

وهكذا يلزم الاسلام الحكام باحترام حقوق المواطنين وصيانة حرياتهم ٠ واذا كانت دول العالم الغربى الحديثة لم تعترف بهذا المبدأ على اطلاقه ، وأجيز للدول أن تحدد بنفسها قواعد حماية مواطنيها وحدود حرياتهم ، فان مبادىء القانون الدولى لا تسمح لأى دولة أن تعتدى على الحقوق العامة والحريات للاجانب المقيمين على أرضها ٠

فاذا كانت المملكة العربية السعودية ترى أن من حقها على مواطنيهـا أن تسـتعبدهم وتستبد بهم ، وأن تعتدى على حقوقهم وعـلى حرياتهم ، وأن تخرج بذلك على كافة قواعـد العدل والحرية ، وأن تخرج عـلى ما أمر به الاسلام وما سار عليه الخلفاء الاوائل ٠ واذا لم يكن للمنظمات الدوليـة - حتى الآن - أن تتدخل فى شأن من شئون البلاد الداخليـة فان الرأى المسـتقر هو أن حـق الدولة فى الاستبداد والاعتداء لا يمتد الى غير المواطنين من الأجانب المقيمين فى البلاد ٠

واذا كان قد ترك للممـلكة العـربية السعودية أن تسترق المواطنين ، وأن تعتدى على حرياتهم ، لا تراعى حرمة الدين أو مبادىء العدل ، فليس من حقها ازاء الأجانب أن تقبض عليهم بغير حق أو أن تسجنهم بغير تحقق أو محاكمة - لأن للاجانب قدرا أدنى من الحقوق لا يمتد اليها سلطان الدولة أو سيادتها ٠

وقد اعتدت المملكة العربية السعودية فى الفترة الأخيرة على حريات الكثير من المصريين المقيمين هناك ، والذين تركوا اوطانهم - وهى محتاجة اليهم - بقصد خدمة اخوانهم العرب وخدمة العروبة والاسلام ٠ اعتدت المملـكة العربية السعودية على حـريات المصريين وحقوقهم واعتقلتهم وعذبتهم بغير ذنب سوى أنهم من مواطنى دولة عربية تؤمن بالقوميـة والحرية وتحارب الرجعية ٠

ومن الواجب لذلك ان ينبرى المحـامون العرب من جميع البلاد المؤمنين بالحرية للدفاع عن المواطنين العرب الذين اعتقلتهم السلطات السعودية بغير تحقيق أو محاكمة وعذبتهم ٠ ومن واجب المحامين العرب أن يبرزوا مـدى ما قامت به هذه السلطات من خروج على أحكام الاسلام وعلى قواعد اعلانات الحقوق وعـلى الحريات الطبيعية الأصيلة التى أقرتها الأمم المتحدة ٠

واذا منعت السلطات السعودية المحـامين العرب من أداء واجبهم أمام محاكمها ، أو لم يجد هؤلاء المحامون من تلك المحاكم استجابة لتحقيق العدل - ومن المنتظر أن تمنعهـم السلطات السعودية ، ومن المحتمل أن يكون ذلك هو اتجاه محاكمها - فمن واجب المحامين العرب أن يلجئوا الى المنظمات الدولية ليدافعوا أمام هذه المحاكم عن القدر الأدنى من الحقوق التى أقرتها الامم المتحدة للاجـانب فى بلاد غير بلادهم ٠

أبو بكر بن الأنبارى

فضيلة الشيخ محمد سيد جاد الحق

وفى قرية من قرى الأنبار على ضفاف الفرات ، من الجانب الغربى من بغداد ولد أبو بكر بن الانبارى شيخ اللغة وامام الادب وحجة العرب الذى كانت تضرب اكباد الأبل الى مجلس علمه لاقتطاف ثمره ، حيث كان من أفراد الدهر – فى سعة الحفظ وجودة الرأى وفصاحة اللسان وقوة البيان ، حتى كان مضرب المثل فى سرعة الخاطر • وحضور البديهة وقوة الذاكرة ، يملى علمه من حفظه فى ناحية من مسجد بغداد وأبوه فى ناحية أخرى ،وكان يحفظ مائة وعشرين تفسيرا للقرآن بأسانيدها ويحفظ ثلاثة الاف من شواهد القرآن ، وكان أبوه من رواة الأخبار، وأهل الآثار فأخذ العلم عنه وعن ثعلب فكملت لديه أدوات المعرفة ، ولما ذاع صيته فى الآفاق وملأ الأسماع ذكره دعاه الراضى بالله تعالى لتأديب أولاده فكان خير مؤدب وأفضل حكيم وضرب بسهم وافر فى علوم السنة النبوية فوقف على احوال الرواة ، وأنسابهم وجرحهم وتعديلهم حتى كان امام اهل الحديث فى عصره رواية ودراية وفيه يقول أحمد بن يوسف الأصبهانى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يارسول الله عمن آخذ علم القرآن فقال عن أبى بكر بن الانبارى •

انصرافه للعلم بجملته • كان ابن الانبارى يأخذ الرطب ويشمه ويقول أما انك طيب ولكن أطيب منك ما وهب الله عز وجل لى من العلم ويقول دخلت البيمارستان بباب المحول فسمعت صوت رجل فى بعض البيوت يقرأ قوله تعالى ((أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده » فقال أنا لا أقف الا على قوله تعالى « كيف يبدىء الله الخلق » فاقف على ما وقف عليه القوم وابتدىء بقوله « ثم يعيده » ليكون خبرا وأما قراءة على بن أبى طالب ((واذكر بعد أمة » فهو وجه حسن والأمة هنا النسيان •

ابن الأنبارى والشهود ، حضر مع جماعة من الدول ليشهدوا على اقرار رجل فقال أحدهم للمشهود عليه الا نشهد عليك فقال نعم ، فشهد عليه الجماعة وامتنع ابن الأنبارى وقال ان الرجل منع ان يشهد عليه بقوله نعم لأن تقدير جوابه لا تشهدوا على ، لأن حكم نعم ان يرفع الاستفهام ولهذا قال ابن عباس فى قوله تعالى (الست بربكم قالوا بلى)) ولو انهم قالوا نعم لكفروا لأن حكم نعم أن يرفع الاستفهام فلو قالوا نعم لكان التقدير نعم لست ربنا وهذا كفر وانما دل على ايمانهم قولهم بلى ، لأن معناها يدل على رفع النفس ، فكأنهم

قالوا أنت ربنا ، لأن أنت بمنزلة التاء التى فى ألست ، وسئل أبو بكر بن الانبارى عن الاستثناء فى الايمان فقال نحن نستثنى فنقول نحن مؤمنون ان شاء الله فراجعه السائل فى ذلك وعلل عليه الجواب ، فأجابه أبو بكر وتراجعا فى الكلام فقال له ابن الأنبارى هذا مذهب امامنا أحمد بن حنبل •

ثناء العلماء عليه ، قال محمد بن جعفر التميمى أما أبو بكر بن الأنبارى فما راينا أحفظ منه ولا أغزر من علمه وكان احفظ الناس للغة والشعر والتفسير وقال ابو العباس يونس كان أبو بكر آية من آيات الله تعالى فى الحفظ والمعرفة •

شيوخه فى القراءة ، أخذ عن أبيه القاسم بن محمد واسماعيل بن اسحق القاضى والحسن بن الحباب واحمد بن سهل الأشنانى وسليمان بن يحيى الضبى ومحمد بن يحيى المروزى •

وعبيد الله بن عبد الرحمن الواقدى ، وادريس بن عبد الكريم ، ومحمد بن هارون التمار وغبرهم ، وحكى جعفر بن معاذ أنه كان عنده فى الجامع فسأله اسان عن معنى آية فقال فيها عشرة أوجه فقال هات ما حضر منها فقال كلها حاضره ، وقال ابو على التنوخى كان ابن الأنبارى يملى من حفظه ما أملى قط من دفتر •

ابن الانبارى والجارية : لقد مضى ابن الانبارى يوما الى النخاسين أى سوق العبيد فرأى جارية تعرض للبيع وكانت حسنة كاملة الأوصاف فوقعت فى قلبه قال ثم مضيت الى دار أمير المؤمنين الراضى فقال لى اين كنت الى الساعة فعرفته فامر بعض رجاله فذهب واشترى الجارية وحملها الى منزلى وأنا لا اعلم فجئت فوجدتها فعلمت الأمر كيف جرى فقلت لها اعتزلى فى مكان حتى استبرئك وكنت أبحث عن مسالة علمية استعصت على ، فاشتغل قلبى عن علمى فقلت للخادم خذها واذهب بها الى النخاسين فليس قدرها أن يشتغل بها قلبى عن علمى فأخذها الغلام فقالت دعنى اكلمه بحرفين فقالت انت رجل لك محل وعقل فاذا اخرجتنى ولم تبين لى ذنبى ، لم آمن أن يظن الناس فى ظنا قبيحا فعرفنى ذنبى قبل أن تخرجنى ، فقلت لها مالك عندى عيب ، انك شغلتنى عن علمى فقالت هذا سهل عندى ، قال فبلغ الراضى أمره فقال لاينبغى أن يكون العلم فى قلب احد أحلى منه فى قلب هذا الرجل •

تآليفه وأثرها فى الناس : ومن عيونها كتاب الوقف والابتداء وهو أول ما ألف وأحسن ما كتب قال الدانى سمعت بعض اصحابنا يقول عن شيخ له ان ابن الأنبارى لما صنف كتابه فى الوقف والابتداء جىء به الى ابن مجاهد فنظر فيه ، وقال لقد كان فى نفسى ان أعمل فى هذا المعنى كتابا وما ترك هذا الشاب لمصنف ما يصنف وقيل لابن الأنبارى لقد بالغ الناس فى محفوظاتك فكم تحفظ فقال أحفظ ثلاثة عشر صندوقا ، ويقول الخطيب كان ابن الانبارى صدوقا دينا من اهل السنة صنف فى القراءات والغريب والمشكل والوقف والابتداء •

جواهر كلامه ومن كلامه الذى يملك زمام النفوس قوله «اللهم انك خلقت الخلائق بعلمك واخترت منهم صفوتك ، فجعلتهم أمناء على وحيك وخزنة على أمرك ونطقاء وسفراء بينك وبين خلقك ودعاة الى الاسلام الذى اتخذته دينا لأظهار حقك وايضاح سبيلك دينا رضيته لنفسك وامرت به ملائكتك وانزلت فيه وحيك ودعوت اليه جميع خلقك ، فأكرمت به من دخل فيه وعصمت به من لجأ أليه لا تقبل دينا غيره ولا ترضى عملا الامن أهله فمضت رسلك فى الأمم مبلغين رسالاتك ، طائعين لأمرك ، حتى انتهت نبوتك ، وأفضت كرامتك ورحمتك الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فانتخبته واختصصته وائتمنته على وحيك ، وارسلته يارب فى أشرف زمان

« البقية ص ١٢٥ »

دعوة الميثاق الوطنى من دعوة الإسلام

الاستاذ حسنى عبد المجيد

« هذا المجتمع الذى ولدنا فيه لم يمكن لنفسه بأى حال من الأحوال من شريعة العدل ولا من شريعة الله ... والشرائع السماوية كلها نادت بالعدالة الاجتماعية وان يأخذ كل ذى حق حقه . من يعمل اذن - يجب ان يأخذ حقه ولهذا قامت الثورة لتغير المفاهيم الاستغلالية التى بنى عليها مجتمع الاقطاع ورأس المال . مجتمع الاستغلال .. »

من كلمة الرئيس عبد الناصر فى جامعة الاسكندرية يوم ١٩٦٦/٧/٢٨

لقد لخص الرئيس مشكلة مجتمعنا كله.. بل ومحنة هذا المجتمع .. فى تلك السطور القليلة فنحن فى مجتمعنا قد ورثنا عالما اسلاميا شاحبا . وكنا ندور فى حلقات مروعة من التساؤلات كيف السبيل ؟ وحاولت أجيال عديدة مستنيرة أن تقصى أسباب الضعف التى استشرت فى عالمنا الاسلامى فلم تختلف هذه الاجيال على الداء واصله . ومنبعه ...ولكنها عجزت تماما - بعد ان شخصت الداء - عن تركيب الدواء المناسب واكتفت باستيراد مبادىء من الخارج علها تخفف أو تزيل هذا المرض الوبيل الذى كان اساسا للعبودية فى مجتمعنا الاسلامى . ولم يكن هذا المرض سوى الاستغلال .. ولم يكن الدواء سوى التغيير الاجتماعى لصالح قوى الشعب العاملة ..

من هذا المنطلق نبدأ . ومن وحى كلمات الرئيس فى أسبوع اعياد الثورة . نحاول قدر الطاقة ان نضع أمام القارىء جانبا من القيم والقواعد الاخلاقية التى يصر عليها الرئيس القائد كأساس لبناء هذا المجتمع . واين تقف هذه الأسس من تعاليم الاسلام السمحة الحازمة .

ولعله يجدر بنا أن نوضح أن بناء مجتمعنا الاسلامى وأعادة تقويمه بمقاييس العصر الحالى لاتعنى العودة الى الصورة التى كان عليها المجتمع الاسلامى الأول . من حيث قد تغيرت الظروف التى نعيش فيها ولكن من المحتم والمسلم به ان نهتدى فى تكوين مجتمعنا الاسلامى المعاصر . بالعناصر والمقومات التى حققت للمجتمع المسلم فى صدر الاسلام . كل آفاق العدالة الاجتماعية بكل صورها .خاصة وان النظم الاسلامية تحمل فى ثناياها فكرة التطور لتناسب كل زمان ومكان . فأسس الاسلام ثابتة وقواعده راسخة أبد الدهر.. ولكن شروحه وتفريعاته عندما يحسن استغلالها ستمد هذا المجتمع بكل ما يحتاجه من مقومات الحياة الكريمة ..

ان محنة مجتمعنا انما حددها الرئيس القائد فى (تغيير المفاهيم الاستغلالية التى خلقها مجتمع الاقطاع ورأس المال) وهذا التغيير لابد أن يصاحبه اعادة تشكيل لمراكز القوى الاجتماعية على أسس جديدة تسود

فيها المساواة • وتكافؤ الفرص •• لتمكين الانسان المسلم من حقه فى حياة حرة كريمة•
وان جوهر الدين الاسلامى انما جاء مؤكدا حق الانسان فى الحياة والحرية وليس يرضى الدين الاسلامى بطبيعته تورث عقاب الفقر والجهل والمرض لغالبية الناس • وتحتكر ثواب الخير لقلة منهم •• والأسلام حينما يعالج كل هذه المشاكل انما هو قادر على ذلك بما يحمل من كل أسباب الخلود • والاسلام دين • ودنيا نظم صلة المواطن بالمواطن • والفرد بالمجتمع والفرد بخالقه • والاسلام كونه يقف كالشجرة الثابتة المورقة باذن ربها •• مدى ١٤ قرنا فانما لأنه استجاب لحاجات الناس فى كل زمان ومكان فى حدود مبادئه السمحة ••• ولعل ابلغ ما نثبته هنا قوله تعالى (**ان الدين عند الله الاسلام ••**) ويسبق القرآن الكريم كل الدعوات الاسلامية التى تدعو الى صيانة وحدة المجتمع • ولن تكون هذه الصيانة الا من خلال التضامن والتكافل • واذا قامت الوحدة الوطنية داخل المجتمع • استقرت فيها وبها قيم جديدة • ولكن لن تقوم الوحدة الوطنية الا على أسس ومعاملات جديدة جوهرها التواصى بالحق والتواصى بالصبر • فاذا ضمن المجتمع متضامنا حقوق افراده فى كافة الميادين• الزراعية •الصناعية التجارية ••• الخ واذا ضمن المجتمع متضامنا الحقوق الاجتماعية التى أوردها الميثاق وهى حقوق الرعاية الصحية • والعلم • والعمل • وبالتأمينات أصبح هذا المجتمع نفسه محصنا من هزات المؤامرات وألاعيب محترفى السياسة وتجار الاقطاع والاستغلال • وليس أشد اثارة للنفس من حق مسلوب • والمجتمع وكأنه لا يعنيه أمر افراده • وفى هذا يقول الرئيس القائد (اذا أرادت الثورة ان تنجح لن تستطيع بالكلام • ولا بالدعوة والفكر • ولا بالتوعية كل هذه الجهود آثارها بسيطة وانما أساس الثورة ان يشعر الفلاح والعامل بان الأجهزة •• جميع الأجهزة • انما وجدت لخدمة ورعاية مصالحه والسهر عليه •) ومن هنا تتولد روح المشاركة • ويشعر المواطن أن بقاءه له هدف وان الوسيلة اليه هو ان تتكافل القرية فالمدينة • فالمجتمع كله • وصولا الى الحق الى العدالة الاجتماعية ••

والظلم هو أكثر ما يثير الانسان وأكثر اثارة منه أن يحس ان المجتمع لايعنيه هذا الظلم ولا يحاول دفعه عنه • وحرص القرآن الكريم على الدعوة الحازمة الواضحة الى العدل وطالب به المسلم رئيسا أو مرءوسا • راعيا أو مرعيا •• (**واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ••**) ويقول تعالى (**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وانتم تعلمون •**)
والواقع أن وقاية المجتمع الاسلامى مما قد يصيبه من جراء تقاعس مواطنيه من المشاركة الجماعية فى كافة أوجه نشاط المجتمع •• يعتبر أقصى ما تتعرض له المجتمعات حيث لا يجد الفرد له مكانا على الارض • ولا محلا فى عمل • ولا عضوية فى البناء والتعمير وتكون النتيجة زعزعة كيان المجتمع عند اول مؤامرة استعمارية رجعية •••واذا كان القرآن الكريم قد دعا المواطنين الى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فانما ليغرس فى النفوس روح المشاركة الوجدانية فى المعاملات وما ينبغى ان تكون عليه للقضاء على الجمود الاجتماعى (**ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ••**) واكد القرآن اهتمامه بهذه الدعوة وحرص عليها فى اكثر من سورة (**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ••**) حتى يبرز لنا دور الوحدة الوطنية واهمية قيامها على المعروف والخير والتراحم •• لان انعدام المشاركة بين أفراد المجتمع الواحد •• انما هو سلبية ممقوتة لايرضى عنها الدين والمجتمع وخاصة أن السلبية تعكس آثارا ضارة بالمجتمع كله •.

والثورة الاجتماعية التى ينادى بها السيد الرئيس • انما هى ثورة لصالح الملايين وليست لصالح آلاف • أى انها حركة شعب بأسره يستجمع كل قواه ليقوم باقتحام عنيد لكل ما يعترض طريق حياته الاقتصادية والسياسية والاجتماعيه •• هذا الاقتحام يتطلب فى المقدمة • قاعدة شعبية • صاحبة المصلحة وصاحبة الحق المهضوم • واذا كانت رأس البلايا فى مجتمعنا • ظلما وعدوانا واستغلالا هو الاقطاع • فانما ينبغى أن يكون التغيير الاجتماعى بكل ثقله وامكانياته وجهوده موجها لهذا الداء الوبيل • واذا كان الاحتكار فى المدينة هو رأس الاستغلال الثانى فانه لابد من القضاء عليه من جذوره • والواقع ان كل هذه المحاولات للقضاء على الاستغلال انما تعنى عودة الثروات التى كانت تحت نير الاستغلال • الى القاعدة الشعبية صاحبة المصلحة فى الثروة • وبالتالى وضع الثروات فى خدمة المجتمع •• (ان الثورة قامت من أجل خدمة المجتمع ولم يكن العمل على التخلص من الاستعمار الا لخدمة المجتمع • ومحاربة الانجليز الا لخدمة المجتمع والتصميم على الاستقلال الكامل الا لخدمة المجتمع ••) فكان خدمة المجتمع هى الهدف الذى وصفه الرئيس القائد •• المجتمع الذى تسود فيه روح العدالة الاجتماعية بين المواطنين بعد ان خفت او خبتت اصوات الاستغلال والاقطاع •••

ويقول الميثاق (ان ملايين الفلاحين حتى من الملاك الصغار طحنتهم الاقطاعيات الكبيرة لسادة الأرض المتحكمين • وعاش هؤلاء الفلاحون فى ظروف أقرب ما تكون الى السخرة تحت مستوى من الاجور يهبط كثيرا ليقرب من حد الجوع ••• كما ان عملهم كان يجرى من غير أى ضمان للمستقبل ولم يكن فى طاقاتهم الا ان يعيشوا سنين حياتهم خلال بؤس الساعات وقسوتها الرهيبة)

اذن ••• من هذه الصورة التى صورها لنا الميثاق • نلمس عن ايمان • • ان يقف نصف مجتمعنا ان لم يكن اكثر •• من القوى المستغلة التى تتصادم مصالحها مع مصلحة مجموع الشعب • ومن الطبيعى ان الدين الاسلامى برىء من هذه الوصمات التى ابتلى بها مجتمعنا المسلم لظروف استعمارية رجعية اطاحت بمقدراته وكادت تقضى على مقومات وجوده الوطنى ••

فلا بد اذن من ازالة هذه العقبات • وكان من الممكن ازالتها قسرا وبالقوة والجبر • ولكن الرئيس القائد يقول (**كانت ثورتنا وستظل دائما ثورة بيضاء اعتمدت على الاقناع والتوعية**) وبالتالى بدأت الحلول السلمية تتفتح أمام هذه المتناقضات وأصبحت وسائل العمل الديمقراطى • هى الطريق الأمثل لحرية المواطن •• فى أشق واعقد الظروف الاجتماعية المحيطة بالتصميم على تغيير شكل المجتمع •• الذى يحتاج ويتطلب بناء جديدا ثابت الأساس صلبا • يواجه كل المحاولات والمؤامرات فى الداخل أو الخارج • وهكذا أصبح المجتمع هدفا •• واصبحت رفاهية المواطنين هدفا • ولن تستقر هذه الاهداف • مالم تمنح جميع العناصر الوطنية وأولها العامل والفلاح أبعاد ومهام دورها الحقيقى فى توجيه نضالها الوطنى وحتى تصبح فى موضع القيادة الفعلية ••• ونحن اذا تركنا الاستغلال والاقطاع وتحكمهما فى البشر ومصائره • وتساءلنا • من زاوية الدين الاسلامى البحت — عن مبدأ حق الفقير فى مال الغنى — والى أى مدى ، وهل هذا الحق • منحة أو حق لابد للغنى أن يستوفيه ويدفعه •• واذا تكهن الغنى • وتراجع • أو تباطأ او تبلد •• فهل يستلزم هذا تدخلا حازما مسلما من الحاكم •• •• وأمامنا قول أبى بكر الصديق « **والله لو منعونى عقال بعير كانوا يعطونها لرسول الله لحاربتهم عليها** » •

وامامنا ايضا طبيعة الانسان الشح (يقول تعالى : « **قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى اذن لأمسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا** » .

واذا كان مجتمعنا اليوم وبعد قرون طويلة من العذاب والاضطهاد والتخلف الى الحد الذى أجمع فيه علماء المسلمين أن الاسلام قد انفصل عن المسلمين .. واذا كان مجتمعنا اليوم يمر بظروف وازمات دولية وعربية مفتعلة . غير خافية على أحد ... فهل يجوز أن تترك الدولة الحبل على الغارب لطبقة مستغلة نست دينها وتناست انسانيتها وغفلت الذكر العظيم .

(ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب . ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب . وأقام الصلاة وآتى الزكاة ..)

ومن الواضح أن الآية الكريمة ذكرت اعطاء المال لذوى القربى واليتامى ثم عادت فذكرت دفع الزكاة .. ومن هنا يتضح أن الزكاة شىء واغاثة الملهوف شىء آخر ... ويقول تعالى : **(ويسألونك ماذا ينفقون . قل العفو ..)** أى ما فضل بعد حاجتك .. أين هذه القيم من المعاملات التى كانت سائدة قبل الثورة .. أين هذه القيم من مجتمع سيطر عليه الاجنبى وأذله المستغل وكاد يقضى عليه سوء الفهم والادراك بحقيقة الأمور .. ان حاجة مجتمعنا الى نظم جديدة فى اطار ماورد فى الميثاق انما تسير على منوال ما سار عليه سيدنا عمر عندما شاهد حاجة الناس الى نظم جديدة تناسب الدولة الاسلامية التى امتدت فتوحاتها وجدت بها ظروف وأحوال لم يكن للمسلمين عهد بها .. فاجتهد عمر . ووضع لاجتهاده دستورا فرق به بين الثابت على الزمان من سنة رسول الله . وبين ما قضت به احداث الوقت .. وسار موكب الاجتهاد ولكن مالبث أن أقفل وتجمد الفكر الاسلامى .. وآن الآوان لكى يبعث من جديد على اسس وقيم جديدة أشار اليها الميثاق قائلا :

(ان جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة وانما ينتج التصادم فى بعض الظروف من محاولات الرجعية بان تستغل الدين ضد طبيعته وروحه لعرقلة التقدم وذلك بافتعال تفسيرات لن تتصادم مع حكمته الالهية السامية .

« بقية مقال « أبو بكر بن الأنبارى »

وخير اوان بالمنهاج الواضح والمتجر الرابح والميزان الراجح والعمل الصالح .

شعره وبلاغته

كان له شعر يفيض سلامة وجمالا فمنه قوله .

اذا ريد شرا زاد صبرا كأنما
هو المسك مابين الصلابة والقهر
لأن فتيت المسك يزداد طيبه
على السحق والحر اصطبارا على الضمر

ونستطيع بعد هذا أن نستخلص الحقائق الآتية من تلك الشخصية الفذة فنقول :

١ ـ اقباله على العلم وتفانيه فى خدمته

٢ ـ عفة نفسه وبعدها عن الدنايا

٣ ـ زهده فى هدايا الملوك حيث ترك الجارية وهى طيبة بين يديه وأقبل على العلم يحصله ويستوعبه

٤ ـ تفتق ذهنه وتفرده بالغرائب التى لا تتاح لغيره من أهل العلم المبرزين

وما زال للعلم عاملا ولرايته حاملا حتى ألقى عصا التسيار فى آخر شوط من اشواط عمره بعد ما ملأ الدنيا فضلا ونشر فيها هديا ولفظ انفاسه فى ليلة النحر من ذى الحجة وذلك ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلثمائة عن سبعة وخمسين عاما ، رحمه الله وأجزل له المثوبة بقدر ما قام فى طاعة الله .

السنة المحمدية

خالدة خلود الحياة

فضيلة الشيخ أبو بكر محمود ذكرى

يدهش من يطالع كتب السنة المحمدية الخالدة لما يلحظه فيها من خصوبة المادة وتنوع الموضوعات وحرارة الايمان وجدية القيادة والجدة التى لا تخلق ديباجتها ولا يبدو أن قانون التطور سوف يعتبرها يوما من تقاليد أمة قد خلت وعصر مضى وزمان أصبح مجرد ذكريات من قصص التاريخ .

واذا كانت الانسانية المغرورة بما كشفت وجددت وابتكرت من قواعد العلم وقوانين التشريع يروق لها أحيانا أن تظهر تبرمها بالأديان عامة وتعتبر الاسترشاد بهديها ليس الا رجوعا الى الوراء وتضييعا للوقت والجهد فان ذلك الاتجاه - اذا صح بالنسبة الى دين آخر من الأديان الخاصة بأمة خاصة أو زمن خاص - لا يمكن ان يكون مقبولا ولا معقولا بالنسبة الى الاسلام خاتم الرسالات ودين الهدى الانسانى الخالد لعامة الانسانية .

وانه لما يدعو الى الدهشة ويسمو الى حد الاعجاز أن نعلم أنه لا تكاد توجد اليوم مشكلة انسانية تقلق المجتمعات أو تهدد امن الانسانية الا وجدنا فى رسالة محمد نبى الرحمة - صلوات الله عليه - حلها ورسم طريق الخروج منها بسلام ويسر ، لكل من يؤثر الحق ويتباعد عن هوى التعصب الأعمى والكبر الممقوت .

ولنعرض هنا صورة واضحة المعالم لهذا الاتجاه فى تعاليم السنة المحمدية لا نريد منها الا مجرد المثال وعلى قدر ما يتسع لنا المجال فى هذا المقال .

١ - يكاد أكثرية الناس ينخدعون، لضيق أفقهم ، بما يروجه الجهلاء والمغرضون ، اذ يزعمون أن الاسلام كجميع الاديان لا يعنى بعمارة الدنيا ولا يأبه لنظامها ولا يعمل على زيادة الانتاج وتوفير الخيرات لأهلها اكتفاء بنعيم الآخرة وقناعة به عن كل شىء سواه .

تنظر الى هذه العقيدة الشائعة ثم تنبذها نبذ النواة اذ ترى النجم اللامع فى الحديث الامام احمد بن حنبل - رضى الله عنه - يروى فى مسنده قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ان قامت القيامة وبيد أحدكم فسيلة فليغرسها » أى لا يشغلنكم عن العمل لعمران الأرض شاغل مهما جل وعظم ولو أمكنك أن تغرس غرسا نافعا للمستقبل أو تبنى وتصنع أو تخترع فلا تؤخر عملك ولا يصرفك عنه حتى قيام الساعة .

٢ – تنظر أيها القارىء الكريم حولك فترى الأرض قد ملئت بغيا وجورا وعدوانا وقلقا وحرمانا من نعمة السلام ثم تحاول البحث عن سبب ذلك فلا تجد من سبب سوى النزعة العنصرية والتعصب العنصرى الممقوت الذى أصبح داء معروفا ولكن لا يعرف له دواء ٠

ان أكثر أمم الغرب اليوم تعيش فى حمى دائمة من جراء هذه النزعات العنصرية ولا تحس فى حياتها بأثر للسلام ولا للسعادة على الرغم من ارتفاع مستوى معيشتها ووفرة انتاجها وازدهار حضارتها ٠ ولقد كان المفروض أن يكون الشعب الاميركى اسعد شعوب الغرب لو كانت السعادة تعتمد على الحضارة المادية وحدها وتستغنى بها عن كل ما سواها ٠ على الضد نجد هذه الأمة الضخمة البالغة أعلى مستويات الحضارة المادية تعانى أفظع عوامل القلق والشقاء والجدب الروحى وتنقسم الى شطرين متعاديين بينهما حرب الأبد التى لا تهدأ لأن البيض لا يرون السود ، وهم أصحاب البلاد الأصليين ، جديرين بأن يخالطوهم أو يشاركوهم فى مرافق الحياة ٠

لقد اصبح مجرد اللون جالبا على أولئك السود التعساء احتقار الأبد وعداوة الأبد وظلم الأبد ، وحرب الأبد ٠٠ كأن مجرد السواد يخرج الآدمى عن آدميته ويجعله من فصيلة الوحوش الفتاكة أو الثعابين السامة القاتلة ٠ بل ان العجب والدهش والحيرة لتتملك نفوسنا اذ نرى أولئك المفوقون فى الحضارة يحلو لهم استئناس الوحوش والأفاعى والعناية بها والحدب عليها بما لم يتح لأولئك السود حتى بعد أن تطوروا وأصبح منهم العلماء والأدباء والشعراء والمخترعون والنوابغ فى كل علم وفن وصار لهم من الوجود البارز ما يشعرهم بوجوب الحصول على مساواة أولئك التراح المهاجرين الهاربين من الجوع والبؤس فى بلادهم الأصلية ٠

ولقد حاول بعض المعتدلين من أولئك البيض ، ان طبيعة وان نفاقا تمليه عليهم الضرورة ، أن يضعوا القوانين والنظم التى تلزم المعتدين بالحد من غلوائهم وتنفس عن المظلومين بما يخفف عنهم بعض مظالمهم فلم يكن سعيهم أكثر من حبر على ورق ٠

ها هى ذى المنازعات بين الطرفين ٠٠ والمظاهرات الدفاعية من السود ، والعدوانية من البيض لا تخلو منها وسيلة من وسائل الاعلام طرفة عين ولا تخلو من مظاهر حياة الغاب كقتل الأطفال والنساء ومن لا ناقة له فى هذه الفتن ولا جمل ٠ أضف الى ذلك الاعتداء على الأعراض والحرية والتمثيل بهما أبشع تمثيل ٠

تلك مشكلة من أعقد مشاكل المجتمعات الغربية فى القرن العشرين نرى الاسلام قد حلها الحل الانسانى المثالى وفرغ منها منذ ثلاثة عشر قرنا ، بالقول والعمل ٠ مسحت كل فوارق العنصرية التى حكمت العالم فيما قبل الاسلام وبقيت بعجرها وبجرها فى الأمم التى لم تدن بتعاليم الاسلام عند ظهوره أو فيما بعد انتشاره ٠

أما عن القول فلنستمع الى نبى الرحمة يمنح حق الحياة والكرامة حتى للعبيد والأرقاء بتشريع روحى سمح يجعل هذه الحقوق وتلك المعاملات من العقائد التى لا يتم الايمان الا بها ، **بل تسلك أحيانا مع فريضة** الصلاة فى **سلك واحد ٠ ولنتأمل هذا الحديث** الشريف الذى أورده البيهقى فى « **شعب الايمان** » عن أبى هريرة – رضى الله عنه – : **« اتقوا الله فى الصلاة – ثلاث مرات – اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم – مرتين – اتقوا الله فى الضعيفين المرأة الأرملة والصبى اليتيم »٠** حديث **صحيح ٠**

والى حديث آخر يجعل الأرقاء ابيضهم وأسودهم اخوة لسادتهم فى الانسانية واستحقاق المعاملة الكريمة واعتبار الكرامة : « **اخوانكم خولكم – أى ما خولكم الله ملكيتهم – فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه**

وليلبسه من لباسه ولا يكلفه ما يغلبه فان كلفه ما يغلبه فليعنه » .

حديث صحيح رواه البخارى ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه عن أبى ذر - رضى الله عنه - .

وانه لمعلوم لكل ذى علم أن أولئك الارقاء الذين منحهم الاسلام هذه المساواة وكل هذه الكرامة لم يكونوا كلهم بيضا . كانوا ألوانا شتى وكان السود أكثر عددا فلم ينقصهم سوادهم حقا لهم . وكيف ينقصهم بعد أن حسم النبى - صلى الله عليه وسلم - مسألة اللون بتشريعه السمح الحاسم ونبذ هذه الحماقة البدائية نبذ النواة اذ وقف فى حجة الوداع سنة عشر من الهجرة يعلن فى الحرم عند البيت المكرم أعظم واشرف وثيقة لحقوق الانسان يسمعها لعشرات الألوف من الحجيج: « لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأحمر على أسود الا بالتقوى » .

يا سبحان الله ..!

كأنما كان هذا النبى الكريم ينظر الى حمرة الانجليز والأمريكيين وسواد الهنود الحمر والزنوج قبل ثلاثة عشر قرنا من منبرة الزمن ويضع لهم شريعة العدل والمساواة والاخاء وسيادة الألفة فيما بينهم لينقذهم من دائهم ويخلصهم من بلائهم .. هذه هى تعاليمه بالقول .

أما بالفعل فكان المثال الأعلى للتطابق بين القول والعمل . كان لا يميز فى المعاملة سيدا على عبد ولا عربيا على عجمى ولا أبيض على أسود الا بمقدار ما يؤهله عمله وجهاده وسبقه الى الخير . كان الذى يسبق الى مجلسه من عامة أصحابه يجلس اليه أقرب الناس ولو كان عبدا حبشيا .. بل بأكثر من ذلك كان يولى العبيد والموالى المناصب القيادية ويخضع لهم كبار السادة وأشراف البيوت العريقة من أصحاب الحسب والنسب . وكان يقول على ملأ من القوم جميعا : « من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه » .

وأوصى يوما بتولية مولاه زيد بن حارثة قيادة الغزو فى جبهة الروم فكان لزاما على أشراف قريش أن يسيروا تحت لوائه .. ولعله اراد أن يعلم القوم درسا عمليا قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى .. وتلوح للقوم فرصة التحليل للخروج من تطبيق القاعدة وتغلبهم نزعة العنصرية الجاهلية ولحق - صلى الله عليه وسلم - بربه قبل خروج الجيش بالفعل، وصح ما كان يتوقعه وبدأ كثير من الاشراف يتذمرون من تولية اسامة بحجة صغر سنه. ولكن أبا بكر - خليفة رسول الله - المنفذ المخلص لقواعد شريعته ، الزمهم كلمة الحق واراهم القدوة من نفسه ، فسير الجيش ومشى فى ركاب أسامة وابى ان يركب هو أو ينزل اسامة كما كان يلح اسامة عليه وقال . « والله لا أركب ولا تنزل .. وما على لو غبرت قدمى فى سبيل الله ساعة ؟ وبهذه القدوة الحسنة من هذا الخليفة الصالح انحلت من النفوس عقدها ، وذهبت من الرؤوس خنزوانتها ومن القلوب كبرياؤها ومخيلتها ، وعلم القاصى والدانى أن شريعة محمد - صلى الله عليه وسلم - ليست كسروية ولا قيصرية ولا خيلاء جاهلية . انها القضاء الأبدى على العنصرية والتمايز العنصرى الذى لا مبرر له ولا مشروعية الا فى نظر من أضله هواه وكان من حزب الشيطان .

٣ - من أعاجيب الخلافات ذلك الخلاف الذى لا يزال محتدما الى اليوم بين دعاة الحد المعتدل فى النسل ودعاة الاكثار منه .. ان أقوى حجة فى نظر دعاة الاكثار هى قوله تعالى :

« ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم .. »

فاذا قلت لهم أين القتل فى تنظيم النسل قالوا : ان من طرق تنظيمه مسألة العزل وهى لا شك قتل للنطفة وهم مع يقينهم من أن الآية الكريمة انما وردت فى قتل المواليد بعد خروجهم الى الحياة فانهم يجعلون العزل قتلا لأنه منع من الحياة يساوى قتل الأحياء.

ونحن نقول لهم : لماذا لا نتحاكم الى السنة المطهرة ؟ ماذا تقولون فى حديث صحيح من صحيح مسلم : « اعزل عنها ان شئت فانها سيأتيها ما قدر لها » ، وفى قوله - صلى الله عليه وسلم - : « اعزلوا او لا تعزلوا .. ما كتب الله تعالى من نسمة هى كائنة الى يوم القيامة الا وهى كائنة » رواه الطبرانى

وعندما يسمع المتحمسون للاكثار هذين الحديثين الشريفين ويتأكد لهم ان المبالغة فى حرمة العزل الى هذا الحد انما هى قول فى الدين بغير علم فسوف ترى خجلهم يشرح اعترافهم الضمنى بأنهم لم يكن لهم الاطلاع الكافى على السنة المطهرة ، وانهم لو كان لهم الاطلاع الكافى لما تسرعوا هذا التسرع ..

٤ - يظن الكثير بل الأكثرية من أهل عصرنا أن العناية بنظافة الطرق والمرافق العامة والعمل على الحد من نشر العدوى ، والمحافظة على جمال المدن والشوارع والأماكن العامة انما هو اتجاه جديد لم يعرف الا عن طريق النظام الحضارى الغربى التنظيم الادارى الحكومى . لو كان لهم علم بالسنة المطهرة لعلموا أن الاسلام لم يترك من تنظيم الحياة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها .

كذلك كان يأمر بالنظافة الخاصة وتطهير المرء نفسه من الأدران والاقذار داخليا وخارجيا حتى يبدو وهو يتلألأ نظافة ونشاطا وخفة على نفسه ونفوس مخالطيه .

اما فى النظافة العامة فلنستمع الى قوله - صلى الله عليه وسلم - : « اتقوا الملاعن الثلاث البراز فى الموارد وقارعة الطريق والظل » .

واما عن النظافة الخاصة فلنستمع الى النهى عن التقصير فى التطهر من آثار الاوساخ عند ما يقضى الانسان حاجته : « اتقوا البول فانه أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة» رواه الطبرانى فى « شعب الايمان » ..

وقد يقال : ولما خص البول هنا بالنهى مع أن البراز أغلظ منه نجاسة وأقذر . والجواب هو أن الناس اعتادوا التساهل فى أمر البول أكثر من البراز فكان هو الأولى بالتنبيه .. تعرف ذلك اذ ترى كثيرا من الناس الذين غلظ ذوقهم وذهب الحياء من وجوههم ، لا يحسبون للبول حسابه ، ولا يعنون بالتخلص منه فى الأماكن المجهزة بالماء . يتركونه بلا عناية حتى اذا حصرهم وضغط عليهم أسرعوا الى أقرب جدار فى الطريق العام وافرغوا عليه ما يتراكم بفعل غيرهم من أشباه الحيوانات وينشر القذارة والعفونة ويؤذى الحواس والنفوس .

ألا فليعلم الخاص والعام أن كل مانعانيه من المشاكل ونحاول أن نعالجه بالتنظيم الجديد هو من قبل قد كان موضع عناية التعاليم المحمدية الخالدة التى لم تترك صغيرة ولا كبيرة الا وقد وضعت لها حلها بأيسر السبل . ولكننا نتناساها أو نجهلها وكلا الأمرين شر من الآخر .

هذا نموذج مصغر يغرى بالتأمل فى كتب السنة الاكثار من تعاهدها والرجوع اليها وفقنا الله الى ما فيه الخير والفلاح .

شيخ المنافقين..!!

بقلم
الشيخ محمد على الطعمى

« يقولون لئن رجعنا الى المدينة »
« ليخرجن الأعز منهـا الأذل »
« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »
« ولـكن المنـافقين لا يعلمون »

صدق الله العظيم

استيقظ المكيون يوما ليسمعوا داعية ، يدعو الناس كل الناس الى دين قيم ، يغاير الأديان التى ألفوها ، والتقـاليد التى اعتـادوها ، دين فيـه عدالة وحرية ومساواة .

وقال الداعية فى أسلوب جرىء ، حطموا الاصنام ، وانبـذوا آلهتكم المصنوعة ، وكونوا ربانيين ، من غير عصبيات وطبقية ، وملاحاة ، ولا تأخذنكم العزة بالاثم ، فتقفوا ـ منفردين ـ فى طريق الحق ، هاتفين باسـم الباطل الذى سوف يزهق عما قريب .

واعلموا ان كنتم لاتعلمون ، أنه سيقام مجتمع مثالى، شـعاره الايمان بالله ، وانقـاذ البشرية من الطغـاة المسعورين ، الذين عتوا فى الارض ، وتصبوا أنفسـهم أسيادا مستبدين .

وقال الداعية ، ان الثورة التى أعلنهـا اليوم ، هى من صنع الله ، وموصولة بالسماء ـ ومحال أن تقف فى طريقها سـدود ، ولسوف تقضى على اللات والعزى ، وتضرب عصابة الشيطان ، وتقيم السلام فى الأرض ، فاستجيبوا لنداء الله .

سمع المكيون هذه الهتافات الحارة ، فنفروا مـن الداعيـة نفورا ، واتهموه بالخبل والشعوذة ، وصفاقة الرأى ومجانبة الصواب ، ثم اعلنوا ضده حربا شعواء ، وضيقوا عليه الخناق فى عتو ولجاج .. وتمت هجرة النبى الى المدينة ، بعد اتفاقية مع أهلهـا ، جاءت فى صالح الرسالة المحمدية ، والذود عنها بالمال والرجال،

وفى المدينة دخل الأوس والخزرج فى دين الله افواجا ، وصار لقبهم الأنصار .

بقيت فئة راكسة لم تنشق عن الاسلام ، ولم تعلن العصيان ولا التمرد ، لـكنها أخذت تلعب فى الخفاء ، وتعمل جاهدة على عرقلة النبى من بعيد ..

وتزعم هؤلاء عبـد الله بن أبى الخزرجى ، الحقود أبدا ، والذى كان يطمع أن يكون ملكا فى شبه الجزيرة العربية ، وقد أوشك أن يتوج فعلا ، لولا ظهور محمد الرسول الذى جاء بدعوة نبهت أذهان الغافلين، وفتحت قلوب الجاهلين ، وجعلتهم يتطلعون الى عالم أفضل ، وحياة مفعمة بالرخاء والسعادة وراحة الضمير .

وبدت البغضاء سـافرة فى وجه ابن أبى ، وأصبح خطرا واقعيا يهدد حرية الدين ، ويكيد للنبى كيـدا عنيفا ، ومع ذلك كان يقيم الصلوات ، ويصوم رمضان ، ويخرج فى الغزوات كما يخرج المجاهدون ، حتىلاتشمت به الاعداء ولا يغمزه الغامزون ، وبالتالى لايحرم مـن المغانى والأموال .. وجاءت غزوة أحد ، وبرز نشاطه العدائى واضحا ، واخذ يذيع الاراجيف ويشيع الاكاذيب ليعطل قوة المسلمين الضاربة ، وقال شيخ المنافقين فى أسلوب سخيف ، علام نقتل أنفسنا ، ارجع بنا يارسول الله ، ولا داعى للاشتباك مع قريش ، فى حرب لا ندرى أتكون لنا أم علينا ؟ فقال عليه السلام « ما كان لنبى لبس سـلاحه ، أن ينزعه حتى يحكم الله بينـه وبين أعدائه » .

وكانت النتيجة أن رجع عبدالله بن أبى بثلث الجيش، تاركا الرسول على أهبة الاستعداد للحرب ، فلم يعبأ به عليه السـلام ، واستأنف المسير لمنـازلة الأعـداء المشركين .

ولو وقف ابن أبى عند هذا الوضع لهان الأمر ، لكنه أخذ يعقد معاهدات مع اليهود ، ويضع يده فى أيديهم، زاعما أنهم حلفاؤه ، وله حق الدفاع عنهم ، ان مستهم ضراء ، أو أصابهم مكروه .

وظل الرجل سادرا في طغيانه ؟ يدير الفتن ويحيك الدسائس ، محاولا الايقاع برسول الله حتى جاءت غزوة بني المصطلق ، فخرج مع النبي كعادته ، وفي العودة منها ، كاد يثير فتنة بين المهاجرين والانصار ..

وترجع أسباب الخلاف الى أجير لعمر بن الخطاب، اختصم مع رجل من الخزرج على الماء ، فقال الاجير ، يا للمهاجرين ، وقال الخزرجي ، يا للانصار ، فاصطف الفريقان للقتال ، بيد ان الرسول اخمد الفتنة وقضى على الشحناء ، وازال غليان النفوس .

ووجد عبد الله بن ابي في هذا النزاع ارضا خصبة ، لاثارة القلاقل ،بين صفوف المسلمين ، فقال لاصحابه « لقد كاثرنا المهاجرون في ديارنا ، والله ما أعدنا واياهم الا كما قال القائل « سمن كلبك ياكلك » والله لئن رجعنا الى المدينة ، ليخرجن الاعز منها الاذل » ثم لغط في القول ، وتزيد في الكلام .

ومشى ماش الى الرسول ، ونقل اليه هذا السباب ، فغضب عمر لسماعه ، وقال يارسول الله ، دع بلالا يقتله ، فقال عليه السلام « فكيف ياعمر اذا تحدث الناس ، وقالوا ان محمدا يقتل أصحابه ؟؟

وجاء شيخ المنافقين الى الرسول مهرولا ، واقسم بكل عزيز لديه ، انه لا يزال على عهده مسلما مؤمنا ، وانه ما تقول على المهاجرين بكلمة نابية ، لكن السماء كذبته ، وفضحت سريرته ، وفيه وفي اصحابه المنحرفين نزلت سورة « المنافقون » .. وتطاير خبر نزولها في المدينة ، فاضطربت اضطرابا عنيفا ، وخشى المنافقون على انفسهم ، وخشى اهلوهم عليهم أن ينالهم اذى ، ويصدر الرسول عليه السلام أوامره بقتلهم ، فذهب ابن عبد الله بن أبي ، ويسمى عبد الله أيضا ، ويمتاز باخلاصه المطلق للاسلام ، ذهب الى النبي « وقال يارسول الله ، انه بلغني انك تريد قتل ابي عبد الله فيما بلغك عنه ، فان كنت فاعلا فمرني ، وانا أحمل اليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ، ماكان بها من رجل أبر لوالده مني ، واني لاخشى ان تامر به غيرى فيقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر الى قاتل ابي يمشي في الناس فاقتله ، فاكون قتلت رجلا مؤمنا بكافر ، فادخل النار » فرد الرسول قائلا « انا لانقتله بل نترفق به ونحسن صحبته مابقي معنا » .

استراح عبد الله الابن لرد الرسول ، وزاده ارتياحا العفو عن ابيه ، فذهب اليه من فوره ، واقسم عليه يمينا ، ان لم تقل انا الاذل ، ورسول الله الاعز لاتظللك سماء المدينة ، ولا تقم فيها ابدا ، فقالها والده صاغرا مقهورا .

هل سكت شيخ المنافقين وطلب التوبة من الله ؟ ام انه ظل يداور ويحاور ، ويغمز ويلمز ويتلون كالحرباء ؟

ان المصادر النقية تقول ، والتاريخ كل التاريخ يؤكد ان هذا الرجل لعب دورا فظيعا في حديث الافك ، وتولى كبره ورسم الخطوط السوداء التي كادت تدمر مستقبل عائشة تدميرا ، ولولا القرآن الكريم ، نزل ببراءتها ؛ وحسم قضيتها ، وكان فيها فيصلا قاطعا ، لحدثت فتنة في المدينة وفساد كبير ..

ولكل منافق نهاية ، نهاية سوداء ، ويوم يجعل الولدان شيبا ، وعبد الله بن ابي اصبح في بداية النهاية .

لقد خرج في غزوة تبوك ، ليبلبل الافكار ويفتن الملأ، وفي الرجعة منها مرض مرضا ثقيلا ، وبدات أنفاسه تهبط ، ويخرجها مكدودا .

وزاره الرسول مرارا في مرضه ، وفي اليوم الذي مات فيه ، دخل عليه ، فوجده يجود بنفسه ، فقال له عليه السلام « لقد نهيتك عن حب اليهود» فقال يارسول الله ، ليس هذا بحين عتاب ، انه الموت ، فاذا مت فاحضر غسلي وكفني في قميصك الذي يلي جسمك ، وصل علي واستغفر لي رب العالمين .

ومات عبد الله بن ابي شيخ المنافقين ، واعطى النبي ابنه القميص تكريما لنفس الابن ، ثم قال ان قميصي لايغني عنه شيئا .

ولندع كتاب مسلم يتحدث لنا عن نهاية هذا الرجل، جاء في صحيحه ، ان ابن عمر قال « لما توفي عبد الله ابن أبي بن سلول ، جاء ابنه عبد الله الى رسول الله، فساله أن يعطيه قميصه يكفن فيه فاعطاه ، ثم ساله ان يصلي عيه ، فقام رسول الله ليصلي عليه ، فقام عمر ، وأخذ بثوب رسول الله ، فقال يارسول الله ،اتصلي عليه ، وقد نهاك الله ان تصلي عليه ؟ فقال رسول الله، وانما خيرني الله تعالى فقال « استغفرلهم اولاتستغفرلهم ، ان تستغفر لهم سبعين مرة » وسازيد عن سبعين ، قال — عمر — انه منافق ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانزل الله عز وجل « ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره » فترك الصلاة عليهم .

هذه حياة رجل ونهاية منافق ، ظل حليفا للشيطان طوال عمره ، وقد حاول ان يهدم الدعوة فما استطاع الى ذلك سبيلا .

صادق اليهود ، ودافع عنهم ، وتزعم المنافقين ، وكون منهم عصابات تعمل في الخفاء لكي تفتت وحدة العرب، وتضرب جماعة المسلمين ، ومع ذلك كان يدعى انه من انصار الله .

ان ذا الوجهين خائن لنفسه — عدو لوطنه — حقود على المجتمع الذي يعيش فيه ، ومن هنا استحق لعنة السماء في الدنيا ، ويوم القيامة ، له اشد العذاب وسوء المصير .

التصوّف فى الإسلام

الطاعة ... والمحبة .. والعشق ... والوجد عند صوفية الإسلام

الأستاذ طه سيف النصر

تناولنا فى مقالنا السابق الحديث عن الحب الالهى فى التصوف الاسلامى وما فيه من صور عديدة لاحوال الصوفية وانفعالاتهم النفسية والوجدانية ، وكذا عواطفهم المختلفة من الحب والبغض والرجاء والغيبة والحضور .. الخ

وقد تمثلت هذه الصور الغريبة والفريدة من نوعها فى حياة رابعة العدوية وعمر بن الفارض من ابطال العشق الالهى وتبين لنا مقدار هذا الحب عند رابعة التى كانت تحب سيدها ومحبوبها حبا روحانيا لا طمعا فى جنته ولا خوفا من ناره ولكن ابتغاء وجهه الكريم - هذا الحب الذى يسمو على الخوف من العذاب او رجاء الثواب .

والحديث عن رابعة هو نفس الحديث عن ابن الفارض فكلاهما محب وقف قلبه وحبه على الله ، ولكلاهما مع قلبه ومع محبوبه قصص تدل على ان حب الانسان حبا « حقيقيا » لربه انما هو الحب الذى جرد الانسان فيه قلبه لمحبة الله وبراه من الشوائب والهوى .

والحديث عن الحب الالهى الذى اساسه طاعة الله والامتثال لاوامره يجرنا الى درجة العشق والوجدان .

وقد فسر الامام الغزالى الحب بانه عبارة عن ميل الطبع الى الشىء الملذ وان تاكد هذا الميل وقوى سمى عشقا فيتجاوز الى ان يكون رفيقا لمحبوبه وينفق مايملك لاجله ، الا ترى ان زليخا بلغ بها من محبة يوسف عليه السلام ان ذهب مالها وجمالها وكان لها من الجواهر والقلائد الشىء الكبير « القناطير المقنطرة » وقد انفقتها كلها فى محبة يوسف وكل من قال رايت يوسف اليوم اعطته قلائد تغنيه حتى لم يبق لها شىء .

وكانت تسمى كل شىء باسم يوسف وقد نسيت كل شىء سواه من فرط العشق واذا رفعت راسها الى السموات رات اسم يوسف مكتوبا على الكواكب .

وروى انها لما آمنت تزوجت به عليه السلام وانفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت الى الله تعالى فكان يدعوها الى فراشها نهارا فتدافعه الى الليل ، فاذا دعاها ليلا سوفت به الى النهار . وقالت يا يوسف انما كنت احبك قبل ان كنت اعرفه « المقصود بمعرفة الله » . فلما ان عرفته فما ابقت محبته مكانا لسواه وما اريد به بدلا حتى قال لها ان الله جل ذكره امرنى بذلك واخبرنى انه مخرج منك ولدين جاعلهما نبيين فقالت اما اذا كان الله امرك بذلك وجعلنى طريقا اليه فطاعة لامر الله تعالى فعندها سكنت اليه .

وهذه الصورة تعتبر من اروع واعظم الصور لطاعة الله ومحبته وعشقه ووجدانه .. وكيف تغلب عشق زليخا لربها وخالقها على حبها الاول ليوسف عليه السلام .. وقولها له انها كانت تحبه قبل ان تعرف غيره « الله » فلما عرفته فما ابقت محبته مكانا لسواه ..الخ

وهذه الصورة الفريدة ينطبق عليها قول الله تعالى :

« ان المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات، والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما » .

وقد فسر الصوفية العشق بانه هتك الاستار وكشف الاسرار فاما الوجد فهو عجز الروح عن احتمال غلبة الشوق عند وجود حلاوة الذكر حتى لو قطع عضو من اعضائه لا يحس به ولا يشعر حتى ان بعض الصوفية ذكر ان لا خير فى عشق بدون موت ٠

واليكم صورا اخرى لبعض العاشقين منهم منصور الحلاج رضى الله عنه حكى انهم حبسوه ثمانية عشر يوما فجاءه الشبلى رضى الله عنه وقال له يامنصور ما المحبة فقال له لا تسالنى عنها اليوم واسالنى عنها غدا .

ولما جاء الغد واخرجوه من السجن ونصبوا له النطع « المشنقة » لاجل قتله فمر الشبلى بين يديه فقال للشبلى بعد ان ناداه المحبة اولها حرق وآخرها قتل اشارة لما تحقق للحلاج رضى الله عنه ان كل شىء ماخلا الله باطل وعلم ان الله هو الحق فانساه اسم الحق اسم نفسه فسئل من انت فقال انا الحق » ٠

ومن صدق المحبة عند الصوفية وخصالهم ان يختار كلام حبيبه على كلام غيره ويختار مجالسة حبيبه عن مجالسة غيره وطاعة حبيبه عن طاعة غيره ٠

وفى رواية أخرى لذى النون المصرى رضى الله عنه انه دخل المسجد الحرام فراى شابا عريانا مطروحا مريضا تحت اسطوانة وله انين من قلب حزين قال فدنوت منه وسلمت عليه وقلت له من انت ياغلام قال انا غريب عاشق ففهمت ماذا يقول فقلت له وانا مثلك فبكى وبكيت انا لبكائه قال انبكى انت فقلت انا مثلك فبكى بأعلى صوته وصاح صيحة عظيمة وخرجت روحه من ساعته فطرحت عليه ثوبى وخرجت من عنده لطلب الكفن فاشتريته ورجعت اليه فلم اجده فى مكانه فقلت سبحان الله فسمعت هاتفا يقول ياذا النون ان هذا الشاب الغريب الذى طلبه الشيطان فى الدنيا فما وجده وطلبه مالك فلم يره وطلبه رضوان فى الجنة فما وجده فقلت فاين هو فسمعت هاتفا يقول انه فى مقعد صدق عند مليك مقتدر

وسئل بعض المشايخ عن المحب فقال قليل الخلطة ، كثير الخلوة ، دائم الفكر ظاهر الصمت ، لا يبصر اذا نظر ، ولايسمع اذا نودى ، ولا يحزن اذا اصيب بمصيبة ينظر الى الله فى خلوته ، ويانس به ويناجيه ٠

وقد قال بعضهم فى علامات المحبة ابياتا :

لا تخدعن للحبيب دلائـــل
ولديه من تحف الحبيب وسائلُ

منهـا نعمـه بمـر بلائه
وسروره فى كل ما هو فاعل

فالمنع منه عطيـة مقبولة
والفقــر اكرام وبر عاجل

من الدلائل ان ترى من عزمه
طوع الحبيب وان الح العاذل

من الدلائل ان يرى متبسما
والقلب فيه من الحبيب بلابل

ومن الدلائل ان يرى منفهما
لكلام من يحظى لديه السائل

ومن الدلائل ان يرى متقنعا
متحفظا من كل ما هو قائل

ويبدى هؤلاء العاشقون والمحبون من الصوفية الذين تعلقوا وتشبعوا بحب الله عشق ذاته منتهى السعادة فى هذه الحياة الروحية والوجدانية وانهم خير مثال لهذه الانسانية بما فيها من محبة واخوة وعاطفة شريفة وايمان وتقوى ٠

وقد خصهم الله تعالى بقوله « ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان »

والواقع اننا فى اشد الحاجة الى هذه القيم الروحية الكريمة والتخلق باخلاقهم النبيلة لتطهير المجتمع من الوباء الذى يعيش فيه حتى اصبح غارقا فى بحور المادية وتائها فى ظلمات الحياة الحسية حيث تتغلب قوة الشر على قوة الخير ٠

ومما يعزز كلامى هذا حديث رسول الله وقوله « بانه سياتى زمان على امتى يحبون خمسا بحبون الدنيا وينسون الاخرة ويحبون المال وينسون الحساب ويحبون الخلق وينسون الخالق ويحبون الذنوب وينسون التوبة ويحبون القصور وينسون القبور » ٠

سبحانه قد اعطى الدنيا لمن يحب ومن لا يحب اما الاخرة فاعطاها لمن يحب لقوله تعالى « ان اكرمكم عند الله اتقاكم »

لن تقوم لليهود دولة فى الأرض

فضيلة الشيخ
حنفي عبد المتجلي

بهذا حكم الله سبحانه ، وحكم الله لايرد ، فقد كتب على هذه الفئة الباغية ، أن لاتقوم لهم قائمة ، وأن يعيشـوا مشردين ، مقطعين فى الأرض أمما ، لاتجمعهم جامعة ، ولا تربطهم رابطة .

وان هذا الحكم الالهى العادل ، على اليهود، لمما يطمئن البال ، بأن احتلالهم لفلسطين ، ووجودهم فيها ، انما هو لأمد قصير ، وأنهم سيخرجون منها حتما ، صاغرين اذلاء ، رغم قرار المؤتمر اليهودى العالمى ، الذى صدر منذ قريب ، يطلب من الدول الكبرى ، حمـاية الأراضى التى اغتصبها اليهود ، ويطالب يهود العالم بتأييد جهود الحكومة الاسرائيلية بشأن المهاجرين ، ويحث الحكومات على تسـهيل الهجرة لليهود الى اسرائيل

وقد جاء هذا الحكـم الالهى العـادل ، بتشريدهم ، والتنكيل بهم ، فى قوله تعالى : « واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العـذاب ان ربك لسريع العقاب وأنه لغفور رحيم »

ومعنى هذه الآية الكريمة : اذكر يامحمد ، أن ربك قد أفضى وحكم ، ليسلطن على اليهود الى ان تفنى الخلائق ، وتقوم السـاعة ، من يذيقهم أشد العذاب ، جزاء بغيهم ، وجحودهم وتعنتهم ، وان ربك يسـارع بمعاقبة الأمم ، التى تفسـق عن أمره ، وتبتعد عن صراطه المستقيم ، وهو غفور رحيم بمن عصى ، ثم تاب من قريب ، فيتجاوز عن سـيئاته ، ويظلله برحماته .

وقد وقع فعـلا ما أخبر به الله سبحانه ، من اذاقته لليهود أشد العذاب ، فى الأزمنة الماضية ، والحاضرة ، أى : قبل الاسلام ، وبعد الاسلام

أما ما كان من تشريـدهم ، وتشـتيت وحدتهم ، قبل الاسلام ، فالتاريخ يحدثنا بان بختنصر خرب أورشليم سنة ٥٨٧ قبل الميلاد، وقاد أكثر أهلها أسرى

وفى عام ٢٠٣ قبل الميلاد ، كان اليهود تحت حكم ملوك سوريا السلوسيديين ، فأثقلـوا كواهل اليهود بالضرائب ، واضطهدوهم من اجل دينهم .

واستولى (بومبيه الرومانى) على مملكتهم وجعلها اقليما دينيا .

وفى سنة ٧٠ بعد الميلاد ثار اليهود على الرومان ، فاضطر الرومانيون لأخذ أورشليم، وأمر ملكهم (تيتوس) باحراق معبدهم ، وذبح معظم أهلها ، وبيع من بقى منهم ، الا انه لم يمض غير قليل ، حتى عمرت أورشليم بالسكان ثانيا ، ولكن ثورة أخرى ، جعلت الامبراطور الرومانى (أوريان) سنة ١٣٥ بعد الميلاد يأمر بهدم المدينة من أساسها ، وذبح ٥٠٠ر٠٠٠ من اليهود ، وبيع الباقين، وتشريدهم فى جميع أرجاء المملكة .

وأما ما كان من تشريدهم ، وتفتيت وحدتهم بعد الاسلام ، فالتاريخ يحدثنا بأن النبى صلى الله عليه وسلم ، لما هاجر الى المدينة المنورة ، وكان يقيم بها يهود بنى قينقاع ، ويهود بنى قريظة فى (فدك) ، ويهود بنى النضير ، فى مقربة منها ، ويهود خيبر فى شمالها ، بادر اليهود أول الأمر ، الى حسن استقبال الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، طمعا فى استمالته اليهم ، وادخاله فى حلفهم ، والاستعانة به على تاليف جزيرة العرب ، حتى تقف فى وجه النصرانية التى اجلتهم ، وهم (شعب الله المختار) ، عن (فلسطين) أرض الميعاد كما يزعمون .

وكان من الرسول الكريم صلوات الله عليه، أن قابل تحيتهم بأحسن منها، فوثق صلاته بهم، وربط بينه وبينهم برباط المودة ، باعتبار أنهم أهل كتاب ، ثم عقد بينه وبينهم معاهدة صداقة وتحالف ، لتقرير حرية الاعتقاد

ولما قويت شوكة المسلمين فى المدينة ، وشقت الدعوة المحمدية الكريمة طريقها ، فغزت القلوب بعملها الروحى القوى ، وتأثر بها أحد أعلام اليهود ، وهو عبد الله بن سلام، الذى كان عالما حبرا ، من كبار علمائهم وأحبارهم ، فأسلم ، وأسلم معه أتباعه ، خاف اليهود أن يمتد أثر الدعوة المحمدية الى عامتهم ، وبدأ القلق يساور نفوسهم ، وأخذت أوهامهم وأمانيهم التى من أجلها عقدوا العهد مع الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، تتبدد سحبها ، ويتقلص ظلها ، فغيروا موقفهم ، ونقضوا عهدهم ، وأصروا على أن يكيدوا للنبى صلى الله عليه وسلم ، فأنكروا نبوته ، وأعلنوا أن تعاليمهم لاتجيز لهم أن يعترفوا بنبى يأتى من غير بنى اسرائيل ، فبدأوا حربهم معه بأساليب مختلفة .

حاربوه أولا بالجدل ، واتخذوا النفاق والخداع ستارا ، يحجب أغراضهم ومآربهم، وأعلن بعض أحبارهم وعلمائهم اسلامه ، واندس بين صفوف المسلمين ، مظهرا الصلاح والتقوى ، كعبد الله بن أبى ، فقد روى انه قدم ومعه أتباعه ، على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستقبلوه ومن معه ، فقال ابن أبى لمن معه : انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم ، فأخذ بيد أبى بكر رضى الله عنه ، وقال له : مرحبا مرحبا بالصديق، سيد بنى تميم ، وشيخ الاسلام ، وثانى رسول الله فى الغار ، الباذل نفسه وماله لرسول الله، صلى الله عليه وسلم ، وأخذ بعدئذ بيد عمر بن الخطاب ، وقال له : مرحبا مرحبا بسيد بنى عدى ، الفاروق القوى فى دينه ، الباذل نفسه وماله ، لرصول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ثم أخذ بيد على ، كرم الله وجهه ، وقال له : مرحبا مرحبا ، بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وختنه ، (أى صهره) ، سيد بنى هاشم ، ما خلا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

قال ابن أبى ما قاله لكل واحد ، من هؤلاء الصحابة ، رضوان الله عليهم ، نفاقا وخداعا ، فأنزل الله ما جلى به موقف ابن أبى المنافق المخادع ، وما جلى به موقف اخوانه المنافقين من اليهود الذين يسيرون على دربه وينهلون من معينه ، وذلك فى قوله تعالى «**واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، واذا خلوا الى**

شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون» أى : انا معكم فى الثبات على اليهودية ، ومستهزئون بهؤلاء المسلمين ، ساخرون منهم مخادعون لهم ٠

وحارب اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثانيا ، ببث الفتنة والدسائس ، بين صفوف المسلمين ، فقد فتنوا الأوس والخزرج وأهاجوا بعضهم على بعض ، وكادت الفتنة تسلك طريقها فى النفوس ، ويرتفع بين المسلمين دخانها ، ويلتهب شواظها ، فتتفرق كلمة القبلتين المتحابتين ، وهما منبت أنصار رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الذين مهدوا للدعوة المحمدية انتشارها فى بقاع الأرض ، وبهم تمت هجرة الرسول واصحابه من مكة الى المدينة ، كادت الفتنة تفرق بين هؤلاء الأحباب ، لولا أن الرسول صلى الله عليه وسلم استدرك الموقف ببالغ حكمته ، فأخذ يذكر الأوس والخزرج بالاسلام الذى ربط بين قلوبهم وبما كان لهذا الرباط القوى من أثر فى هجرة المسلمين الى ديارهم ، فاستجاب كل من القبيلتين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وألقى سلاحه ، واستغفر وأناب ، وعانق بعضهم بعضا ، وبتذكير الرسول لهم ، وبانابتهم الى ربهم ، اندحر كيد اليهود ، ونكصوا على أعقابهم ، وخاطبهم الله تعالى ، اجلالا لشأنهم ، واشعارا بعلو مكانتهم ، وذلك بقوله ٠ « **يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين** »

وحارب اليهود رسول الله صلى الله وسلم (ثالثا) ، بالأسئلة المغرضة الهادفة ، الى بعث الشك فى نفوس المسلمين ، والقاء ظلمات على نور الاسلام لتحجبه ، فأجابهم الرسول صلوات الله عليه ، بما زاد ايمان المسلمين قوة ، ونور الاسلام ضياء ، « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ٠ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون »

ولم يقف اليهود عند هذا الحد فى محاربة الرسول بوساطة الجدل ، بل جنحوا الى استعمال أساليب جديدة ، جاهدين وطامعين فى أن تحبط الدعوة المحمدية ، وأن يتوارى شبحها الذى جثم على صدورهم ، وأقض مضاجعهم ٠

(منها) أنهم قرروا اعلان الحرب على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ففشلوا فيها ، وخسروا معاركها ، وأجلى بعضهم ، فطهرت المدينة منهم ، وقتل البعض ، ونفذ حكم الله عليهم بتشريدهم وتفريقهم فى الأرض

(ومنها) أنهم تآمروا على قتله ، صلوات الله عليه ، فألقى عليه واحد منهم رحى عظيمة ، وكان معه الخلفاء الأربعة ، فأمسك الله يد ملقيها ، وأنزل الله فى ذلك قوله سبحانه : « **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ، واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ٠**

وبعد ذلك دست له امرأة يهودى السم فى شاة قدمتها اليه هدية فجلس هو وأصحابه ليأكلوها ، وتناول عليه السلام الذراع ، فلاكها ، فلم يطق اساغتها ، فلفظها ، وهو يقول : « ان هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم ، وبهذا نجا الرسول الكريم من كيد اليهود ، ونجت الدعوة الاسلامية من فعالهم الغادرة الفاجرة ٠

هذا ، ولم تقف مطاردة اليهود ، عند خروجهم من المدينة ، بل لم يجدوا استقرارا لهم فى البلاد التى لجئوا اليها ، والمستقصى للتاريخ يرى العجب العاجب ، فى تشريدهم ، ومطاردتهم ، لأنهم دعاة الفتنة ، وأبالسة الشر ،

فى أى بقعة يسكنونها ، ولن يجدوا ما دامت الحياة استقرارا لهم ، لأن الذى حكم عليهم أن يذوقوا أشد العذاب الى يوم القيامة هو القاضى الأعظم ، الذى لامعقب لحكمه ، ولا راد لقضائه ، وهو سبحانه هو الذى ضرب عليهم الذلة والمسكنة ، فلا بد أن يعيشوا فى الحياة أذلة صاغرين ، مشردين مقطعين ، لاتجمعهم أرض واحدة ، ولا ىلتئم لهم كلمة واحدة ، قال تعالى : « ... وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » وقال سبحانه : « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » ، وليس بعد حكم الله عليهم ، وقضائه فيهم ، حكم ولا قضاء .

فلا يغتر اليهود بوجودهم فى فلسطين ، ولا بما يجدونه من سند ومدد من دول الاستعمار ، فى بقائهم فى فلسطين ، وليعلموا علم اليقين أن تجمعهم وسط الدول العربية ، وأن تحرشهم بالعرب ، وعدوانهم عليهم كلما أتيحت فرصة للانقضاض على العرب ، كل ذلك لامحالة من دواعى طردهم من فلسطين ، وأن أهل فلسطين سيعودون الى وطنهم ، وارضهم ، طال الزمان أم قصر ، فاغتصابهم لأرض فلسطين ، وطرد أهلها منها جريمة لامثيل لها فى المدنية الحديثة ، كما قالت الآنسة (ثيكنس) الانجليزية بعد أن زارت العالم العربى ، زيارة استغرقت السنتين تقريبا ، فقد كتبت تقول : ان طرد العرب من أرضهم المتوارثة ، واحتلال اليهود الصهيونيين القادمين من مختلف أنحاء العالم محلهم ، واغتصاب أرضهم وأملاكهم ، ليشكل جريمة لامثيل لها فى المدنية الحديثة .

وحقا ان جريمة اليهود فى احتلال أرض فلسطين لا مثيل لها فى دنيا الحضارة والمدنية ، ولن تبقى هذه الجريمة قائمة ، فمصيرها الى الزوال ، وسيلقى اليهود الصهيونيون جزاءهم الذى قرره الله فى حكمه بأن لايطيب لهم مقام ، وان لاتقوم لهم دولة فى الأرض ، ولا بد أن يذوقوا بذلك أشد العذاب .

ولئن كان اليهود قد اغتصبوا أرض فلسطين فى زمن كان العرب فيه مستعمرين ، ولعبت فيهم الفرقة والخيانة ، ووجدوا من العرب الذين نسوا أنهم عرب ، وأصبحوا أنصارا للاستعمار ، الذى تمثله اسرائيل فى فلسطين من يعاونهم على غدرهم وظلمهم ، فليعلم اليهود وأنصارهم ، ومن سار فى ركاب الاستعمار ، أمثال بورقيبة القاتل والشاه البهلوى الصهيونى وفيصل يهوذا المسلمين ، ان دولة الباطل ساعة وأن الحق لابد أن ينتصر ، وينكسر كل قيد ، وليطمئن اللاجئون من أهل فلسطين ، انهم عائدون الى أرضهم ، وان العرب الأحرار ، فى وطنهم العربى ، لن يتركوا فلسطين أبدا وفى مقدمة المؤمنين بحكم الله على اليهود ، الجمهورية العربية المتحدة ، التى يعمل قائدها الملهم ، ورئيسها المظفر على ابادة ظلم اسرائيل لفلسطين ، وأهل فلسطين .

وانى أذكر الذين خرجوا على عروبتهم ، ووالوا اسرائيل فى مطامعها ، بقول الله سبحانه « ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا » .

أذكرهم بهذه الآية ليثوبوا الى رشدهم ، ولتكون لهم العزة والكرامة اللتان كتبهما الله لعباده المؤمنين ، وليعلموا أن الله صادق فى وعده ووعيده ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون »

وصدق الله العظيم

الايمان صانع المعجزات

الأستاذ محمود الجرسي

-٩-

ذكرنا فى مقالنا السابق كيف تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لقبائل العرب المختلفة فى المواسم يدعوها الى دعوة الحق ، والى تاييده ونصرته • وما لاقاه فى سبيل ذلك من اعراض وسخرية واذى • الى ان كان لقاؤه مع نفر من الاوس والخزرج عند العقبة • فكان هذا اللقاء اول معالم الطريق الى النصر والمنعة والقوة •

ويصور لنا هذا اللقاء حرص الرسول على ان تتايد دعوته بمؤازرة هذا النصر من اهل يثرب ، وان يكونوا للدين الجديد درعا وسندا ، فهو لم يطلب منهم الايمان بما جاء به فحسب ، ولكنه بصرهم بما ينتظرهم من تضحيات ، وما يكلفهم هذا التاييد من خطوب ، واهوال، حتى يكونوا على بينة من ايمانهم ، وما يستتبعه هذا الايمان من ثمن فادح •

فهاهم اولاء يتسللون مستخفين بعد ان مضى من الليل ثلثه ، الى الموعد الذى ضربه لهم رسول الله ، فى الشعب عند العقبة • ويقدم عليهم رسول الله مع عمه العباس بن عبد المطلب ، فيبدا العباس كلامه ليستوثق لابن اخيه من هؤلاء النفر قائلا : ان محمدا منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل راينا فيه ، وكان العباس حينئذ لايزال على دين قومه ، وانه فى عز من قومه ومنعة فى بلده ، وقد ابى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم ، فان كنتم ترون انكم مؤيدوه وما نعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم ، فدعوه من الآن • عند ذلك نهض احدهم وقال للعباس : قد سمعنا ماقلت • فتكلم يارسول الله فخذ لنفسك ولربك ما احببت • فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا شيئا من القرآن ، ودعا الى الاسلام : ثم قال ابايعكم على ان تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم متى قدمت عليكم ، وان تعبدوا الله وحده ولاتشركوا به شيئا ، فاخذ كبيرهم •• البراء بن معرور ، بيده وقال : والذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه ازرنا « اى نساءنا » فبايعنا يارسول الله فنحن والله اهل الحروب واهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر • ثم نهض ابوالهيثم بن التيهان وقال : يارسول الله ان بيننا وبين الرجال « اى اليهود » عهودا ، وانا قاطعوها ، فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا ، فتبسم عليه الصلاة والسلام ثم قال : بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، انا منكم وانتم منى ، احارب من حاربتم ، واسالم من سالمتم •

على هذه الصورة الرائعة تمت بيعة العقبة الثانية ، فكانت للدعوة الجديدة فتحا ، وللاسلام عزا ونصرا ، وهكذا فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم للاسلام آفاقا جديدة ، وكسب له ارضا مؤمنة ، وضم اليه نفوسا استعذبت فى سبيل الايمان كل خطب ، واستمرات كل شدة ، وذهبت باكبر لقب فى تاريخ الدعوات ، وهو لقب الانصار •

بلغت اخبار هذه البيعة مسامع قريش ، فهالهم ماسمعوا وراوا ان الحصار الذى ضربوه حول دعوة محمد قد تحطم سياجه وتبدد ، فهاهى ذى دعوته تخترق الحصار ، وتنتشر فى الامصار ، وتمضى بها - واهل الاوس والخزرج فى مسالك الجزيرة وشعابها •• فيشتد تعذيبهم للمسلمين ، ويمعنون فى النيل منهم ، ويمضى بهم

عيظهم المسعور الى ابعد مداه فيتفننون فى الوان التعذيب ويصبون على المسلمين جام غضبهم .. وينظر رسول الله من حوله فيرى ما فيه اصحابه من شدة وبلاء ، وما يقوم به الكفار من طغيان وبطش ، ويخشى على اصحابه ان يفتنوا فى دينهم ، او تتخطف النفوس الجامحة ارواحهم ، فيأذن لهم فى الهجرة الى البلد الطيب الذى اخذ على اهله العهود والمواثيق ، كما اذن لهم فى الهجرة الى الحبشة فيما مضى فرارا بدينهم ، ونجاة بعقائدهم ، فيقبل المؤمنون على الهجرة ، ويتدافقون صوب المدينة ، وتشهد صحراء الجزيرة العربية ارواحا هائمة تنشد الطمأنينة والاستقرار فى جوار هؤلاء الانصار الجدد .

وهنا نقف وقفة قصيرة امام هذا الحدث الكبير ! هل يبلغ الايمان بالنفوس ان تضحى بالاهل والمال والولد فى سبيل العقيدة ؟ وهل يفعل الايمان كل هذه الاعاجيب فيتسلل المؤمنون فى جنح الظلام ، يضربون فى مجاهل الصحراء ، ويركبون كل مخوف ، تاركين من خلفهم ملاعب صباهم ، ومغانى شبابهم ، ومرتع لهوهم ، وكل ماجمعوه فى حياتهم من حطام ونشب ؟؟

انها صور تستحق التسجيل ، وتستحق الخلود ، لانها صور التضحية والبذل والفداء فى سبيل العقيدة ، ولانها فوق ذلك من صنع الايمان الذى يصنع المعجزات لكم تحمل هؤلاء المهاجرون مايعيى طاقة البشر ! ومع ذلك مضوا فى سبيلهم لايتلفتون الى الوراء ، ولايبالون كيد قريش حين اخذت تترصدهم بكل سبيل !

وفيما نرويه عن هجرة ابى سلمة مايغنى عن الحديث فيما لاقاه جلة المهاجرين فقد خرج ابو سلمة حين اذن له فى الهجرة الى المدينة ومعه زوجة ام سلمه وقد حملها على بعيره ، وابنها سلمه فى حجرها ، فاعترضه رجال بنى المغيرة بن عبد الله بن مخزوم وهم رهط ام سلمه وقالوا له : هذه نفسك غلبتنا عليها ، ارايت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها فى البلاد ؟ ثم نزعوا خطام البعير من يده واخذوا منه ام سلمة ، عند ذلك غضب بنو عبد الاسد رهط ابى سلمة وقالوا : والله لانترك ابننا عندكم مادمتم قد نزعتم امه من صحبنا ، وتجاذبوا الابن بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الاسد اقارب ابيه ، واخذ بنو المغيرة ام سلمة فحبسوها .. ومع ذلك انطلق ابو سلمة من غير زوجه وولده الى المدينة بعد ان فرقوا بينهم ، ولم تضعف هذه المحنة من ايمانه ، ولا زعزعت عقيدته ، ولا صرفته عن قصده ، بل فر بدينه من غير زوج وولد .

وبقيت ام سلمة حبيسة عند بنى المغيرة ، وكانت تتسلل كل صباح الا الابطح بمكة ترقب الافق البعيد وتبكى حتى يدهمها المساء فتعود الى محبسها ، وظلت فى حبسها زهاء سنة تقريبا تعانى مرارة الحبس وفراق الزوج والولد ، حتى مر بها رجل من بنى عمها ، ورأى مابها فرق لها فقال لبنى المغيرة : الا تتحرجون مما فعلتم بهذه المسكينة ؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها ، اطلقوها تلحق بزوجها ، فقالوا لها : الحقى بزوجك ان شئت ، ورد عليها بنو عبد الاسد ولدها الذى كانوا اخذوه ، وهنا تقول ام سلمة .. « فجهزت بعيرى ثم اخذت ابنى فوضعته فى حجرى ثم خرجت اريد زوجى بالمدينة ، وما معى احد من خلق الله ، فقلت اتبلغ بمن لقيت حتى اقدم على زوجى »

وخرجت ام سلمة بوحيدها تضرب فى الصحراء قاصدة المدينة لم ترهبها وحشة الطريق وقلة الانيس وبعد الشقة وسارت فى هذه المتاهات الشاسعة لايؤنسها الا ايمانها حتى قيض الله لها عثمان بن طلحة وهى بالتنعيم ، فقال لها : الى اين يابنت ابى امية ؟ فقالت : اريد زوجى بالمدينة ، قال : أو ما معك احد ؟ قالت : لا والله الا الله وابنى هذا .. فمضى معها واخذ بخطام البعير حتى اوصلها الى المدينة ، وفى ذلك تقول ام سلمة : « والله ما اعلم اهل بيت فى الاسلام اصابهم ما اصاب آل ابى سلمة ، وما رايت صاحبا قط اكرم من عثمان ابن طلحة .

وهذا صهيب حين اراد الهجرة الى المدينة اعترضه كفار قريش ، وحالوا بينه وبين غايته ، وقالوا له : اتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا ، وبلغت الذى بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ، والله لايكون ذلك ، فقال لهم صهيب : ارايتم ان جعلت لكم مالى اتخلون سبيلى ؟ قالوا : نعم قال : فانى قد جعلت لكم مالى .. فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ربح صهيب .. ربح صهيب .

هذه صور لبعض مالاقاه المسلمون فى هجرتهم ، تكشف عن اسمى المعانى ، وتدل على عظم تضحياتهم فى سبيل الايمان ، وفى كتب السيرة كثير من هذه الصور الرائعة التى تفيض بكل الوان الفداء ، والتى تعد فى عصرنا المادى من المعجزات والخوارق ، ولكنها النهج القويم لهؤلاء الرواد الاوائل .

بطولات إسلامية عربية

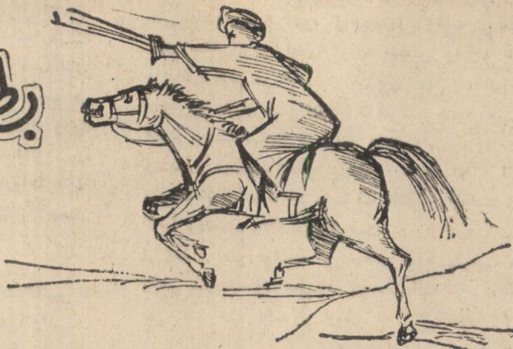

الدكتور محمد محمد أبو شهبة

العرب قوم مشهورون من قديم الزمان بالشجاعة والبطولة الفائقة ، وقد جاء الاسلام فنمى فيهم الشجاعة والبطولة ، وغير فى نفوسهم القيم ، والمعانى التى لأجلها يقاتلون ويظهرون الشجاعة ، فبعد أن كانوا يقاتلون عصبية للقبيلة أو للاهل ، أو للسلب والمغنم أو لاظهار الشجاعة والفتوة .. أصبحوا يجاهدون ويقاتلون فى سبيل العقيدة وحمايتها والدفاع عنها ، ونشر رسالة الاسلام ، والقيم الانسانية العالية للفوز أولا وبالذات برضوان الله ، ورضاء رسوله ، وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمؤمنين المجاهدين المكافحين ، والمستشهدين فى سبيل دينهم وعقيدتهم .. وصدق الله حيث يقول :

« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ، ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » ـ التوبة الآية ١١١ .

وأصبح المسلم العربى يرى ان كلا حاليه غنم وخير .. ان انتصر غنم أم لم يغنم فهو خير ، وان استشهد ومات فى سبيل الله فهو خير وحسنى .. وصدق الله حيث يقول معلما لهم ومهديا وملقنا : « قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ، ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا » .

والاسلام وان أحل الغنائم لانه الدين العام الخالد الصالح لكل زمان ومكان الا ان الغنيمة لم تكن هى الحامل للمسلمين الأوائل على التضحية والجهاد ، وانما كانت أمرا عرضيا ، فان كانت فبها ونعمت ، وان لم تكن فلا أسف ولا ضير بل ورد عن النبى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أن ثواب المجاهد الذى لم يغنم أعظم من ثواب المجاهد الذى غنم ففى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم فى صحيحه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما من غازية تغزو فى سبيل الله فيصيبون الغنيمة الا تعجلوا ثلثى أجرهم من الاخرة ويبقى لهم الثلث ، فان لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم » .

وفى الحق أن العقيدة الاسلامية من الايمان بالله واليوم الاخر وما أعده الله فى هذا اليوم للمجاهدين والمستشهدين فى سبيله والايمان بالرسالة وبالرسول صيرت من الجبناء شجعانا ومن الشجعان ابطالا ، ومن الأبطال قوى خارقة فى باب الكفاح والنزال . وليس أدل على هذا من أن الفئة القليلة المؤمنة كانت تلتقى بالفئة الكثيرة المشركة ، والكل عرب وفيهم شجعان وفيهم أبطال ، فاذا الفئة القليلة تهزم الفئة الكثيره التى قد تزيد عنها أضعافا ، وطبعى أنه لايمكن تعليل هذا الا بما تصنعه العقيدة فى أصحابها من قوى معنوية

تتضاءل أمامها الجبال الراسيات ، فضلا عن النفوس الخاويات والقلوب الفارغات ..
هذه مقدمة لا بد منها بين يدى هذه الصور الاسلاميه المشرفة التى سنعرضها أمام اعين القراء الكرام ، وهذه البطولات النادرة فى تاريخ الدنيا قديمها وحديثها .

غدر اصحاب سريه الرجيع

فى صفر من السنه الرابعه للهجرة قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رهط من عضل (بفتح العين والضاد) والقارة (بالقاف وتخفيف الراء) وهما بطنان من بنى الهورة ، فقالوا : يا رسول الله ان فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من اصحابك يفقهوننا فى الدين ، ويقرئوننا القرآن ، ويعلموننا الشرائع ، فبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - معهم نفرا : ستة فى رواية ابن اسحاق ، وعشرة فى رواية الامام البخارى - وهو الأصح - ليؤدوا هذه الرسالة السامية ، وليكونوا عيونا على قريش والمشركين ، وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح ، فساروا حتى كانوا بالرجيع - اسم موضع من بلاد هذيل بين مكة وعسفان على ثمانية أميال منها - غدروا بهم ، واستصرخوا عليهم بنى لحيان من هذيل - وهم قوم سفيان ابن خالد الهذلى الذى قتله عبد الله بن انيس بسبب تجميعه الجموع للنبى - فنفروا اليهم فى مائتى رجل فلم يرع المسلمين وهم فى رحالهم الا الرجال بأيديهم السيوف قد غشوهم ، فلجأ رجال السرية الى ربوة عالية واستعصموا بها ، واخذوا أسيافهم ليقاتلوهم ، فلجأ المشركون الى الخديعة وقالوا لهم ، انا والله ما نريد قتلكم ، ولكنا نريد أن نصيب بكم من أهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم ، أما عاصم رئيس السرية وستة معه فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عهدا ولا عقدا أبدا ، وأبوا التسليم ، وقاتلوا حتى استشهدوا .

واغتر بعهدهم ثلاثة : خبيب بن عدى - بضم الخاء وفتح الباء وسكون الياء - وزيد بن الدثنة (بفتح الدال وكسر الثاء بعدها نون) ، وعبد الله بن طارق فنزلوا اليهم ، فلما استمسكوا بهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها ، فقال عبد الله : هذا أول الغدر حتى اذا كانوا بالظهران فى طريقهم الى مكة انتزع عبد الله يده منهم ، ثم استأخر عنهم واخذ بسيفه ليقاتلهم ، فرجموه بالحجارة حتى مات شهيدا رضى الله عنه - .

واما خبيب وزيد فباعوهما لأناس من أهل مكة بأسيرين من هذيل ، فاشترى خبيبا بنو الحارث بن عامر ليقتلوه بابيهم الذى قتل يوم بدر ، واشترى زيد صفوان بن أمية ليقتله بأبيه ، فحبسوهما حتى انتهت أشهر الحرام فأخرجوهما الى التنعيم فقتلوهما .

و خبيب الخلقى

وكان من أمر خبيب وهو محبوس فى دار لبنى الحارث أنه قد استعار من جارية لهم موسى ليتسحد بها ويتطيب لما دنا قتله ، فأعارته اياه ، وغفلت عن غلام لسادتها درج حتى أتى خبيبا ، فوضعه على فخذه ، فلما رأت الجارية هذا المنظر فزعت فزعة شديدة وقالت فى نفسها : أصاب - والله - الرجل ثأره بقتل هذا الغلام ، فأدرك سيدنا زيد ماحدثت به نفسها فقال لها : أتخشين أن اقتله ! ما كنت لأفعل هذا ان شاء الله !

كرامة خبيب :

وكانت الجارية تحدث بعد أن أسلمت فتقول : ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب ، ولقد رأيته يأكل من قطف من عنب وما بمكة يومئذ ثمره ، وانه لموثق فى الحديد ، وماكان الا رزقا رزقه الله !

أول من سن الركعتين عند القتل

ولما خرجوا به الى الحل ليقتلوه قال : دعونى أصل ركعتين ، فكان أول من سن الركعتين عند القتل ، ثم لما فرغ من صلاته انصرف اليهم قائلا : لولا أن تروا أن ما بى

جزع من الموت لزدت ، ولما رفعوه على الخشبة وأوثقوه ليقتلوه صبرا قال هذه الكلمات ، اللهم انا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يفعل بنا ، اللهم أحصهم عددا ، واقتلهم بددا - متفرقين - ولاتبق منهم احدا ثم انشد يقول :

لقد جمع الأحزاب حولى والبوا
قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وكلهم مبدى العداوة جاهد
على لأنى فى وثاق بمضيع
وقد جمعوا ابناءهم ونساءهم
وقربت من جذع طويل ممنع
الى الله اشكو غربتى ثم كربتى
وما ارصد الأعداء لى عند مصرعى

الى ان قال :

فلست أبالى حين أقتل مسلما
على اى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الاله وان يشا
يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قام اليه عقبة بن الحارث فقتله ومات - رضى الله عنه - شهيد ايمانه واخلاصه لدينه ولنبيه .

واما زيد بن الدثنة فقد كان أمره عجيبا هو الآخر ، ذلك أن المشركين لما جاءوا به ليقتلوه ، وعاين دلائل الموت قال له أبو سفيان ابن حرب مختبرا له ، ومتعرفا على مبلغ ايمانه وقوة عقيدته : أنشدك الله يا زيد اتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وانك فى أهلك ؟ فقال زيد هذه الكلمة المؤمنة « والله ما أحب أن محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس فى أهلى » !

فقال أبو سفيان وقد استولت عليه الدهشة والاستغراب : ما رايت احدا من الناس يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا ، ثم قام اليه عبد لصفوان بن أمية يسمى : نسطاس ، فقتله - رضى الله عنه وأرضاه - .

كرامة لعاصم - رضى الله عنه -

ولما قتل عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح أمير السرية أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه لسلافة بنت سعد احدى نساء قريش الموتورة من سيدنا عاصم ، ذلك أنه كان قد قتل ابنها يوم أحد فنذرت : لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن فى قحفه الخمر - القحف بكسر القاف أعلى الدماغ - ولكن الله سبحانه وتعالى منعه من هذيل فبعث على جسده مثل الظلة من الدبر - بفتح الدال وسكون الباء - الزنابير أو ذكور النحل - فلم يتمكنوا من أخذ رأسه ولذلك كان يسمى عاصم هذا بعد وفاته بحمى الدبر كرامة أكرمها الله بها .. وكذلك أرادت قريش أن تنال من عاصم فبعثوا بعثا ليأتيهم به لأنه كان قتل عظيما من عظمائهم فى بدر ، ولكن الدبر منعته منهم أيضا ، فقالوا : دعوه حتى يمسى فيذهب عنه الدبر ، فنأخذه فغيبه الله فى الوادى فما عرفوا له أثرا .

وكان عاصم - رضى الله عنه - قد أعطى الله عهدا أن لا يمسه مشرك ، ولا يمس مشركا أبدا تنجسا أى كراهة أن يناله شىء من نجاسته ، فلما وفى لله بالعهد فى حياته وفى الله - عز شأنه - له بالحفظ والرعاية بعد وفاته .

ولذلك لما بلغ سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قصة الدبر ومنع الله جسده أن ينال منه المشركون قال : « يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك ، ولا يمس مشركا أبدا فى حياته ، فمنعه الله بعد وفاته ، كما امتنع منه فى حياته » !

الا فليكن لكم يا أنصار الاسلام ويا أحباب رسول الله - صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة فى أبطال سرية الرجيع ، وليكن لكم فيما صنع الله مع عبده ووليه عاصم عبرة وعظة ، وضعوا نصب أعينكم قول الحق تبارك وتعالى « ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور » .

القرآن بين الفلسفة والعلم

أو تهافت محصول الفلسفة والعلم بالنسبة لما ورد في القرآن من حقائق كونية

الأستاذ محمود أبو الفيض المنوفي

« تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير ، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور ، الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير » .

« تبارك ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ »

« فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ، انه لقول رسول كريم » .

« الحاقة ٣٨ ـ ٣٩ ـ ٤٠ »

كيف يدرك ادراكنا الحسى واقعية الأشياء التى تقع عليها حواسنا ـ ان شيئية المادة وواقعيتها اللتان تبدوان لحواسنا ليست فى حقيقتها كما تبدو لنا بالحواس كشىء مجسم ملموس وانما هى فى الحقيقة تيار عظيم من الطاقة والحركة المختلفة السرعات ، وبعبارة أخرى انها لدى التحقيق العلمى ليست سوى تيار من النورالذرى الكهربى تجسمه لناسرعة الحركة ، وبالنور أيضا « نور النهار » ترى حواسنا صورها ألتى هى أيضا عبارة عن اطياف نورية تصدم حواسنا فترفعهاالحواس الى ادراكنا الحسى ، وبكيفية ما يحولها الذهن الى مدركات عقلية .

وأنت تعلم ان نور الشمس الأبيض الذى يتيح لنا رؤية الأشياء يتكون من أطياف سبعة هى : البنفسجى والنيلى ، والأزرق والأخضر والأصفر ،البرتقالى والأحمر .. وأما ما فوق البنفسجى وما تحت الأحمر فاشعاعات نورية خفية لا ترى ولا تحس .

واجمالا فان صلتنا بالأشياء الماثلة لحواسنا هى حواسنا نفسها ، وحينما تصدم العين مثلا أطياف الأشياء تحمل صورها الى العصب البصرى ومن ثمة الى الذهن ليأخذ فكرة عنها .
والحواس خمس كما هو معلوم ، وأولها وأهمها حاسة البصر ، فالعينان بما لهما من شبكية وعدسية وأعصاب وما الى ذلك فبواسطة العينين تدرك الضوء والألوان وصور الأشياء والكيفيات التى هى عليها .

وعضو السمع طبعا الأذنان بعصبيهما السمعى ، وما ركب فى الأذن الوسطى من غشاء طبلى، وبواسطة الغشاء الطبلى والعصب السمعى يدرك حسنا الاهتزازات الصوتية .

وأما التذوق فعضوه اللسان وما ركب فى غشائه المخاطى من عصب دقيق حساس ، وبه نتذوق الطعوم حلوها ومرها .. الخ .

وأما الشم فعضوه الأنف ويحصل شمنا للروائح بواسطة الغشاء المخاطى الكائن فى الحفرتين الأنفيتين وفيه العصب الشمى .

وأما اللمس فان الاحساس به ينشأ عن فريعات عصبية دقيقة عدت بخاصة الاحساس اللمسى ، ومنتشرة على سطح الجسم كله وبالأخص باطن اليدين وأطراف الأصابع

وبواسطة تلك الأعصاب الدقيقة ندرك الحرارة والرطوبة والصلابة والرخاوة وغير ذلك .

والعامل الحامل لما تأتينا به الحواس عن العالم الخارجي هو الادراك الحسي الماثل في أذهاننا .

ومن هذا تعلم أن الأحاسيس ، أعني وظيفة الاحساس يقوم بها مجموعنا العصبي الذي يتأثر بأحاسيس الأشياء وذبذبتها ثم يحملها الى المخ وهناك الذهن ، فيقوم الذهن بتحويلها الى مدركات عقلية بواسطة الحس المشترك ، وبعبارة أخرى بادراكنا الحسي .

والمجموع العصبي هو المخ والمخيخ والنخاع الشوكي أو النخاع المستطيل والعصب السنبتاوي ثم بقية فروع الأعصاب الرقيقة والأعصاب تبرز من أسفل الدماغ أي من النخاع الشوكي وتنتشر في جميع أجزاء الجسد ومن وظائفها ما هو للحركة وما هو للحس وما هو للحركة والحس معا .

أما وقد شرحنا لك كيف تتفرع ناقلات الاحساس الى الذهن فلنحدثك عن الاحاسيس التي ندركها عن الأشياء وكيف تصل الى عقولنا .

أما الروائح : فهي جزئيات أو هباءات من مادة الشيء المشموم تنطلق متطايرة في الفضاء حتى تصل الى فتحتي الأنف فتتصل بنتوءات عصبية في غشائه المخاطي فتتأثر بها وتحمل ذلك الاحساس الى المخ ومن ثم الى الذهن ، وبذلك تتم عملية الشم .

وأما حاسة الذوق : فانها خاصة باللسان كما قدمنا وتحصل بتفاعل جزئيات الشيء المذاق التي تنتشر على اللسان فتوجد حساسية في الغدد اللعابية ويتأثر بها العصب الذوقي فينقل الى المخ كيفية احساسه بتذوقها فيكيفه الذهن .

وأما حاسة اللمس : فهي حاسية منتشرة في سائر أجزاء الجسم بواسطة فريعات الأعصاب التي يتكون عنها احساسنا بالشيء الذي نلمسه ثم يتحول ذلك الاحساس الى المخ فيأخذ الذهن صورة عن الشيء المحس الذي لامسناه .

وأما الأصوات : فهي ذبذبات أو اهتزازات تؤثر على غشاء الاذن الوسطى بتموجاتها الصوتية فيتأثر بها العصب السمعي الذي ينقلها الى المخ فيحولها الذهن الى مدلولاتها ويفهم ان كانت ناشئة عن صوت موسيقى محبب أو عن صوت مزعج مكروه ، ومن قبيل ذلك تأثير كلمات التهنئة والمديح مثلا وكلمات الذم والشتم فان لكل منها وقع مباين لوقع الاخر .

ثم اعلم أن متوسط اهتزازات الصوت المسموع لنا هو بين ٥١٧ اهتزازة في الثانية وبين ١٠٢٣ اهتزازة تقريبا .

فاذا بلغت الاهتزازات الى أكثر من ذلك تعود الاذن لا تطيقها واذا قلت عن المتوسط فهي لا تسمعها واذا زادت فبلغت ٣٢٧٦٨ اهتزازة في الثانية تعود الاذن لا تسمعها لأن الصوت يكون حينئذ قد تحول الى كهرباء واشعاعات نورية أو حرارية وذلك بحسب سرعة الاشعاعات وزيادة أو نقص الاهتزازات وطول أو قصر الموجات .

وأطول الموجات ما هو تحت الأحمر من الطيف الشمسي وأقصرها ما هو فوق البنفسجي ، وأما التموج نفسه فيحصل في وسط اشعاعي اكتشفه العالم (هرتز) وهي الأشعة التي يتموج فيها ذبذبات أصوات وصور التلفيزيون وأصوات اللاسلكي والراديو وغير ذلك .

وها قد رأيت معي أن الصوت المسموع يتحول الى ضوء وكهرباء .

وأما البصر وهو أعظم الحواس واشملها تأثرا فانه يرى الأشياء بحسب اهتزازات

النور فى البيئة المتوسطة بين الشخص الرائى والشيء المرئى •

وذلك يتم بأن يحدث فى المحيط من ذبذبات ضوئية متدافعة فتتأثر بذبذباتها الأشياء نفسها • بواسطة الأطياف الضوئية التى تنكسر وتنعكس على الأشياء التى هى ذريرات تتكون هى الأخرى عن الطاقة النووية فتتأثر تلك الأطياف على شبكية العين ومن ثم على العصب البصرى الذى يحمل صور تلك الأطيان وألوانها واحجامها - ان خطأ وان صوابا - الى الذهن ، وبعبارة أوضح الى الادراك الحسى الذى يكيف المرئى ويحول صورته المحسة بعد تعريتها من جسمانيتها الى الادراك الذهنى العقلى فيدرك العقل حينئذ مفهوم تلك المرائى الشيئية ويفسره تفسيرا عقليا •

ومن هنا تعلم أن مرئيات الأشياء لا تدخل الى الذهن كذبذبات صدرت عن أطياف أشياء بطريقة حسية كما هى ف احساسنا بها وانما تدخل الى الذهن كمعان أدراكية مجردة من صورها الحسية •

وليس بخاف عليك أن نور الشمس الأبيض الذى نبصر به الأشياء مركب من أطياف وراءها اشعاعات خفية لا ترى ولا تحس ، وتلك الأطياف النورية السبعة المركب منها نور النهار الأبيض تبدو لنا كاملة عند انكسار الضوء فى منشور زجاجى أو فى الشتاء عندما يظهر « قوس قزح » •

والنتيجة : أن الأشياء التى نحسها ونبصرها تبدو لنا على غير حقيقتها التى لا تحس ولا تبصر وكذلك أفكارنا فانها ليست اهتزازات للمخ كما كان يدعى الماديون ثم أطاح انشعاع المادة بتلك الدعوى التى كانت شركا والحادا •

وانما افكارنا فى حقيقتها هى الاخرى اشعاعات روحية لعالم آخر هو عالم الروح الذى يتجلى على الذات الانسانية فى شكل حياة أو نفس أو شعور أو ادراك عقلى •

وفى هذا المعنى الذى هو الحقيقة التى لا تقبل الجدل أو المعارضة الا من جاهل لا يعرف قيمة العلم ولم يضأ بها بصيرته يقول الله عز وجل وهو السميع العليم الخبير فى كتابه القرآن :

« فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون »

« الحاقة ٣٨ و٣٩ » •

وتلك الموجات الخفية التى لا يقع عليها الحس تتحرك حركات سريعة فى موجات يختلف طولها ما بن ٦٥٨ جزء من مليون من المليمتر للون الأحمر و٤٨٦ للبنفسجى ، وبعبارة أخرى يبلغ طولها نحو جزء من ٢٥٠٠٠ جزء من البوصة للاحمر ونحو نصف ذلك للبنفسجى ، ولا يخفى أن ما فوق البنفسجى وما تحت الأحمر اشعاعات عدة أدق من أن ترى وأخفى لا تتناولها جميعا حواسنا •

وطبعا الأشياء التى نبصرها ألوان متكيفة بتلك الألوان المنعكسة عليها والمرتدة الى أعيننا بل قل ان العناصر التى تتركب منها تلك الأشياء لها أطياف أدق من الأشياء نفسها لا نحسها ولا نلمسها وانما تحسها الألواح الحساسة للفوتوغرافيا والعين بعدستها اللامعة للاشعة وعصبنا البصرى لا يعطينا عن تلك الأطياف والمرائى الا مجرد ذبذبات الأطياف نورية تحدثها الألوان والصور •

وليست نفس الأجسام والكتل المادية التى تكونها وتحلها السرعة ولذا كانت الأشياء دائمة التحول ولنقل بعبارة واضحة أن الأشياء فى حقيقتها أطياف لأنوار ، وقل اليوم وعلى ضوء العلم الحديث وأنت صادق فيما تقول :

ان الكتلة المادية وليدة الطاقة ، والطاقة تؤول الى قوة مطلقة غير متحيزة ، والقوة نفسها تصدر عن ارادة تدرك ما تفعل ، والارادة أثر لقدرة عليا هى قدره الله السميع العليم ، وهى احدى صفاته المقدسة كالعلم والحياة •• الخ •

وكذلك الفكر الذى نفكر به فى كل معقول وكل محسوس ان هو الا كائن ادراكى نورانى محض وله نشاط معنوى لا يمكن أن ننعته الا بنعت النور وهو والمادة محدثان متكاملان لاستمداد أحدهما من النور الذرى والآخر من الحياة الالهية ، فقل معى كما يقول الله فى القرآن وهو أصدق القائلين « نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم » .

ثم اعلم ان كل كائن معنوى لا يتقسم ولا يتحيز ولا يتعدد وان اختلفت صور مفاهيمه وكل شىء محس متعدد له صور وكيفيات وصفات وخصائص هو محدود متحيز مهما دقت صوره وجزئياته ، ولكنه فى أصله وحقيقته يصدر عن نور طبيعى يستمد كيانه من خصائص منور السموات والأرض ومثله فى ذلك العقل أيضا والنور لا يتعدد فى مبعثه وان تنوع فى ألوان أطيافه وظهر فى أشكال وصور وأعيان ذات كيفيات وأوضاع ، وبمثل هذا وذاك مما يقره العلم فى أعلا ذراه نعود الى عالم ما فوق الطبيعة : عالم الحقيقة، عالم الوجود الالهى المطلق .

ولا شك أنك فى حابة استقرائك لهذا الوجود البديع الذى تتعدد حقائقه النسبية وتعيش أنت فيه كحقيقة نسبية أيضا لا شك أنك واجد أن بعضه كما نحسه بحواسك وبعضه الآخر مما تدركه بعقلك ثم تشعر بأنك لا تحس بحواسك من الموجودات سوى مظاهرها العابرة ومظاهرها فقط ثم انك أيضا تدرك بادراكك العقلى سواء عن طريق ادراك العقل أو الحس أو عن طريق شعورك الذاتى ان العوامل العلية والسببية المؤثرة فى الكائنات هى عوامل ما وراء الطبيعة وما بعد القوانين .

ثم انك شاعر أيضا لا محالة بأن حيويتك نفسها تلك التى وهبتك الادراك والشعور هى شىء علوى روحى بفاض على جسدك الفانى من ناحية علوية أزلية . ذلك فى مقابل أن شيئية اشياء نفسها لا تدركها بشىء مادى بحت وانما تدركها بادراك عقلى يصور لك صورة ذهنية عنها فتعود سريعا من المحس الى المعقول ومن العرض الى الجوهر ومن الفانى الى الباقى ومن الممكن الى الواجب ، وهنا يتلاشى من منطقة عرفانك كل جسم زائل وكل طيف حائل من أطياف الأشياء المحسة التى تعود فى حقيقتها الى أسباب غير محسة فيتوحد عندك الادراك ما بين حسى وعقلى بصورة شمولية هى العلم الخالص الداعى الى الدين الصحيح .

ومن هنا يمكنك أن تفهم فهما يقينا لا يعتريه شك أن الوجود الالهى المطلق يتمتع بصفة تجعله يدرك بالعقول والقلوب والبصائر وان كان لا يحس ولا يلمس ولا يتحيز ولا تحصره الحدود ولا الأنات الزمنية .

وتعلم من كل ذلك أيضا علما يقينا أن ليس فى كل ما يرى وما لا يرى من شىء محس أو معقول واقع فى الكيان الطبيعى الموضوعى أو يستنبطن فى ذاتك استبطان الحقيقة فى أعراضها ونسبها المختلفة ليس هناك سوى عاملين مهمين ونشاطين أساسيين يتمتعان بالفاعلية والتأثير وهما الحياة .. ومن مظاهرها الفكر والارادة والحرية والاختيار .

والقوة العامة - ومن مظاهرها الطاقة الكونية المشيئة للاشياء بأولياتها الذرية والحياة والقوة معا حقيقتان غيبيتان يكونهما نشاط الصفات الالهية كأثرين بارزين يدلان على وجودها - وجود الصفات - وبالتالى يدلان على وجود الله وقدرته وارادته انه « هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم » الحديد ٣ .

« يأيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون » . الانفطار (٧ - ٨ - ٩ - ١٠ - ١١ - ١٢)

رحلاتي في الإسلام

فضيلة الشيخ محمود خليل الحصري

« افضل الصدقة ان يتعلم المرء المسلم علما ، ثم يعلمه أخاه المسلم » (صدق رسول الله)

يقول الله سبحانه وتعالى :

« فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون »

(٣٠ الروم)

هكذا الاسلام دين قيم تهتدى اليه النفس بفطرتها دون تعلم ، أو جهد ، أو معاناة ، لما فيه من بساطة ويسر ووضوح .

مبادئه عادلة راعت حقوق الانسانية فى أسمى معانيها ، ظهرت آثارها الطيبة فى الرعيل الأول من المسلمين ، هؤلاء الذين جعلوا كلمات الله البينات نبراسهم فى كل نواحي الحياة فلم يضلوا أبدا سواء السبيل ، وعاشوا على الخير ترفرف عليهم ألوية المحبة والسلام .

بل جعلوا الداخلين فى زمرة الاسلام ممن وصلتهم تعاليمه آنذاك - سواء عن طريق الرحلة ، أو المخالطة ، او الدعوة - مطمئنة قلوبهم راضين مستبشرين لأنهم لمسوا الخير فى اتباعه . ورأوا حسن سيرة المسلمين فيهم .

وما أن عظم المد الاسلامى فى القرون الماضية حتى اتسعت رقعة الاسلام ، وأصبح يدين بتعاليمه القاصى والدانى، بل وصبغ البلاد التى دخلها بالصبغة العربية الاسلامية رغم أن أكثرية أهالى تلك البلاد كانوا على معتقدات أخرى ورثوها عن آبائهم واجدادهم ، حتى جاءهم الاسلام خاتم الأديان جميعا فقضى على تلك المعتقدات ، ودخلوا فى دين الله افواجا ، لما رأوا ، وأحسوا من أن الاسلام لايعترف بالحواجز البشرية أو العنصرية ، انما يقوم أساسا على أن الناس أمة واحدة لا أبيض ولا أسود بل الكل سواسية كأسنان المشط لافضل لعربى على عجمى الا بالتقوى .

مساواة كاملة فى الحقوق والواجبات ما دام الفرد فى المجتمع الاسلامى متمسكا بشريعة الحق شريعة الله الذى خلق الناس شعوبا وقبائل مختلفة السنتهم وألوانهم ، ولو شاء لجعلهم أمة واحدة .

هكذا الاسلام دعوة حق ، وانسانية وفطرة ووضوح وسعت مبادئه ومثله العليا كل من يطلب الحق والهداية ويؤمن بالله رب العالمين .

تقول الآية الكريمة : « أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ، فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ، أولئك فى ضلال مبين » (٢٢ - الزمر)

***

فى المرة السابقة وقفت بكم عند أخبار رحلتى القرآنية الى أندونيسيا - تلك البلد الذى يشكل المسلمون فيه السواد الأعظم من السكان .

واليوم نلتقى لنحكى أخبار رحلة أخرى الى وطن عربى اسلامى زرته عدة مرات ، فى كل مرة أزوره فيها أجده أجمل منظرا ، وأبدع تنسيقا .. ألا وهو الكويت .

ولنقف عند أخبار الرحلة من بدايتها .

هبطت بنا الطائرة حيث مطار الكويت الجديد الذى يقع بين مدينتى الكويت والأحمدى ، ويعتبر آية فى الفن المعمارى الحديث .

سألت : أين نحن الآن من العالم الاسلامى ؟

أجاب المرافق بقوله : « نحن الآن فى شمال غربى الخليج العربى ، يحدنا شمالا العراق وجنوبا السعودية ، وشرقا الخليج العربى ، وغربا المنطقة المحايدة » .

وخرجنا من أرض المطار لتستقبلنا الأبنية الفاخرة والشوارع المنسقة فالكويت ينفق جانبا كبيرا من دخله على رفع مستوى المعيشة وتوفير أسباب الراحة لمواطنيه فى كل القطاعات .

ودولة الكويت دولة عربية مسلمة - برزت أهميتها يوم احتل الفرس البصرة ، ونقلوا حركة التجارة منها الى الكويت .. مما زاد عدد المهاجرين اليها خاصة من منطقة الخليج والجزيرة العربية - يبلغ عدد سكانها قرابة الربع مليون نسمة كلهم مسلمون ، عدا بعض الأقليات الأوربية التى تعمل فى حقول البترول .

ولعلك تتعجب حينما تعرف أن مساحة دولة الكويت لاتتجاوز ستة آلاف ميل مربع والكويت اسم الامارة كلها وعاصمتها التى تقع على الضفة الجنوبية من الجون الصغير .

يقول عنها الكويتيون أنفسهم أنها مدينة حديثة لكنها تقع فى منطقة قريبة من موقع قاظمة التى ورد ذكرها فى حوادث الفتح العربى عندما وقعت معركة بين العرب بقيادة خالد بن الوليد ، وبين الفرس بقيادة هرمز عام ١٢ للهجرة .

ومنذ اكتشف البترول فى أرض الكويت أنشئت مدينة (الاحمدى) وسط منابعها تبعد حوالى ٣٧ كيلو مترا الى الجنوب على البحر ، وهى مركز شركة النفط الكويتية ، ولها ميناء خاص بها يسمى ميناء الأحمدى وتعد هذه المدينة من أجمل المدن العربية الحديثة فى الشرق .

وهناك من المدن الحديثة مدينتى حولى مركز محافظة حولى ، ومدينة السالمية ، وايضا هناك بعض القرى المتباعدة مثل ابو حليفة ، والفنطاس والجهراء ، وكاظمة ، والروضتين .

والكويت متصلة بالعالم الخارجى عن طريق البحر ومتصلة بالأقطار العربية عن طريق

البر تأتيها البواخر والطائرات كل يوم محملة بالأطعمة والخضروات ذلك لأن أرضها قاحلة قلما ينبت فيها العشب لقلة الماء الجوفى وانعدام الأمطار ، مما دعى الحكومة الكويتية الى اقامة مشروع عظيم لتقطير مياه البحر لتتوفر للناس حاجاتهم من الماء .

وكعادتى فى كل بلد أزوره أحرص كل الحرص على معرفة تاريخ دخول الاسلام فيه أستشفها خاصة من أفواه أهله .. قال لى أحد علماء الكويت : (ان الاسلام عرف طريقه الى هذه البقعة من الأرض العربية الاسلامية منذ أواخر القرن الحادى عشر من الهجرة وأوائل القرن الثانى عشر - يوم رحل اليها عدد كبير من البدو ، وصيادى الاسماك المسلمين وبعض القبائل المهاجرة من قطر وما جاورها من البلاد خاصة قبيلة بنى خالد التى لم يكتب لها البقاء المستمر فى الأراضى الكويتية .

غير أن قبائل العتوب احدى بطون قبائل العنازة - موطنهم الأصلى وسط الجزيرة العربية ومن أنشط القبائل العربية فى التجارة وصناعة السفن - هى التى استقرت داخل الكويت منذ زمن بعيد وحتى يومنا هذا .

***

وعلى الرغم من صغر مساحة دولة الكويت الا أنك تحس فيها الطابع العربى الاسلامى الصميم ترى عددا كبيراً من المساجد والزوايا والمعاهد والمدارس الدينية ، فالكويت تعمل جاهدة على نشر التراث والثقافة الاسلامية ، وتقدم كل امكانياتها للعاملين فى مجال التعليم الدينى .

فهناك أقيم معهد دينى كبير يتعلم فيه الطلاب تجويد القرآن الكريم ، والتفسير والحديث وجانب كبير من العلوم الشرعية والعلوم الأخرى .

وفى الكويت عدة مدارس على المستويات المختلفة ، وعلى أحدث طراز فى العالم ، من ناحية البناء والاستعدادات وطرق التعليم - تعتنى فى مناهجها الدراسية خاصة بالجانب الدينى - يجلب اليها كل عام أعداد ضخمة من أبناء الأزهر الشريف ومدرسى الجمهورية العربية المتحدة .

أما المساجد فمن بين ما رأيت منها المسجد الأحمدى ، وهو من أروع المساجد الكويتية بالقرب منه جمعية الارشاد الاسلامية التى تعمل جاهدة على انماء روح المعارف الاسلامية وتربية النشء على مبادىء ديننا الحنيف ، كما تعمل أيضا على ربط الناس بعضهم ببعض عن طريق المحاضرات والمواعظ التى تلقى عليهم أيام الجمع ، وفى كل مناسبة دينية - راجية بذلك رسم الطريق الصحيح للفرد المسلم وعلاقته بربه أولا ، ثم بالناس من حوله ثانيا - .

ومن المساجد الأخرى التى شاهدتها هناك مسجد البدر الذى أسسه الحاج ناصر البدر عام ١٨١٥ من الميلاد ، ومسجد المرحوم الحاج عبد الله العثمان بحى النقرة ، أنفق فى تشييده مبالغ طائلة حتى أصبح تحفة من الفن المعمارى الحديث ، بل ومن أعظم المساجد التى شيدت فى تاريخ الكويت .

وهناك أيضا مساجد أخرى لاتقل جمالا وروعة عن مسجد الحاج عبد الله ، كمسجد هلال فى حى العوازم ، ومسجد آل خليفة على شاطىء الخليج ، وأيضا مسجد الشويخ بحى الشويخ بجوار المدرسة الثانوية التى ستكون مقرا لجامعة الكويت .

وعشت أياما طيبة بين أبناء الكويت ، لم أحس خلالها أنى غريب عن أهلى وعشيرتى ، بل فى كل خطوة أخطوها أشعر وكأنى داخل دارى وبين أهلى وعشيرتى ، ذلك كله لأن شعب الكويت شعب كريم مضياف ، فى كل عاداته وتقاليده السمات الاسلامية السمحة، فشهر رمضان المعظم له طابع الاجلال والاحترام عندهم ، فاذا ما أهل الشهر بجلاله تسابق الناس فى استقباله بالتسبيح ، والاستغفار والقيام ، ثم بنحر الذبائح وتوزيعها على الفقراء والمساكين ، فالكويتيون أهل كرم من عاداتهم اقامة الموائد الغاصة بأنواع الأطعمة خاصة (السريد) للاصدقاء والجيران والغرباء اللذين يعملون فى المصالح الحكومية ، والمدارس مبعوثين من بلاد أخرى .

ومن عاداتهم أيضا بدء الافطار بتناول ثلاث حبات من التمر وكوب من اللبن سنة عن النبى - صلى الله عليه وسلم - كما أن المساجد تظل مفتوحة طوال الليل والنهار ، يتلى فيها القرآن الكريم ويتدارس قبيل الافطار وبعد صلاة العشاء والتراويح ، وحتى ساعة متأخرة من الليل .

والحكومة الكويتية تنظم ساعات العمل خلال أيام الشهر تعظيما لما له من قداسة فى نفوس المسلمين ، وتسهيلا على الصائمين من شدة القيظ .

ولعل من أروع ما شاهدته أن أولى الأمر فى الكويت يحرصون كل الحرص على مظاهر الاحتفال بليالى شهر رمضان المعظم فيقيمون احتفالا كبيرا فى كل مسجد يقرأ فيه القرآن الكريم ويتدارس بعد صلاة العصر وحتى قرب موعد آذان المغرب ، يؤمه الأهالى من كل حدب وصوب .

وما أن يؤذن المؤذن معلنا حلول موعد صلاة المغرب حتى يخرج الناس لتناول الافطار ثم يعودون للصلاة وسماع القرآن حتى صلاة العشاء ، والى ساعة متأخرة من الليل .

ومن المظاهر الرمضانية الفريدة فى الكويت اقامة حفل كبير بمناسبة ذكرى انتصار المسلمين يوم غزوة بدر الكبرى ليلة النصف من الشهر يحضره عادة الأمير والوزراء والأعيان ، كما يقام أيضا فى كل منزل ، وفى كل مسجد حفل ليلة السابع والعشرين تيمنا بليلة القدر .

***

هكذا رأيت الكويت مبعوثا من جمهوريتنا العربية المتحدة ، وضيفا على وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية الكويتية لاحياء ليالى شهر رمضان المعظم بين أخوة لنا جمعتنا واياهم راية الاسلام دين السلام والهداية والرشاد .

وهكذا رأيت أهل الوطن العربى الشقيق أسوة يحتذى بهم فى الشهامة العربية الأصيلة والكرم الفياض النابع عن روح الاسلام ذلك الدين القيم الذى يهب القلوب المؤمنة به نورا ، ونورانية يستشعرون بها الطريق الى يوم لاينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

والى لقاء قادم مع رحلة اخرى ان شاء الله .

حضارة الإسلام وأثرها فى رقى البشرية

الأستاذ منصور نسيم

بدأت الرسالة الاسلامية حياتها فى بلاد العرب ، وكافح المؤمنون بها وهم قلة ثلاثا وعشرين سنة ، تحت قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحين اكمل الله تعالى للمسلمين دينهم ، واتم عليهم نعمته ورضى لهم الاسلام دينا ولحق صاحب الرسالة بربه ، كانت نواة الدولة الاسلامية قد تكونت فى المدينة ، وكان خلفاء الرسول وأصحابه قد تاهبوا لحمل راية الدعوة ومواجهة الحضارتين الكبيرتين المحيطتين بمهد الاسلام شمالا وشرقا وغربا ، وهما « الفارسية والرومانية » اللتان اظهرتا العداء والكراهية للدعوة الجديدة وتهددتاها من أطرافها .. وهنا كانت العزيمة الصادقة والايمان الراسخ ، فاندفع المسلمون الاولون فى شبه الجزيرة العربية يدعون الى الله والى دينه فى غير اكراه ، وتمكنوا بعقيدتهم ووفائهم لدينهم أن يزلزلوا عروش القياصرة والاكاسرة كيلا يحول الملوك والرؤساء بين رعاياهم والاستماع لدعوة التوحيد .. ولم يمض قرن واحد من الزمن حتى كانت راية الاسلام قد أظلت معظم العالم القديم ، ثم توالى اتساع المجتمع الاسلامى ، وتغلغلت الدعوة الجديدة فى أواسط اسيا وما وراءها والى اقاليم اوربا الجنوبية ، والى مختلف ارجاء القارة الافريقية ودخل الناس فى دين الله افواجا من مختلف الاجناس والالوان والالسنة ، ولم يكونوا فى ذلك يعتنقون الاسلام طواعية فحسب ولكنهم كانوا يهبون لنشره والدفاع عنه بانفسهم وأموالهم ، ويقبلون عن رضا واختيار ومحبة على تعلم « العربية » لغة كتابه ورسوله فيتقنها الكثير منهم ، ويؤلفون بها فى علوم الدين والدنيا ، بل ويشاركون مشاركة جدية رائدة فى تفنين تلك اللغة والتاليف فى أسرارها وخصائصها ، وفى أدبها ولغتها وينبغ منهم فى مختلف ميادين المعرفة والعلم ائمة مجتهدون حفظ تاريخ الاسلام اسماءهم ومذاهبهم وتراثهم ... وتلك سمة أولى من مقومات الحضارة الاسلامية .

وأما السمة الثانية الهامة من سمات الحضارة الاسلامية وهى سماحتها وعالميتها وانسانيتها . ذلك انها كانت - وستبقى ثمرة الجهود المشتركة من كل من اظلتهم راية الدولة الاسلامية من مسلمين وغيرمسلمين على اختلاف نحلهم ولغاتهم القومية ، فقد وفرت الدولة عن رغبة وطواعية - لغير المسلمين حياتهم وأمنهم واستقرارهم واحترمت شعائرهم وأماكن عباداتهم ، وفتحت امامهم ابواب مناصبها وإداراتها واغدقت عليهم من وسائل التشجيع ماأتاح لهم نقل الثقافات القديمة ولا سيما الفارسية واليونانية والهندية الى اللغة العربية ، فازدادت بذلك حضارة الاسلام خصبا وتفتحا وازدهرت بها العلوم والمعارف والاداب والفنون ازدهارا يستهدى بما للتراث الاسلامى وما فى مؤلفاته التى شارك الغرب الحديث فى العناية بتحقيق الكثير منها ونشره ، وتشهد به الوف المخطوطات العربية والشرقية المحفوظة فى مختلف المكتبات الكبرى فى العالم ، ثم يشهد به علماء العصور الوسطى وعصر الاحياء فى اوربا ممن تتلمذوا على كتب ابن سينا ، وابن رشد والغزالى ، وابن خلدون وغيرهم ، كما يشهد به المنصفون من محدثى علماء الغرب ممن كتبوا عن فضل الحضارة الاسلامية على الحضارة الغربية فى الفلسفة والطب والكيمياء والرياضيات والفلك وادب الرحلات والآداب ونحن هنا لسنا بحاجة الى الافاضة فى جوانب تراث الحضارة الاسلامية وما تميزت به من عمق وفهم وتحقيق ، كما اننا لسنا بحاجة الى مناقشة التجنيات والقضايا التى اثيرت فى الماضى ضد تلك الحضارة : كقضايا تخلف البلاد الاسلامية ، ومركز المراة فى المجتمع الاسلامى ، وكالمزاعم التى كان يقذف بها بعض المغرضين من غير المسلمين من أن الاسلام دين مضاد للتطور ، وانه انتشر بالسيف ، وان الحضارة الاسلامية حضارة ناقلة وليست مبدعة ،

وان الاسلام ليست عنده الحلول المرضية لمشكلات الحياة الحديثة ، وان بعض نواحيه كنظـام الارث لاتتمشى والتطور الحديث. فهذه وامثالها قضايا ومزاعم اشبعهـا علماؤنا منذ بدء حركة الاصلاح فى العالم الاسـلامى نقاشا وتفنيدا ، وقد اوشكت ان تنتهى تلك المرحلة التى كنا مضطرين فيها ان نلتزم موقف الدفاع عن حضارتنا ضدهجمات الخصوم والمغرضين ، والامر الان بفضـل التحرر السياسى والاقتصادى والوثبة التى شملت بلادنا الاسلامية ونهضة الثقافة والعلم فيها ، اننا دخلنـا مرحلة ايجابية جديدة نقف فيها موقف الاعتزاز الحق بحضارتنا ، ونعرض على العـالم كله ما قدمته تلك الحضـارة - وما تسـتطيع ان تقدمه لرقى البشرية وسعادتها ..

لقد امتازت الحضارة الاسلامية بان كل مقوماتهـا الجوهرية تنبع من وحى رسالة سماوية تمدها بالروح والقـوة والتماسك ، وتوجهها الى الموازنة بين مقاصد الروح ومطالب البدن ، والبعد عن الزهد المعطل للعمل وعن المادية الجامحة المفسـدة لانسانية الحياة فهى فى نظام عقيدتها تقوم اساسا على توحيد الله ، قال تعالى « والهكم اله واحد » وتنزيهـه عن الشرك والولد «قل هو الله احد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد » وافـراده سبحانه وتعـالى بالعبادة والتعظيم « اياك نعبد » ومراقبته فى السر والعلن « مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم » والتصـديق برسالاته « قل اطيعوا الله والرسول » والتمسك بما شرعه من آداب المعاملة والسلوك « يايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم » « ولا تجسسوا .. ولا يغتب بعضكم بعضا »

وهى فى نظامها السياسى تقوم على الشورى والنزول على راى الجماعة « وشاورهم فى الامر » والمساواة بين الناس « يايها الناس انا خلقنـاكم من ذكر وانثى وجعلنـاكم شعوبا وقبائل لتعـارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير » . والتزود بكل اسباب القـوة والمنعة « واعدوا لهم ما اسـتطعتم من قـوة » والدفاع عن مقدسات العقيدة والوطن « وجاهدوا فى الله حق جهاده » وعدم الاعتداء الا على المعتدين « ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين » والتعايش السلمى بين الامم « وان جنحوا للسلم فاجنح لها »

ونظامها الاخلاقى يقوم على دعائم قوية قوامها خلوص النية ونقاء الضمير « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون » والتمسك بقيم الخير والحق والعدل « واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل » والتزام الاداب الفردية والاجتماعية التى تسير بالبشرية الى الكمال ، والى حياة الوئام والصفاء وتجنبهم الشقاق والخلاف ..

ونظـامها الاجتماعى يقوم على الاسرة المتماسكة المبنية اصلا على المودة والرحمة والاخلاص المتبادل « تلك حدود الله » ويقوم على التكافل الاجتماعى ، والتقريب بين الغنى والفقير « وفى اموالهـم حق للسـائل والمحـروم » وقيام كل راع بمسئوليته « كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته » وتعاون المواطنين على الخير والبر والتعاطف « وتعـاونوا على البر والتقوى ولا تعـاونوا على الاثم والعدوان »

ونظامها الاقتصادى يقوم على تبادل المنافع واتخاذ المال وسيلة لا غاية « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » واحترام الملكية الفردية غير المستغلة او المعطلة للصالح العام « الذى جعل لكم الارض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون »

والترغيب فى البذل والانفاق لخير المجتمع ولزوم القصد « الذين ينفقون اموالهم فى سـبيل الله ثم لايتبعون ما انفقوا منا ولا أذى لهم اجرهم عند ربهم » والبعد عن الاسراف والشح فى امور المعيشة « ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين » .. والتنفير من كنز الاموال ومن تعطيل استثمارها فيما يعود على الجميع بالنفع والرفاهية والتقدم « والذين يـكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعـذاب اليم »

ونظامها التشريعى يقوم على اصول رئيسية واسعة قررها الكتاب الكريم والسنة ، مع ترك المجـال واسعا للاجتهاد فى تطبيقها تطبيقا يحقق المنافع ويدرا الاضرار وقد تمثلت هذه الناحية التشريعية فى ثروة من الفقـه الاسلامى تجلت فيها عبقرية الحضارة الاسلامية فى تنظيم العلاقات والمعاملات على اسس سليمة وتمثلت فيها حرية الاجتهاد الفكرى ، فاثمرت طائفة من المذاهب الفقهيـة الكبرى التى انتشرت فى العالم الاسلامى كله .

والنظام الثقافى للحضارة الاسـلامية يعتمد على طلب المعرفة من كل وجه ممكن واستخدام العقل فى كسـب المعارف والالمام بكل حديث وجديد ، وتسخير الطبيعة لسعادة الفرد والجماعة واعتبار الثقافة ايا كان مصدرها ومهدها تراثا عاما للانسانية يشارك فى تراثها كل مواطن مستطيع وكل جيل من البشر ، وياخذ فيها اللاحق عن السابق ويضيف ما يضيف ثم يورث ذلك من بعده وهكذا قد عنيت الثقافة الاسلامية اولا بخدمة دراسات كتابهـا الكريم وسنة رسولها وتقنين لغتها وآدابها وبلاغتها ، وتسجيل تاريخ الانسانية ، ثم ضمت الى هذا الازدهار الداخلى الافادة من تراث الامم القديمة عن طريق الترجمة ومن الناحيتين معا استقام لها تراث فكرى عليه طابع عبقريتها فى الفلسفة والعلوم والاداب والفنون ، وبرز من مفكريها فلاسفة حاولوا التوفيق بين الشريعة والحكمة وعلماء وادباء من مختلف البيئات والمجتمعات الاسلاميـة خلد التاريخ اسماءهم .

من تراثنا الاسلامي

لطائف الإشارات للإمام القسطلاني

فضيلة الشيخ ابراهيم عطوه عوض

ان رسالة التراث الاسلامى رسالة جلى لها اثرها البعيد فى مجتمعنا الاسلامى ، فهى تستهدف أول ما تستهدف اخراج الكنوز الثمينة التى جادت بها قرائح اسلافنا السابقين . وتفجرت بها ينابيع مواهبهم . فانسابت فى كل جانب من جوانب التعريف بهذه الشريعة الخصبة السمحة . فكانت لهم مؤلفات رائعة شفت عن مدى شماختها وكشفت عن الكثير من نواحى عظمتها . ولقد كان اهتمامهم بالمصدر الأول للتشريع (**القرآن الكريم**) فى المكانة الاولى من عنايتهم . اذ كانوا يعتقدون ان الطاعة الحقيقية لله . انما تكون بدراسة كتابه والعكوف على تفهم مراميه وادراك اشاراته وتحليل عباراته . مما مكن لهم من ان يكشفوا فيه كل يوم جديدا يزداد به المؤمنون ايمانا على ايمانهم . فتدفع بهم الثقة الى متابعة المزيد من الدراسة والتحليل . ومن ثنايا هذه الدراسة الفاحصة المتعمقة اخرجوا للناس مؤلفاتهم . لا يبغون من ورائها جزاء ولا شكورا . انما يريدون بها وجه الله رحمل الناس على التمسك بكتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . **(والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلاة انا لا نضيع اجر المصلحين) .**

وبهذا وجدت البشرية المعذبة ما يأخذ بساعديها الى رحاب السعادة الابدية . وفى الوقت ذاته ظفرت بما يحقق لها غاياتها . ويسد حاجاتها . وينهض بمتطلباتها فى هذه الحياة الراهنة .

ولقد قدر الله لهذه الكنوز الدفينة بعد ان طال عليها الامد فى زوايا النسيان ان ترى النور على يد المجلس الاعلى للشئون الاسلامية فوق ارضنا الطيبة التى قام بها الازهر الشريف بين جوانبها يحمل شموس الهداية . فتضيىء آفاق الدنيا . فيرى الناس الطريق الواضحة فيندفعون اليها مستبصرين بعد ان كانوا فى ظلمات الجاهلية والجهالة تائهين .

ولما كانت المكتبة الاسلامية على وفرة محتوياتها وضخامة ذخائرها قد خرجت من عقالها . وبعثت من مرقدها فى عصرنا الثورى . الذى بلغ من عنايته بالقرآن الكريم أن خصص له محطة اذاعية مستقلة تذيعه برواية حفص مرة . وبرواية ورش عن نافع اخرى . وغيرها من الروايات على آفاق الدنيا تقرع الآذان وتنبه الاذهان . فتصغى اليه افئدة واعية وتتفتح له عقول مدركة . فتبصر من خلال اضوائه الكاشفة معانى وقيما جديدة

تضفيها هذه القراءات التى انزل بها . وقد انزل على سبعة احرف . فتزيدهم ايمانا على ايمانهم . وحبا فوق حبهم .

ولما كانت رسالة هذه المكتبة اصبحت على المستوى العالمى . كان لا بد من اتحافها بكنز آخر من تلك الكنوز المكنونات ليقف الى جانب زملائه فى كل المجالات . ويكمل معهم ما قدر من رسالات .

ولقد طلب الى ان اقدم تحفة من هذه التحف الى لجنة احياء التراث الاسلامى . فوقع اختيارى عن تجربة ومراس على كتاب (لطائف الاشارات فى علوم القراءات) حيث اتصلت أسانيدى بأسانيد مؤلفه الشيخ الامام الحافظ القسطلانى الذى بدأ حياته بالقراءة والاقراء .

وقد جمع القراءات السبع والعشر بمضمن الشاطبية . والدرة . وطيبة النشر . وقرأ بذلك كله القرآن الكريم عرضا وسماعا مرات عديدة . وهو كتاب ناهيك به من كتاب فى خصوص هذا الباب صيغ فى أسلوب ممتع جذاب . وعبارة ميسرة تأخذ بالالباب . يسير القارىء له فى رياض رحبة الظلال . دانية القطوف . جميلة المرأى حلوة المذاق . جمعت ما نمقه السابقون وزيد عليها ما كمل بهجتها . واغنى عن النظر فى سابقتها . ولا غرو ان يخرجه مؤلفه فى صورة متكاملة فقد شغف رحمه الله بهذا العلم صغيرا وعنى به . ووفر عليه جهده كبيرا . فاستكمل ابوابه . ووسع رحابه . حتى ليجد كل طالب فيه بغيته . وما يشبع هوايته ورغبته مدعما بالاسانيد من أحاديث صحيحة كاملة التخريج معزوة الى الكتاب الذى اخرجها شارحا لها بأسلوب رصين يكشف حقائقها ويبين دقائقها ثم يدعم ما هو بسبيله بما ورد من أقوال الصحابة. وائمة السلف بكل أمانة وباختصار موف بالغرض . واليك المامة وجيزة عن بعض محتوياته :.

تعرض الكتاب لاول من كتب فى علوم القراءات . وسار متتبعا لجمهرة المؤلفين فيه جامعا من اكثر من سبعين كتابا ما صح من القراءات العشر المتواترة . مضيفا اليها ما نقل عن الاربع الزائدة عليها . موجها كل قراءة . ذاكرا ما فيها من أوجه الاعراب .

ولقد ترجم لجميع الائمة الاربعة عشر . ولرواتهم الثمانية والعشرين مبينا تاريخ ميلادهم . وسنى وفاتهم . شارحا لطرقهم ولطبقاتهم . كما ذكر علماء العدد ومذاهبهم فى فواصل القرآن اتفاقا واختلافا . واحصى عدد الآيات والكلمات والحروف فى كل سورة . ثم اتى على بيان ما اتفق على انه مكى او على انه مدنى من الآيات والسور . مرتبا لها حسب ترتيب نزولها . ثم يردف ذلك بما هو مختلف فيه من المكى والمدنى . مع ذكر تعاريف العلماء لكل منهما .

وقد ضمن كتابه الى جانب هذا كل ما له اتصال بعلم القراءات . كرسم المصحف وتاريخه . وذكر عدد المصاحف المرسلة الى الامصار . وانزال القرآن على سبعة احرف . واركان القرآن . وحكم التنكيس فى قراءته . واوجه الامالة والتقليل . والمد والادغام وتفخيم المفخم . وترقيق المرقق . وما الى ذلك من مناقشة المخالفين رأيهم بالأدلة والبراهين . كما تكلم عن جمع القرآن فى عهد الرسول . وفى عهد صاحبيه أبى بكر وعثمان رضى الله عنهما . ومن اشتهر من الصحابة بحفظ القرآن وتعليمه الى غير ذلك من ابحاث عديدة نفيسة . واذا عرفنا انه قد جمع كتابه – كما اسلفنا – من اكثر من سبعين كتابا ادركنا قيمته ومقدار اهميته .

ومما امتاز به هذا الكتاب جمع المعانى الكثيرة فى ألفاظ يسيرة . وان مصنفه أبلى فيه بلاء حسنا . ودافع عن القراء . ورد على النحويين الذين يلحنون بعض القراء ولا يميزون بين قراءة متواترة واخرى شاذة .

فمن ذلك (والارحام) من قوله تعالى فى صدر سورة النساء : (واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام) فحمزة يخفض الميم عطفا على الضمير المجرور فى به من غير اعادة الجار .

وهذا مذهب الكوفيين . ولا يجيزه البصريون . وأعيد الجار وحذف للعلم به . او جر على القسم تعظيما للارحام حثا على صلتها . وجواب القسم : ان الله كان عليكم رقيبا .

وعورض بان قراءة النصب واظهار حرف الجر فى الارحام يمنعان من ذلك . والاصل توافق القراءات . وبانه نهى عن الحلف بغير الله تعالى . والاحاديث مصرحة بذلك وقدر بعضهم مضافا فرارا من ذلك . فقال : تقديره : ورب الأرحام . قال أبو البقاء : « هذا اغنى عنه ما قبله يعنى الحلف بالله . ولقائل ان يقول ان لله تعالى ان يقسم بما شاء كما اقسم بمخلوقاته كالشمس والنجم والليل . وان كنا نحن ننهى عن ذلك . الا ان المقصود من حيث المعنى ليس على القسم . وقد طعن جماعة فى هذه القراءة كالزجاج والفراء والمازنى فقال الثانى خفض الارحام هو كقوله اسألك بالله والرحم . وهذا قبيح لان العرب لا ترد مخفوضا على مخفوض .. وقال الزجاج : والجر خطأ فى العربية باجماع النحاة على قبح — العطف على الضمير المجرور بغير اعادة الجار . وقال البيضاوى: وقرأ حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف» انتهى .

وقد اجاب العلامة الجعبرى عن ذلك بان مذهب اكثر البصريين اشتراط اثبات الجار فى المعطوف لفظا نحو « به وبداره الارض » (وانه لذكر لك ولقومك) او تقديرا اختيارا نحو (وكفر به والمسجد الحرام) على راى . وقوله : وما فيها غيره وفرسه . وانشد سيبويه :

فاليوم قد قربت تهجونا وتشتمنا
فاذهب فما بك والايام من عجب

ومذهب الجرمى اشتراط احد امرين مراعاة الجار والتأكيد . نحو مررت به نفسه وزيد .

ومذهب يونس والاخفش وجل الكوفيين عدم اشتراط الاثبات مطلقا . فيدل هذا على جواز الجر بالعطف اجماعا . اما عند من لم يشترط فظاهر . واما عند المشترط فمعاد تقديرا فلا وجه للتخطئة ولا التفات للطاعن . قال الجعبرى : وقبيح ممن يرى قراءة متواترة ويعتقد قبحها . انتهى . ص ١٢٧٥ وما بعدها .

ومن ذلك : قرا ابن عامر قوله تعالى : « يدعون ربهم بالغداة » بالغدوة بضم الغين واسكان الدال وواو بعدها . والاشهر فى الغدوة انها معرفة بالعلمية .. وهى علمية جنس كأسامة فى الاشخاص . ولذلك منعت من الصرف . وقد طعن ابو عبيد القاسم بن سلام على هذه القراءة فقال : انما نرى ابن عامر والسلمى قرأ تلك القراءة اتباعا للخط . وليس اثبات الواو فى الكتاب دليلا على القراءة لأنهم كتبوا الصلاة والزكاة بالواو ولفظهما على تركها . وكذلك الغداة وعلى هذا وجدنا العرب .

وقال الفارسى : الوجه قراءة العامة بالغداة لانها تستعمل نكرة ومعرفة . ولا يلتفت الى هذا الطعن . وكيف يظن بمن تقدم انهم يلحنون ؟

والحسن البصرى قرا بها وهو ممن يستشهد بكلامه فضلا عن قراءته . ونصر بن عاصم شيخ النحاة . انما اخذ هذا العلم عن ابى الاسود ينبوع الصناعة . ولكن أبا عبيد لم يعرف أن تنكير غدوة لغة ثابتة عن العرب . حكاها سيبويه عن الخليل . قال سيبويه : وزعم الخليل انه يجوز ان تقول : (آتيك اليوم غدوة وبكرة) فجعلها

مثل ضحوة . وقال النحاس ان غدوة وان كانت معرفة الا انه يجوز تنكيرها كما تنكر الاسماء الاعلام فاذا نكرت دخلتهـا الالف واللام للتعريف ص : ١٤٢٥ ، ١٤٢٧ لطائف.

ومن ذلك قراءة ابن عامر : (زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركائهم)

فابن عامر زين بضم الزاى وكسر الياء على بنائه للمفعول . قتل برفع اللام على ما لم يسم فاعله وحذف للعلم به فى قوله : (وزين لهم الشيطان اولادهم) بنصب الدال على المفعول بالمصدر شركائهم بخفض الهمزة على اضافة المصدر اليه فاعلا . وهذه قراءة متواترة صحيحة وقارئهـا ابن عامر اعلى القراء السبعة سندا واقدمهم هجرة . فانه قرا على ابى الدرداء ووائلة بن الاسقع وفضالة ابن عبيد ومعاوية بن ابى سفيان . والمغيرة المخزومى . بل نقل الذمارى انه قرا على عثمان بن عفان نفسه . واما قدم هجرته فانه ولد فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وناهيك به من ان هشام بن عمار احد شيوخ البخارى اخذ عن اصحاب اصحابه . فلا يلتفت الى طعن الطاعنين فى قراءته . هذه من جهة الفصل بين المضاف وهو قتل وبين شركائهم . وهو المضاف اليه بالمفعول وهو اولادهم. وهو عند نحاة البصرة لا يجوز الا فى ضرورة الشعر . ومما خاض فى ذلك ابو على الفارسى . فقال فصل المضاف والمضاف اليه بالمفعول وهو قبيح قليل فى الاستعمال . ولو عدل عنهـا الى غيرها كان اولى . واذا منعوا فصل الظرف فى الكلام مع اتساعهم فيـه فمع المفعول اولى .

وقال ابو جعفر النحاس لا يجوز فى شعر ولا غيره . وقال ابو عبيد : لا احب هـذه القراءة لما فيها من الاستكراه . والقـراءة عندنا هى الاولى لصحتها فى العربية مع اجماع اهل الحرمين والمصرين عليها اى الكوفة والبصرة .

وقال ابن جنى الفصل بين المضاف والمضاف اليه بالظروف والجار والمجرور كثير . لكنه من ضرورة الشاعر .

وقال مكى بن ابى طالب : هى قراءة بعيدة وانما يجوز الفصـل بين المضاف والمضاف اليه بالمفعول فى الشعر .

وقال ابن عطيه وهذه قراءة ضعيفة فى استعمال العرب . وذلك انه اضاف الفعل الى الفاعل وهو الشركاء . ثم فصـل بين المضاف والمضاف اليه بالمفعول . ورؤسـاء العرب لا يجيزون الفصـل بالظرف فى مثل هذا الا فى الشعر . فكيف بالمفعـول فى افصح الكلام .

وقال الزمخشرى فاغلظ واساء فى عبارته واما قراءة ابن عامر (فشىء لو كان فى مكان الضرورة وهو الشعر لكان سمجـا مردودا فكيف به فى الكلام المنثور . فكيف به فى القرآن المعجز بحسن نظمه وجـزالته) . قال والذى حمـله على ذلك انه راى فى بعض المصاحف شركايهم مكتوبا بالياء . ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء لأن الأولاد شركاؤهم فى اموالهم لوجد فى ذلك مندوحة عن هـذا الارتكاب . انتهى . فانظر ما ابشـع هـذا الكلام واقبحه !

ولكن هذا الرجل وان كان قد اوتى من علوم القرآن اوفر حظ . وجمع بين اختراع المعنى وبراعة اللفظ . ففى تفسيره الفائق اشياء منتقدة من تحـريف معانى التنزيل

نصرة لمذهبه وعقيدته الفاسدة مع تجرئة بالطعن فى القراءات المتواترة . وامور كثيرة ارتكبها . يقف عليها ما نظر فى الحواشى المؤلفة فى الانتقاد عليه . والله تعالى يرحم اثير الدين ابا حيان . حيث نبه على وصمات هذا الجبر بما اودعه فى البحر حيث قال من جملة ابيات نظمها بعد ان مدحه وتفسيره .. وذكر قصيدة .

وبالجملة فما عصم الا الانبياء ولورثتهم العلماء . وحاصل كلام الطاعنين فى الآية انه لا يفصل بين المضاف والمضاف اليه الا بالظرف فى الشعر لضرورة الوزن . لان المتضايفين لشدة افتقارهما صارا كالكلمة الواحدة او انهما اشبها الجار والمجرور .

ومن المعلوم انه لا يفصل بين حروف الكلمة الواحدة ولا بين الجار والمجرور غالبا وانما اغتفروا فصلها فى الشعر لضرورة الوزن بظرف الزمان لمناسبة الذوات والاحداث بافتقارهما اليه وعمومه بخلاف المكان . وحملوا الفصل بالجار والمجرور عله لتقديره به . انتهى .

هذه الاقوال لا يعول عليها وان كانت صادرة عن أئمة اكابر . لانها طعن فى المتواتر وقد انتصر لهذه القراءة من يقابلهم . واورد من لسان العرب نظمه ونثره . وما يشهد لصحتها .

واما فى النثر فقال ابن بكر بن الانبارى هذه قراءة صحيحة . واذا كانت العرب قد فصلت بين المتضايفين بالجملة فى قولهم هو غلام ان شاء الله اخيك يريدون غلام اخيك فانه يفصل بالمفرد اسهل انتهى . وقرىء شاذا (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) بنصب وعده وحفض رسله . وصح من كلامه صلى الله عليه وسلم : هل انتم تاركو لى صاحبى تاركو لى امرائى . اى تاركو صاحبى لى وتاركو امرائى لى . ففصل الجار والمجرور وهو فرع فصل الظرف . وقال ابن جنى فى كتاب الخصائص ما يرد عن العربى مخالفا لما عليه الجمهور اذا اتفق شىء من ذلك نظر فى حال العرب وما جاء به . فان كان فصيحا ربما اورده يقبله القياس . فان الاولى أن يحسن به الظن لانه يمكن ان يكون وصل اليه من لغة قديمة طال عهدها وعفا رسمها . ثم روى بسنده الى عمر رضى الله عنه . كان الشعر علم القوم . فلما جاء الاسلام استغلوا عنه بالجهاد والغزو . فلما تمهدت الامصار وهلك من هلك راجعوه فوجدوا اقله وذهب عنهم اكثره .

وروى ايضا عن أبى عمرو بن العلاء قال : ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا اقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير .

قال ابو الفتح فاذا كان الامر كذلك لم يقطع على الفصيح يسمع منه ما يخالف الجمهور فى الخطا انتهى .

قال فى الدر : وقراءة ابن عامر هذه بهذه بل لحيثية بل بطريق الاولى والاحرى لو لم تكن متواترة فكيف وهى متواترة . وقال صاحب المقرب : يجوز فصل المصدر المضاف الى فاعله بمفعول لتقدير التأخير . وقال فى التسهيل . ويفصل فى السعة بالقسم مطلقا وبالمفعول ان كان المضاف مصدرا نحو اعجبنى دق الثوب القصار : واما النظم فمنه قول عمر بن قميئة

لما رأت ساتيد ما استعبرت
لله در اليوم من لامها

اى در من لامها اليوم ففصله بالظرف . و (ساتيد ما) موضع واستعبرت بكت ومنه قول الآخر :

هما اخوا فى الحرب من لا اخا له

يريد من لا اخاله فى الحرب ففصل بالجار والمجرور . ومنه ما انشد الاخفش النحوى والفراء :

فزججتها بمزجة
زج القلوص ابى مزاده

ففصل بالمفعول . الا ان الفراء قال بعد انشاده له : ونحويو اهل المدينة ينشدونه بنصب القلوص . قال والصواب زج القلوص بالخفض . قال فى الدر : فقوله والصواب يحتمل ان يكون من حيث الرواية . اى ان الصواب خفضه على الرواية الصحيحة . وان يكون من حيث القياس وان لم يرو الا النصب . ثم قال ابن جنى : وفى هذا البيت عندى دليل على قوة اضافة المصدر الى الفاعل عندهم وانهم فى نفوسهم اقوى من اضافته الى المفعول . الا تراه ارتكب هذه الضرورة مع تمكنه من تركها الا لشىء غير الرغبة فى اضافة المصدر الى الفاعل دون المفعول . انتهى . ومنه قول المتنبى :

بعثت اليها من لسانى رسالتى
سقاها الحمى سقى الرياض السحائب

اى سقى السحائب الرياض . وقد علم بما ذكر خطأ من قال ان ذلك قبيح او سمج مردود ويكفيه من الاثم جرأته بالطعن فى قراءة متواترة موافقة لافصح العرب ولرسم المصحف العثمانى . واما قوله انه اعتمد فى ذلك على مصحف الشام شركايهم بالياء ففيه تصريح باعتقاده ان القراء اعتمدوا فى وجوه القراءة على كتابة المصاحف وشابوا ذلك بآرائهم . ولا ريب أن هذا اعتقاد فاسد . وهل يحل لمسلم القراءة بما يجد فى المصاحف من غير نقل ؟ فابن عامر انما قرأ بما تلقى وتلقن . وروى وسمع ورأى على ان هذا الذى قاله وان كان كافيا فى الدلالة على جر شركائهم فليس فيه ما يدل على نصب اولادهم . اذ المصحف الكريم يهمل من الشكل والنقط فلم يبق له حجة فى نصب اولادهم الا النقل المحض . وايضا فليس رسم شركائهم بالياء مختصا بمصحف الشام . بل هى كذلك ايضا فى مصحف الحجاز . ولم يقرأ اهل الحجاز بالخفض فى شركائهم لان الرسم سنة متبعة قد توافقها التلاوة . وقد لا يوافق لكن ليشكل عليه قولهم ان كل قراءة تابعة لرسم مصحفها على ان المشهور عند الناس موافقة لقول الدانى ان شركايهم بالياء انما هو فى مصحف الشام دون مصاحف الامصار . ولكن ابا البرهم ثقة . وقد قال فى سورة الانعام فى امام اهل الشام واهل الحجاز اولادهم شركائهم بالياء. وفى امام اهل العراق شركاؤهم فيقبل ما ينقل لانه ثقة . واما ما احتج به ابوعبيد من اتفاق اهل الحرمين والمصريين على القراءة الاخرى فلا يدل على كراهيتها لانها احد الجائزين .

وأما من زعم انه لم يات فى الكلام المنثور مثله فلا يعول عليه لانه ناف . ومن اسند هذه القراءة مثبت والاثبات مقدم على النفى اتفاقا . ولو نقل الى هذا الزاعم عن بعض العرب ولو امة او راعيا انه استعمل فى النثر لرجع اليه . فكيف وفى الاثبات تابعى عن الصحابة عمن لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم . فقد بطل قولهم . وتثبت هذه القراءة سالمة من المعارض ولله الحمد ص ١٤٧٥ ــ ١٤٨٤ اللطائف .

وحسبى ان اقف من تقريظ هذا الكتاب عند هذا الحد تاركا مؤلفه نفسه يتحدث عنه

بلسانه من بدء تفكيره فيه الى نهاية تدبيجه وتحريره وابرازه لقارئيه . يقول مؤلفه رحمه الله شهاب الدين ابو العباس احمد بن محمد القسطلانى شارح البخارى : هذا العلم هو اول علم من الله على بتعلمه . واسبق فن عانجت نفسى قبل بلوغ الحلم فى تفهمه . فهو كما قال بعضهم الصديق القديم . والنديم الذى منادمته الطف من مر النسيم . ولطالما حدثت نفسى ان اجمع فى هذا الفن تصنيفا جامعا لشوارد فوائده . وارتب فيه تاليفا شاملا لفرائد فوائده . وافيا بنشر طرقه ورواياته . كافيا فى وجوه قراءاته . فيقعدنى عن ذلك العلم بقدرى . وتدفع يد العجز فى صدرى . لا سيما والسلف كفونا مؤنة ذلك . وقاموا بأعباء ما هنالك . فغايتنا تفهم كلامهم . والوقوف عند مراسمهم ، ولكنه لما كان التشبه بهم مطلوبا . والتنافس فى نفائسهم محبوبا . حدانى حادى فريقهم الى سلوك طريقهم . فامتطيت نجائب المعانى وجبت فيافى المبانى . حتى حططت رحلى بحرم الفضائل وكعبة الوسائل . وعكفت على تاليف هذا الكتاب . مستعينا بالقوى الوهاب ساهرا فى حنادس الظلام . منقطعا عن اكثر الانام . اجول فكرى فيما دققت الائمة فى تصانيفهم . وامتع نظرى فيما حققوه فى تاليفهم فالخص مطولها واسهل مفصلها . وافصل مجملها . وافتح مغلقها . واقيد مطلقها . واحل رموزها . والج مطاليها وكنوزها . فاستخرج من الروايات نفائس دررها ومن وجوه الاعاريب محاسن غررها . موضحا غامض المعانى للمعانى من مرموز حز الامانى بسائلا من لقيت من الاصحاب عما اشكل . متفهما منه ما اعضل . ولم ازل اجمع الشىء الى الشىء . واقرب النشر بالطى . حتى اتاح الله ذلك . وقرب على ما فيه المسالك . فجاء بحمد الله مفردا جامعا لاشتات الفضائل شارعا الى مناهج الوصول للمقاصد والوسائل . بحيث ان السالك فيه ان رام ما يتعلق بنشر القراءات العشر والاربع الزائدة عليها على اختلاف طرقها المستنيرة . وعلى تنوع وجوهها الوجيهة . فاز بآماله او عاز بها ظفر بكماله . او الوقف والابتداء كان له نعم المرشد فى الاهتداء . او علم مرسوم الخط العثمانى ، حظى بنيل البغية والامانى او معرفة آى التنزيل وكلماته وحروفه من حيث العدد . منح بحسن المدد ما حواه من محاسن دقائق انوار التنزيل . واشتمل على لطائف اسرار التنزيل . وقد آن ان اطلق عنان القلم لجريانه فى ميدان البيان . وافتح ابواب هذا الكتاب الموصلة لطلاب كنوز هذا الشأن انتهى لطائف .

وبعد : فكتاب اللطائف موسوعة علمية عظمى ودائرة معارف قرآنية كبرى . فلله در مصنفها قارئا ومقرئا ومفسرا ومحدثا وفقيها ومؤلفا وحافظا كبير الاطلاع غزير المادة سهل العبارة .

ولقد اتاح الله لى الوقوف على اوثق المخطوطات من اصول هذا الكتاب . فبذلت الجهد المالى والذهنى والبدنى فى تفحصها واستنساخها . ومضيت بعونه تعالى فى فى تحقيقها ونشرها راجيا انبزغ فى سماء التحقيق شمس تضىء القلوب . وتملأ العقول هدى وعلما غزيرا . فجزى الله مؤلفه خير الجزاء . وانزله منازل السعداء مع النبيين والصديقين والشهداء فى جنات النعيم . ورضوان من الله اكبر ذلك الفوز العظيم .

دعاة الإسلام ومجددوه

٢

التجديد لطابع الإسلام

الأستاذ انور الجندى

وكيزتان حرص الفكر العربى الاسلامى على سلامتهما خلال تاريخه الطويل ، ايمانا بانها ابرز عوامل ايجابيته وفاعليته وتقدميته

الاولى : فتح باب الاجتهاد لطارئة العصور المتوالية والمجتمعات المختلفة فى فكرها وتطورها وحضارتها ، والقدرة على ايجاد حلول واجابات لكل ما يتصل بهذه الحضارات والامم والعصور من قضايا ومشاكل وتطورات

(الثانيه) حمايه القيم الاساسيه والمفاهيم الحية التى يقوم عليها هذا الفكر من ان تتوارى أو تنحرف •

وتكاد حركة الفكر العربى الاسلامى تمثل اندفاع هذين التيارين ، اللذين يرتبطان ارتباطا وثيقا ، فنحن نرى : الاشعرى ، وابن تيمية والغزالى ، وابن حزم وهم ابرز قمم الفكر العربى يتمثلون فى صورة القوة القادرة على .. انحراف الفكر العربى الاسلامى عن طريقة ، أو التحول عن اسسه ، ايمانا بان القيم الأصلية هى عامل التجدد والحركة والقدرة على الحياة ونجد : مالك والشافعى وابو حنيفة وغيرهم يجددون الاسلام بفتح باب الاجتهاد ، وايجاد حلول لكل مايواجه المجتمع من قضايا •

تمثلت حركة التجديد فى الفكر الاسلامى العربى منذ اليوم الاول للاسلام ، تمثلت فى حديث صحيح عن رسول الاسلام (محمد صلى الله عليه وسلم رواه البيهقى والحاكم وابن حجر والعراقى : « ان الله يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها » ومع ان كلمة « التجديد » لم تستعمل صراحة ولم ترد فى كتابات الباحثين المسلمين حتى استعملها الامام جلال الدين السيوطى المتوفى ٩١١ هـ ، فان مضمونها كان معمولا به خلال تلك العصور •

حين الف كتابه « التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة » محاولا تقصى اعلام الاسلام الذين ينطبق عليهم من مصلحين وائمة وعلماء : وقد أورد اسما عمر بن عبد العزيز والشافعى والاشعرى ، والباقلانى ، والغزالى والفخر الرازى وابن دقيق العيد والبلقينى ، واعتبر كل منهم فى مقام التجديد على رأس كل مائة سنة •

والواقع أن الفكر الاسلامى قد عنى فى تاريخه الطويل بكلمة « الاجتهاد » بوصفها التعبير الفقهى لمضمون التجديد وأداته وقد مضت هذه الكلمة تشق تاريخ الفكر الاسلامى العربى حتى جاء العصر الحديث ، فاستعملت كلمة أخرى هى كلمة « الاصلاح » ومردها الى حركة الاصلاح التى عرفتها الدولة العثمانية منذ اوائل القرن التاسع عشر وخلاله ،وكانت ترمى الى اصلاح الادارة والدولة والتعليم ، وهى فى أصلها مستمدة من كلمة « الاصلاح » الغربية التى ارتبطت بدعوة لوثر وكلفن • وربما ارتبطت بشخص الداعى الى الاصلاح ، فقد اطلق على هؤلاء المجددين كلمة (مصلح) وفى مصر انتشرت هذه الكلمة فى ظل حركة الامام الشيخ محمد عبده ، وكانت ترمى الى اصلاح الازهر والتعليم وتحرير الدين من قيود التقليد •

واستعملت كلمة اخرى هى « السلفية » وهى كلمة لم تكن فى مضمونها تمثل بعض ما يرميها به اليوم بعض الباحثين من ضعف أو تخلف ، فانما كانت تهدف اصلا الى تحرير المفاهيم الفكرية والاسلامية من التقليد ، ومن الزيوف التى اضيفت بحكم فترة الضعف الطويلة التى مرت بالعالم الاسلامى ،ومحاولة فهم القيم الاساسية للفكر الاسلامى والاسلام على نحو مشرق طليق ، بعيد عن التعقيدات الفلسفية والتفسيرات ،والاضافات وهكذا كانت تريد ان تعود الى النصوص الاولى كما عرفها السلف ، باعتبارها من وجهة نظر التحقيق العلمى ، أصح وأسلم ، وأقرب الى الحقيقة ، وهكذا لم تكن «السلفية» رجعية أو تخلفا أو ضعفا ، أو رغبة فى العودة الى الوراء ، وانما كانت تريد أن تنظر فى النصوص الاولى البسيطة ، السمحة ، قبل أن تضاف اليها تعقيدات التفسير وأهواء بعض الباحثين اضافات ربما افقدتها مفهومها الاصيل • والحق ان هذه « السلفية » كانت ايجابية وتجديدا وتقدمية ، لانها انما كانت تريد ان تنظر فى « الاضافات » هذا الاصل المتفتح القادر على ان يعطى الضوء الكاشف للحقائق ، والذى يؤمن اساسا بالتجديد والاجتهاد واعطاء الحياة فى تطورها قوة الحركة ، بعد أن غلبت نزعة (التقليد) فاصبحت آفة الجمود وعلامة التوقف والضعف والتأخر •

وعندنا أن العودة الى النصوص الأولى ، والمراجع الاصلية لأى بحث هى مناط النظرة العلمية ، القادرة على الحكم السليم ، وهى السند الأصيل لبلوغ المفاهيم الحقيقية ،فهذه « السلفية » من الوجهة العلمية لاتعتبر جمودا ولا رجعية ، الا اذا استعملت على نحو آخر، هو اعادة الفكر الانسانى المتطور القهقرى ، وهذا مايتعارض مع منطلق قيم الفكر العربى الاسلامى الذى كان دائما دافعا الى الحركة والحياة ، فى ايجابية وتقدمية •

وبعد فماذا كان مفهوم « التجديد » كما ورد فى حديث رسول الاسلام ، أو (الاجتهاد) كما عرف من بعد ، أو « الاصلاح » كما عرف فى أوائل العصر الحديث أبرز ما يفهم من معنى التجديد هو :

(١) تصحيح الفهم الناقص من أن العبادة انقطاع ورهبانية وسلبية وانسحاب من الحياة وابراز المفهوم الاساسى الذى يقوم على العمل والايجابية •

(٢) تصحيح الفهم الذى يحاول ان يجزىء فكرة (الشمول) الذى عرفها الاسلام والفكر الاسلامى فلا يسيطر قطاع من هذا الفكر ، أو يعتبر اهله انفسهم ، هم وحدهم أصحاب الفهم الأمثل : أو السطرة على مفهوم الاسلام : وقد حدث أن برز الفقهاء ، أوبرز الفلاسفة أو برز الصوفية على ان كلا منهم هو صورة الاسلام ، والواقع ان هذه كلها جوانب للفكر الاسلامى العربى • لايستقيم احدها بمفرده فى اعطاء الصورة الكاملة •

(٣) مقاومة التقليد ، واحياء السنة ، وحماية الأصول ، وقبول التطور فى الفروع •

(٤) ليس التجديد والاجتهاد هو طابع الفقه وحده ولكنه طابع الفكر الاسلامى والعقل الاسلامى كله •

(٥) اعتبار أن ظاهرة بروز « مجدد » على رأس كل قرن انما تعنى ان التحول الاجتماعى والتطور الفكرى والحضارة من شأنها ان تخلق قضايا جديدة تحتاج الى نظرة جديدة قوامها « الاجتهاد » حتى يظل الفكر الاسلامى العربى قادرا باستمرار على مواجهة تطورات الحضارة وروح العصر .

(٦) التجديد فى أعمق مفاهيمه هو ايجاد حلول جديدة للقضايا كما أنه حماية للاصول العامة ، والحيلولة دون ان يفقد الفكر الاسلامى طابعه وروحه ، المتمثلة فى الشمول والامتزاج بين الروح والمادة ، والعقل والقلب والدنيا والاخرة .

(٧) التنبه دائما الى الانحرافات والاضطرابات فى تفسير الأصول بما يختلف مع جوهر هذا الفكر ، وقد قاوم الأشعرى اتجاه المعتزلة ، وكان قبلا منهم ، عندما احس ان اتجاههم أخذ يخرج عن مفاهيم الاسلام الاصلية ، وكذلك فعل الغزالى حين حارب اتجاه الفلسفة المنحرف — وهو الفيلسوف — عندما أحس انه قد أخذ يخرج عن أصول الاسلام .

ولاشك والاسلام رسالة عالمية خالدة ، لارسالة بعدها ان يكون التجديد هو ابرز طوابعها ، تتمثل فيها قدرتها على الحياة والحركة فى مواجهة تطور الامم وحضاراتها وثقافاتها . والتجديد فى اوضح مفهوم له هو مقاومة التقليد والجمود والتوقف وآلة التجديد واداته « الاجتهاد » . والاجتهاد اصطلاح فقهى يعنى بذل الوسع للحصول على رأى او حكم فى مسألة من مسائل الشريعة ، يقول الامام الغزالى ، انما يحصل الاجتهاد بممارسة الفقه ، وهو طريق تحصيل الدراية وشرط المجتهد كما صورة « البغوى » أن يجمع بين خمس من أنواع العلوم : كتاب الله عز وجل وعلم سنة رسول الله ، وأقاويل السلف من اجماعهم ، وعلم اللغة وعلم القياس ، وهو طريق استنباط الحكم من الكتاب والسنة ، وعليه أن يعلم من الكتاب (الناسخ والمنسوخ) والمجمل والمفصل والخاص والعام ، والمحكم والمتشابه ، والكراهة والتحريم ، والاباحة والندب والوجوب ، ويعرف من السنة الصحيح والضعيف والمسند والمرسل وهو فى رأى آخر : ان يكون حائزا معرفة الله تعالى وصفاته والنبى ومعجزاته ، وسائر مايتوقف عليه علم الايمان ، وعالما بمدارك الاحكام واتساقها وطرق اثباتها ووجوه دلالتها وتفاصيل شرائطها ومراتبها وجهات ترجيحها عند تعارضها ، والتقصى عن الاعتراضات الواردة عليها فيحتاج الى معرفة حال الرواة ، وطرق الجرح والتعديل واقسام النصوص المتعلقة بالأحكام وانواع العلوم الأدبية من اللغة والصرف والنحو وغير ذلك ، وان تكون له قريحة يعرف بها عادات الناس ، لأن من الاحكام ما يبنى عليها »

ويصور السيد رشيد رضا مهمة الاجتهاد فيقول : ان هناك أحكاما قطعية معلومة من الدين بالضرورة وهذه لا اجتهاد فيها كفرض الصلاة والعدل وتحريم الظلم والخمر ، أما الاجتهاد فهو النظر فى الأدلة الشرعية التى هى فى الكتاب والسنة والاجماع والقياس لمعرفة أحكام الفروع التى لم تثبت بالأدلة القاطعة المتواترة ، والعمدة فى شروطه فهم الكتاب والسنة ، ومعرفة مقاصد الشرع ، والوقوف على احوال الناس وعاداتهم ، لأن احكام الشريعة ولاسيما « المعاملات » دائرة على مصالح الناس فى معاشهم ومعادهم ، أى على قاعدة درء المفاسد وجلب المنافع .

ذلك أن ماورد فيه نص على انه حلال أو حرام فليس لمجتهد أن يغيره ، فقد اطلق

القرآن الأمر بعمل الخير والمعروف ، والنهى عن الشر والمنكر ، وترك فهم ذلك لفطرة الناس أما القسم الثانى فهو مناط الاجتهاد .

ولذلك لم يحدد الاسلام مثلا كيفية الحكومة ولم يبين للناس جزئيات أحكامها وانما وضع الأسس التى تبنى عليها من وجوب الشورى وحجية الاجماع وتحرى العدل والمساواة ومنع الضرر والضرار ، وقد حدثت اقضية فى زمن التنزيل منها ما أنزل فيها قرآن ومنها ماحكم فيها النبى ، بما أراه الله ، فكانت تلك القواعد العامة وهذه الأحكام نبراسا للاجتهاد»

وقد جرت فى شأن الاجتهاد أبحاث مطولة ، تناولت اسباب اقفال باب الاجتهاد فى فترة القرون الاخيرة قبل النهضة الحديثة، وقد أشار الشيخ رشيد رضا الى العوامل التى ادت الى هذا فقال : أن مصدره بعض المقلدين لضعف ثقتهم بأنفسهم وسوء ظنهم بالناس وزعمهم أن العقول دائما فى تدل وانحطاط وغلوهم فى تعظيم السابقين ، مع أن سنة الله فى الخلق الترقى . واشار الى ان بعض المحققين يرون أن منشأ هذا الحجر هو السياسة، فالسلاطين والأمراء المستبدون كانوا يخافون العلم ، ولا علم الابالاجتهاد والمقلد هو الذى يقلد السابقين ، فهو ناقل لا عالم ، وقد أقفل باب الاجتهاد بعد القرن الخامس ، ولكن كثيرا من العلماء اجتهدوا بعد ذلك ،فلم يكونوا يعملون الا بما يقوم عندهم من الأدلة، ولا يخلو زمن من هؤلاء، والذى منعهم من بث معان « التقليد » هو خوف الحكومات الرجعية واشار الى أن الحكومة العثمانية قد قاومت بعض علماء الشام الذين دعوا الى ترك التقليد والعمل بالدليل حتى سكتوا عن الجهر بذلك وقال : ان أبرز مضار ترك الاجتهاد ، هو قطع طريق العلم والحرمان من استقلال الفكر »

ويصور تطور الفكر العربى الاسلامى فى خلال هذه المراحل أنضر صوره وازهاها ،فمن خلال حركة التجديد التى قوامها «الاجتهاد» برز أعلام وأئمة ما زالت آثارهم تمثل جوهر الفكر العربى الاسلامى وتلقى اضواء كثيرة على حيوية هذا الفكر ، وتقدميته ، وقدرته على مقابلة تطور الحضارة ، هذا الفكر لايتمثل فى الادب وحده ولا فى الفلسفة وحدها ولا فى الفقه وحده ولا فى التصوف وحده ولكنه عصارة كل هذا حين يحرر تحررا كاملا من صراع السياسة وصيحات الأحزاب والفرق ، وحين يبرأ من دعوات الالحاد والاباحة والشعوبية التى عرفت على مدى حركة هذا الفكر ، فما أحرانا ان نسقط ما سقط منه ، متصلا بالخصومات السياسية ، وان نبقى من جوهره ماهو ممتدمتصل ، مضىء مشرق، يعطى صورة القوة والحرية والايجابية

ويكشف للفكر الانسانى عالما حيا متطورا من الحياة العقلية والروحية ممتزجتين ،لم تتوقف حركته بتوقف الدول ولم يسقط بسقوط الخلافة أو الامبراطورية . هذا الفكر الحى لم يكن رجعيا ولم يكن متخلفا فى جوهره ،ولكنا كان دائم الحركة ، يأخذ ويعطى ، ماخلص من عوامل التقليد ومن هنا فان دعوات الوحدة القومية والاشتراكية والديمقراطية التى تتحرك فى افاقه اليوم ، ليست جديدة عليه، ولا غريبة عنه فان مقوماته فى اعماق جذورها تفتح دائما طريقا الى الحرية والعدل الاجتماعى والشورى التى هى من أسسه الاصيلة ، فهذه القيم الانسانية لها آماد بعيدة فى تاريخه وماضيه ، ولها عنده مفاهيم تنبع من مكونات شخصيته ومن طابعه وطبيعته ، فهو يشكلها وفق حياته ووفق حاجته ، واذا كان مفهوم الاشتراكية هو منع استغلال الانسان للانسان ، فان هذا المعنى بعيد الجذور فى الفكر الاسلامى والفكر الاسلامى انسانى النزعة بطبعه قوامه العدل والحرية . وهذا

معنى « التجديد » فى الاسلام ، قدرة على مواجهة الحياة والحضارة والالتقاء بها ، أداته الاجتهاد وقوامه أمرين : فكر مفتوح لكل قضايا الانسان ، يقضى فيها بالراى وعمـــل متصل لصقل مقوماته الأصلية وقيمه الأساسية بحيث لاينحرف عنها ولا تطغى عليها عوامل التقليد أو الجمود

وفى العصر الحديث برزت كلمة «الاصلاح» بمعنى « التجديد » وكانت الخطوات التى قطعها تطور الفكر العربى الاسلامى وتجدده، من اكبر العوامل لازاحة الحجب والظلال عن جوهر « الاسلام » نقيا سمحا ، ومعينا على فهم الحياة والتفاعل معها • وكان ابرز ما حملته دعوة الاصلاح •

(١) فتح باب الاجتهاد (٢) اعداد دراسات جديدة يظهر فيها اثر هذا الاجتهاد ، بدلا من الكتب التى ألفت فى عصور الضعف والتى تتسم بطابع الجمود ، وجاءت كلمة (الاصلاح) كدعوة عامة : تتصل بالسياسة والحكـــم والتعليم ، وصور السيد رشيد رضا المراد بالاصلاح الدينى فقـــال : انه ما يؤدى الى المحافظة على الدين والعمل به وجمع كلمـــة المسلمين ، وقال ان اهم أركان (الاصلاح الاسلامى) جمع المسلمين على عقيدة واحدة ، واصول واحدة ، وفصل ذلك بالدعوة الى (اولا) توحيد العقائد والاداب ، بما يجتمع عليـــه المسلمون ويجمع فرقتهم حول ثلاثة اصول : صحة الاعتقاد ، تهذيب الاخلاق ، احســـان الاعمال • وقال : ان هذا الالتقاء بين المسلمين فكريا يتطلب أن لايذكر شىء من مســـائل الخلاف ، وان وحدة الفكر بين المسلمين لاتمنع الاختلاف فى المسائل الفرعية والتى ليست من اساس الدين واركانه كالمفاضلة بين الصحابة فى الخلافة وغيرها • (ثانيا) عمل منهج يؤخذ من جميع المذاهب الاسلامية بما تنطبق عليه حالة العصر ، وفى توحيد الاحكام الشرعيـــة ارضاء لجميع • مذاهب المسلمين فى الفروع وقطع لعرق التعصب • (ثالثا) توحيد اللغة فاللغة العربية هى لغة العالم الاسلامى وهى لغة الدين ، وقال ان السلطان سليم حاول ان يجعل من اللغة العربية لسان الـــدولة العثمانية الرسمى ، وان هذه الدولة لم تقدر فى بضع قرون ان تستبدل لغتها بالعربيـــة فى اى قطر من الاقطار •

ودعت حركة « الاصلاح » الى الالتقـــاء بين جميع المذاهب الاسلامية ، وقالت ان ذلك المنهج فى تجديد الاسلام من شأنه ان يوحد المسلمين ضد هجمات الاستعمار عليهم •

وقد وصف الدعاة الى الاصلاح بالمصلحين، ورسم الشيخ محمد عبده باسم (المصلــح) وهو نفس المجدد أو المجتهد الذى كان يعرف به فى العصور السابقة ، ودعا رشيد رضا فى المنار بوصفها لسان حركة الاصلاح والتجديد والاجتهـــــاد : وورثه مجلة « العــــروة الوثقى » التى أصدرها جمال الدين الافغانى ومحمد عبده ، دعا الى الاصلاح الدينى والعلمى والسياسى والاجتماعى وقال ان للاصـــلاح شرطان : استعداد الامة لقبوله ، والزعيـــم الداعى اليه من طريقة الطبيعى مع الكفـــاءة والاقتدار

وقال ان من عوامل الاصـــلاح : تعلم الصناعات التى يحتاج اليها البشر فى معاشهم من أصول الشريعة ، وهى واجبة على مجموع الامة

وقد أشار الشيخ محمد عبده الى ان اهم الاعمال التى حمل لواءها (تحرير الفكر من قيد التقليد) وقد اشار تشارلس ادمز فى كتابه « الاسلام والتجديد فى مصر » الى مفـــهوم التجديد الاسلامى فى مصر فقال انه كان يهدف الى تحرير الدين من اغلال الجمود ،والتوفيق بينه وبين مطالب الحياة العصرية •

وبعد فما زالت فى نظرات التجـــديد والاجتهاد جوانب موعدها البحث القادم :

عبد الناصر

صانع السلام

الأستاذ كامل عبد المجيد

« ان الشعب المصرى فى يوم بدء ثورته المجيدة فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ أدار ظهره نهائيا لكل الاعتبارات البالية التى كانت تبدد قواه الايجابية وداس بأقدامه كل الرواسب المتخلفة من بقايا قرون الاستبداد والظلم، وأسقط الى غير رجعة جميع السلبيات التى كانت تحد من ارادته فى اعادة تشكيل حياته من جديد » .

(من الميثاق)

تعود الشعب القائد أن يلتقي بزعيمه فى ليلة الثالث والعشرين من يوليو كل عام ، ليقدم له كشف حساب عن انجازات العام ، وليستعرضا سويا مراحل الكفاح التى مرت وصفحات النضال التى طويت .. وفى احتفال الشعب بعيد ثورته الرابع عشر التقى بزعيمه وقائده ودار بينهما حديث طويل .. فى نفس الوقت قصير ..

واذا استعرضنا حديث الزعيم القائد وكشف الحساب الذى قدمه عبد الناصر صانع السلام ليلة الثالث والعشرين من يوليو من عامنا هذا لوجدنا أن هذا الحديث قد تناول كل شئ باستفاضة وبحث كل الموضوعات التى تشغلنا بالتحليل .. لقد كان حديث القلب والعقل .. حديث المنطق والسياسة .. حديث الحقائق والأرقام ..

استعرض صانع السلام فى حديثه أمانى الاستعمار المنهارة بالنسبة للثورة والجيش وقناة السويس والسد العالى ومختلف المجالات الأخرى التى لم يكتف الاستعمار فيها بالتمنى فقط ـ بل وبالتخطيط من أجل تدميرها والقضاء عليها .

سرد الزعيم القائد فى هدوء ساخر الحقائق التى يدير عنها الاستعمار والرجعية دائما رأسيهما فى محاولة لتجاهل وجودها .. ولكن عبد الناصر أكد لهم أن الثورة المصرية ـ التى تمنى لها الاستعمار والرجعية أن تتحطم وتنتهى ـ أكد لهم عبد الناصر ـ والشعب من خلفه ـ أن هذه الثورة باقية ، وأنها ستبقى أبدا ودائما ، وأنها تزداد قوة على مدى الزمان « وستظل دائما خطرا داهما على كل نوع من أنواع الاستعمار » .

وكذلك فان الجيش المصرى الذى قاد الثورة وحرر مصر ووضعها فى طليعة الصف العربى الحر ، لم ولن يتحطم ، لأنه جيش الشعب ، فهو الذى صنع الثورة وهو الذى قادها ، وهو الذى يقوم بالحفاظ عليها وعلى المكاسب التى حققتها ـ بل « انه الدرع الواقى للقومية العربية كلها » ـ ولذلك فان الشعب المصرى .. بل والشعب العربى كله .. أحرص ما يكون عليه وعلى دعمه وتقويته .. لأن قوته تعنى قوة الوطن العربى كله من المحيط الى الخليج ... وسوف يظل هذا الجيش دائما قذى فى عيون الرجعية وشوكة فى حلق الاستعمار والخيانة ، وهو رابض هناك فوق الجبال وفى بطون الوديان وفوق السهول ، فى أرض اليمن الثائر ، يحمى ثورته ويبشر بدنو أجل الاستعمار فى الجنوب العربى ، ويعلن ـ بوجوده ـ اقتراب بزوغ فجر الحرية على عدن والمحميات وامارات الخليج المحتلة .

أما بالنسبة لقناة السويس التى غامر الاستعمار بسمعته وشرفه من أجل اغتصابها ، ثم حاول بعد ذلك الاساءة الى ادارتها العربية .. وتمنى لها الفشل ... بل ووضع المخططات ورسم المؤامرات لتحويل الأمانى الى حقائق .. هذه القناة هى اليوم « فى أحسن أحوالها بشهادة الدنيا كلها » .

ماذا بقيت من أمانى الاستعمار ؟ السد العالى مثلا ؟ « لقد تمت مرحلته الاولى وتوشك مرحلته الثانية أن تتم » وأرضنا اليوم تستفيد من مياهه التى بدأ يحجزها منذ حوالى العامين ، وفى أقل من عام ستنبعث الشرارة الأولى من كهربته .. وستدور المصانع ، وسيعم النور أرجاء البلاد ، بعد أن وصلت الى ميناء الاسكندرية فى أوائل أغسطس أضخم توربينة فى العالم ، سوف تقوم بتوليد الطاقة الكهربائية من السد العظيم بعد أن يتم نقلها الى أسوان وتأخذ مكانها عند قدمى السد ..

فليمت الاستعمار كمدا وغلا ، وليمتلئ قلبه بالحقد حتى يموت من الغيظ والحسرة .

بل ان السد العالى الذى دفع دول الاستعمار الى العدوان الثلاثى ـ بعد أن أممنا قناتنا لكى نبنيه ـ كان سببا دفعنا لأن نعتمد على أنفسنا تماما ، وجعلنا نخلق اقتصادا وطنيا لا يعتمد على أى مصدر من المصادر الأجنبية ولا يرتبط بأى كتلة من الكتل .

ولكن كيف تم ذلك ؟

كان من الطبيعى بعد اندحار الاستعمار المثلث فى بورسعيد أن نؤمم كل المصالح والأموال البريطانية والفرنسية فى مصر ، ثم المصالح البلجيكية بعدهما ، وبعد ذلك كل المصالح والاستثمارات الأجنبية التى كانت جميعها لا تمثل سوى الاستغلال والاحتكار .. اذن كان العدوان الثلاثى نقطة انطلاق لنا لكى نواصل الانتصارات الواحد بعد الآخر .. فبعد أن حققنا النصر السياسى والعسكرى فى معركة السويس اتجهنا الى خلق مجتمع جديد يستند على اقامة اقتصاد وطنى قومى .. بعد أن تم تأميم كل المصالح الاجنبية أو بعبارة أخرى الاستغلال الاجنبى .. وذلك لكى نحقق ارادة التحول العظيم لشعبنا المناضل المكافح .. فنخلق المجتمع الجديد ، المجتمع الاشتراكى الذى نعيش فيه ، والذى كان لايمكن أن يقوم دون أن يستند على اقتصاد قومى متين .. وهكذا واصلنا السير على طريق النصر بعد أن انتصرنا فى بورسعيد .

وكان ذلك الانتصار أيضا حافزا لنا أن نبنى بلدنا بعد أن تخلصنا تماما من جميع آثار الاستعمار الذى جثم طويلا على صدورنا ... فاتجهنا الى البناء بعد أن زالت جميع الآثار التى كانت قد ترتبت على مكث الاستعمار تلك الحقبة الطويلة فى بلادنا.. وبدأنا نسير بخطوات سريعة وجبارة نحو خلق مجتمع الرفاهية .. مجتمع الكفاية والعدل .. المجتمع الاشتراكى .

ولكن مجتمع الاشتراكية كان يعنى أشياء كثيرة .. زيادة الانتاج بل مضاعفته ، وذلك لكى يرتفع مستوى المعيشة كوسيلة فعالة ـ علمية وعملية ـ لازالة الفوارق بين الطبقات وتذويبها .. ولكن ذلك التذويب والتقارب بين الطبقات المختلفة كان يستلزم سباقا مع الزمن ويتطلب عملا شاقا متواصلا لا راحة فيه على الاطلاق.. وكانت أولى تلك الخطوات العملية لتحقيق ذلك الهدف هى وضع الخطة الخمسية الاولى للتصنيع فى ٣١ مايو سنة ١٩٥٧ واعتماد مبلغ ٢٥٠ مليون جنيه لتنفيذها. وكان معنى ذلك أنه كان علينا أن نتجه نحو التصنيع وأن ننفذ أكثر من خطة لكى تتحول البلاد ويتغير وجهها الزراعى القديم الى الصناعة والتصنيع ... واستطعنا أن ننتهى من تنفيذ الخطة الأولى لبرنامج السنوات الخمس وبدأنا فى تنفيذ الخطة الخمسية الثانية للتصنيع ...

ولكن ذلك كان لا يعنى أبدا اهمال الزراعة أو الاقلال من شأنها ، بل ان استصلاح الاراضى البور وتحويل رى الحياض الى نظام الرى الدائم ، وأيضا تحويل الصحارى الى مزارع خضراء ، كان يسير جنبا الى جنب ـ ولا يزال حتى كتابة هذه السطور ـ موازيا لارتفاع الخط البيانى للصناعة فى بلادنا . وقد نجحنا فى خلق مجتمع الصناعة كما نجحنا أيضا فى زيادة رقعة الارض المنزرعة بل ومضاعفتها ... وان السد العالى نفسه الذى قارب مرحلة الانتهاء ، يعكس بأمانة شكل المجتمع الجديد الذى نبغى اقامته .. المجتمع الصناعى

المستقل وفى نفس الوقت المجتمع الذى يوفر الرغد والسعادة للمجموع .. فبجانب استفادة الارض والزراعة من مياه السد العالى وزيادة مساحة الرقعة المنزرعة من أرضنا ، فان السد العظيم سوف يحقق لنا أمانى كثيرة فى مجال التقدم الصناعى ، التى سوف تتحول الى حقائق بدورها كنتيجة حتمية وطبيعية للطاقة الكهربائية التى سوف يمدنا بها السد ، والتى سوف تقوم على أكتافها صناعات كثيرة كنا نفتقدها .. ونحن لم ننتظر بالطبع كهرباء السد العالى لكى نبدأ خطتنا الصناعية .. بل اننا قد أنجزنا تنفيذ الخطة الأولى للتصنيع قبل أن تنبعث الشرارة الأولى من كهرباء السد ، وافتتح صانع السلام مصانع الذخيرة الثقيلة فى ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٨ معلنا أن مصانعنا الحربية قد قضت على احتكار السلاح .

ويدفعنا الحديث عن السلاح والتسليح الى الحديث عن الجيش الوطنى القوى ـ أحد مبادىء الثورة الستة ـ ذلك المبدأ الذى كان حلما فى الماضى وجعلته الثورة واقعا ملموسا .. فنحن اليوم نملك أحدث الأسلحة فى العالم بجميع أشكالها وأنواعها ، وأصبح جيشنا يضارع أقوى جيوش العالم المتحضر عدة وتسليحا .. ولعلنا قرأنا فى الايام الاخيرة عن صواريخنا العربية الموجهة من الارض للجو ومن الجو للارض ومن الارض للارض ومن الجو للجو .. والقناصات الذرية البحرية .. ذلك السلاح البحرى الرهيب الذى لا يمتلكه فى العالم سوى ثلاث دول هى أمريكا والاتحاد السوفييتى والجمهورية العربية المتحدة .. وهو سلاح مضاد للغواصات يقتنصها وهى فى الماء بعد أن يكتشف مخابئها تحت سطح البحر على مسافات بعيدة المدى وقبل أن تدخل حدود المياه الاقليمية.. بل ان مصانعنا الحربية ومصانع الطائرات ومعاملنا الكيميائيةالعسكرية تنتج اليوم أحدث الاسلحة وأكثرها فتكا وتدميرا .. ومنها الصواريخ العربية التى تعودنا مشاهدتها فى العروض العسكرية كل عام فى احتفالاتنا بأعياد الثورة .. وكلنا يحفظ عن ظهر قلب اسماءها « الظافر والرائد والقاهر » .. والطائرة النفاثة العربية « القاهرة » تشق عنان السماء وتنذر اسرائيل بيوم الفناء القريب .. والمدرعة « وليد » والبندقية « حكيم » وغيرها وغيرها من الاسلحة التى تبعث جميعها فى قلب كل عربى الأمل فى اقتراب يوم الخلاص .. يوم تحرير فلسطين وتطهيرها من العصابات الصهيونية .. واننا لعائدون.

وفى ١٩ نوفمبر سنة ١٩٥٩ أعلن الرئيس جمال عبد الناصر فى الاحتفال بعيد العلم بجامعة القاهرة أن « احتكار العلم هو الشكل الجديد للاستعمار » ولكى نكسر هذا الاحتكار الجديد ذهب مبعوثونا الى الخارج فى مختلف المجالات ليعودوا ويحطموا هذا الاحتكار .. وبدأنا نعتمد على أنفسنا وعلى العائدين من مبعوثينا.. ولعل مؤتمر المبعوثين الذى عقد فى الآونة الاخيرة ليدل على مدى اهتمام الدولة ـ ورئيسها ـ بأجيال العلماء العرب الذين سوف يكسرون هذا الاحتكار الاستعمارى الجديد ... ولعل أحدث مثل على كسر احتكار العلم ، هو انشاء أكاديمية ناصر العسكرية العليا ، التى كسرت احتكار العلوم العسكرية ، والتى تمثل بكليتيها «الحرب العليا » « الدفاع الوطنى » مدى تطور وارتقاء العلوم العسكرية والاستراتيجية فى بلادنا .. بل اننا باكاديمية ناصر قد سبقنا دول العالم المتحضر أجمع ، حيث لا توجد فى أى دولة من الدول أكاديمية تضم كليتى « الحرب العليا والدفاع الوطنى » سوى فى بلادنا ، اذ أنك لن تجد هناك سوى واحدة فقط من الكليتين ، أما هنا فى القاهرة ، المكان الوحيد فى العالم الذى يضم هذين النوعين من الدراسة والفنون العسكرية .

فى حقيقة الأمر ان المكاسب والانجازات كثيرةلا يمكن حصرها أو الاشارة اليها كلها فى هذا الحيز الضيق.. ونحن نعيش مرحلة تحول عظيم ... تكفى جملة واحدة من خطاب صانع السلام الاخير ليلة الثالث والعشرين من يوليو لتعبر عن واقعنا الجديد : « لازم نفكر باستمرار ان احنا بنعمل عمل أكبر من قدرتنا » .

وهذا العمل ـ بل هذه الأعمال ـ كلها تعنى شيئا واحدا هو « التحول الاجتماعى » ... وهذا التحول الاجتماعى كان لابد أن تصاحبه قوانين تضمن استقراره واستمراره لأنه تحول نحو « الأفضل والأحسن » .. ولذلك صدرت قوانين يوليو الاشتراكية سنة ١٩٦١.. وأقمنا القطاع العام .. وقضينا على الاستغلال والاحتكار والاقطاع .. وأخيرا « لجنة تصفية الاقطاع » ..

ومن أجل ذلك كله تكون المؤتمر الوطنى للقوىالشعبية وقدم اليه صانع السلام مشروع الميثاق الوطنى فى ٢١ مايو سنة ١٩٦٢ ، وتمت الموافقة عليه ـ كدستور عمل ـ فى ٣٠ يوليو سنة ١٩٦٢ ، وفى عام سنة ١٩٦٣ ولد الاتحاد الاشتراكى العربى تنفيذا لدليل عملنا الثورى بعد أن صدر القانون الاساسى للاتحادالاشتراكى العربى فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٦٢ .

وكان معنى انشاء الاتحاد الاشتراكى العربى هو تضامن قوى الشعب العاملة والمحافظة على الثورة والسير قدما فى ارساء قواعد المجتمع الجديد وانشاء القيادات السياسية المؤمنة الواعية بمبادىءالاشتراكية والمجتمع الجديد .

وفى ٢٣ مارس سنة ١٩٦٤ صدر الدستور المؤقت ، وافتتح مجلس الأمة فى ٢٦ مارس من نفس السنة لكى تكتمل الصورة الديموقراطية لمجتمع العدالة والرفاهية والكفاية .

ان المنجزات التى تحدث عنها الزعيم للشعب القائد كثيرة كما سبق وأشرنا « فيه السد العالى ، فيه التصنيع ، فيه العمالة ، فيه التأمينات الاجتماعية ، فيه المساكن الشعبية ، فيه اصلاح الاراضى ، وفيه تحويل رى الحياض الى رى دائم ، فيه حاجات كثيرة ايجابية لا أول لها ولا آخر »

ولكن هل كان هذا هو كل شىء ؟ كل هذه المنجزات على المستوى الداخلى فقط ... بل عينات أو أمثلة منها فقط .. أما على المستوى العالمى ، فقد حققنا انتصارات ضخمة فى كل المؤتمرات التى اشتركنا فيها

« البقية ص ١٧٣ »

زلّة ملك

الاستاذ محمد السباعي الروبي

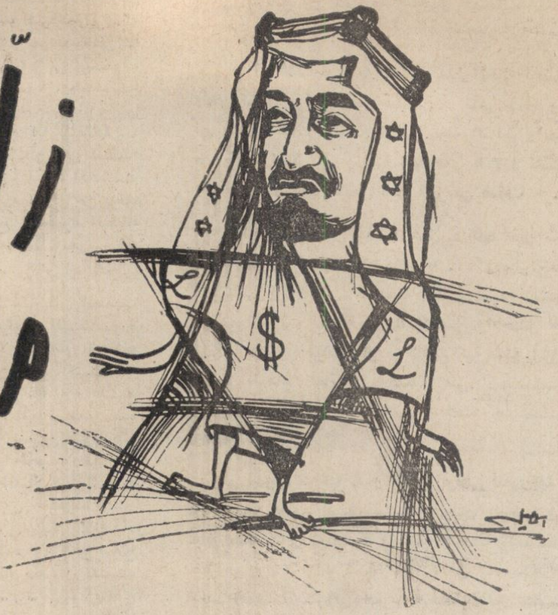

في صبيحة يوم الثلاثاء الموافق ٢ اغسطس سنة ١٩٦٦ طلعت علينا الصحف ووكالات الانباء بعناوين مثيرة حول مأساة ملك محسوب انه من ملوك المسلمين ٠

أما المأساة فهى الانزلاق الى الهوة العميقة التى حفرها الاستعمار لكل عربى ٠ واما الملك فهو الفيصل السعودى ٠

ذلك ان السيد المذكور خلع آخر ما تبقى له من برقع الحياء بعد ان خر ساجدا لولاة أمره وخرج سافرا على قرارات مؤتمرات القمة السابقة التى دعا اليها الرائد العربى جمال عبد الناصر ٠ وتحلل السيد المذكور فى قراره المشئوم من تبعة المسئولية وكافة الالتزامات التى يتحتم على كل عاهل من عواهل العروبة والاسلام ان يفخر بتحملها ـ فعل ذلك جهارا ونهارا غير عابىء بالشعور العام فى الاوساط العربية والاسلامية

وكيف لمثله أن يعبأ بالشعور العام فى الاوساط العربية والاسلامية وهو لايقيم وزنا الا لشخصه فقط ولايحفظ عهدا ولايبرم عقدا الا اذا كان للاستعمار فيه حظه الأوفر ٠

الآن حصحص ـ الحق يافيصل السعودية ـ ولم يعد لدى أى عربى شك فى أنك ضالع مع الاستعمار ومع الصهاينة وذلك بغية الاضرار بالقضية العربية وخذلان اللاجئين الفلسطينيين ومناصرة الصهاينة والمستعمرين ليملأوا خزائنك ذهبا ولو يجوع الشعب العربى السعودى ويعرى ٠

العربى الاصيل ـ يأيها الملك الضال ـ لايتنكر ابدا للمبادىء الاخلاقية والفضائل الانسانية التى كرمه الله بها عن طريق الرسالات السماوية واما انت فقد تنكرت للمبادىء التى تدعو لوحدة الهدف وجمع الكلمة ورد عدوان المعتدين ومناصرة اللاجئين

الذين سلبت ديارهم وأراضيهم بغير حق واعطيت لمن ليس له حق .

وعلى أية حال لم تكن هذه الانباء مفاجئة لنا ولكل من عرف فيصل السعودية الذى أخذ على عاتقه أن يفصل عرى الصداقة وعرى الاتحاد وعرى الجامعة العربية عروة اثر عروة خدمة لاسياده الذين يشيد بهم فى كل مكان وفى كل مناسبة .

ان الضال الضليل يعلل هذا الخروج السافر المفضوح بتأجيل مؤتمر القمة الرابع الى اجل غير مسمى وهو ذلك المؤتمر الذى كان مقررا عقده بالجزائر يوم ١٩٦٦/٩/٥
لقد ظن هذا الصنم الاكبر أن عقد المؤتمرات هو الغاية وهو الهدف ولم يدر ان عقد المؤتمرات وسيلة لتحقيق اغراض معينة .

ولقد كرر السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى خطبه الاخيرة أن عقد المؤتمرات وسيلة لاغاية وقد عبث بها المنافقون والخائنون - وهاهو السيد كمال الدين رفعت أمين الدعوة والفكر الاشتراكى يقول ويوضح فى مؤتمر المبعوثين : ان الهدف من مؤتمرات القمة هو خدمة قضية محددة وليس كل القضايا العربية وقد كانت أهم وأخطر نتائج كل هذه المؤتمرات هى ابراز كيان الشعب الفلسطينى وقد كان هذا الكيان غير موجود . وكان البعض يستغل قضية فلسطين . واذا كان الرئيس قد أعلن بعد هذا أننا لن نحضر مؤتمرات القمة فان السبب هو منع استغلال هذه المؤتمرات لاغراض خاصة -

وهذا بالذات هو الذى يسعى له فيصل السعودية . انه يريد ان يعيد الى الاذهان فى مجال المؤتمر وفى حلبته قصة الحلف المشئوم حلف الاصنام الذى يسمونه خطأ الحلف الاسلامى والاسلام منه جد برىء .

ان السعودية المتنكرة لكل مبدأ من مبادىء الاسلام الحنيف تبغى من وراء هذا الحلف تحقيق أهدافها المسمومة واهداف ايران المشئومة واهداف بورقيبة الصهيونية . وهذه الاهداف كلها فى صالح الاستعمار .

واستمع مرة أخرى الى ماقاله السيد كمال الدين رفعت أمام مؤتمر المبعوثين فاضحا أغراض ونوايا الداعين الى هذا الحلف

اننا اذا حللنا الاوضاع السياسية والاقتصادية فى الدولتين اللتين دعتا الى عقد هذا الحلف وهما السعودية وايران نجد أنهما خاضعتان للسيطرة السياسية المباشرة للولايات المتحدة الامريكية علاوة على السيطرة العسكرية الممثلة فى الخبراء المشرفين على شئون الدفاع فى كلا البلدين

وقال سيادته ان الغرض من قيام هذا الحلف :

١) تثبيت المصالح الاستعمارية فى المنطقة خاصة المصالح البترولية .

٢) الوقوف ضد المد الثورى العربى الذى يجتاح الأمة العربية وتعتبر الجمهورية العربية المتحدة قاعدته الوطيدة .

٣) تفتيت التضامن العربى ضد اسرائيل وتخفيف الضغط عليها وشل وتجميد الاجراءات التى اتخذت فى مؤتمرات القمة العربية وقد بدأ هذا التفتيت بخروج بورقيبة على الاجماع العربى ومطالبته بالصلح مع اسرائيل .

ويستطرد سيادته قائلا : ان دعوة الحلف الاسلامى بدأت تظهر حينما فشلت الرجعية

المحلية فى الجمهورية العربية المتحدة فى ضرب ثورة ٢٣ يوليو بواسطة جماعة الاخوان المسلمين التى تعمل بوحى من الحلف المركزى الاستعمارى بل ويلاحظ أيضا أن الاخوان المسلمين كانوا يتلقون دعمهم المادى من السعودية أحد أركان هذا الحلف •

ومن ذلك يتضح ان الحلف الاسلامى وهو احد اساليب الاستعمار الجديد فى السيطرة على الشعوب باسم الدين والدين من ذلك برىء الدين برىء من كل مايلصق به لأن الدين الاسلامى لايرضى ان تنهب ثروات المسلمين من قبل الاستعمار ولا يرضى ان تسيطر طبقة على المجتمع الاسلامى وتستغله باسم الدين ولايرضى بان يقوم تحالف بين الاستعمار والرجعية والصهيونية تحت ستار الدين •

هذا وقد اوضح الدكتور السيد نوفل الامين العام المساعد للجامعة العربية ان موقف الحكومة السعودية بقرارها المشئوم ينبىء انه اذا تأجل المؤتمر الذى كان مقررا عقده فى الجزائر يوم ٥-٩-١٩٦٦ فانها أى السعودية ستتوقف عن : دفع نصيبها فى نفقات جيش تحرير فلسطين والقيادة العربية الموحدة ومشروعات تحويل روافد نهر الأردن • كما انها ستقاطع اجتماعات الهيئات الخاصة بهذه المؤسسات •

ما معنى كل هذا ؟ ..

أليس فى ذلك خروجا على الاجماع العربى؟ أليس فى ذلك خيانة لقضية اللاجئين ؟

أليس فى ذلك انتهاكا لحرمة الاخلاق والمبادىء ؟

أليست هذه نكسة سعودية ؟

فلمثل هذه النكسة هللت اسرائيل وكبرت ونشرت الخبر بالبنط العريض فى أولى صفحاتها - ولها الحق كل الحق فى ذلك -

مادام هذا الملك قد زل زلته الكبرى التى ان دلت على شىء فانما تدل على تفاهته •

ان نملة صغيرة عاشت فى عهد النبى سليمان عليه السلام كانت أرشد عقلا واحكم تصرفا وأنفذ بصيرة من هذا الملك الضال المتنكر لشعبه والمستهين بآلام وبآمال أمته التى يحكمها والتى انهكها الجهل والفقر والجوع والمرض والحرمان •

اما النملة فحينما أحست بالخطر الداهم قالت لبنى جنسها :

« يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون »

ولمثل هذا الخبر يزهو بورقيبة فرحا فخورا لأنه التقى فى الهدف بل فى الانحراف مع أخيه فى الرضاعة وكان التقاؤهما فى نفس الطريق الذى يسلكه كل منهما •

ولمثل هذا الخبر تفرح الأم (أمريكا) التى أرضعت الطفلين البارين من ثديها الحلوب ولشدة فرحها كان النبأ الاول فى جميع النشرات الاخبارية لراديو صوت أمريكا هو نبأ تحلل المملكة السعودية من التزاماتها فى منظمات مؤتمر القمة العربى •

ولمثل هذا الخبر تفرح أيضا الخالة العجوز الشمطاء (انجلترا) التى أجبرها بطل العروبة عبد الناصر على مغادرة مصر بعد احتلال دام اكثر من سبعين عاما •

لقد عرفنا طريقنا ورسمنا خطتنا وعقدنا العزم على أن نسير قدما فى طريقنا الثورى يقودنا رائدنا البطل وزعيمنا الملهم الرئيس جمال عبد الناصر والله معنا وهو القائل :

« ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »

« ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز »

« وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون »

اشتراكيتنا

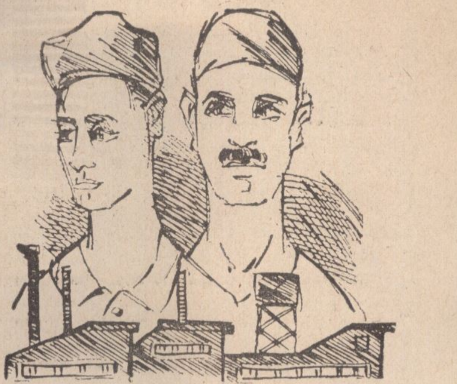

كفاية وعدل

الأستاذ الرفاعى البناء

من الاحاديث النبوية الشريفة التى اشتهرت بين جميع المسلمين قول المصطفى صلى الله عليه وسلم :

الناس سواسية كأسنان المشط . لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى .. كلكم لآدم وآدم من تراب . ان أكرمكم عند الله أتقاكم . ولو أننا تأملنا هذا الحديث الشريف وحاولنا فى نفس الوقت أن نأتى بتعريف بسيط لمعنى الاشتراكية لما وجدنا أفضل من هذه الكلمات النبيلة الواضحة التى يمثلها هذا الحديث الشريف .

فالاشتراكية هى عدالة فى توزيع الثروة واحترام للعمل البشرى وارتفاع به الى مستوى كريم وهى منع للاستغلال والظلم ..

هذه هى الاشتراكية فى مظاهرها العملية المختلفة ولكن الاشتراكية فوق هذا كله تنبع من شىء واحد هو الايمان العميق بالمساواة بين الناس لا فضل لانسان على انسان الا بمجهوده الخاص فى افادة الناس . لا فضل لانسان على انسان بسبب اللون كما نجد الآن فى أمريكا حيث يتمتع الابيض بميزات ضخمة وحيث يعيش الزنوج السود فى مأساة كبيرة فهناك عمل مستمر لحرمانهم من التعليم فى مدارس البيض وجامعاتهم وهناك محاولة دائمة لفرض الاعمال الشاقة عليهم وحدهم وهناك محاولة أقسى وأشد هى فرض البطالة والجوع عليهم . فالنسبة الكبرى من العاطلين والجائعين فى المجتمع الامريكى هى من بين زنوج أمريكا الذين يبلغ عددهم عشرين مليونا من البشر التعساء .

مثل هذه التفرقة العنصرية يرفضها نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم رفضا حاسما قاطعا ٠٠ ترفضها الأديان السماوية كما ترفضها الاشتراكية لنفس السبب البسيط الواضح الذى عبر عنه النبى صلى الله عليه وسلم وهو : أن « الناس سواسية كأسنان المشط . لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى .. كلكم لآدم وآدم من تراب » .

هذه الروح العظيمة النبيلة هى روح الدين وروح الاشتراكية فى نفس الوقت .

وعندما نقرأ فى هذه الايام ما يقع فى روديسيا من مآس مريرة نشعر تماما أن الاقلية البيضاء خارجة على الاديان جميعا . بل هى خارجة عن الانسانية كما أنها فى نظر المبادىء الاشتراكية تعتبر مجرمة فى حق الانسان وفى حق التاريخ البشرى كله . ذلك لان الاقلية البيضاء تضع نفسها فوق السكان الاصليين من ابناء افريقيا السود الزنوج .

ان الاقلية البيضاء تسلبهم كل حقوقهم وتفرض عليهم أن يخضعوا - وهم أصحاب الارض وأصحاب البلد الاصليين - لحكم الاقلية الوافدة من أوروبا بمنطق واحد هو أنه لا سادة بين البشر لان البيض سادة والزنوج عبيد ٠٠ هذا المنطق العنصري الفاسد يرفضه الدين وترفضه الاشتراكية كما ترفضه ابسط قواعد الانسانية وكل ما فى الاشتراكية من قيم رائعة نبيلة انما ينبع من هذا المبدأ العظيم ، مبدأ المساواة بين البشر ٠ ولنقف لحظات امام تاريخ الرسول عليه الصلاة والسلام وكل حياته مواقف عظيمة لنعيش من خلال هذه المواقف أجمل وأعظم منابع الدين والاشتراكية ٠٠ وهو منبع المساواة بين البشر جميعا .

دخل الرسول صلى الله عليه وسلم مرة على أصحابه فاذا بهم يقفون له تمجيدا واعزازا وهنا يقول الرسول لهم :

« لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضا » .

انه النبى والمعلم وصاحب الرسالة الجديدة لا يريد من أصحابه وتلاميذه والشاربين من نبعه العظيم ان يضعوا فارقا بينه وبينهم .. بل يريدهم أن يؤمنوا دائما وفى كل الاحوال بأنه واحد منهم يحبهم كما يحبونه ويريدهم أن يحملوا له ولانفسهم كل الاحترام والمحبة والرعاية ولكن بلا شكليات ولا مظاهر .. لان الشكليات والمظاهر تجرح - ولو جرحا بسيطا - معنى المساواة بين الناس وتأكيدا لهذا المعنى يرد على أصحابه فى يوم آخر عندما قالوا له :

« أنت سيدنا وابن سيدنا .. »

أتدرون ماذا يقول فى رده العظيم النبيل :

انه يقول لاصحابه :

« لا يسهوينكم الشيطان فما انا سيد احد انما انا عبد الله » .

نعم .. لانه ليس فى الدين سادة ولا عبيد ولكن أخوة انسانية اصيلة مستمرة لا يتميز فى ظلها انسان على انسان الا بقدر مجهوده وبقدر ما أضافه الى حياة الناس من خير وفضل ..

ومرة يسمع احد اصحابه يهاجم صحابيا أسود بعنف ويقول له « يا ابن السوداء » .

وهنا يتحدث الرسول صلى الله عليه وسلم — فى نبرة انسانية عالية هى نبرة الايمان بالانسان والايمان بالمساواة .. والايمان بالخير والحق .

بهذه النبرة العالية يتحدث الرسول ويقول : « ويحك ارجوع الى الجاهلية ؟ ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل » .

هذا هو الخلق الدينى فى ابهى صوره وهذا هو نفسه الخلق الاشتراكى فى ارفع درجاته ومعانيه ! وهذا هو نفسه صوت الانسانية الاصيلة الصادقة التى ترددت فى دنيانا العربية منذ ألف وأربعمائة سنة تقريبا على لسان محمد النبى العظيم انه صوت ما زال عاليا وسيظل عاليا الى الابد وهو صوت يصفع بعنف كل الذين يضطهدون الانسان بحجج مختلفة الى اليوم كما انه صوت عال ضد الذين يقسمون الناس الى فقراء واغنياء .

بقية مقال (عبد الناصر صانع السلام)

ومثلنا فيها عبد الناصر صانع السلام ابتداء من مؤتمر باندونج حتى مؤتمر عدم الانحياز الذى عقد فى القاهرة فى ٥ أكتوبر سنة ١٩٦٥.. بل لقدكنا المبادرين والسباقين للدعوة الى مؤتمرات القمة العربية التى عقد أولها فى ١٣ يناير سنة ١٩٦٤ بالقاهرة وثانيها فى ٥ سبتمبر سنة ١٩٦٤ بالاسكندرية ، وثالثها فى ١٤ سبتمبر سنة ١٩٦٥ بمدينة الرباط توحيدا لكلمة العرب وجمعا للشمل الذى كان قد بدأ يتفرق ، وذلك ليتسنى لهم مجتمعين انتزاع الحق السليب فى فلسطين من بين براثن اسرائيل صنيعة الاستعمار ومخلبه فى الوطن العربى والوقوف فى وجهها بصلابة وقوة ، بعد ان كانت قد بدأت فى استغلال الاختلاف فى وجهات النظر لصالحها، بل وأصبحت أطماعها تهدد كيان الوطن العربى كله .. ولكن ؟ هل يسكت الاستعمار وهل تسكت الرجعية على هذا التضامن العربى ؟ وهل تقف اسرائيل مكتوفة الأيدى ؟.

وبذلت المحاولات الواحدة تلو الأخرى لتفتيت الشمل وبث الفرقة بين الصفوف ، واستطاع الاستعمار — واسرائيل من خلفه — أن تنجح فى استمالة الرجعية العربية وخداعها ، فتراجع من الصف العربى الموحد بورقيبة ثم فيصل وأخيرا الملك حسين . وظهرت بدعة جديدة هى « المؤتمر الاسلامى » أو « الحلف الاسلامى » وضع مخططها فى واشنطن ولندن وتل أبيب ، وكان المروج الأول لها بالطبع هو بورقيبة وشاه ايران ثم فيصل والملك حسين وذلك « لوضع البلاد العربية داخل مناطق النفوذ الاستعمارية » .

وقد أعلن صانع السلام فى نفس الخطاب أننا لن نقبل الاستمرار فى مؤتمرات القمة العربية طالما أنها تستغل لخدمة « الحلف الاسلامى البديل لحلف بغداد » وأيضا لأنه « فى السنين الاخيرة ظهر أن الرجعية العربية تحاول استغلال مؤتمرات القمة التى تنص على وحدة العمل من أجل فلسطين ، لتقيم وحدة من القوى الرجعية ضد القوى التحررية والقوى الثورية وضد الجمهورية العربية المتحدة » .

وعلى هذا فقد طلبنا من الجامعة العربية أن تؤجل مؤتمر القمة العربى القادم الى أجل غير مسمى « والله اذا انتهت الأساليب التى يظهر منها تحالف الرجعية مع الاستعمار ضد القوى الوطنية العربية بدلا من وحدة العمل من أجل فلسطين .. وحصل كلام شرف واتفاقات حقيقية على عدم الغدر والسير فى الطريق السليم يبقى فيه فرصة لعقد المؤتمر »

أما اذا سارت الأمور على ما هى عليه من مؤامرات وغدر وضرب لقوى التحرر والقوى الثورية العربية فان المؤتمر سيظل متجمدا حتى تعود وحدة الصف مرة أخرى الى ما كانت عليه ويتمسك الجميع بوحدة الهدف فى اطار الجامعة العربية ..

وأخيرا بالنسبة للمستقبل فاننا « باقتحام العقبات بالنضال .. بوضوح الهدف .. بالجماهير .. بالشعب العامل .. بالعمل الشاق العلمى المنظم .. بالمرونة مع متابعة الهدف .. بمشاركة العدد الاكبر من القيادات فى كل مكان .. بكل ده يتحقق أى هدف .. ويتأكد أى نصر » .

والله ناصرنا دائما .. ما دمنا نعمل .. ونؤمن .. ونكافح .. ونثق بالله وبانفسنا .. وبقائدنا عبد الناصر صانع السلام .

قطوف

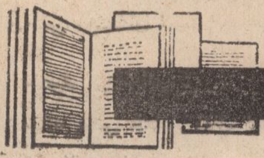

الأستاذ على الجندى

اجواد الاسلام :

عرف فى الاسلام جماعة من الكرام الاسخياء . حسنت بهم الايام . وشرفت بهم الانسانية .. وطرز بهم علم التاريخ . وظلوا بعد مرور الاحقاب الطويلة مثلا صادقة ناطقة للاريحية العربية . والاشتراكية الاسلامية .

منهم :

الحسن السبط :

سمع رجلا يقول : اللهم اعطنى عشرة آلاف درهم !! فأخذ بيده الى منزله واعطاه ما تمنى!

وقد تبرع بكل ماله مرتين !! وتبرع بنصف ماله ثلاث مرات . حتى انه اعطى نعلا . وامسك نعلا !.

عبد الله بن عمر :

كان اذا أعجبه شىء من ماله تصدق به . وكان كثيرا ما يتصدق بالسكر . فسئل عن ذلك . فقال : انى احبه . والله - تعالى - يقول : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » وكان اذا رأى عبدا من عبيده ملازما للصلاة اعتقه . فقيل له : انهم يخدعونك . فقال : من خدعنا بالله انخدعنا له . وقد بلغ ما اعتقه الف عبد !.

ويقول الاعمش : كنت عنده يوما فجىء له باثنين وعشرين الف درهم فلم يقم من مجلسه حتى فرقها !.

عبيد الله بن العباس :

كان لفرط جوده يسمى : معلم الجود .. وهو اول من وضع الموائد على الطرق . وكانت نفقته فى كل يوم خمسمائة دينار وكان اذا خرج الطعام من داره لا يرد منه شىء . فان لم يجد من يأخذه ترك مكانه فربما اكلته السباع ! وكان هو وماله فى الناس سواء : من ساله اعطاه . ومن لم يسأله ابتدأه .

عبد الله بن جعفر :

كان يسمى بحر الجود . ويقال : انه لم يكن فى عصره أجود منه . وقد حضر اليه

ذات مرة اصحاب الحاجات فقضى حاجاتهم جميعا . وكان من بينهم (نصيب) الشاعر فأوسق رواحله تمرا وبرا . واعطاه عشرة آلاف درهم وثيابا . فقيل له : اتعطى هذا العطاء كله لمثل هذا العبد الاسود ؟ فقال : ان كان اسود فان شعره لابيض ! وان كان عبدا فان ثناءه لحر ! وهل اعطيناه الا رواحل تمضى . وطعاما يفنى . وثيابا تبلى ؟! .

وكان يعتق فى اول كل شهر مائة عبد !.

ومن اريحته : انه اشترى بستان نخل من رجل انصارى بمائة الف درهم . فلما كتب الصك بذلك بكى ابن الانصارى على البستان ! فرد عبد الله عليه الصك وتبرع له بثمن البستان !.

سعيد بن العاص :

سأله بعض الناس فقال لغلامه : أعطه خمسمائة . فمضى الغلام ثم رجع اليه مستفهما - : أدينارا أم درهما !

فقال : ما كنت اردت الا دراهم . اما اذ قد رجعت فصيرها دنانير . فأخذ السائل يبكى !. فقال له : ما يبكيك ؟ قال : ابكى على ان تأكل الارض مثلك !.

ولما عزل عن المدينة انصرف ليلة من المسجد الى منزله فراى رجلا يتبعه فقال له: ألك حاجة ؟ قال : لا .. ولكننى رأيتك وحدك فأردت ان اذهب عنك الوحشة !. فكتب له صكا بعشرة آلاف درهم فمات سعيد فى تلك السنة . فجاء الرجل بالصك لابنه عمرو بن سعيد . فأعطاه ما فى الصك . وامر له بعشرة الاف اخرى !.

عبد الله بن أبى بكر :

كناه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « انفعيا » ولافراطه فى الجود ، كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج : الا يوليه عملا خوفا من اريحته ! وقد امر لرجل بعشرة آلاف درهم ، لانه اوسع له فى المجلس !.

وبنى دار بالبصرة انفق عليها عشرة الاف دينار فاستحسنها بعض اصحابه ، فقال : « والله لتقبلنها بما فيها من الفراش والاثاث والرقيق » .

على بن موسى الرضا :

فرق فى يوم عرفه ـ وكان بخراسان ـ ماله كله !. فقال له الفضل بن سهل : ماهذا المغرم ؟ فقال : بل هو المغنم . لا تعدن ما ابتغيت به أجرا أو كرما مغرما !

يزيد بن المهلب الازدى :

حبسه الحجاج وأغرمه كل يوم مائة الف درهم . فدخل عليه الاخطل فمدحه . فوهب له المبلغ وقال : انا نصبر على عذاب الحجاج ولا نخيب الاخطل !.

على بن سليمان العباسى :

جاء اليه رجل فقال : انصفنى من غريمى فقال : من هو ؟ قال : الفقر !! فأمر له بعشرة آلاف دينار ! فلما مضى الرجل قال ردوه على . فقال له : سألتك بالله متى اتاك خصمك متعسفا ، الا اتيت الينا منه متظلما !.

أبو دلف العجلى :

دخل عليه شاعر فمدحه ببيتين ، فأمر له بمال جزيل . فقال الخازن : لا يستحق هذا الشعر هذا المال . فأمر له بضعفه !. فقال الخازن هذا غير ممكن فأمر له بضعفه

ودخل عليه الشاعر المعروف بالعكوك فمدحه بقوله :

انما الدنيا ابو دلف
بين بادية ومحتضرة
فاذا ولى ابو دلف
ولت الدنيا على اثره

فأمر له بمائة الف درهم .

عمرو بن العلاء :

جاء اليه ابو العتاهية مادحا فأبطأ عليه عمرو بالعطاء . لانه كان ينتظر مالا .

فاستعجله ابو العتاهية . فقال لخازنه : كم عندك ؟ قال سبعون الفا .

قال : فادفعها اليه . واعذرني عنده . ولا تدخله على فاني استحى منه !.

كبار الصحابة :

ابو بكر الصديق :

قال - صلى الله عليه وسلم - « ما مال رجل من المسلمين انفع لى من مال ابى بكر » وكان يقضى فى مال ابى بكر كما يقضى فى مال نفسه .

وعن عروة : اسلم ابو بكر وله اربعون الفا انفقها كلها على رسول الله وفى سبيل الله !

واعتق ابو بكرسبعة كانوا يعذبون فى الله منهم بلال اشتراه وهو مدقوق بالحجارة . بخمس اواق ذهبا . فقالوا له : لو ابيت الا أوقية لبعناه لك . فقال : لو ابيتم الا مائة اوقية لاخذته !.

وعن ابنته عائشة قالت : لما مرض ابوبكر مرضه الذى مات فيه . قال : انظروا ما زاد فى مالى منذ دخلت فى الامارة فابعثوا به الى الخليفة . فنظرنا فاذا عبد نوبى يحمل صبيانه . وبعير كان يسقى بستانه . فبعثنا بهما الى عمر . فبكى عمر وقال : رحمة الله على ابى بكر . لقد اتعب من بعده تعبا شديدا .

ثم قال : يا بنية . ثيابى هذه كفنينى فيها !. قالت : فبكيت . وقالت يا ابت : نحن ايسر من ذلك . فقال : غفر الله لك !! وهل ذلك الا المهل .

المهل : بضم الميم وفتحها وسكون الهاء . وكجبل : صديد الميت .

عمر بن الخطاب :

لم يكن من الاغنياء وتولى الخلافة وتركها وعليه ديون باهظة أداها أولاده للغرماء ..

وكان يأكل خبز الشعير .. ويأتدم بالزيت ويلبس المرقع . ويخدم نفسه !.

وعن الأحنف بن قيس . قال : أخرجنا عمر فى سرية الى العراق ففتح الله علينا . واصبنا فيها من بياض فارس وخراسان فحملناه معنا واكتسينا منها . فلما قدمنا عليه جعل لا يكلمنا فشكوناه الى ابنه عبد الله فقال : ان عمر زهد فى الدنيا . وقد راى عليكم لباسا لم يلبسه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا الخليفة من بعده .

فخلعنا ما كان علينا وجئناه فى الملابس التى يعهدها منا . فقام فسلم علينا . واعتنقنا رجلا رجلا حتى كأنه لم يرنا !! فقدمنا اليه الغنائم فقسمها بيننا بالسوية .. وعرض فى الغنائم شىء من انواع الخبيص من اصفر واحمر . فذاقه فوجده طيب الطعم . طيب الريح . فأقبل علينا بوجهه وقال : يا معشر المهاجرين والانصار . ليقتلن منكم الابن اباه والاخ اخاه على هذا الطعام .

ثم امر به فحمل الى اولاد من قتل من المسلمين بين يدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من المهاجرين والانصار .

ثم انه انصرف ولم يأخذ لنفسه شيئا !.

ولما فتح العراق ، وحملت اليه خزائن كسرى قال له صاحب بيت المال : الا تدخله بيت المال ؟.

قال : لا والله ولا يأوى تحت سقفى حتى اقسمه . فبسط الانطاع فى المسجد . وكشفوا عن الأموال فرأى منظرا عظيما من الذهب والفضة والجوهر . فقال : ان الذى أدى الينا هذا لأمين !

فقسمه ولم يأخذ منه لنفسه شيئا .

عثمان بن عفان :

جهز جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيرا . واتم الالف بخمسين فرسا .

واشترى بئر رومة بخمسة وثلاثين الف درهم وجعلها للمسلمين . واشترى مربد بنى فلان بخمسة وعشرين الفا وضمه الى المسجد النبوى .

الامام على :

بلغت صدقاته منذ ان رزق مالا اربعين الف دينار .

وقد اقطعه عمر « ينبع » ثم اشترى ارضا الى جوارها وحفر بها عينا . وتصدق بكل ذلك على الفقراء والمساكين وابن السبيل

وما شبع من طعام قط . وكان يأتدم - اذا ائتدم - بخل او ملح . فان ترقى عن ذلك فبعض نبات الأرض .. فان ارتفع عن ذلك فبقليل من البان الابل . وكان لا ياكل اللحم الا قليلا . ويقول : لا تجعلوا بطونكم مقابر للحيوان . وكان ثوبه مرقوعا بجلد تارة وبليف اخرى . ونعلاه من الليف .

وعنه : قال لى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « يا على ! كيف انت اذا زهد الناس فى الآخرة . ورغبوا فى الدنيا . واكلوا التراث اكلا لما . واحبوا المال حبا جما . واتخذوا دين الله دغلا . وماله دولا ؟ »

قلت : أتركهم وما اختاروا . واختار الله ورسوله والدار الآخرة . واصبر على مصيبات الدنيا وبلواها حتى الحق بكم ان شاء الله .

قال : « صدقت ! اللهم افعل ذلك به » .

وعن حبة العرنى : ان عليا أتى بفالوذج فوضع قدامه .. فقال : والله انك لطيب الريح حسن اللون . لذيذ المطعم . ولكنى اكره ان اعود نفسى ما لم تعتده .

ولم يذقه !.

طلحة بن عبيد الله

عن جابر قال : صحبت طلحة فما رأيت رجلا اعطى للجزيل منه . عن غير مسألة .

وعن الحسن قال : باع طلحة ارضا بسبعمائة الف . فما اصبح حتى فرقها !.

وكان يكفى اقاربه من بنى تيم مئونة عيالهم . ويزوج الايامى منهم . ويقضى ديونهم . وكان يرسل الى السيدة عائشة كل سنة بعشرة آلاف !.

الزبير بن العوام :

كان تاجرا محظوظا فى التجارة فكثر ماله وكان له الف غلام يؤدون اليه الخراج فما كان يدخل بيته منها درهم واحد ويتصدق بذلك كله . وباع دارا بستمائة ألف . فقيل له : لقد غبنت فيها !

فقال : كلا ! والله لتعلمن انى لم اعبن . هى فى سبيل الله !.

وبعث الى السيدة عائشة مرة بغرارتين تضمان مائة وثمانين الف درهم .

وقد اوصى بثلث ماله . ولم يدع دينارا ولا درهما .

عبد الرحمن بن عوف :

تصدق على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بشطر ماله - اربعة آلاف - ثم تصدق بأربعين الفا . ثم حمل على خمسمائة فرس فى سبيل الله - عز وجل - ثم حمل على الف وخمسمائة راحلة . ثم وردت له قافلة من تجارة الشام فحملها الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدعا له بالجنة .

وقد اوصى بخمسين الف دينار فى سبيل الله . وكان يعول اهل المدينة : ثلث يقرضهم ماله . وثلث يقضى دينهم بماله . وثلث يصلهم . وقد بلغ ما اعتقه ثلاثين الفا . وتصدق على أهل بدر بمائة وخمسين الف دينار . وكتب جريدة بتفريق جميع ماله على المهاجرين والأنصار حتى كتب أن قميصه الذى على بدنه لفلان وعمامته لفلان . ولم يترك شيئا من ماله الا كتبه للفقراء !.

بقية معالم الطريق

فاذا اردنا ان نضم صفوف اصحاب المصلحة الحقيقية فى الثورة لازم ندرس ظروف معيشة هؤلاء الناس وهذه الطبقات ثم نعمل على حل مشاكلها ثم نناضل معها فى حل مشاكلها . بهذا نستطيع أن نعمق النضال . طبعا اذا اتكلمنا على اعداء الثورة فى الداخل . لازم ايضا نذكر أعدء الثورة فى الخارج .

طبعا اعداء الثوره فى الخارج على طوال السنين الاربعة عشرة اللى فاتت بيحاربونا .

شوفنا كل انواع الحرب . الحرب النفسية . والحرب الاقتصادية والحرب المسلحة . واستخدمت ضدنا قوى رجعية . استخدموا ضدنا الاخوان المسلمين . استخدموا ضد نا أعوان الاستعمار .

اذن فى الوقت اللى احنا بنبنى فيه بلدنا وبنبنى المجتمع اللى احنا عايزينه وباقول ان احنا حناخد وقت طويل لغاية ما نكون ونشكل المجتمع اللى احنا عايزينه . علينا باستمرار ان نكون على وعى وعلى يقظة حتى نصد العدوان الخارجى المستمر علينا .

ليه العدوان الخارجى مستمر علينا . طبعا نجاح هذه الثورة فى مصر . يستلفت النظر فى المنطقة المحيطة بنا وفى كل انحاء العالم الثالث اللى بيقولوا عليه العالم المتخلف او الدول النامية .

واذا استلفت النظر هذا النجاح ستحاول كل هذه الشعوب انها تطبق فى بلادها انظمة تقضى على الاستغلال . فاذا قضت على الاستغلال ستتأثر بهذا مصالح الرجعية ومصالح الاقطاع ومصالح الراسمالية . وفى نفس الوقت تتأثر مصالح الاحتكارات العالمية .

وعلى هذا الاساس نجد ان المعركة الموجودة ضدنا منذ قامت الثورة معركه يتحالف فيها قوى مختلفة .. الاستعمار مع الصهيونية مع الرجعية العربية مع الاقطاع فى البلاد العربية او النظم الاقطاعية ثم النظم الرأسمالية المستغلة . وعلى هذا الاساس نوجه ضدنا دعايات ثم توجه ضدنا مؤامرات ثم توجه ضدنا ضغوط . الرجعية فى السعودية والرجعية فى الاردن استخدموا الاخوان المسلمين . ووجدوا أنهم بتبنيهم الاخوان المسلمين قد يحققوا هدفين :

الهدف الاول ان حزب الاخوان المسلمين على اساس انه حزب رجعى ويمثل اخر مراحل الرجعية يمكن لهم ان يستندوا عليه . وفى نفس الوقت يمكن لهم ان يوجهوه للتآمر علينا .

ولهذا احتضنت السعودية واحتضن الاردن بعض افراد الاخوان المسلمين الذين تآمروا علينا فى العام الماضى .

ولكن طبعا وعى الشعب هنا رغم ان احنا كانت نيتنا سليمة جدا وحسنة مع الاخوان المسلمين . ولم نطبق ابضا مبدأ من هم اعداءنا ومن هم اصدقاءنا ـ فى سنة ١٩٦٣ طلعنا الاخوان المسلمين اللى كانوا فى السجون ثم عملنا لهم قانون بأن يتمكنوا من العودة الى اعمالهم ورجعوا الى اعمالهم وقلنا عفا الله عما سلف وبدانا صفحة جديدة ولكن

العامل الذى يتغيب عن عمله يجب فصله لأنه يخطئ فى حق المجتمع ويعتبر عدوا له .

اللئيم لا يمكن ان يبدا صفحة جديدة وطبعا اللؤم فى هذه العملية هو لؤم دولى .. لؤم سعودى على لؤم الاخوان المسلمين ـ لؤم رجعى على لؤم استعمارى ـ اذن يجب ان احنا ما نغمضش عنينا ونكون صاحيين باستمرار لمحاولات الضغوط تكشفها ـ معركة لينا مع الرجعية ومع الاستعمار ومع الصهيونية لان ما حدش فيهم عايز قاعدتنا فى الداخل تقوى ـ ولكن احنا فى نفس الوقت اللى بندافع ونواجه فيه هذه القوى المضادة لنا والمضادة للتقدم فى جميع انحاء العالم العربى ـ نبنى القاعدة القوية والقاعدة الصلبة فى بلدنا ـ النهاردة نجد ايضا ان الدول الاستعمارية تساند اسرائيل وتسلح اسرائيل حتى تنهك قوانا فى الزيادة فى التسليح ـ نجد ان امريكا باستمرار تعمل على ان تكون اسرائيل متفوقة فى التسليح ـ وأمريكا تدى اسرائيل مساعدات اقتصادية وتدى اسرائيل أسلحة .. دبابات وطيارات وصواريخ . وطبعا أمريكا بتدى هذه الأسلحة لاسرائيل قصدها ان احنا لازم نشترى اسلحة حتى نستطيع ان تكون على قدرة من ان ندافع عن بلادنا ضد المؤامرات الاستعمارية الصهيونية كما حصل فى سنة ١٩٥٦ . وقد تعرضنا فى هذه السنة الى مؤامرات صهيونية استعمارية . وكانت الرجعية تساند مؤامرات الاستعمار والصهيونية .

النهاردة قد نتعرض الى ضغط اقتصادى .. النهاردة مثلا السنة دى احنا مفروض ان احنا نستورد فى مواد التموين مواد ب ١٠٠ مليون دولار عما كنا نستورده قبل كده لان امريكا اللى كانت بتبيع لنا بالعملة المصرية السنة اللى فاتت قطعت البيع بالعملة المصرية ثم باعت لنا ٦ اشهر ثم عادت فى اوائل هذا الشهر ولن تجدد الاتفاق . طبعا معنى هذا ان احنا بنجابه ضغط اقتصادى ـ ولكن هل الضغط الاقتصادى اللى حيخلينا نسلم فى حريتنا او نسلم فى تحقيق اهدافنا ؟ لا يمكن لان الحرية وسيلة لخلق المجتمع الذى نريده اذا سلمنا فى حريتنا او سلمنا فى استقلال رأينا او سلمنا فى ارادتنا معنى هذا اننا لن نتمكن من ان نخلق المجتمع الذى نريده ـ المجتمع الذى تذوب فيه الفوارق بين الطبقات المجتمع الذى تسود فيه الرفاهية ـ المجتمع اللى فيه تكافؤ الفرص ـ المجتمع تسود فيه الرفاهية ـ المجتمع اللى فيه تكافؤ الفرص ـ المجتمع اللى اللى فيه العدالة الاجتماعية ـ المجتمع المتخلص من الاستغلال الاقتصادى والاجتماعى ـ المجتمع الحر اللى فيه الانسان الحر اللى هو حر ما فيش استغلال ـ طالما ان فيه استغلال لن يكون الانسان حر لان الانسان اذا وجد الاستغلال حايكون عبد للاستغلال . والانسان اذا وجد الاقطاع حا يكون عبد للاقطاع . والانسان اذا وجد الرجعية حا يكون عبد للرجعية ـ والانسان اذا وجد الاحتكار حا يكون عبد للاحتكار . فالاقطاع والرأسمالية المستغلة والاحتكار لا يعطى الانسان الا النزر اليسير حتى يستطيع لن يحيا ويستطيع ان يعيش ثم يخدم بكل قواه حتى يحقق

المكاسب الباهظة . المكاسب الكبيرة . اما للاحتكار او للاقطاع او للراسمالية المستغلة — اذن نحن لن نفرط فى حريتنا ولن نفرط فى ارادتنا ولن نفرط فى اى شىء من اجل ١٠٠ مليون دولار — قد ١٠٠ مليون دولار — ولكن علينا ان احنا نصرف امورنا وندبر امورنا بحيث ان احنا نتغلب على الازمات الاقتصادية التى تقابلنا نتيجة للضغط الاقتصادى — معنى هذا ان أنا السنة دى لازم أوفر أد ١٠٠ مليون دولار — قد اوفرها من المبعوثين وقد اوفرها من مصروفاتنا فى الخارج وقد اوفرها من الاستيراد وقد اوفرها من اشياء مختلفة ولكن خير لنا اذا اردنا ان نبنى مجتمعنا ان نوفر الـ ١٠٠ مليون دولار من جلدنا ومن اكلنا احسن من ان نبيع حريتنا بـ ١٠٠ مليون دولار يعنى ٥٠ مليون جنيه وما اظنش حد فى هذا البلد اللى قاسى من الاستعمار مستعد يبيع حريته بالـ ١٠٠ مليون دولار و بـ ١٠٠٠ مليون دولار — احنا نستطيع ان احنا نعيش ونعمل — احنا مدينا خطة الـ ٥ سنوات لتكون ٧ سنوات ولكن كل واحد فينا لازم يشعر خصوصا المثقفين ان مواردنا محدودة وان احنا فى الـ ١٤ سنة دول زودنا الدخل القومى من ٨٠٠ مليون جنيه الى ١٨٠٠ مليون جنيه وزودنا الانتاج من ١٨٠٠ مليون جنيه الى ٣٥٠٠ مليون جنيه وان احنا دخلنا فى مشاريع وفى خطط اكثر من طاقتنا وقد تكون جانبنا النجاح فى بعض المشاريع — باقول لا بد احنا جداد فى هذا الموضوع اذا اردنا ان احنا نبنى اكثر من طاقتنا ونستطيع بهذا ان نبنى فعلا البلد الذى نريده .

والمجتمع الذى نريده مجتمع حر . مجتمع جديد يساهم فيه المثقفين والجامعات بكل جهد . كل واحد من المثقفين لازم يحاسب نفسه أن الدولة ادته وان الشعب اداه وان عليه دين بيديه للشعب وهذا الدين هو فعلا بيرده لابنائه وبيرده للجيل الجى .

بكده نستطيع ان احنا فعلا نمشى فى ثورتنا . الثورة مش هدف . الثورة وسيلة نستطيع أن نبنى فعلا المجتمع الحر العزيز الكريم .. الحرية مش كلام . الحرية مش فى الكتب . الحرية يجب ان تكون فى كل الميادين وفى كل المجالات ولا يمكن ان توجد حرية اذا كان هناك اقطاع ورأس مال مستغل واحتكار وطبقات سيدة وطبقات من العبيد ..

ولكن توجد الحرية اذا عملنا جميعا . على اذابة الفوارق بين الطبقات وعلى ايجاد المجتمع الكريم العزيز وعلى الاستفادة من بلدنا وزيادة الانتاج فى كل الميادين وعلى تكافؤ الفرص لكل الناس . وبكده كل واحد فينا فى آخر السنة أما باجى هنا عندكم يوم ٢٨ بابقى عايز أستعجل الحفلة دى لأن بكره الصبح با ابتدى الاجازة وابقى مستنى الحفلة تيجى واخلص منها باسرع وقت ممكن وابقى عايل هم الكلمة اللى حا اقف اقولها لانها بتكون اخر كلمة فى اعياد الاحتفالات لكن فى نفس الوقت با ابقى حاسس باللى اتعمل فى السنة وابقى حاسس فى نفسى بفرحة ويبقى عندى امل فى السنة الجاية ان شاء الله ربنا يوفق الجميع حتى نستطيع أن نخدم هذا المجتمع ونقيم المجتمع الذى نريده ..

والسلام عليكم ورحمة الله ..

لا جدال في ان اسره محمد علي هي المسئولة عن استفحال الاقطاع في مصر ، وحماية خطره واجرامه ، حتى أصبح دولة داخل الدولة ، وبات يستعبد الناس استعبادا مريعا حتى كاد يسد منافذ الهواء الذى يستنشقون •

لقد جاء مؤسس هذه الأسرة الى مصر من ألبانيا فقيرا معدما ، لا يملك شروى نقير •• فلم تلبث هذه الأسرة أن أصبحت واحدة من أغنى الأسر الحاكمة في العالم عن طريق اللصوصية والنهب لمساحات شاسعة من الأراضى المصرية ، استولت عليها بالارهاب والقوة ، وكانت موزعة كلها في كل مكان على أفرادها ، ومعروفة بما يسمى بالدوائر والتفاتيش ، ويطلق عليها أحيانا أسماء غريبة مثل « الأملاك السنية » •

وقد اشتهر أفراد من هذه الأسرة بحبهم لتملك الأراضى ، والشراهة في جمع الأموال من الاراضى وغيرها ، كاسماعيل وعباس الثانى وفؤاد وفاروق ، وبذلك صارت هذه الأسرة بلا مراء أكبر الأسر الاقطاعية في العالم ، وأكبر أسرة اقطاعية في مصر •

لقد تسلط الاقطاع على جميع مرافق الحياة في بلادنا فأفسدها ، وكأنه الداء الوبيل يتسلط على الجسم القوى ، فيتلفه ويمزق شرايينه وحيويته •

ففى المجال الانسانى هو المسئول عن خلق النظام الطبقى في مصر ، فقد كان فيها طبقتان طبقة « ممتازة » تتمتع بكل المزايا المادية •• وهى الطبقة التى كان يطلق عليها في أوساط الناس « الطبقة الارستقراطية » بل كان لهذه الطبقة نواديها وملابسها ومشيتها الخاصة • حتى في اللغة ، فانها كانت تأنف أن تنطق بلغة البلاد القومية « اللغة العربية » بل كانت تملأ أشداقها باللغات الأجنبية كالفرنسية او الانجليزية أو التركية ، وترطنها من أنفها بطريقة خاصة أمام الشعب لفتا للنظر ، وتنبيها على (السيادة وعلو المركز) •

وكان لهذه الطبقة نمط من حياتهم الخاصة أو ما كان يعرف عندهم « بالبروتوكول » ، وبمقتضى هذا النمط كانوا يقيمون حفلات الرقص والخلاعة والمجون الصاخبة التى يخرجون فيها على كل عرف وتقليد •

اما الطبقة الأخرى ، وهى سواد الشعب وأغلبيته ، فكانت على النقيض من الطبقة السابقة ، حيث يدوسها الفقر ، فيفترسها الجوع بحاد أنيابه ، ويخنقها العرى بلكتا يديه ، وتنتعل الحفاء صيفا وشتاء •

وكان أول من ناء عليه بكلكله الغليظ هذا الاقطاع هو الفلاح المسكين الذى كان يستغله فى العمل فى حقوله ذليلا من مطلع الشمس الى غروبها ، والسوط من خلفه ، ثم لا يطعم من الاقطاع الا فى كسرة من خبز يتبلغ بها ، وثوب واحد ردىء من القطن يلبسه حرا وقرا • فضلا عن الاعتداء عليه بالضرب والتعذيب الوحشى الذى يبلغ أحيانا درجة القتل ، ليضمن تسخيره وعمله بلا انقطاع ، وفضلا عن ايذائه له فى كرامته وشرفه سفالة منه وسوء أدب •

وفى مجال الاقتصاد ، فان الاقطاع هو المسئول عن تاخير النهضة الاقتصادية ، فلم يكن يساهم بأمواله الزاخرة فى قيام المنشآت الصناعية ، حتى تأخرت نهضتنا الصناعية عن مثيلاتها التى قامت فى أوربا وبعض بلدان الشرق كاليابان ، بالرغم من توفر الخامات الصناعية عندنا كالقطن اللازم لصناعة النسيج مثلا ، بل لقد لج هذا الاقطاع فى وقاحته ، فكان يهرب أمواله الى الخارج ، لينشط الصناعات والشركات والمصارف الأجنبية ، ويترك البلاد التى عاش عليها خرابا ، يكثر فيها العاطلون ويتشردون فى كل مكان ، بل كان يبلغ به الحقد أن يقبل على البضائع المستوردة الى بلادنا من الخارج ، ويعرض عن بضاعتنا المصنعة محليا والتى تفوقها جودة ، خوفا من أن تنمو الوطنية بنمو أموالها ، فتقوى شكيمتها ، وتلقى به فى عرض الطريق •

وقد عرفت بدعة عن أهل الاقطاع كان لها أثرها السىء فى تأخير اقتصادنا ، وهى السفر الكثير الى أوربا وبعض البلدان الأجنبية الأخرى تحت ستار الاصطياف أو الاستشفاء ، وما كان هدفهم الا تبديد ما فى جيوبهم من الأموال الفائضة المجموعة حراما من الشعب والمستنزفة من دمائه فى العبث واللهو غير الحلال •

وأما فى مجال الوطنية ، فان جرائم الاقطاع فيه أشد وأنكى ، فقد كان وجوده مرتبطا بوجود الاستعمار ، فكلاهما مستغل غير شريف ، مصاص لدماء البشرية ، فلا عجب ان حرص على مساندة الاستعمار حتى عاش على ظهر وطننا طويلا ، ولا عجب أيضا ان ظهر بين أهل الاقطاع من فضح وطنه ، ودمغ تاريخه بخيانة هذا الوطن الذى رباه •

أما فى المجال الاجتماعى ، فحدث عن مصائبه ومآسيه فى المجتمع ، كما تشاء ، فحيث يوجد الاقطاع تتفشى أدواء النفاق والكذب وكل الأمراض الخلقية والموبقات الاجتماعية التى يأباها العرف السليم ، والخلق القويم ، والدين الكريم •

ولعل من أشد أوزاره الاجتماعية التى ناء كاهله بوقرها ، ودمغته على جبهته بميسم العار والشنار هى تسببه فى تاخر التعليم فى بلادنا ، حتى بلغت نسبة الأمية فى عهده أزيد من التسعين من المائة ، وهذا منه ليس بمستغرب ، لأنه لا يعمل الا فى الظلام الذى خاف عليه أن يبدده نور العلم ، فينكشف عمله كما ينكشف عمل اللص •

هذه باختصار قصة الاقطاع ، ويا لها من مأساة رهيبة سوداء دامية تثير الفزع فى النفس والقشعريرة فى البدن عند تذكرها •

لقد قضى البطل الرئيس جمال عبد الناصر على الاقطاع ، فقضى على أخطاره التى كانت كشوكة حادة فى جسم ، فلا يستطيع الحركة الا بالآلام والتأوهات والصرخات •

وبقضائه عليه باعادة الأرض الى ملايين الفلاحين التى نزعت منهم ••

أعاد اليهم لقمة العيش الهنيئة التى حرموا منها طويلا ، وحطم الأغلال التى كان يضعها الاقطاع فى أيديهم ، فظفروا بالحرية ، ورجع التوازن المفقود الى الوطن ، فرجع اليه أمنه ، وفتح عليه باب النور والحق والخير والجمال على مصراعيه •

من الأدب الصوفي المصري

في القرن السابع الهجري

الدكتور علي صافي حسين

نتناول في هذا المقال فنا آخر من فنون شعر الصوفية النظريين وهو ما جرى على لسان ذلك الفريق من المتصوفة الذين كانوا قبل تصوفهم على مذهب أهل السنة والجماعه فلما تصوفوا جاء تصوفهم كما صوره شعرهم موافقا لظاهر السنة والكتاب • وأشهر رجال هذه الطائفة وأبعدهم صيتا أبو العباس المرسى وخليفته ابن عطاء الله السكندرى وكلاهما من أعلام الطريقة الشاذلية • وقد قرأت كل ما وقع الى من شعر أبى العباس المرسى ومريديه ، وفى مقدمتهم خليفته ابن عطاء الله السكندرى فوجدته ينقسم من حيث المعنى أو المضمون الى أربعة اتجاهات •

الأول – فى الكلام على النفس والروح وتعلقها بالبدن وذلك كقصيدة أبى العباس المرسى النونية وهاك طرفا منها :

ان كنت سائلنا عن خالص المنن
وعن تعلق ذات النفس بالبدن
وعن تشبثها بالخلق مذ ألفت
أدرانها نفدت تشكو من العطن
وعن تنزلها فى ملكها ولها
علم يعرفها بالقبح والحسن
وعن بواعثها بالطبع مائلة
تهوى بشهوتها فى ظلمة الشجن
وعن تحققها فى أصل معدنها
لا ينثنى وصفها منها الى وثن

الثانى – فى ارشاد المريدين وتوجيه السالكين كقصيدة ابن عطاء الله السكندرى البائية وهاك طرفا منها :

فلا والله ما طابت حياة
سوى بالقرب من كنف الحبيب
فلا تختر سوى دار السعادة
وعاد عن الاجارح والكثيب
وما لافى الأحبة مثل وعد
تفتت منه حبات القلوب
ومن يعشق معززة شرودا
فلا يسأم مقاسات الكروب
ودونك فاستبق نحو المعالى
ولا ترضى بدون من نصيب

والثالث – فى ذكر المنازل والمقامات التى يمر بها السالكون فى طريقهم الى الله ، وذلك كالقصيدة التى أنشأها بعض المريدين :

خذ من كلامى ما يلذ جناه
ويتم كالمسك العبيق شذاه

ذكر الاله الزم هديت لذكره
فيه القلوب تطيب والأفواه

واجعل حلاك تقاه ان أخا الحجى
يا صاح من كانت حلاه تقاه

ولتعمل الأفكار فى ملكوته
مستغرقا فى الكشف عن معناه

ولتخلع النعلين خلع محقق
خلا عن الكونين فى مسراه

ولتفن حتى عن فنائك انه
عين البقاء فعند ذاك تراه

واذا بدا لك فاعلم أنك لست هو
كلا ولا أيضا تكون سواه

رابعا – فى مدح شيخ الطريقة وذلك كالقصيدة التى قالها ابن ناشد ، قال :

ورد السلام من الامام فسرنى
أنى مررت بخاطر لم ينسنى

ان كنت تعلم يا رسول بأنه
باق على العهد القديم فهننى

شيخى أبو العباس واحد وقته
حبر الزمان ورى عين الأعين

أسفى على وقت لديك قطعته
بالباطن الذى قد ربيتنى

ما كنت الا حائدا فرددتنى
والى الطريق المستقيم هديتنى

وسقيتنى ماء الحياة وكنت لى
كالخضر لما أن رويت سقيتنى

ولو استطعت قطعت عمرى عنده
لأعيش بعد الموت فى عيشى هنى

يا أيها المرسى ببر معارف
سافر الى المرسى بريح لين

فهو الطريق الى النبى محمد
ان كنت يوما بالارادة تعتنى

صلى عليه الله ما ذكر اسمه
فى عالم من عالم متفنن

ومثل قصيدة ابن ناشىء هذه، تلك القصيدة التى نظمها ابن عطاء الله فى الرد على ما كان قد مدح به أبا العباس المرسى بعض المريدين بأرض الصعيد ومطلعها :

قف بالديار فقد بدا مغناها ٠٠ الخ

ففى المثال الأول تحدث أبو العباس المرسى عن حقيقة الروح والنفس من جهة ، وعن تعلقها بالبدن وتشبثها بالبقاء فى عالم الفناء وانغماسها فى ظلمات المادة من جهة أخرى ٠٠ ثم عما تمر به الروح فى حياتها بعد مغادرتها هذا العالم الحسى سواء أكان ذلك بموت أم بما يقع لها من كشف نتيجة للمجاهدة والمكابدة وما تتواجد فيه تبعا لذلك أثناء سلوكها وهى فى الطريق الى الله من منازل ومقامات ٠

اقول ٠٠ تحدث أبو العباس المرسى فى قصيدته هذه عما ذكرت من معانى النفس وحقيقة الروح وتنزلها فى عالم الملكوت أثناء الحياة وبعد الممات على وجه لا يشتم من قريب ولا من بعيد مخالفة المعنى الذى يعطيه ظاهر قوله تعالى :

« ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا » ٠

ومعنى هذا ٠٠ أن أبا العباس المرسى يلتزم فى تصوفه ظاهر الكتاب والسنة ولا أدل على حرص أبى العباس على موافقة الكتاب والسنة وعدم اللجوء الى التأويل فى التنزيل وصرف الآيات عن ظاهرها من قوله فى شرح النفس وتباين حقيقة الروح ٠

تطور النفس سر لا يحيط به عقل
تقيد بالأوهام والـدرق

فهذا البيت كما ترى لم يختلف فى مؤداه ولكن معناه يعطيه ظاهر الآية المذكورة فى قليل أو كثير ٠

وفى المثال الثانى يعمل ابن عطاء الله السكندرى جاهدا على انارة الطريق للمريدين وارشاد السالكين سواء السبيل وذلك بحثهم على الصبر والاحتمال والمثابرة فى المجاهدة والمكابرة والا يهنوا ولا يسأموا اذا ما طال بهم الطريق وأبطأ عنهم الفتح ووجدوا فى سلوكهم عظم المشقة واستشعروا بعد الشقة وذلك لأن فى عظم البلاء وكثرة الابتلاء حلو الهمة وسمو المكانة ورسوخ القدم .. ثم ان قصيدة ابن عطاء الله تدور فى مجموع أبياتها واطارها العام على أن الفتح فتح الله والهدى هديه وان جميع الأمور انما تقع وفق المشيئة والقدر ».

وفى المثال الثالث يتحدث صاحب تلك القصيدة عن المنازل والأحوال التى لا بد وأن يمر بها السالكون وهم سائرون على الطريق بغية الوصول أو الانتهاء الى مقام المعرفة .. وهى تتلخص كما يقول صاحبنا فى هذه الامور الأربعة وهى :

أولا – الذكر . وثانيا – التقى . وثالثا – التفكر فى خلق الله وملكوته ، ورابعا – تجريد القلب من كل العوائق والعلائق .

وبعبارة أخرى أقول :

تصفية القلب وتخليته عن كل ما يشوبه من نزوات النفس ورغبات الجد وأكوار هذه الحياة الدنيا وهذا هو عين ما يعبر عنه فى اصطلاحهم بمقام الفناء فاذا مر السالك أو المريد بهذه المنازل واجتازها بأمن وسلام فانه بعد ذلك يصل الى الله أو يعرفه حق المعرفة ، وهذا هو نفس المقام الذى يدعى فيه طريق المتفلسفين حالة الاتحاد . أما صاحب القصيدة المذكورة وهو أحد مريدى أبى العباس فانه لا يقول بالاتحاد لان القول بالاتحاد مخالف لنصوص الكتاب والسنة وما قامت عليه الدعوة الاسلامية فى جوهرها من القول بوجود خالق ومخلوق وعابد ومعبود من جهة، وبأن الله لا يشبه شيئا من الموجودات على الاطلاق من جهة أخرى ، لذلك وجدناه يقول :

واذا بدا لك فاعلم أنك لست هو
كلا ولا أيضا تكون سواه
شيئان ما اتحدا ولكن ها هنا
سر يضيق نطاقنا عما هو

فهو كما ترى ينكر الاتحاد بين الخالق والمخلوق أو بتعبير الصوفية أنفسهم أقول بين المريد وواجب الوجود .. ثم هو يقرر أن المنتهى يظل شيئا لا يستطيع أحد أن يصفه بلفظ أو عبارة وكأنى به يريد أن يقول اذا ما وصل المريد أو السالك وانتهى الى ما يسمونه مرتبة الوصول أو مقام المعرفة أو التحقق بالحق فانه يكون فى حالة لا يعلمها الا الله .

وفى المثال الرابع نجد أن ابن ناشىء يمدح ابا العباس المرسى بأنه واحد وقته وبأنه يهدى المريدين الى السنن القويم وبأنه بحر المعارف الربانية والعلوم اللدنية .. وبأنه كالشمس يتضح به الحق من الباطل وبه تستبين معالم الطريق .. فهذه الصفات وغيرها مما خلعه ابن ناشىء على شيخه أبى العباس المرسى لا تختلف فى شىء ذى بال عما وصف به زهاد الفقهاء أو الصوفية العمليون ممدوحيهم من شيوخ الحديث وأئمة الفقه وأصحاب الافتاء وأهل القضاء وذلك كالقصيدة التى قالها ناصر الدين حسين يمدح ابن دقيق العيد وهو فى منصب قاضى القضاة .

أنت كالشافعى اذا حل مصرا
فهو فيها علم وان فات عصرا
وقد رأيناه منذ قدمت علينا
وسمعناه بعد ما حل حبرا
وارتضيناك مالكا واماما
فامض فينا الأحكام نهيا وأمرا

هذا .. والقصد من كل ما قدمنا أن نقول ان شعر مدرسة الشاذلى ومن جرى على منهجه لم يتضمن على اختلاف اتجاهاته وتعدد موضوعاته أى معنى من تلك المعانى التى تختلف فى طبيعتها وكنه حقيقتها مع ظاهر أحكام الشريعة وتعاليم القرآن ».

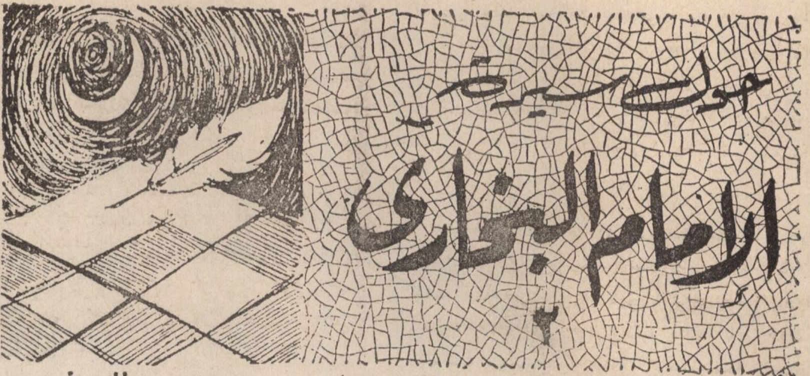

الأستاذ مبشر الطرازي الحسيني

- ٢ -

أما كتابه ((الجامع الصحيح)) المعروف بصحيح البخارى ، فانه الكتاب الاول بعد كتاب الله الكريم لا يعادله كتاب، كتاب يحتوى على تعاليم الله ، وأحكامه الحكيمة فى شئون العالم الاسلامى - بل البشرى - التى وردت على لسان نبى الاسلام ورسوله محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، من أحاديثه وسنته ، وماكان عليه من أفعاله وسيرته ، مع ماجرى منه من تقريره لصحابته • رضى الله عنهم وعن اله وعشيرته ، التى تركها لتمسك أمته ، بعد القرآن المجيد فى قدسيته ، حيث قال ((تركت فيكم أمرين ، لن تضلوا اما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله » وقد رويناه فى القسم الاول عن الامام مالك رحمة الله عليه ، وقال ((أما بعد فأن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الامور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة » رواه الامام مسلم فى صحيحه

كتاب اتفقت الأمة بقبوله واتخذه أئمة المذاهب الأربعة كلها مخرجا معتمدا للاحكام الفقهية مما يتعلق بشئون الأمة المحمدية ، فقد قال الامام محيى الدين يحيى بن شرف النووى فى شرحه لصحيح مسلم ما نصه : اتفق العلماء رحمهم الله على ان اصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان للبخارى ومسلم ، وقد تلقتهما الأمة بالقبول • وكتاب البخارى أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة •• وقد صح أن مسلما - يريد مسلم بن الحجاج القشيرى صاحب الصحيح - كان ممن يستفيد من البخارى ويعترف بأنه ليس له نظير فى علم الحديث • وهذا الذى ذكرناه من ترجيح كتاب البخارى ، هو المذهب المختار الذى قاله الجماهير وأهل الاتقان والحذق والغوص فى أسرار الحديث • انتهى

ومما يستفاد من شرح العينى لصحيح البخارى ، أن البخارى اشترط لاثبات صحة الحديث، أنه لابد له أن يثبت بشهادة عدلين وأن الراوى تلقى بنفسه ممن يتحدث عنه ، ولا يذكر فى كتابه حديثا الا اذا رواه صحابى مشهور عن النبى - صلى الله عليه وسلم - له راويان فأكثر ، ثم رواه عنه تابعى مشهور بالثقة والرواية عن الصحابة له راويان ثقتان فأكثر ، ورواه عنه من تبع التابعين حافظ متقن مشهور على ذلك الشرط .. هذا وقد سبق أن روينا فى القسم الأول من هذا البحث ان البخارى لم يرو حديثا من الصحابة أو التابعين الاوله اصل يحفظه عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقال القسطلانى فى شرحه لصحيح البخارى « وقد اتفقت الأمة على تلقى الصحيحين بالقبول ، واختلف فى أيهما أرجح ؟ وصرح الجمهور بتقديم صحيح البخارى ، ولم يوجد عن أحد بنقضه »

ثم أجاب القسطلانى عن قول من رجح صحيح مسلم على صحيح البخارى جوابا مقنعا يطول ذكره . وانى أقول : ولا يبقى أى شك فى رجحان صحيح البخارى على صحيح مسلم ، بعد ما اعترف به مسلم نفسه وقال ماقال من وصفه للامام البخارى الذى رويناه فيما سبق .

وروى الامام النووى عن الامام ابى عبد الرحمن النسائى صاحب الصحيح رحمة الله عليه أنه قال : « مافى هذه الكتب كلها أجود من كتاب البخارى »

ثم قال الامام : وقد انتخب علمه ولخص ما ارتضاه فى هذا الكتاب - الجامع الصحيح - وبقى فى تهذيبه وانتقائه ست عشرة سنة وجمعه من ألوف مؤلفة من الأحاديث الصحيحة

واما عدد الأحاديث فى الجامع الصحيح . فقد صرح الامام النووى : أنه اربعة الاف حديث باسقاط المكرر وبالمكرر سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثا » .

وقد ثبت فيما روى عن الامام البخارى أنه قال « ما كتبت فى كتاب الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين » وقال « خرجته من نحو ستمائة ألف حديث وصنفته فى ست عشرة سنة ، وجعلته حجة بينى وبين الله تعالى ، وما أدخلت فيه الا صحيحا وما تركت من الصحيح أكثر حتى لايطول الكتاب» ومما روى عن الامام البخارى ايضا انه قال « صنفت كتابى الجامع فى المسجد الحرام ، وما أدخلت فيه حديثا حتى استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته »

قال الحافظ بن حجر العسقلانى « والجمع بين هذا وبين ماروى أنه كان يصنفه فى البلاد ، انه ابتدأ تصنيفه وترتيب أبوابه فى المسجد الحرام ، ثم كان يخرج الأحاديث فى بلده بخارى وغيره ، ويدل عليه قوله انه اقام فيه أى فى تصنيفه - ست عشرة سنة لانه لم يجاور مكة هذه المدة كلها » وقد روى بن عدى عن جماعة من المشايخ أن البخارى حول تراجم جامعة بين قبر النبى صلى الله عليه وسلم ومنبره ، وكان يصلى ركعتين لكل ترجمه ولا ينافى هذا أيضا ما تقدم لأنه يحمل على أنه فى الأول كتبه فى المسودة ، وهنا حونه من المسودة الى المبيضة » هذا .

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير «وكتاب البخارى الصحيح يستقى بقراءته الغمام . وأجمع على قبوله وصحة ما فيه أهل الاسلام» روى القسطلانى بسند متصل الى زيد المروزى انه قال « كنت نائما بين الركن والمقام ،فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فقال لى « يا أبا زيد الى متى تدرس كتاب الشافعى ولا تدرس كتابى ؟ فقلت يارسول الله وما كتابك ؟ قال « جامع محمد بن اسماعيل » .

ثم قال القسطلانى (وروى بالاسناد الثابت عن البخارى انه قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وكأننى واقف بين يديه وبيدى مروحة أذب بها عنه ، فسألت بعض المعبرين فقال لى أنت تذب عنه الكذب » فهو الذى حملنى على اخراج الجامع الصحيح

وقال القسطلانى « روينا عن الفربرى أنه قال سمع صحيح البخارى عن مؤلفه تسعون ألف رجل » وقال (واما من أخذ عن البخارى فقد قال الذهبى وغيره أنه حدث بالحجاز والعراق وماوراء النهر وكتبوا عنه وما فى وجهه شعرة، وقال يوسف بن موسى المروزى « كنت فى جامع البصرة ، فسمعت مناديا ينادى : يا أهل العلم لقد قدم محمد بن اسماعيل البخارى، فقاموا فى طلبه وكنت فيهم ، فرأيت رجلا شابا ليس فى لحيته بياض يصلى خلف الاسطوانة ، فلما فرغ أحدقوا به وسألوه ان يعقد لهم مجلس الأملاء فأجابهم الى ذلك ، فقام المنادى ينادي ثانيا : ياأهل العلم لقد قدم محمد بن اسماعيل البخارى فسألناه بأن يعقد مجلس الاملاء فأجاب بأن يجلس غدا فى موضع كذا • غير جامع البصرة ـ فلما كان من الغد حضر المحدثون والحفاظ والفقهاء والنظار حتى اجتمع قريب من كذا وكذا ألف فجلس أبو عبد الله محمد البخارى فقال « ياأهل البصرة أنا شاب وقد سألونى أن أحدثكم وسأحدثكم أحاديث عن أهل بلدتكم تستفيدونها ـ يعنى ليست عندكم ـ فتعجب الناس من قوله فأخذ فى الاملاء ، نقله القسطلانى بالتفصيل فى شرحه لصحيح البخارى •

من أوصافه

قال القسطلانى : كان البخارى رحمه الله غاية فى الحياء والشجاعة والسخاء والورع ، والزهد فى دار الدنيا دار الفناء ، والرغبة فى دار الأخرة دار البقاء ، وكان يختم ـ القرآن ـ فى رمضان كل يوم ختمة •• ويقوم بعد صلاة التراويح كل ثلاث ليال بختمة ، وقال وراق ـ يعنى محمد بن أبى حاتم الوراق البخارى ـ كان يصلى وقت السحر ثلاث عشرة ركعة ، وكان قد ورث من أبيه مالا كثيرا فكان يتصدق به وكان قليل الأكل جدا كثير الاحسان الى الطلبة مفرطا فى الكرم • انتهى اختصارا (•)

أقول : أوصافه وفيرة ، ومناقبه كثيرة • ولكن خير الكلام ماقل ودل • فقد قال القسطلانى رحمه الله : « ولو فتحنا باب تعديد مناقبه الجميلة ومأثره الحميدة لخرجنا عن عرض الاختصار • ثم قال (وبالجملة فمناقب أبى عبد الله البخارى كثيرة ومحاسنه شهيرة ، وفيما ذكرنا كفاية •

قدوم البخارى نيسابور ووقوع الخلاف مع الذهلى

قال القسطلانى : ولما قدم البخارى نيسابور تلقاه أهلها من مرحلتين أو ثلاث وكان محمد بن يحيى الذهلى ـ نائب الخلافة العباسية ـ فى مجلسه (يعنى للحكم) فقال من أراد أن يستقبل محمد بن اسماعيل فليستقبله فانى استقبله ، فاستقبله الذهلى وعامة علماء نيسابور فدخلها وازدحم الناس على البخارى حتى امتلأت الدار والسطوح • فلماكان اليوم التالى أو الثالث من يوم قدومه قام اليه رجل فسأله عن اللفظ بالقرآن فقال البخارى «افعالنا مخلوقة وألفاظنا من افعالنا » فوقع بين الناس اختلاف ذكره مسلم بن الحجاج ، يعنى صاحب الصحيح

وقال بن عدى لما ورد البخارى نيسابور واجتمع الناس عنده حسده بعض شيوخ الوقت فقال لأصحاب الحديث « ان محمد بن اسماعيل يقول ، لفظى بالقرآن خلوق » فلما حضر المجلس قام اليه رجل فقال يا أبا عبدالله ما تقول فى اللفظ بالقرآن • أمخلوق هو أم غير مخلوق ؟ فأعرض عنه البخارى ولم يجبه ثلاثا فألح عليه فقال البخارى « القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق وأفعال العباد مخلوقة ، والامتحان بدعة » •

فشغب الرجل وقال قد قال « لفظى بالقرآن مخلوق » انتهى •

ثم قال القسطلانى : وقد صح ان البخارى تبرأ من هذا الاطلاق فقال : كل من نقل عنى

أنى قلت لفظى بالقرآن مخلوق ، فقد كذب على وانما قلت أفعال العباد مخلوقة) أخرج ذلك غنجار فى ترجمة البخارى بسند صحيح وقال أبو حامد الشرقى سمعت الذهلى يقول (القرآن كلام الله غير مخلوق ومن زعم لفظى بالقرآن مخلوق ، فهو مبتدع لايجلس الينا ولا نكلم من يذهب بعد هذا الى محمد بن اسماعيل » فانقطع الناس عن البخارى الا مسلم بن الحجاج وأحمد بن سلمة ، وبعث مسلم الى الذهلى جميع ما كان كتب عنه - من الأحاديث - على ظهر حمال ٠

وقال الذهلى «لايساكننى محمد بن اسماعيل فى البلد » فخشى البخارى على نفسه وسافر منها (يعنى نيسابور)

رجوع الامام الى بلده بخارى

ولما رجع الامام البخارى الى بلده بخارى نصبت له القباب على فرسخ من البلد واستقبله عامة اهله حتى لم يبق مذكور ونثر عليه الدراهم والدنانير ، وبقى مدة يحدثهم فأرسل اليه أميرا لبلد خالد بن محمد الذهلى (نائب الخلافة العباسية) يتطلف معه ويسأله ان يأتيه بالصحيح (يعنى الجامع الصحيح) ويحدثهم به فى قصره ، فامتنع البخارى من ذلك وقال لرسول الأمير :

« قل له أنا لا أذل العلم ولا أحمله الى أبواب السلاطين فان كانت له حاجة الى شيء منه فليحضر الى مسجدى أو دارى ٠ فان لم يعجبك هذا فأنت سلطان (صاحب سلطة)فامنعنى من المجلس ليكون لى عذر عند الله انى لا أكتم العلم) وبهذا حصلت بين الامام البخارى وبين أمير بخارى وحشة فأمره بالخروج عن البلد ، فدعا عليه الامام البخارى وكان مجاب الدعوة فلم يأت شهر حتى ورد أمر الخلافة بأن ينادى على خالد (الأمير) فى البلد فنودى على خالد على أتان وحبس حتى مات ، وكذلك لم يبق أحد ممن ساعده الا ابتلى ببلاء شديد ٠

خروجه من بخارى الى سمرقند

ولما خرج الامام البخارى من بخارا ، كتب اليه أهل سمرقند يخطبونه الى بلدهم ٠٠فسار متوجها اليهم ، ولكنه لما كان بخرتنك ، وهى قرية على فرسخين من سمرقند بلغه انه وقع بين أهل سمرقند بسببه اختلاف ، يريدون دخوله واخرون يكرهونه - بسبب ما أفشى بينهم من قصة نيسابور - فأقام فى خرتنك اياما وكان له اقرباء بها ونزل عندهم حتى ينجلى الامر ، فمرض حتى وجه اليه رسول من أهل سمرقند يلتمسون خروجه اليهم ٠فأجاب وتهيأ للركوب فلما مشى عشرين خطوة أو نحوها الى الدابة ليركبها قال ارسلونى فقد ضعفت فأرسلوه فدعا بدعوات ثم اضطجع فقضى - توفى - فسال عرق كثير وما سكن هذا العرق حتى (غسل) وأدرج فى أكفانه ٠

وقال القسطلانى : وروى أنه ضجر ليلة وهو بخرتنك - فدعا بعد أن فرغ من صلاة الليل ((اللهم قد ضاقت على الأرض بما رحبت فاقبضنى اليك)) فمات فى ذلك الشهر ،ليلة السبت عيد الفطر سنة ست وخمسين ومأتين عن اثنتين وستين سنة الا ثلاثة عشر يوما ٠ ولما صلى عليه ووضع فى قبره فاح من ترابه رائحة طيبة كالمسك ودامت أياما وجعل الناس يختلفون الى قبره مدة يأخذون منه، وقال عبد الواحد بن آدم الطواويسى : رأيت النبى صلى عليه وسلم ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف فى موضع فسلمت عليه فرد على السلام فقلت ما وقوفك هذا يارسول الله فقال انتظر محمد ابن اسماعيل ، قال فلما كان بعد أيام بلغنى موته فنظرت فاذا هو فى الساعة التى رأيت فيها النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال القسطلانى : ولما ظهر أمره بعد وفاته خرج بعض مخالفيه الى قبره وأظهروا التوبة والندامة ٠ رحمة الله عليه ونفعنا بعلمه ٠

دراسات فى التاريخ الإسلامى

الفتوح الكبرى فى عهد عمر بن الخطاب

فتح العراق

الدكتور أحمد ابراهيم الشريف

معركة القادسية

مضى اليوم الاول من ايام القادسية ، وهو اليوم الذى تسميه المصادر العربية ((يوم أرماث)) لم يظهر فيه فريق على فريق ، على الرغم مما بذل الطرفان فيه من اصرار عنيد على تحقيق التقدم فى المعركة ، فأما الفرس فقد سلطوا فيلتهم على صفوف العرب تمزقها ، وتوقع الخلل فيها ، وهم يحاولون جاهدين ان يزحزحوا العرب عن مواقفهم . وأما العرب فقد نشط فرسانهم الأبطال يبارزون قادة الفرس وأبطالهم ، ويشتدون فى الهجوم بحركات خاطفة عنيفة ، ويذمرون القبائل ويلهبون حماسها بما يذكرون من مناقبها وصفاتها . والقائدان : سعد ، ورستم ، يحركان قواتهما فى مهارة فائقة وعبقرية فذة ، وكل منهما يستخدم افضل ما يعلم من خطط القتال وادارة المعارك ، لكن على الرغم من كل ذلك لم يصل فريق من الفريقين الى نتيجة تكشف عن مصير المعركة ، وان كان الفرس قد نجحوا فى قتل عدد كبير من رجال القبائل ، فان العرب قد نجحوا فى تعطيل قوة الفيلة الضاربة بقطع احزمة توابيتها وقتل من عليها وطعنها ، واجبارها على ترك ميدان القتال . ولم ينفصل الجيشان الا بعد أن مضى جانب من الليل وحال الظلام بين المتعاركين ، فرجع كل من الجيشين الى مواقفه يرتب للغد ويحسب له حسابا كبيرا .

يوم أغواث

بانت بوادر الفجر ، وارتفع ، فى معسكر المسلمين ، صوت يجلجل : الله أكبر ، الله أكبر . أشهد أن لا اله الا الله . فهب المسلمون يجيبون داعى الله ، وما ان أدوا صلاتهم ، حتى انشغلوا بدفن القتلى ، ونقل الجرحى الى العذيب خلف المعسكر ، ليعنى بهم النساء . وكذلك دبت الحركة فى معسكر الفرس ، وانشغلوا أيضا بدفن قتلاهم ونقل جرحاهم .

وبينما هؤلاء وأولئك فى شغل بهذا الأمر . كان القعقاع بن عمرو التميمى يسرع فى السير فى الف من الجند فصلوا من الشام نجدة لجيش العراق ، كأمر عمر بن الخطاب الى قائده أبى عبيدة بن الجراح أن يرد جيش العراق اليه بعد فتح دمشق ، وهو الجيش الذى غادر العراق من قبل تحت قيادة خالد بن الوليد بامر أبى بكر لنجدة جيوش المسلمين بالشام . فلما انتصر المسلمون فى الشام وأتم الله عليهم فتح دمشق . سير أبو عبيدة قوة عدتها ستة آلاف بقيادة هاشم بن عتبة بن أبى وقاص مددا لعمه سعد بن أبى وقاص . وسير هاشم القعقاع فى مقدمته ، وعجله كى يدرك الجيش قبل فوات الأوان .

كان القعقاع على مقربة من القادسية فجر الغداة من يوم ارماث ، وليشد من عزائم المسلمين ، قسم رجاله الألف ، عشرة أقسام ، وأمرهم ألا تسير فرقة حتى تكون التى سبقتها على مدى البصر ، ثم سار هو على رأس الفرقة الأولى .

وبينما المسلمون يتاهبون للقتال ، اذ لمحوا فارسا ينهب الارض نهبا على ظهر جواد منطلق كالشهاب نحوهم ، وحين اقترب صاح رجل ((انه القعقاع بن عمرو)) وصاح آخر ((هذا من قال أبو بكر رضى الله عنه فيه : لا يهزم جيش فيهم مثل هذا)) .

واقبل القعقاع على الناس يبشرهم بالمدد ، ثم صعد الى سعد فبشره وانهى اليه الخطة التى اتخذها لتقوية قلوب المسلمين ، واضعاف روح الفرس. فبان البشر فى وجه سعد ، وسرى الأمل فى نفسه ، وصاح « لله درك يا قعقاع » .

وخرج القعقاع الى الناس يخطبهم وينعش نفوسهم، ويضرب لهم المثل فى الشجاعة والاقدام . « أيها الناس، انى قد جئتكم فى قوم ، والله أن لو كانوا مكانكم ، ثم أحسوكم ، حسدوكم خطوتها ، وحاولوا أن يطيروا بها دونكم . فاصنعوا كما أصنع » .

ثم تقدم للمبارزة ، وقد انتشت قلوب المسلمين ، واطمأنت نفوسهم : ان المدد قريب وسينضم اليهم ، وانه لن يهزم جيش فيه مثل القعقاع . وهتف الفارس الجرىء . من يبارز ؟ من يبارز ؟

فخرج اليه فارس من صفوف العدو فى ثياب موشاة ، تعلوه مهابة ، ويدل منظره على أنه من وجوه القوم وسادتهم . وسأله القعقاع من هو ، وحين أجاب الفارسى ، انه « بهمن جاذويه ، صاحب يوم الجسر « وهو اليوم الذى هزم فيه بهمن جيش المسلمين وقتل قائده أبا عبيد الثقفى » ، صاح القعقاع « يالثارات أبى عبيد وسليط وأصحاب يوم الجسر !! »

ثم اندفع اليه ، ودارت بين الرجلين مبارزة وحشية هائلة ، شدت اليها انظار الجيشين معا ، فكل من الرجلين له بين أصحابه مقام كبير وله فى حساب المعركة شان عظيم . وطارت راس بهمن بضربة رائعة من يد القعقاع فجرت حماس المسلمين ، فزلزلوا الارض بالتكبير ، وأججت الحقد فى صدور فرسان الفرس ، فاندفع من بين صفوفهم فارسان معلمان من ابطال فارس وصناديدها ، وهما البيرزان ، والبندوان. وكلهما حماسة يريدان أن يثارا لصاحبهما . وهم عاصم بن عمرو التميمى أن يكون الى جانب اخيه ، ولكن سبقه الى ذلك أحد فرسان المسلمين : الحارث بن ظبيان بن الحارث . واتجه القعقاع الى البيرزان ، واتجه الحارث الى البندوان . ودار القتال بين الرجال الاربعة ، وثار النقع ، ومالت الخيول على الخيول ، وبرقت السيوف تطل منها عيون المنون ، واخذ صوت تقارعها يقرع الآذان فيثير الحواس جميعا ، ويجعل الحماسة تفور فى الصدور . ولم يكن سعد باقل اهتماما من رجاله ، بل لعله كان أكثر الجميع اهتماما، فالبيرزان والبندوان من قواد فارس وأبطالها ، ولو انتصر القعقاع وصاحبه ، لخسر جيش الفرس قائدين من امهر قواده واعظمهم . وكتم سعد أنفاسه حين بلغت المبارزة اقصاها ، فها هو كل رجل قد حمل على صاحبه حملة صادقة ، واختلطت صيحات الفرسان بالصياح المنبعث من كلا الجيشين ، واذا ومضة من سيف القعقاع ، ثم رأس يتحرج تحت أرجل الخيل ، تاركا جسم البيرزان يسقط على مهل ، وفى دوى التكبير برزت صيحة عظيمة من فم الحارث تبعتها ضربة هائلة من يده ، ورأى المسلمون راس البندوان يطير فى الهواء ثم يسقط تحت قوائم الخيل ، فاعادوا تكبيرهم حتى زلزل المكان ، واستراح سعد وعلم أنها بداية طيبة .

وصاح القعقاع فى الناس : « باشروهم بالسيوف ، فبها يحصد الناس » فتواصى الناس وحملوا على الفرس بسيوفهم ، وخالطوهم وجعلوا يقصفونهم بها قصفا. ووردت الفرقة الأولى من رجال القعقاع مكبرة مهللة ، فكبر المسلمون خلفها ، ودب النشاط وراح المسلمون يقاتلون ، ووردت الفرقة الثانية والثالثة والرابعة ، واستمر ورود الجماعات . وخيل الى الفرس ان هذا المدد لا آخر له ، ولا طاقة لجنود رستم به ، وزاد ذلك أن الفيلة لم تدخل المعركة ، فقد تكسرت توابيتها بالأمس ولم يتم اصلاحها بعد ، فشد ذلك من أزر المسلمين ، وفت فى عضد عدوهم ، فاكثر المسلمون فيهم القتل . ذكروا أن القعقاع قتل وحده فى هذا اليوم ثلاثين رجلا .

ورأى بنو تميم أن الفيلة غائبة ، فأراد عاصم بن عمرو أن يثار من الفرس . فأمر فجاءوا بابل وجللوها بالسواد وبرقعوها ، ودفعوها تحمل على الفرس كأنها الفيلة ، فكان اثرها فيهم كأثر الفيلة فى العرب يوم أرماث فقد ولت خيلهم نفارا من منظرها ، فركبتهم قوات المسلمين ، وأعملوا فيهم السيوف قتلا وبترا . وبلغت الحماسة من احد الجنود ، أن اندفع خلال صفوف الفرس يريد قتل رستم ، وراح يقتل من يعترض طريقه ، حتى اذا أصبح على قيد خطوات من رستم تكاثر عليه الفرس فسقط قتيلا .

وكان سعد بن أبى وقاص قد حبس أبا محجن الثقفى ، وقيده كأمر أمير المؤمنين . وكان أبو محجن من فرسان العرب المشهود لهم ، ومن شعرائهم المعدودين . فلما اشتد القتال ، وتردد التكبير فى أذنه لم يطق صبرا ، فصعد الى سعد يجر سلاسله ، واخذ يستحلفه بالله أن يدعه يشارك فى القتال . ولكن سعدا رده ونهره . فرجع الرجل كئيبا حزينا ، ولكن صيحة الحرب عادت تصك أذنه ، فقام يجر حديده الى سلمى زوجة سعد ، وناداها « يا سلمى بنت آل خصفة . هل لك الى خير ؟ » وحين سألته عما يريد، قال « تخلين عنى وتعيرننى البلقاء (فرس سعد) . ولله على ان سلمنى الله أن أرجع اليك حتى اضع رجلى فى قيدى » . وحين رفضت سلمى طلبه ، عاد يائسا ، وجلس يبكى وينشد :

كفى حزنا أن ترتدى الخيل بالقنا
وأترك مشدودا على وثاقيا
اذا قمت عنا فى الحديد ، وأغلقت
مصاريع دونى قد تصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير واخوة
فقد تركونى واحدا لا اخا ليا
ولله عهد ، لا أخيس بعهده
لئن فرجت ، ألا أزور الحوانيا

فلما سمعت سلمى شعره ، ورات بكاءه ، رقت له وتقدمت نحوه تقول « يا أبا محجن . انى استخرت الله ورضيت بعهدك » ثم أحلفته ، فاقتاد البلقاء ، ولبس سلاح سعد ، وانطلق .

ورأى سعد ــ وهو على سطح الحصن ، فارسا بين الصفين يكبر ويلعب بسلاحه ، ويركض الفرس الى الميمنة حينا ، والى الميسرة حينا ، وهو يقصف الأعداء

بسيفه قصفا منكرا ، فجعل يتأمله متعجبا ، ويقول « والله لولا محبس أبى محجن ، لقلت هذا أبو محجن. وهذه البلقاء » .

واستمرت المعركة رهيبة قاسية حتى تنصف الليل، وقد أبدى الفرس مقاومة باسلة ، وردوا على هجمات العرب بهجمات شديدة رائعة ، وكان المسلمون يزاحفون عدوهم يريدون اجلاءه عن مواقعه ، فيصيبون منه ويكثرون القتل فيه ، ويكادون يظفرون به ، لولا كثرة عدده وشدة مقاومته ولما تنصف الليل لم يكن للجيشين بد من رجوع كل الى معسكره ، ليعيد تنظيم صفوفه ليعود فى الصباح الى القتال ابتغاء الظفر .

وبلغ من اغتباط المسلمين بيوم أغواث ان باتوا على اثره يتنمون . واطمأن سعد ونام . ولكن القعقاع لم ينم ، بل بات يسرب أصحابه الذين جاءوا معه من الشام الى المكان الذى كانوا فيه بالصحراء صبح أغواث ، وأمرهم اذا طلعت الشمس أن يقدموا مائة ، مائة ، على نحو ما فعلوا أمس . فان أدركهم هاشم وجاء بمن معه يشارك فى المعركة فذاك ، والا جددوا للناس رجاء فى المدد ، فزادهم هذا الرجاء اقداما على القتال ، وايمانا بالنصر .

يوم عمواس

أصبح الناس ، والجيشان فى مواقفهما . وبين الصفين من القتلى والجرحى ألفان من المسلمين ، وعشرة آلاف من الفرس . ودفن كل فريق قتلاه ، ونقل جرحاه الى حيث يعنى بهم . وطلعت الشمس ، ووقف القعقاع فى المؤخرة ينظر الى ناحية الصحراء ، فلما طلعت نواصى الخيل ، صاح مكبرا فكبر الناس خلفه ، وقالوا : جاء المدد .

وأدرك هاشم بن عتبة وجنوده رجال القعقاع ، فلما عرف ما صنع صاحبه ، قسم رجاله فرقا ، وأمرهم أن يتلاحقوا دراكا ، فلا تسير فرقة حتى تغيب الأخرى عن نظرها ، وسار هو على رأس الفرقة الأولى .

وصل هاشم وكانت المعركة قد احتدم أوارها . فلما رآه المسلمون نشطوا وكبروا ، واندفع هاشم الى قلب جيش العدو يخترقه وهو يرمى العدو بأسهمه ، فلم يجرؤ أحد على مصاولته . وأقبلت الفيلة واقتحمت المعركة وحولها الفرسان يحمونها ، حتى لا يحصل لها ما حصل فى اليوم الاول . ولكن الفيلة أنست الى حماتها فلم تضربهم ، وكذلك لم تضرب أعداءهم . ذلك أن الفيل اذا كان وحده كان أوحش ، واذا أحاطوا به كان آنس . وشد فرسان العرب على حماة الفيلة من الفرس ، فكانت المعركة تدور حول الحيوانات الضخمة فتذرها فى حيرة ، لا تدرى من تضرب ومن تدع ، لذلك ظل القتال سجالا متعادلا بين الفريقين : يتقدم العرب فيردهم الفرس ، ويتقدم الفرس فيردهم العرب .

ورأى رجال يزدجرد الذين فى الميدان وصول المدد للمسلمين ، فتصايحوا بهذا الخبر حتى بلغ مسامع الملك فى ايوانه ، فبعث الى جيشه بأهل النجدات من حرسه الخاص ، ومن بقى عنده . ووصل حرس يزدجرد فازداد الفرس بأسا ، ولكن ذلك لم ينهنه من همة العرب ولم يخفف من شدتهم فى النزال .

لم تلبث الفيلة حين ألفت الموقف واشتدت حولها المعركة ، أن عادت الى فتكها فى يوم أرماث . ورآها سعد تفعل الأفاعيل وتفرق الكتائب ، فأخذه القلق . فأرسل الى جماعة من الفرس الذين أسلموا ، فدخلوا عليه ، فسألهم عن هذه الفيلة ، وهل لها مقاتل ؟! فأجابوه ، أن مقاتلها ث مشافرها « خراطيمها » وعيونها، فانه لا ينتفع بها بعدها . عند ذلك أرسل الى القعقاع وأخيه عاصم أن اكفيانى الفيل الأبيض ، وكان بازائهما، وكان فى القلب وكانت الفيلة تتبعه . وأرسل الى رجلين من بنى أسد هما « حمال والربيل » أن اكفيانى الفيل الأجرب . وأرسل الى كل من يقول لهم ، اجعلوا الناس يكتنفون الفيل ليحيره ، ثم ضعوا الرمح فى عينه فاذا دلى خرطومه فاضربوه بالسيوف .

وأمر عاصم والقعقاع أعوانهما أن يكتنفوا الفيل ليحيره ، وتناولا رمحين لينين ، وانطلق الجميع نحو الفيل الأبيض ، والتف الرجال به فتشاغل بهم ، وترجل عاصم والقعقاع وحملا عليه ووضعا رمحيهما معا فى عينى الفيل ، فتراجع الحيوان من الألم ، ونفض رأسه وطرح سائسه ، ودلى مشفره ، فضربه القعقاع بالسيف فقطعه ، فوقع الفيل على جنبه ، فهجم المسلمون على من كانوا فوقه وقتلوهم . وحمل حمال والربيل على الفيل الأجرب ، ففقئا احدى عينيه وضربا مشفره ، فصاح الفيل وارتد الى ناحية الفرس فنخسوه ،فانقلب الى صفوف العرب فوخزوه ، فجعل يهرول بين الصفين ذهابا وجيئة ، وهو يصيح صياح الخنزير ، ثم اندفع فوثب فى النهر وتبعته الفيلة ، وحاول ركبانها عبثا أن يردوها ، ولكنها عبرت النهر واستمرت فى سيرها حتى دخلت المدائن .

هنا اضطرب ميزان المعركة . فقد نفس عن المسلمين، ورأوا فى فرار الفيلة آية من آيات الله لنصرهم على عدوهم . وأما الفرس فقد اعتزوا بكثرتهم وبالمدد الذى أرسله يزدجرد اليهم ، فأعادوا تنظيم صفوفهم ، واستأنفوا القتال بحماسة بالغة زادها فرار الفيلة استعارا . واندفع المسلمون يحميهم فرسانهم . والتقى الجيشان فى صدام عام أى صدام ، فتدفقت الدماء أنهارا ، وسقط من المسلمين والفرس خلق كثير ، وأخذت السيوف تحصد الناس حصدا .

وأقبل الليل والغبار مخيم ، فلا يعلم سعد ، ولايعلم رستم ، لمن الدائرة وعلى من تدور . أترى الجنود رجعوا الى صفوفهم كما فعلوا أول من أمس ؟ أمواصلوا القتال شطرا من الليل ثم رجعوا كما فعلوا أمس ؟. لا هذا ولا ذاك ، بل واصل الجيشان القتال بلا هوادة ولا لين ، وكأنما دار بخواطر الجند من الفرس والعرب جميعا ألا يضعوا السلاح حتى يحسم بينهم ، وكأنما دار بخواطرهم من غير أن يكون لسعد أو لرستم رأى فى الأمر . بل لقد حدث ولا يعرف من المسئول عن حدوثه. انها الأقدار قضت به ودفعت اليه ، واذا أراد الله أمرا فلا راد لقضائه .

وراح سعد ينظر الى القتال الرهيب ، فأدرك أن المسلمين قد عقدوا العزم على القتال طوال الليل ، وأنهم سوف لايضعون سلاحهم حتى يتم الله نصره ويعلى كلمته . لكن القتال هدأت حدته قليلا ، فخاف سعد أن يأتيه الفرس من مخاضة بأسفل المعسكر ، فأرسل فى

طلب طليحة بن خويلد الاسدى ، وعمرو بن معديكرب الزبيدى ، فلما جاءا قال « اذهبا الى هذه المخاضة ، وقوما عليها خشية ان ياتينا القوم منها . فان وجدتما القوم قد سبقوكم اليها فانزلا بحيالهم . وان لم تجداهم علموا بها فاقيما حتى ياتيكم امرى »

فانطلق عمرو وطليحة ومن معهما الى المخاضة فلم يجدا احدا . لكن طليحة أخذ يفحص المكان ، فرأى انه يستطيع منه أن يدور وراء عسكر العدو ، وحين رفض زميله أن يشاركه رأيه ، تقدم بمن معه واخذ مكانه وراء عسكر العدو ، وكبر ثلاث تكبيرات ارتاع لها الفرس ، وظنوا ان المسلمين بيتوهم من خلفهم . وتعجب المسلمون وظنوا ان الأعاجم فتكوا برجالهم ، فهم يكبرون مستغيثين . وأغار عمرو بن معدى كرب على جماعة من الفرس أسفل المخاضة ، فلم يبق لدى الفرس ريب فى أن العرب بيتوهم ، فقدموا صفوفهم زاحفين . ورأى القعقاع صنيعهم فلم ينتظر اذن سعد بالزحف ، بل زاحفهم ، ورأى سعد ما صنع القعقاع ، فقال « اللهم اغفرها له وانصره ، فقد اذنت له وان لم يستأذنى » ونادى فى الناس : ان الامر الذى صنع القعقاع ، فاذا كبرت ثلاثا فازحفوا .

وراحت سهام الفرس تتطاير وتجوز صف المسلمين، وتحمس قواد المسلمين وأخذوا يخطبون يحمسون رجالهم ويدفعونهم الى خوض القتال متبسلين ، وثارت حمية الجند ، وانتظروا تكبيرات سعد ، وصكت التكبيرة الأولى آذانهم ، فازدادت حرارتهم ، ومرت فترة حسبوها دهرا ، وارتفع صوت سعد بالتكبيرة الثانية فلم يطيقوا بعدها صبرا ، فاندفعوا وزحفوا . ورأى سعد أسدا تزحف ، والنخع تحمل ، وبجيلة تندفع فى الغمار ، وكندة تتقدم . ورأى رحى الحرب تدور حول القعقاع ، فاستغفر الله لهؤلاء جميعا ودعاه أن ينصرهم . وبقى الرؤساء ينتظرون التكبيرة الثالثة . فلما سمعوها انطلقوا لينضموا الى قومهم . وراح كل قائد ينتمى الى قبيلته ، فكانت صيحاتهم تجلجل فى سماء المعركة . واختلطت الاصوات بصليل السيوف وقعقعة السلاح ، وكانت الأصوات نبلغ أذن سعد ، ولكنه لا يرى شيئا فلا يملك الا أن يدعو الله أن ينصر جنده ويعز دينه .

واستمر القتال يشتد ويحمى وطيسه كلما تقدم الليل ، ولم يغمض لسعد جفن ، ولا لأحد من الجند ، فلما بدأ الصباح ينبلج عن الأفق نوره ، جعل المسلمون ينتمون الى قبائلهم . عند ذلك اطمان سعد الى أنهم هم الأعلون ، وزاد طمانينته أن سمع القعقاع يرتجز :

نحن قتلنا معشرا وزائدا
اربعة وخمسة وواحدا
نحسب فوق اللبد الأساودا
حتى اذا ماتوا دعوت جاهدا
الله ربى واحترزت عامدا

تنفس الصبح عن هذه الليلة الدامية الصاخبة، التى يسميها المؤرخون « ليلة الهرير » ولم يكن النصر قد تم لأحد الفريقين ، أفآن للجند أن يضعوا السلاح ويستريحوا ، بعد أربع وعشرين ساعة قضوها فى قتال متواصل مرير ؟ كلا . بل راح فرسان المسلمين الصناديد يلعبون بالسيوف لم يهنوا ولم يدب اليهم الفتور . وراح عمرو بن معد يكرب يمر بين الصفوف، ويقول « لا يكونن هؤلاء أجد فى أمر الله منكم (ويشير الى المهاجرين والأنصار) ، ولا يكونن هؤلاء اجرأ على الموت منكم (ويشير الى الفرس) . واستمر القتال مستعر الأوار . وسار القعقاع فى الناس يقول « ان الدائرة بعد ساعة لمن بدأ القوم ، فاصبروا ساعة ، واحملوا فان النصر مع الصبر » . واجتمع اليه جماعة من الرؤساء وشدوا على الأعداء . واستمر الضغط على جيش الفرس ، وأخذ يتزايد حتى قام قائم الظهيرة . عند ذلك بدأت صفوف الفرس تضطرب . تراجع الفيرزان والهرمزان فى المجنبتين ، فانفرج القلب، وهبت ريح دبور عاصف فطارت طيارة رستم عن سريره وأهوت بها فى العتيق ، ولما بان سرير رستم شد عليه فرسان المسلمين ، حتى بلغوه ، فالقى رستم بنفسه فى النهر لينجو ، ولكن هلال بن علقة اقتحم عليه النهر وأمسك به وأخرجه ، ودافع رستم عن حياته دفاع اليائس ، ولكن هلالا ما زال يضاربه حتى فلق جبينه وقتله ، ثم صعد على سريره يصيح « الى ، الى . قتلت رستم ورب الكعبة » وارتفع تكبير المسلمين ودبت الحماسة فى قلوبهم ، وانخلعت قلوب الفرس وراحوا يتقهقرون . ولمح ضرار بن الخطاب راية الفرس العظمى « درفس كابيان »فحمل على حاملها فقتله ، واخذ الراية وكانت قيمتها ألف ألف ومائتى ألف .

ورأى الفرس ما حل برستم ، وما حل برايتهم ، فدب الذعر فى قلوبهم وانهزموا . فقام فيهم الجالينوس يدعوهم الى عبور النهر على الجسر كما عبر الفيرزان والهرمزان ، فاندفعوا اليه فى عجلة ، فانهار بهم ، فغرق فى النهر المتدافع التيار ثلاثون الفا مقرنين بالسلاسل . والقعقاع يتعقبهم . وادرك زهرة الجالينوس فقتله ، وراح فرسان المسلمين يطاردون الفارين .

وراح المسلمون يجمعون الغنائم ، فجمعوا شيئا كثيرا ما كان يدور فى خلدهم أن فى الدنيا مثله . وتكدست الغنائم فاخذ سعد فى تقسيمها . فاحتجز الخمس للخليفة ، وقسم الباقى على الناس ، فنال الفارس ستة آلاف ، ونال الراجل ألفين . وجاءه من الخليفة أن يفضل أهل البلاء ، فأعطى كل منهم خمسمائة ثم بقى عنده . فكتب الى عمر ، فجاءه الرد « ان رد على المسلمين الخمس ، وأعط من لحق بك ممن لم يشهد الوقيعة » ثم جاءه أن يوزع على حملة القرآن الكريم.

وكذلك انتهت معركة القادسية الى نصر حاسم ، لم يضن المسلمون بثمن ليدركوه ، فلقد رايت كيف كانت فعالهم ورأيت من بلاء أبطالهم ما كان القعقاع مثلا بارزا فيه . لقد أرخصوا دماءهم وارواحهم فى سبيل هذا النصر فجزاهم الله الحسنيين. قتل منهم فى الساعات الثلاثين التى انتهت الى الظفر ، ستة آلاف ، وقتل منهم يوم أرماث وأغواث الفان وخمسمائة . وهذا العدد من القتلى كان فوق ما يتصوره العرب الى ذلك العهد . ولكنه مع ضخامته لم يكن شيئا الى جانب قتلى الفرس فى حومة الوغى ، ومن غرق منهم فى النهر حين الهزيمة ، ومن صرع بعد ذلك قتيلا حين الفرار.

وهكذا كان الثمن غاليا ولكن النصر كان عزيزا وكانت نتائجه فوق هذا الثمن بكثير . وفى مقالنا التالى سنتحدث عن نتائج هذه المعركة الحاسمة ان شاء الله .

قصة العدد

فتح صقلية

الأستاذ عبد الحميد جودة السحار

كان وقع أقدام الخيل على الأرض الصلدة يمزق سكون الليل ، وبدا الضوء الخـافت المنبعث من شموع الدير ، كالخيط الأبيض فى الثقب الاسود ، واشتدت الرياح ، فكان لها فى النفوس وقع النحيب ، فزاد ذلك المكان وحشة • ورفع الشريف بوفيميوس رأسـه ، وتمهل فى سيره ، فجذب أتباعه أعنة جيادهم، وأرهفوا آذانهم ، حتى اذا ماأصدر اليهم أوامره نفروا خفافا لانفاذها ولكن شفتيه لم تتحركا، بل مد بصره أمامه ، وقد لاح الخجـل فى محياه ، وخفق قلبه ، واستيقظت مشـاعره ، واريقت عواطف الحب فى جوفه ، ففى ذلك الدير الذى يقع على سر فى حجر من شـغف بها حبا ، وسلبته طمأنينته ، وجعلته حليـف السهاد • واستمر فى صمته ، وان كانت احساساته تمور فوارة بين جوانحه ، واشتد به وجده ، فاذا به يفكر بقلبه ، فلكز جواده وانطلق كالسهم صوب الدير، وأتباعه يعدون فى أثره ، حتى اذا بلغه اقتحمه عنوة ودخـل ينقب عمن يتعلق بها الفؤاد •

وهبت الراهبات مفزوعات ، ورحن يهرولن مرعوبات ، ودوت فى جنبات الدير صيحاتهن ولم يحفل بوفيميوس ورجاله بصراخهن ، بل ظلوا فى تجوالهم ، يديرون العيون فى وجـوه الراهبات ولمحها بوفيميوس فى ثوب أبيض ، وقد تهدل شعرها على كتفيها ، فاشتد وجيب قلبه ، وهفت روحه اليها ، فتقدم منها وحملها بين ذراعيه ،ثم دار على عقبه ، وانساب بها وهو يحس انه يضم الدنيا الى صدره وامتطى جواده ، وقد أركبها أمامه ، وانطلق بهـا الى قصره ، واتباعه يعدون خلفه •

وذاع فى صـــقلية أن الشريف بونيموس اختطف الراهبة التى هام بحبها من ديرها ، وبلغ النبأ مسامع قسطنطين ، بطريق صقلية، فثار واشتدت ثورته ، فرفع الأمر الى الامبراطور ميخائيل الثانى بالقسطنطينية ، فاحنـــق الامبراطور ذلك النبأ ، وزاد فى همه ، انه

ليرى العرب يستلون أملاكه من يده قطعة قطعة ، ويرى الناس يثورون عليه فى بلاده وكأنما لم يكن فى كل ذلك ما يكفيه ، فيهب ذلك الشريف المفتون ويتحدى سلطانه .

وقد رأى الامبراطور أن يبطش بذلك العابث ليعيد الى نفسه هيبتها ، فكتب الى البطريق قسطنطين أن يحاكم بوفيميوس ، وأن يحكم عليه بجدع أنفه، عقابا له على ما اقترف من جرم وليكون عبرة لكل من توسوس له نفسه الخروج عن الطاعة ، والعبث بأمن البلاد .

وبلغ بوفيميوس ما قضى به الامبراطور ، فغادر «بالرم» فارا بنفسه ، وذهب الى سرقوسه ، وأعلن أصحابه أن الامبراطور أمر بمحاكمته ، فغضبوا له وجمعوا جموعهم ليعينوه على الصمود فى وجه الامبراطور .

واشتد ساعد بوفيميوس ، فثار فى عصابته على حاكم المدينة ، واستولى على سرقوسة ، وأثار ذلك النصر حنق البطريق قسطنطين ، فجمع جيشا وانطلق به الى ذلك الثائر ليؤدبه ، ولكن بوفيميوس هزم جيش البطريق ، واجبره على الفرار الى — تطانيا

وشق ذلك على الامبراطور ، فبعث بأساطيله الى صقلية ، وسير الجيوش الى ذلك الثائر، الذى شق عصا الطاعة ، والتقى الجمعان ، ودارت رحى الحرب ، وحمى وطيسها ، ولم يطق بوفيميوس وعصابته الصبر امام ذلك الجيش المتدفق كالموج ، فانهزموا ، واسرعوا الى مراكبهم لتقلع بهم بعيدا عن شواطىء صقلية .

وصلت مراكب بوفيميوس وصحبه الى تونس ، فهبطوا منها : ويمم بوفيميوس الى قصر الأمير زيادة الله ابن الأغلب ، ودخل عليه ، وطفق يذكر له ما يقاسى أهل صقلية ، من صنوف العذاب وجعل يزين له فتح الجزيرة لتخليص أهلها من طغيان الروم الذين أسرفوا فى استغلال الجزيرة واستنزاف مواردها ، بعد ان خرجت من أيديهم سورية ومصر . ليعوضوا ما خسروه .

وأطرق الأمير زيادة الله يفكر كان يخشى أن تكون هذه الدعوة مكيدة للايقاع بالمسلمين ، فقال بوفيميوس :

— اذا ما خلصتنا مما نحن فيه من ذل ، نادينا بك ملكا على البلاد .

فرفع الأمير رأسه وقال :

— استشير رجالى ، ثم انبئك بما عزمت عليه .

وخرج بوفيميوس ، وأرسل الأمير الى اسد ابن الفرات ، قاضى قضاة قيروان . فاقبل اسد فى مهابته فقد كان عالما جليلا ، جاب الافكار ، وشد الرحال الى مصر والشام والعراق ومكة ، يجمع العلم من أطرافه وصحب الامام مالك ، ثم استقر به المقام فى تونس وصار يقضى بين الناس .

وقص الأمير على أسد بن الفرات ما سمعه من بوفيميوس ، وماجاء من أجله ، ثم قال :

— وماترى الآن ؟

فقال أسد :

— أرى أن تنتهز هذه الفرصة ، وان تبعث بالجيوش الى صقلية ، لعل الله يفتح على يديك هذه البلاد .

ورنا الأمير الى أسد رنوة اكبار ، كان يعلم انه عالم من كبار العلماء وبحار من افذاذ الرجال الذين ركبوا البحر ، فقال له .

— لن يخرج فى هذه الغزوة غيرك .

وتاهب أسد بن الفرات ، قاضى قضاة قيروان ، ليقود أسطول المسلمين الى صقلية وفى ربيع الأول من عام ٢١٢ بعد هجرة الرسول ، خرج الى عرض البحر سبعون مركبا وعشرة ألاف مقاتل وتسعمائة فارس ، واصدر العالم البحار أمره بالسير ، فأبحر الأسطول الاسلامى ، وابحرت معه مراكب بوفيميوس لتخليص أهل صقلية من ظلم الروم ولتنتكس النسر الرومانى ، رمز العسف والجور . وليرفرف على ربوع الجزيرة علم الأمن والسلام .

انطلق الاسطول الاسلامى الى الشمال الغربى من الجزيرة ودخلت المراكب مرفأ مازارا ، وهبط المجاهدون الى الشاطىء واصطف الفرسان وعبأ ابن الفرات جيشه ، ثم انساب صوب الشرق ليستولى على الجزيرة كلها ، ويخلصها من طغيان الروم .

وتقدم على حذر ، ومالبث أن وجد أمامه جيشا من الروم جرارا ، جيشا يعادل عشرة

أمثال جيشه فى عدة عظيمة ، فلم يضطرب ابن الفرات ، كان واثقا من رجاله ، وكان على يقين أن قلوب اعدائه هواء .

وراح يحرض رجاله ، ويذكرهم بأفضل مافيهم وقرأ ((يس)) ثم كبر ، فانقض المسلمون على أعدائهم انقضاض الصاعقة ، وسالت الدماء وبلغت قلوب الروم الحناجر ، وزلزلوا زلزالا شديدا ولاح النصر للمسلمين فأخذوا يحتسون الروم بسيوفهم ، وركبوهم من كل جانب فلم يجد الروم منجاة لهم الا الفرار فولوا الأدبار ، وقد خلفوا وراءهم دوابهم وأموالهم فراح المسلمون يجمعون الغنائم وقد افعم النصر قلوبهم غبطة وسرورا .

وتقدم المسلمون ، فراحت الحصون تسقط فى أيديهم حصنا حصنا ، حتى اذا ما بلغوا قلعة الكراث الفوا خلقا كثيرا من الروم تحصنوا بها ، فحاصروها ، وراحوا يضربونها بالمنجنيق ، ويلقون عليها النيران ، حتى اذا ما اشتد الضيق بالمدافعين ، أرسلوا رسلهم الى ابن الفرات يفاوضونه فى الصلح .

رأى بوفيميوس ما حل بالحامية ، فضايقه نصر المسلمين ، فابن الفرات لم يشركه معه فى القتال ، بل أمره ان يعتزل ، فخشى ان استمر نصر المسلمين أن يخرج صفر اليدين ، دون أن يحقق بعض أطماعه ، فقد كانت نفسه تهوى أن يولى على الجزيرة من قبل الذين حرضهم على غزوها ، ولكنه يحس الساعة أن ذلك لن يكون . فعزم أن يعاون من فى الحامية لعلهم يذكرون له فضله ، اذا ما ثبتوا فى وجه ذلك التيار الجارف ، وتمكنوا من رد المسلمين

ارسل بوفيموس الى الرسل أن يثبتوا ، وأن يحفظوا بلدهم ، ووعدهم انه سيمد اليهم يد العون فعزم المفاوضون على خديعة ابن الفرات حتى يفى لهم بوفيموس بوعده ، فصالحوا المسلمين على ان يبذلوا لهم الجزية ، وسألوهم الا يقربوا منهم . فاقر اسد بن الفرات ذلك الصلح ، وتأخر عنهم أياما حتى يحملوا اليه أموالهم .

وفى سكون الليل ، راح بوفيميوس يبعث الى رجال القلعة مايحتاجون اليه ، اذا ما عاد المسلمون لحصارهم ، حتى اذا ما أحسوا منعه نقضوا عهدهم ، وناصبوا المسلمين العداء ، فعاد ابن الفرات الى حصارهم وقتالهم ، وبث السرايا فى كل ناحية وحاصر سرقوسة برا وبحرا وبوفيميوس فى رفقته ، يرقب الفرصة التى تسنح له ليحقق مطامعه .

كان ابن الفرات يضيق الخناق على سرقوسة وقبل ان يلوح له النصر ، تفشى الطاعون فى جيشه ، فراح الموت يحصد الرجال الصناديد ، وأخذ ابن الفرات يحارب الوباء والاعداء ، انتصر الروم ، ولكن المرض قضى عليه

هلك أسد ابن الفرات أمير الجيوش فقام محمد بن أبى الجوارى ، يقود المسلمين وقد فت الطاعون فى عضدهم ، فقر عزمه على العودة بما بقى معه من الناس ولم يجد فى ذلك من بأس ، فقد عاد خالد بن الوليد بالمسلمين من مؤته ، بعد أن استشهد القواد الثلاثة الذين ولاهم الرسول ، وكانت هذه العودة أقرب الى النصر .

أمر ابن ابى الجوارى رجاله أن يركبوا مراكبهم وان يتأهبوا للرحيل ، فامتلأت المراكب بالرجال ، وقبل اقلاعها لاح الاسطول الرومانى وقد سد باب المرسى ، فرأى ابن ابى الجوارى الا مفر من القتال ، فعزم على العودة الى الجزيرة وأن ينطلق غازيا فيها الى أن يقضى الله أمره .

وغادر الرجال مراكبهم ، وأمرهم ابن ابى الجوارى باحراقها ، فاندلعت النيران فيها ، ولم يبق للمسلمين الا أسيافهم ومايستولون عليه من ايدى أعدائهم .

وتقدموا كالليوث الى مدينة منباو ، وحاصروها ولم تنقض ثلاثة أيام الا كانت المدينة فى حوزتهم فشد ذلك ازرهم ، وانعش الامل فى صدورهم فكانوا كلما حاصروا حصنا سقط فى ايديهم ، وفيما هم فى تقدمهم جاء الى الجزيرة اسطول اندلسى بقيادة اضبغ ، فخف المسلمون الاندلسيون الى اخوانهم ، ثم انطلقت الجيوش الاسلامية الى «بلوم» عاصمة صقلية ليضعوا ايديهم عليها

ودوى فى الفضاء تكبير وتهليل فالتفت المسلمون وقد هزهم الفرح ، فقد جاءتهم

« البقية ص ٢٠٨ »

باب الرياضة

إعداد: ناصيف سليم

الشعائر الدينية وموسم الكرة الجديد

كان يجب :
أن نخلى رمضان من برنامج الدورى
أن نوفر للمصلين الأماكن المناسبة
بقلم : ناصف سليم

الشعائر الدينية .. وموسم الكرة الجديد

بعد أسبوعين تقبل عشرات الألوف من هواة كرة القدم فى بلدنا على الملاعب من جديد ، اذ سوف تبدأ مباريات أكبر مسابقة رياضية محلية عندنا ، وفيها يتنافس اثنا عشر ناديا على بطولة الدورى العام .. وكما قلنا من قبل عن مسابقة كهذه أنها فى حاجة الى سلوك قويم من اللاعبين والاداريين والحكام والجمهور على السواء ، نقول اليوم أيضا ، أنها كانت تقتضى من الأندية استعدادا آخر غير فنى ، استعدادا لاستقبال هذه الحشود الهائلة من محبى الكرة .

ولكن كما يبدو شغلت الاندية نفسها بلاعبيها وجمعهم وصقلهم فى معسكرات على الشواطىء ، ولم تهتم بالمرافق التى تساعد المتفرج على تمضية وقت ممتع تحت شمس هذه الأندية .

وكلنا يعلم أن المباريات تقام يوم الجمعة من كل أسبوع . والهامة منها يقبل عليها الجمهور قبل موعدها بساعات ، قبل صلاة الجمعة أحيانا ، وكثيرا ما تعذر على الجالسين فى الأندية أن يجدوا السبل ميسرة لأداء صلاة الجمعة ، فبعض المساجد فى الأندية غير مستكمل والمياه به غير موجودة ، وبعضها ليس بها مساجد نهائيا .

كذلك فان المباريات فى فصل الشتاء تبدأ قبل العصر ، وتنتهى قبيل الغروب ، ويضطر الكثيرون ممن يسكنون بعيدا عن الأندية الى أن يؤدوا صلاة العصر فى الملعب ، وبعضهم يتعذر عليه ذلك اذا كان فى حاجة الى الوضوء .

وكان ينبغى على المسئولين بالاندية أن يعلموا أن بعض المحافظين على الصلاة من هواة الرياضة ومشجعيها ، ولا ضرر من الجمع بين الاثنين ، بل انه يرضى ضميره باداء الفريضة فى وقتها ، ويشعر براحة ومتعة من مشاهدة ألعاب المباراة ، وشتان بين المتعتين .

ولا شك أن وجود أماكن للصلاة فى الأندية يساعد النشء على الامساك بأول الخيط فى طريق الاستقامة ، ويجنبهم كثيرا من مواقع الزلل .. وقد سمعنا عن عائشة رضى الله عنها انها كانت تشاهد مهرجانا رياضيا وألعابا حبشية يقوم بها الأحباش فى داخل المسجد ، كانت تشاهد ذلك وهى متخفية عن الناس خلف رسول الله ، ومعنى هذا أن المسجد دار تربية ، وانه الاصل فيها ..

واذا كان الأمر كذلك فلا أقل من أن يكون فى الأندية مساجد ، لا نريدها فى هذا المظهر الفخم ، بل يكفى وجود مكان مستقل له هيبته .. ومكانته فى النفوس المؤمنة .

وقد يقول قائل :

ان كثيرين ممن يترددون على الاندية ، ويتابعون الكرة ونشاطها ، لا يصلون ، ولكن أقول ان هذا لا ينهض دليلا على عدم حاجتنا الى المسجد فى النادى ، فمن لم يصل اليوم ربما صلى غدا .

على أن الظاهرة الجديدة السارة فى الوسط الرياضى الآن أن كثيرين بدأوا يتجهون الى الله ، ويؤدون الفرائض فى أوقاتها . وما علينا الا أن نؤدى واجبنا نحو ديننا فى كل مكان وزمان ، وكفى أن يكون الأذان تنبيها . وتذكيرا وداعيا للذين يقتلون أوقاتهم فى الملاعب .. وقد لفت نظرنا هذه الأيام أن الاتحاد السكندرى قد أعد مسجدا بحديقته ، وأصبحت الشعائر الدينية تقام به فى مظهر دينى مهيب ورائع . ولفت نظرى كذلك أن الاتحاد العربى لكرة القدم ، لم يعترف بالواقع الذى لمسه فى شهر رمضان الماضى حيث كان اللاعبون يعتذرون لأنديتهم عن عدم التدريب ، وعن عدم اللعب فى المباريات حيث هم صائمون .. وكان بعض الاداريين يجبرهم على الافطار من أجل كسب مباراة ، وكم حدثت مشاكل بين الاداريين واللاعبين حول الصيام واللعب ..

ومع شهرة كل هذا الذى حدث لدى كل المسئولين من الاداريين وواضعى برامج المباريات ، فانهم لم يعفوا رمضان من الكرة .. وأصروا على سير برنامج المباريات الشاقة فى المنافسات الحادة خلال شهر رمضان تماما كبقية الشهور .

ولم يعد خافيا أن هذا النشاط الذى يؤديه اللاعبون فى شهر رمضان ، لا يجوز مبررا للافطار ، لأنه ليس مهنة أو عملا ، وليست الكرة مصدر رزق مستقل ، ولن يكون هناك أدنى ضرر اذا ما توقفت المباريات خلال شهر رمضان .

هم يعلمون ذلك ومع هذا شحنوا شهر رمضان بالمباريات ، ولك أن تتصور لاعبا يعمل فى مصنع ثم يلعب .. أو طالبا فى مدرسة مطلوب منه أن يحصل علومه عقب الدراسة .. ثم يترك كل ذلك ويلعب .. أو تاجر ينتهى عمله ظهرا .. ثم يطلب منه اللعب بعد الظهر .

كل هذه أعباء ومسئوليات ، لا أظن أن لعب الكرة يرقى الى مستواها .. وكان لابد من تأجيل مباريات شهر رمضان .. الى ما بعد رمضان ، حتى لا يظلم الجهلاء هذا الشهر المبارك .. وهو برىء .

تعليقات قصيرة

* ان اشتراك محمد على كلاى بطل العالم للملاكمة فى سلسلة مباريات متتالية على اللقب الذى حاز شرف الحصول عليه ، لهو مجازفة وجراة ، يدلان على انه ليس مغرورا ، ان البطل المغرور يتدلل ويرفض اللعب أمام كل ضعيف يتحدى ، حتى يظل محتفظا بلقبه ، يشار اليه دائما بالبنان .. وبرغم ان تواضع محمد على جعله جعله يلعب مع بريان لندن الا أن ذلك أيضا يفيده فنياء وادبيا وماديا .. وقد كان انتصاره هذا الأخير على مرأى ومسمع من كل دول العالم وفى أرض انجلترا مرة اخرى دليلا على عظمة فنه ، وثقته بنفسه .. ولكن ليس كل من تحدى محمد على كلاى يصح أن يستجيب له ، حتى لا يشوب هذه اللقاءات الكسب المادى ، وحتى يامن شر المفاجات .

* كانت الرياضة فى الماضى تعتمد على القوة .. والصحة ، ومتانة التركيب ، ولكنها اليوم أصبحت علما يدرس ، وخططا ترسم ، واجهزة تستخدم للكشف عن قدرات الجسم وامكانياته ، كذلك فان اللياقة الذهنية أصبحت من العوامل الهامة فى كسب البطولات على مختلف انواعها .

ومن الخير أن نتبع الأسلوب العلمى الحديث فى الاستعداد للبطولات ، والا تجمدنا ، وسبقنا غيرنا ، ممن كانوا يقتبسون منا فنون الرياضة فى ألعاب كثيرة .. خاصة ومسئولياتنا الكبيرة وموقفنا الدولى الكبير الهام ، يفرضان علينا الحصول على بطولات تصل بنا الى نفس المستوى الذى وصلنا اليه فى الاقتصاد ، والسياسة ، والصناعة والحضارة ، والتقدم العلمى فى شتى المجالات .

* القرار الذى اتخذه مجلس الوزراء الخاص باعادة تعمير القرية . سيعود على الرياضة بالنفع ، فتعمير القرية يقتضى انشاء أندية ريفية على مستوى يؤهلها لاستقبال الشباب وتقديم الخدمات لهم ، وعندما يصبح فى كل قرية ناد ، سيصبح عندنا ، الاف ناد جديد ، وسوف تتسع القاعدة ، وتكثر اللقاءات الرياضية بين شباب القرى ، وعندئذ ستعثر على مستويات تصلح للصقل فى الأندية الكبيرة حيث يوجد المدربون والاخصائيون الفنيون القادرون على صقل المواهب .. وتقديمها جاهزة للمنتخبات التى تمثل الجمهورية العربية المتحدة فى المجالات الدولية الكبيرة .

* نجاح المؤتمر الكشفى العربى الذى عقد فى ليبيا يؤكد أن الشباب العربى متالف ، متطلع الى وحدة كبرى ، وعمل كبير للوطن العربى ، ويبشر بامال عريضة فى تجنب عدد من شباب الدول العربية لتيارات الغرب أو الشرق .

وعندما يعقد هذا المؤتمر مرة اخرى فى الجزائر ، فستكون الحركة الكشفية قد نضجت ، وأخذت مكانها الذى يجب أن تأخذه بين الرياضات المختلفة .

نضطر أحيانا لدخول أرض الملعب لأداء فريضة الصلاة ... انها ظاهرة طيبة ..

أغرودة صوفية

على ضفاف النهر

الشاعر عبد الله شمس الدين

لك يا ربّ ثنائى وتحيات ولائى
وأغاريد فؤادى فى صباحى ومسائى
فى انطلاقات شعورى بيْن خوف ورجاء

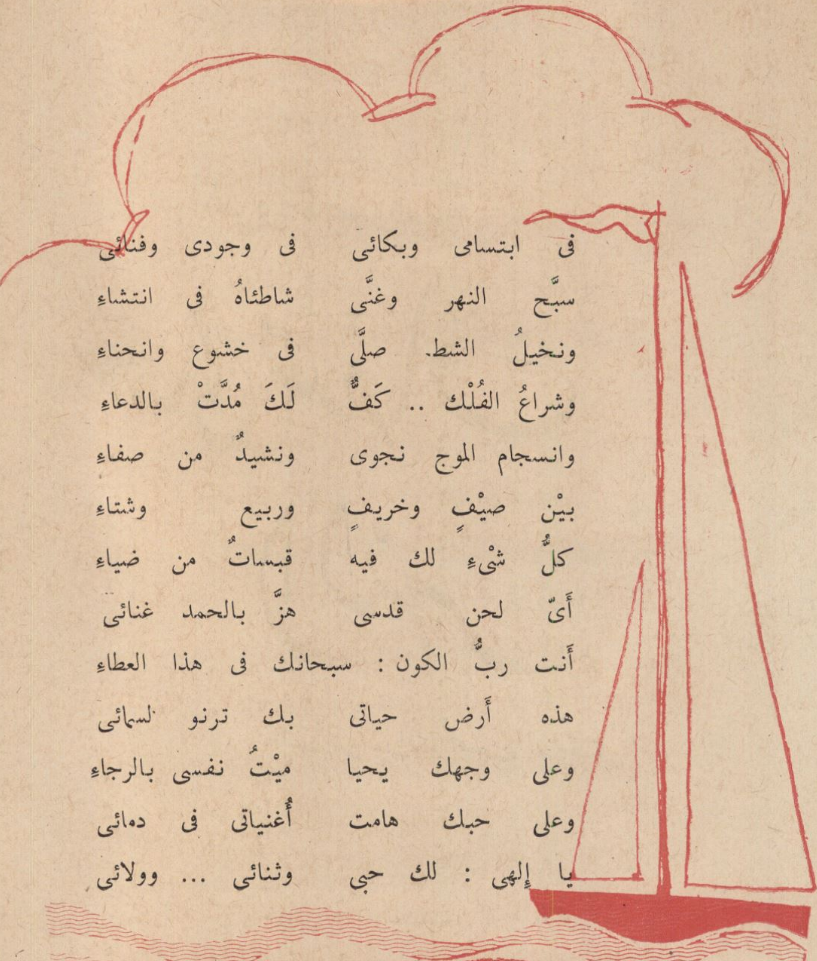

فى ابتسامى وبكائى   فى وجودى وفنائى
سبَّح النهر وغنَّى   شاطئاهُ فى انتشاءِ
ونخيلُ الشط صلَّى   فى خشوع وانحناءِ
وشراعُ الفُلْك .. كَفٌّ   لَكَ مُدَّتْ بالدعاءِ
وانسجام الموج نجوى   ونشيدٌ من صفاءِ
بيْن صيْفٍ وخريفٍ   وربيع وشتاءِ
كلٌّ شىْءٍ لك فيه   قبساتٌ من ضياءِ
أىّ لحن قدسى   هزَّ بالحمد غنائى
أنت ربٌّ الكون : سبحانك فى هذا العطاءِ
هذه أرض حياتى   بك ترنو لسمائى
وعلى وجهك يحيا   ميْتُ نفسى بالرجاءِ
وعلى حبك هامت   أُغنياتى فى دمائى
يا إلهى : لك حبى   وثنائى ... وولائى

مواقيت الصلاة

الأيام	جمادى الآخرة	سبتمبر	فجر		شروق		ظهر		عصر		مغرب		عشاء	
	١٣٨٦	١٩٦٦	د	س	د	س	د	س	د	س	د	س	د	س
الجمعة	١	١٦	١١	٥	٢٩	٦	٥٠	١٢	٢٠	٤	٠٠	٧	١٨	٨
السبت	٢	١٧	١٢	٥	٤٠	٦	٥٠	١٢	١٩	٤	٥٩	٦	١٧	٨
الأحد	٣	١٨	١٣	٥	٤١	٦	٤٩	١٢	١٨	٤	٥٨	٦	١٦	٨
الاثنين	٤	١٩	١٤	٥	٤١	٦	٤٩	١٢	١٧	٤	٥٦	٦	١٤	٨
الثلاثاء	٥	٢٠	١٤	٥	٤١	٦	٤٨	١٢	١٧	٤	٥٥	٦	١٢	٨
الأربعاء	٦	٢١	١٥	٥	٤٢	٦	٤٨	١٢	١٦	٤	٥٤	٦	١١	٨
الخميس	٧	٢٢	١٦	٥	٤٣	٦	٤٨	١٢	١٥	٤	٥٣	٦	١٠	٨
الجمعة	٨	٢٣	١٧	٥	٤٤	٦	٤٨	١٢	١٥	٤	٥٤	٦	٨	٨
السبت	٩	٢٤	١٧	٥	٤٤	٦	٤٧	١٢	١٤	٤	٥٠	٦	٧	٨
الأحد	١٠	٢٥	١٨	٥	٤٤	٦	٤٧	١٢	١٣	٤	٤٩	٦	٦	٨
الاثنين	١١	٢٦	١٨	٥	٤٥	٦	٤٧	١٢	١٢	٤	٤٨	٦	٥	٨
الثلاثاء	١٢	٢٧	١٩	٥	٤٦	٦	٤٦	١٢	١١	٤	٤٧	٦	٤	٨
الأربعاء	١٣	٢٨	٢٠	٥	٤٦	٦	٤٦	١٢	١٠	٤	٤٥	٦	٢	٨
الخميس	١٤	٢٩	٢٠	٥	٤٦	٦	٤٥	١٢	٩	٤	٤٥	٦	٠٠	٨
الجمعة	١٥	٣٠	٢١	٥	٤٧	٦	٤٥	١٢	٩	٤	٤٣	٦	٥٩	٧
السبت	١٦	١ أكتوبر	٢١	٤	٤٨	٥	٤٥	١١	٨	٣	٤٢	٥	٥٨	٦
الأحد	١٧	٢	٢٢	٤	٤٩	٥	٤٥	١١	٧	٣	٤٠	٥	٥٦	
الاثنين	١٨	٣	٢٢	٤	٤٩	٥	٤٤	١١	٦	٣	٣٩	٥	٥٥	
الثلاثاء	١٩	٤	٢٣	٤	٤٩	٥	٤٤	١١	٦	٣	٣٨	٥	٥٤	
الأربعاء	٢٠	٥	٢٣	٤	٥٠	٥	٤٤	١١	٥	٣	٣٧	٥	٥٣	
الخميس	٢١	٦	٢٤	٤	٥١	٥	٤٣	١١	٤	٣	٣٦	٥	٥٢	
الجمعة	٢٢	٧	٢٥	٤	٥٢	٥	٤٣	١١	٣	٣	٣٤	٥	٥١	
السبت	٢٣	٨	٢٥	٤	٥٢	٥	٤٣	١١	٢	٣	٣٣	٥	٥٠	
الأحد	٢٤	٩	٢٦	٤	٥٣	٥	٤٣	١١	٢	٣	٣٢	٥	٤٩	
الاثنين	٢٥	١٠	٢٧	٤	٥٣	٥	٤٢	١١	١	٣	٣١	٥	٤٨	
الثلاثاء	٢٦	١١	٢٧	٤	٥٤	٥	٤٢	١١	٠٠	٣	٣٠	٥	٤٧	
الأربعاء	٢٧	١٢	٢٧	٤	٥٤	٥	٤٢	١١	٥٩	٢	٢٩	٥	٤٦	
الخميس	٢٨	١٣	٢٨	٤	٥٥	٥	٤٢	١١	٥٩	٢	٢٧	٥	٤٤	
الجمعة	٢٩	١٤	٢٨	٤	٥٥	٥	٤١	١١	٥٨	٢	٢٦	٥	٤٣	

إعجاز

الشاعرة روحية القليني

ماذا أقول إذا سُئِلْتُ عن العليِّ عن الإله
أأقول جل عن السؤالِ عن الحديثِ عن الرواه
أأقول أعبُده بإيمانى ولا أهوى سواه
فى سجدتى وتبتلى وضراعتى عند الصلاة
وأُحبه فيما أراه أنا وفيما لا أراه
فى الطير فوق الغصن نشوانا فيشجينى صداه
فى الزهر أقطفه بلهفاتى فينعشنى شذاه
فى النجم يبعث لى التحايا عاطراتٍ من علاه
فى دمعة طىّ الجفون وبسمة فوق الشفاه
فى الأُفق ممتدا على اللا شىءِ لا أدرى مداه

بالقلب يخفق بالوجود وخفقهُ سرّ الحياة
بالليل أقضيه ابتهالاتٍ لأنعم فى حماه
وأراه فى قرآنه لبيانه انحنت الجِباه
لا نت لمنطِقه الجميل وسحره أقوى العتاه
فى كل ما أرجو وما أدعو وكم يحلو دعاه
فى كل كربٍ قلت ياربى وفى عطفٍ محاه
فى دمعةٍ سالت على الوجنات تَمسَحُها يداه
ما بين أرضى والسماء وفى الجبال وفى الفلاه
اعجازُه بهر الوجودَ ومايشاءُ به قضاه
إن قال كنْ أو لا تكنْ خضع الوجودُ لما يراه
أنا إن سُئلتُ عن الإله أحار فى سِرِّ الإله

فإن حسبك الله

الشاعر محمود جبر

حمدًا لمن حفظ الكنانة منهمو وحما «جمال» النيل ممن أجرموا
قد أمَّنَ اللهُ البلاد من الردى فنجت .. وأمكن منهمو فتحطموا
لم يجنحوا للسَلْم حين استسلموا كلاًّ ولا ندموا ... غداة تندَّموا
الحِقدُ والغِلُّ البغيضُ بصدرهم يغلى . كما يغلى الأتون المضرم
نُسبوا إلى الاسلام زورًا ويحهم أوَ يهدم الاسلام ... مَنْ هو مسلم !
هم فوق كفرهم الوحوش وعلَّنى أخطأت فى حق الوحوش وأقسم !
ان الوحوش الضاريات إذا رأت حتى الضوارى وادعات تحجم !!
ونرى أولئك فى الخفاء تجمَّعوا ليُدبّروا ويُقتِّلوا ويُهدّموا
لا رحمة بشيوخنا وضعافنا حتى الصغار من الأذى لن يَسلموا
أيُهَادن الارهابُ بعد نكوصه إن الظلوم له هناك الأظلم
مَن رامنا بالشر رُدَّ بكيده إن راشنا سهما رَمَتْهُ الأسْهُمُ
يا كم بصاحبة الجلالة مثلهم يا ليت أصحاب الجلال تألَّمُوا !!
ستُقدم الأيامُ كشف حسابهم وغدًا ستحصرهم هناك جهنم
وبقيّة الاقطاع كُشِّف سِترُهم والمُرجف الباغى الغداة سَيُرجمُ
تلك الأفاعى لن يطول خفاؤها ومصيرها هذا المصير المؤلم
وهنالكم أشياءُ لا حصر لها سأُقدم الآن القليل اليكمو

تلك المباذل والذى يجرى بها   من راقصين وراقصات أسهموا
وملطعون على الطريق تخالهم   سِرْبَ الذباب على القذى يتكوم
وبكل ركن فى الدروب مُشَوَّهٌ   ظنوا به سِرَّ التقى وتوهّموا
وإذا سألت سمعتَ من أتباعه   أو تُنكرون كرامة تتكلّم
الشيخ إن صلّى «فمكة» ساحهُ   وعلى سحابٍ «بالبقيع» يُحَوّم
وترى الكثير هناك يلثم كفَّه   وبمال مَن خدعوا به يتنعم
أمثال تلك الموبقات كبائرٌ   ليست من الدين الذى نتفهم
أمّا التى من قبل لم يعرض لها   بالرغم من آثارها مُتكلِّم
فى الندوة الكبرى فلانٌ كرّموا   وتبادلوا ... «الكوكتيل» فيما أُولموا
ما ضرَّ لو لم يذكروا «كوكتيلهم»   أتُرَى يُقَال تزمُّتٌ وتأزُّمُ
يا صفوة الأعلام من أدبائنا   ذُودُوا عن الفُصحى رعيلًا أعجموا
الشعرُ والزجلُ الرقيق مَنارةٌ   «شوقى» له فينا اللواء «وبَيْرَمُ»
أنا ما قصدتُ إلى اللجاج وإنّمَا   أنا عن جهود المخلصين أُترجم
مِن غير ما وزنٍ ولا تفعيلة   ويُقال شِعر ... أى لغوٍ قدّموا
سَموه لا «معقول» ذلك جائز   فالعصر بالصور الغريبة مُتخمُ
سَمُّوه نثرا إن تجاوز نثرنا   فالنثر حتى النثر ... يأنف منكمو
حمدًا لمن حفظ الكنانة منهمو   وحمى جمال النيل مِمّن أجرموا
يا رب واحفظ للبلاد زعيمها   «فجمال» قائدنا الأبى المُلْهَمُ

مختارات من شعر
ابن عربى
فى التصوف

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

من قافية القاف :

قيمة الروح

قال ابن عربى فى الجسم وتركيب الروح فيه :

جسم بلا روح ضجيع الردى
غصن زوى يا ليته أورقا
روح بلا علم وهى بيته
لرؤية الاغيار اذ أخلقا
افتقر الكل الى جوده
أهل الأباطيل ومن حققا
فوجه الأنوار سيارة
أنارت المغرب والمشرقا
فأشرق الجسم بأنواره
وأظهر الأسرار اذ أشرقا
فالحمد لله الذى قد وقى
من شر مايحذر أو يتقى

يقول ابن عربى ان الجسم بلا روح يذوى ويموت ، وكان لو دبت فيه الروح وتحركت خليقا أن يستقل الحياة ويؤثر فيها ولكنه لايستكمل القوة الا اذا سبحت روحه وراء العلم الحق الذى يوصلها الى معرفة الله وحده والانصراف اليه دون غيره ، أما اذا اتكلت على الأغيار فان ذلك الاتكال خليق بأن يهدمها ويجعلها مع الجسم خرابا يبابا .

وليست هذه التفرقة فى الاتكال بين الله والأغيار اذ كل الأغيار محتاج الى الله مفتقر الى جوده ، والكافر المبطل فيهم والمؤمن العارف على سواء فى الحاجة اليه .

وكما وجه الله الأنوار تسير فتنير كل الآفاق وتظهر بها معالم المرئيات وجه للجسم نورا هو الروح والعلم فأشرقت بالجسم أنواره وظهرت أسراره .

وابن عربى يحمد الله على أن وقاه شر الخراب والدمار فوهبه روحا وعلما حذر بهما ما أمر الله بالحذر منه ، ولم تكن الوقاية التى حفظه الله بها الا من فعل الله وحده ، وهى لم تكن منه جزاء جهد أو طاعة وانما كانت هبة ومنحة ومحض عطاء .

غراب البين

وقال ضمن ما قاله فى كتابه ترجمان الأشواق :

غادرونى بالأثيل والنقا
أسكب الدمع وأشكو الحرقا
بأبى من ذبت فيه كمدا
بأبى من مت منه فرقا
حمرة الخجلة فى وجنته
وضح الصبح يناغى الشفقا
قوض الصبر فطنب الأسى
وأنا ما بين هذين لقى
من لبثى من لوجدى دلنى
من لحزنى من لصب عشقا
كلما ضنت تباريح الهوى
فضح الدمع الهوى والأرقا
فاذا قلت هبوا لى نظرة
قيل ما تمنع الا شفقا

ماعسى تغنيك منهـــم نظرة
هى الا لمــح برق برقـــا
لست أنسى اذ حدا الحـادى بهم
يطلب البين ويبغى الأبرقـــا
نعقت أغــربة البين بهــم
لارعى الله غرابا نعقـــا
ماغراب البين الا جمــل
سار بالأحباب نصا عنقـــا

وهذه الأبيات كانت تكون فى الغزل لطيفة رقيقة تنبىء عن أحبابه الذين غادروه بمكان الأثيل والنقا يسكب دموعه ويشكو حرق قلبه ويفدى أحبابه بأبيه ، أولئك الأحباب الذين تتناغى على صفحات وجوههم الحمرة والبياض ويفصح الحسن ويتضح الجمال .

وقد تقوض الصبر من قلبــه كما تقوضت خيامهم ومن حيث ارتحلـوا أقام بقلب الأسى وهو بين الصـبر والحزن لايستطيع أن يعى من نفسه شيئا بل هى لقى لايوزن وريشـة تحركها الرياح .

وينادى الشاعر مستغيثا لوجعه ودمه فلا يجد من يغيث ، وهو لايطلب غير نظــرة ولكنهم وهم يضـنون عليه بها يلومونه على طلبها ويدعون أنهم يمنعونها عن شفقة به .

ومنذ فارقه الأحباب ـ وقد فارقوه من زمن بعيد ـ وهو متجدد الأسى لاينسى يوم ســاق الحادى ابلهم الى الأبرق ولم يزل فى أذنيه رغاء الابل وأصواتها ، وهى أغربة البين الحقيقية، وليست الأغربة ـ كما يقولون ـ هى الطيور البوارح التى تمر بالشؤم عن يسار السائر وليست هى الغربان الناعقة فوق الرءوس ، انها ليست الا تلك النيــاق التى تسـافر بالصحاب وتهاجر بالأحباب .

والبيت الأخير من هذه الأبيات مضمن ، هو كله أو شطره الأول .

وهذا ما يقال فى معانى الكلام لو كان غزلا صرفا ولكنه اشارات لمعان صوفية جرت عليها عادة ابن عربى ولا سيما فى كتابه « ترجمان الأشواق » .

وابن عربى يشـير الى الروحانيـــات بالمغادرين المسافرين ، وحزنه وكمده ودمعه وخوفه كل ذلك من مفارقة الروحانيـــات اللطيفة لجسده الثقيل وتركها له مرتهنـــا بهيكله مقيدا فيه .. وهو يستغيث بالروح الكلى ليظل قلبه متصلا بالتنزلات الالهية التى تبعثه وتحييه .

والاشـــارة بمعالم الجمال الى التجلى على القلب ووقوع الاستحياء فيه من هيبة التجلى، وليس الصبر والأسى الا لفحات من الشـوق تصيب القلب فلا يحتملها الا بما يعين .

وهو كلما حاول القيام فى مقام الكتمــان الجاه الشـوق الى البوح والاعلان ، واذا لم ينطق به لسانه نطقت جفونه .

واذا تمنى نظرة منع منها وهو يحسبه قد منع قهرا ولكنه اشفاق به ، اذ أرخيت الحجب بين السبحات وبين الخلق رحمة بهم واشفاقا عليهم ، ولو رفعت هذه الحجب وكشفت هذه الستور لأحرقت سبحات وجهه ـ سبحانه ـ ما أدركه البصر ـ كما جاء فى الحديث ـ

والنظرة الواحدة ـ لو تمكن الانسان منها ـ مطغية تثير النفس الى نظرة أخرى بعـدها ومثلها فى فعلها بالقلب مثل فعل ماء البحر بالظمآن كلما شرب منه ازداد عطشا .

ولم ينس الصوفى الروحانيات التى جالسته فى الله تعالى ثم عرجت اليه شـاهدة بفعله وجهده ودأبه فى العبادة والطاعة ، وكان عروجها الى الأبرق اشـارة الى المشهور الذاتى ، وأما الاشارة بالبرق فللنـور الذى ينسكب خاطفـا ثم يسرع زائلا عن الحضرة والمكان .

والتكنية بالأغربة عن الأمور التى خلفتـه عن العروج مع هذه الروحانيات وتركته مقيما فى حبس الجسد لايسمو الى مقام العبودية التى هى غاية السمو والارتقاء .

وليست مراكب هذا السمو الا الهمم التى أعدت للوصـول ، فمن بذلها وركب نجائبها سارت به الى المكانة التى تنعدم فيها الأسماء وتضمحل الرسوم ، وتفيض النعم والتجليات من الحى القيوم .

الأنوار والظلم

وقال مما اقتبسه من روح سورة النور فى تقسيم الأنوار والظلم :

الله نور أفلاكا بأجمعها
ليهتدى فى ظلام الليل فى الطرق
ونور الجو بالبيضاء شارقة
ونور العقل بالتوحيد والخلق
ونور القلب انوارا منوعة
لأنه وسع المذكور فى العلق
ونور البدر باليضاء ان غربت
وجد فى سيره بالنص والعنق
كما ينور آفاقا يشاهدها
شرقا وغربا من الآفاق بالشفق
ونور الجسم بالأرواح فانتشرت
أنواره كانتشار النور فى الفلق
ونور الأرض بالأزهار فابتسمت
عن أحمر ناصع وأبيض يقق
وأظلم العقل فى أفكاره نظرا
وأظلم النفس بالأطماع والعلق
وأظلم المتعدى من طبيعته
بالاكل من جرض والشرب من شرق
وأظلم الولد المخلوق من نطف
مكنونة بثلاث جنن فى نسق
فليس من نور الا قد يقابله
ضد كما قوبل الاشراق بالغسق
من أجل ذا ضل « مان » فى مقالة
باثنين ، وافترقوا فى ذا على فرق

النور والظلمة ضدان لايبدو أحدهما فى شىء الا كان الآخر فى مقابلته ، فهما متلازمان وتلازمهما يدل على أحدية الصانع • اما « مانى » الذى جعل للنور الها وللظلمة الها فقد ضل وضلت من ورائه فرق المانوية أو التى أخذت بأقواله من غيرها •

والنور اما روحانى معنوى واما جسدى مرئى محسوس وكل منهما دليل على الآخر ، ومن الأول أنوار القلوب والأرواح والعقول ، ومن الثانى أنوار الكواكب والشمس والقمر والأزهار والألوان ، غير أن من هذه ما هو مجعول فيها فتضىء لذاتها كالبيضاء التى هى الشمس ، ومنها ما هو مكسوب من غيره كالقمر والشفق والآفاق ، ومنها ما يظهر فيما يسمى بالألوان كأنوار الأزهار •

والظلمات كذلك منها معنوى وحسى ، والأولى تصيب العقول والنفوس والطباع والثانية تغطى الأماكن وتغشى الأجنة فى البطون •

وفى هذه الأوال يبدو أن العقل ينير مرة ويظلم أخرى ، وهو لاينير بذاته وانما ينير بمعرفة التوحيد واتباع الشريعة ونصرة الأخلاق والمبادىء التى جاءت بها ، ثم هو يشتد ظلامه اذا اغتر بآرائه دون أن يستضىء بأنوار الشرع ويلتزم بآدابه وأخلاقه •

وظلام النفس يكون من الأطماع والتعلق بالأغيار والشهوات وربما يكون هذا الظلام من النهم فى الأكل والشرب ولو كان حلالا دون الاكتفاء بسد الحاجة من الجوع والعطش وعلى قدر الضرورة واقامة الابدان •

ومن الظلمات البادية للرؤية الظلمات الثلاث التى يستتر فيها الجنين حتى يولد ، ووراء هذه أنوار فكلما خرج من ظلمة رأى نورا حتى يصل الى التكليف فيرى أنوارا العقل والنفس والروح •

وقد تصور ابن عربى القمر مسرعا ومبطئا، ويظهر أنه تصوره مسرعا فى لياليه الأولى حيث يغرب بعد شروقه بمدد يسيرة ، وتصوره مبطئا حين يتأخر ولا سيما فى لياليه الأخيرة قرب المحاق ، وهو تصور دقيق لطيف •

وكل هذه الأنوار وأضدادها صنعة الواحد المبدع الذى لم يدع شيئا مما خلقه الا وفيه هذه الاثنينية من النور والظلمة أو القابلية لهما • وانما للنور الفضل على الظلمة ، وقد فاز بقسطه الأوفر من توفر على الشريعة واعتدل فى سيره وخلقه وأقر بواحدانية الله وتفكر فيه وفى بديع صنعه واتقان يده سبحانه •

قافية الكاف :

دعاء واخلاص

وقال ابن عربى فى افتتاح كتابه لطائف الأسرار :

يا مالكا فتحت خزائن جوده
لاقامة الاعراس والاملاك
بين العقول وبين حضرة ذاته
العاملات السادة النساك

صفت لدى باب النهى أقدامها
كسرائر الأضواء والأملاك
وعلوم أيام الوجود دليله
لدن مناجاة بلا اشراك

هذه الأبيات بعض ما افتتح به ابن عربى كتابه لطائف الأسرار ، وهو يشير فيها ـ بعد توجهه بالخطاب والدعاء الى الله ـ الى الاتصال العرفانى الذى يكون بين العبد وبين ربه حين يصفو هذا العقل ويتنسك لله وينقطع اليه عن غيره

وهذا الاتصال بين العقل والخالق انما هو فضل من الله وجود ، اذ كان من جوده أن يلتقى كل مريد بمريده وزوج بزوجه ٠ وانما الشرط الاخلاص فى الاتجاه والجهد فى السعى والطلب ٠

وقد وصف ابن عربى العقول الراجحة المتجهة لله بالأضواء والأفلاك التى تطوف حول عرشه طائعة عابدة مصغية ، لايشترط فيها غير الاخلاص له والتخلص من الأغيار اذ الاتجاه اليها اشراك ٠ وتتكدر المناجاة لو وقع فيها الى غيره اتجاه ٠ ٠

تنزل الروحانيات

وقال فى اخلاص القلب وتنزل الروحانيات عليه :

اذا خلص القلب من جهله
فما هو الا نزول الملك
تملكنى وتملكته
فكل لصاحبه قد ملك
فكونى ملكا له بين
وملكى له قوله هيت لك

يقول : اذا قام القلب من جهله فى مقام الاخلاص فما هو الا تنزل الروحانيات عليه ، وخلاص القلب من الجهل لايكون الا بقيام العلم به

ويقول : اذا حدث هذا الاخلاص ثم حدث معه الاتصال تقيد كل منهما بالآخر وصارت نسبته اليه كأنه يملكه ، وكأن العبد ينال باخلاصه القلبى ونوره العلمى الشرعى كل ما يرجوه ويدعو به ٠

وهذا أيسر ما يقال فى شرح الأبيات اذ لابن عربى فى شرحها اتعاب واغراب ـ والله أعلم ٠

« بقية قصة العدد (فتح صقلية) »

امدادات أبن الاغلب لتشاركهم فى حصار العاصمة ، وضيق المسلمون الخناق على المدينة حتى اجبروا حاميتها على تسليمها ٠

واشتدت نفوس المسلمين بهذا الفتح المبين ثم ساروا الى مدينة قصربانة ، وفى رفقتهم بوفيميوس ، فلما بلغ أهل المدينة تقدم الجيوش الاسلامية صوبهم خرج وجوه الناس لاستقبال الغازين وقبلوا الارض بين يدى بوفيميوس ، وقالوا له : انهم يولونه عليهم ٠ فانشرح صدره واطمأن اليهم وسار معهم حتى اذا ما خيم الظلام ، انقضوا عليه وقتلوه !

واطبقت الجيوش الاسلامية على المدينة من كل جانب ، فلم يقو أهلها على الصمود فى وجه المجاهدين ٠ فما تصرمت أيام حتى تقاص ظل النسر الرومانى عن المدينة ، وراح اسم الله يتردد فى جنباتها آناء الليل واطراف النهار

وأخذت المدن تسقط واحدة اثر اخرى ، فسقطت جورجنتو ، وقطانية ، ومنسنين ، ولم يبق العلم الرومانى خفاقا الا فوق سرقوسة آخر معاقل الجزيرة ولكن لم يدم خفقانه طويلا فسرعان ما انزل والقى النسر الرومانى على الأرض لتمزقه سنابك الخيول العربية واستقر المسلمون فى صقلية وراح المغامرون يتأهبون للوثبة التالية ، فقد كانت تراودهم فكرة غزو ايطاليا ،فما يفصل بينهم وبينها الا مضيق مسينى ، وما كان ذلك المضيق ليحول بين أصحاب الآمال العريضة ٠ وغزو ايطاليا

مطالعات

الأستاذ
حسن
الشيخة

كتاب « النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم »

هو من أجل كتب التاريخ الاسلامى قدرا وأحفلها ذكرا لأن مؤلفه الشيخ تقى الدين المقريزى من أبر علماء التاريخ .. وأدقهم تعبيرا .. وأصدقهم رواية . وحسبك منه أن كتابه (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) هو العمدة فى تاريخ مصر فى الأمانة والدقة والاستيعاب .

كتاب النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم هو من الكتب الصغيرة الحجم ، صفحاته لاتزيد على التسعين من القطع الأوسط ، ولكنه من حيث مادة التاريخ — من المؤلفات الكبرى التى جمعت فأوعت فى موضوعها ، فهو أشبه بالمتن الواضح ، ليس فيه شروح طوال ، ولا حواش ، ولا تقارير

وقبل أن أقول كلمتى فى هذا المؤلف أرى من الصواب أن أذكر كلمة موجزة عن المقريزى نفسه ، ليكون القارىء ملما بشىء نافع عن (المؤلف) بكسر اللام ، وعن (المؤلف) بفتحها ، والمنفعة المزدوجة خير من المنفعة المفردة

نشأ المقريزى بالقاهرة ، وحفظ القرآن الكريم ، وسمع من كبار شيوخها ، ثم حج بيت الله ، واقام بمكة مدة سمع فيها من كبار علمائها ، ورحل الى الشام ، وسمع بها أيضا من كبار شيوخها ، فهو فى أول نشأته طالب علم مستفيد ، أينما حل وارتحل

أما تسميته « المقريزى » فهى نسبة الى خطة أو حارة من حارات (بعلبك) من بلاد الشام ، تسمى بحارة المقارزة ، وهى بلد أجداده ، وقد ارتحل منها أبوه الى القاهرة التى ولد بها صاحب الترجمة عام ٧٦٠ هـ ، كما ذكر ذلك عن نفسه فى بعض مؤلفاته ، أما وفاته فكانت بالقاهرة أيضا ، وقد دفن بحوش الصوفية ، وقد رثاه كثيرون من شعراء عصره ، ومن ذلك قول أحدهم :

ما زلت تلهج بالأموات تذكرها

حتى رايتك فى الأموات مكتوبا

وقد أجاد التلقى فى علوم كثيرة ، مثل التاريخ والتوحيد ، والحديث والفقه ، كما كان يعرف أيضا ما أسميه أنا بالعلوم الغامضة ـ مثل علوم الزايرجة والرمل والميقات وأمثالها من العلوم الشائعة فى أيامه وعصره ، ولكنه اتجه الى علم التاريخ فأجاد فيه وأفاد ، وأربى على المراد ، وكل مؤلفاته فيه مراجع يرجع اليها الباحثون الى اليوم ، مثل كتابه (الخطط) تاريخ مصر والقاهرة ، فقد أحيا معالمها ، وأوضح مجاهلها ، وحدد مآثرها ، وترجم أعيانها ، كما كانت له دراية كبرى بمذاهب أهل الكتب السماوية ، مثل الاسلام والنصرانية واليهودية ، وانك لتجد فى كتابه (الخطط) من هذا الشىء الكثير ، والبحث المستنير .

كان المقريزى محل احترام رجال الدولة فى عصره ، وكانوا يعرضون عليه أكبر المناصب فكان تارة يرفض وتارة يقبل ، مثل قبوله الحسبة فى القاهرة غير مرة ، أولها عام ١٧٨١ ، وقد ألف وهو فى هذه الوظيفة كتاب الأوزان والأكيال الشرعية ، كما أنه أيضا ولى الخطابة بجامع عمرو ، وبمدرسة السلطان حسن ، والامامة بجامع الحاكم ، وغير ذلك من الوظائف الدينية التى كان فى جميعها محمود السيرة لتقواه .. وكمال ايمانه بالله .

بقيت الكلمة فى الكتاب أو الكتيب ، وهو مؤلف شامل فى موضوعه ، لم يغادر صغيرة ولا كبيرة فى المخاصمة بين بنى أمية وبنى العباس الا ذكرها ، بطريقة ليست سردا للوقائع وحسب ، وانما بطريقة فيها أسلوب فلسفة التاريخ ، فهو يذكر الأسباب ومسبباتها ، والعلل ومعلولاتها ، ويبدو أن المقريزى ألف كتابه هذا فى أواخر مؤلفاته ، فقد أكسبه طول المران على التأليف ، ربط الأسباب والعلل بالمسببات والمعلولات ، واذا كان أبو بحر الجاحظ يعد فى عصره صاحب القلم الفلسفى المسترسل فى كل ماكتب فيه ـ فان المقريزى فى عصره ليعد من كتاب التاريخ بأسلوب البحث والفلسفة ، على أن الجاحظ له فى بنى أمية مقال طويل ، سأقتبس منه بعض فقراته بالتبع للاقتباس من كتاب المقريزى ، لنعرف أنه قد اقترب من الجاحظ فى هذا الكتاب .

يقول المقريزى كبراعة استهلال لكتابه :

.. أما بعد ، فانى كثيرا ما كنت أتعجب من تطاول بنى أمية الى الخلافة ، مع بعدهم من جذم رسول الله (جذم كل شىء أصله) وقرب بنى هاشم ، واقول كيف حدثتهم انفسهم بذلك ، واين بنو أمية وبنو مروان ابن الحكم طريد رسول الله ولعينه من هذا

الحديث ، مع تحكم العداوة بين بنى أميــة وبنى هاشم فى أيام جاهليتها ثم شدة عداوة بنى أمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومبالغتهم فى أذاه ، وتماديهم على تكذيبه فيما جاء به منذ بعثه الله .. بالهدى ودين الحق ، الى أن فتح مكة ، فدخل من دخل منهــم فى الاسلام ، وأردد قول القائل

وكم من بعيــد الدار نال مراده
وآخر دانى الدار وهو بعيـــد

فلعمرى لا يعد ا بعد مما كان بين بنى أمية وبين هذا الأمر .....

وهكذا يمضى المقريزى فى كتابه بطريقتــه الفلسفية فيقول بعد كلام طويل

« وما زلت طول الأعــوام الكثيرة أعمــل فكرى فى هذا وأشباهه ، واذاكر به من ادركت من مشيخة العلم .. فلا أجد فى طول عمرى سوى رجلين ، اما رجــل عراه ما عرانى ، وساءه ما قد دهانى ، فهو يحذو فى المقــال حذوى (أى فى الانكار على بنى أميــة أخذ الخلافة) ، واما رجل يرفع فى ميدان تقليده ويجول فى عرصات تهوره وتفنيــده (أى فى أحقية بنى أمية للخلافة بعد عهد الراشدين) الى أن اتضح لى والحمد لله وحده سبب أخذ بنى أمية الخلافة ، ومنعها من بنى العباس .. وذلك أن الأسافل من كل شىء تابعة لأعاليها وكل أمر كان خافيا اذا انكشف سببه زال التعجب منه .. »

وانى أرى فى هذه العبــارة - وما أكثر أمثالها فى الكتاب - أسلوبا فلسفيا ممتزجا بالتاريخ الصحيح فى سبب استيلاء بنى أمية على الخلافة دون العباس

الى هنا انتهى اقتباسى من كتاب المقريزى، لأن غرضى هو اعطاء نموذج لما سار عليــه المؤلف فى تأليف كتابه ، وهذا كاف فى اعطاء النموذج .

***

بقى من أصول هذه الكلمة رأى لشــيخ الكتاب المسترسلين الفلاســفة ، أبو بحر الجاحظ الذى يســبق المقريزى فى الزمن ، ولكنهما اتفقا فى النزعة التاريخية ، فكلاهما يؤيد بنى العباس ، واذا كنت لم أذكر شيئا عن المؤيدين لبنى أمية فان المقصود من كلمتى ليس المفاضلة بين الدولتين فى الخلافة ، وانما أردت التنويه بكتاب قرأته فأعجبنى تأليفه، هو كتاب (التخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم) ، وقد رأيت لمؤلفه من يسبقه فى الزمن ويتفق معه فى الرأى ، هو أبو بحر الجاحظ ، فرأيت أن أقتبس من مقاله فى هذا الموضوع ، قال الجاحظ :

« فعندها استوى معاوية على الملك، واستبد على بقية الشورى ، وعلى جماعة المسلمين ، من الأنصار والمهاجرين ،فى العام الذى سموه عام الجماعة ، وما كان عام جماعة ، بل كان عام فرقة وقهر ، وجبرية وغلبة ، والعام الذى تحولت فيه الأمامية ملكا كسرويا ، والخلافة غصبا قيصريا .. وليس قتل حجر بن عدى، واطعام عمرو بن العاص خراج مصر ، وبيعة يزيد الخليع ، والاستئثار بالفيىء ، واختيار الولاة على الهوى ، وتعطيل الحدود بالشفاعة أو القرابة .. فهــذه أول كفــرة كانت فى الأمة .... »

وختاما الاحظ أن الجاحظ قسا على معاوية قسوة لاهوادة فيهــا ، على حين أنه كان فى رأى مؤيديه من أكبر رجالات الاسلام الذين لهم المكانة العظمى والمقدرة العجيبة فى قيادة الأمم والشعوب ، وانه لم ينحرف عن الصراط المستقيم الا فى أخذه البيعة بالسيف لابنــه الخليع يزيد .

العرفان الصوفي ووسائله

الدكتور محمد غلاب

إلمامة عاجلة :

قد يدهش بعض معاصرينا من اهتمامنــا بالتصـوف الى هـذا الحد فى عصر الذرة والصواريخ الموجهة والأقمار الصناعية . وأكثر من ذلك أن عددا من زملائنا وأصدقائنا وكل من قرأوا مؤلفاتنا ومترجماتنا ورأوا أننــا ـ فى جميع منتجاتنا ـ نتشيع للعقل ولاسيما منه الجانب الأعلى الذى لايعتمد على الحس تشيعا حارا قويا حاسما لا يعرف الهوادة ولا الانحناء، وأننا فى جميع الظروف والأحـوال نقف الى جانب المنطق نؤيده ونشد أزره مهما لاقينا فى سبيل ذلك من عنت واحراج ، سيدهشون وسيخيل اليهم جميعا اننا عدلنا عن مناصرة العقل ، اذ يبدو لهم للوهلة الأولى اننا كفرنا لانثبت على حال ولا يقر لنـا قرار ، ولكننــا نجيبهم قائلين :

على رسلكم أيها المتعجبـون المتعجلون ، فتلك دهشة خاطئة متسرعة ، لأن لدينـا عدة أسباب قوية مشروعة هى التى جعلتنـا نلبى مغتبطين هذه الدعوة المخلصة الى العنـاية بذلك الجانب الروحى الجدى . **وأول هـذه الأسباب وأهمها وأجدرها بالرعاية هو تلك العواصف البادية ، وهاتيك الزوابع الالحادية التى هبت علينا فى الحقبة الراهنة من الغرب** بصورة تكاد تجتاح عقول شبابنا وقلوبهم ، اذ يعلن أربابها فى غير خجل ولا حياء ، بل فى فجور ومجون ، أن العـالم المحس هو وحده الموجود ، وأن ما لا يناله الحس بجوهره ففرض محال .. وأن ما لا يكون موضـوعا للعلم التجريبى فهو ضرب من الأخيلة والأحلام ، أو لون من الأسـاطير والأوهام ، وأنهـم غير مستعدين للايمان بالله والروح الا اذا وضعا على المشرحة وسلط عليهما الميكروسكوب ، وأنه يجب عليهم أن يزيلوا من طريقهم كل عقبة تحول بينهم وبين الاستمتاع برغبـاتهم المادية ، ولذائذهم الغريزية ، فان كانت هذه العقبة خلقا محوه ، وان كانت عرفا نحوه ، وان كانت دينا أزالوه أو الها نسفوه .

ولا جرم أن الغربيين بهـذا المسلك قد نجحوا الى حد كبير فى الانحراف بالروح العام عن الصراط السوى الفطرى ، واسطاعوا ان يهدموا اعتدال النفوس المكبوتة تحت ضـغط ميولها الطبيعية ، وظفروا بأن يجعلوها فريسة للقلق الدائم المرهق الذى طالما تجاهلوا أسبابه ، والذى يدفع الأرواح المؤمنة الى أن تستغيث بربها أن ينقذها من ذلك الاضطراب المضنى الذى افقدها سكينتها وكاد يفقدها صفاءها .

فهل ذلك السبب وحده لايكفى لأن يدفعنا كما يدفع كل مثقف مخلص نحو الروحية التى عن طريقها وحدها سيكون انقاذ الانسانية مما تردت فى وهدته الى الحضيض بسبب اغراقها فى المادية الشائنة ؟

ومن هذه الأسباب أيضا أننا نشعر بعلاقة فكرية قوية تربطنا رباطا محكم العرى متين الأواصر بكل ما هو روحى أيا كانت صـوره ووسائله ، ما دام أن جوهره واحد وغايتـه واحدة . وهل هناك فروق أسـاسية بين الروحانية بمعناها العـام والميتافيزيقيا التى ظللنـا طول شـبابنا ولا نزال الى اليـوم نناصرها ونناضل عنها ما استطعنا الى النضال سبيلا ؟

ومنها كذلك أن الثمرة الواقعيـة الأولى للتصـوف أو للاتجاه الروحى هى التكوين الخلقى الذى هو السـياج المنيع أو الحصن الذى يحمى الأمم من التحلل ويقيها شر التفكك والضياع لأنه مما لاشك فيه أن التصوف هو مدرسة الطهر والعفـة ، ومنشـأ السـمو والرفعة •

اللوثة المحمومة

مما لاريب فيه أن كثيرا من أهـل العصر الراهن لايكادون يستيقظون فى الصباح الباكر حتى يقذفوا بأنفسهم بين زوابع الحياة العملية التى لاتكترث بالمعنـويات ، ولا تعنى بأوامر السـماء ولا تلتفت الى أى جانب من جوانب الحياة الروحية التى هى أولى مميزات البشرية عن بقية الكائنات الأخرى ، بل هم ينتقلون من عمـل الى عمـل ، ومن موضـوع الى آخر انتقالات سريعة بل مشـوبة بالحدة والعنف كأنهم آلات ميكانيكية ليس للعقـل فيها مجال الا بالقـدر الذى يحقق لهم النجاح والربح والامتلاك والاستيلاء ، بل الابتلاع الجشـع الذى لايعرف الوقوف عنـد حد من الحدود الفاصلة بين المباح والمحظور •

وعندما تتاح لاحدهم لحظـة عزلة وهدوء يكون من الممكن أن يسـعملها فى الاختـلاء بنفسه أو فى التفكير فى روحه ، هو يستخدمها فى تقدير ما ربحه أو فى كتابة ما عسى أن يربحه لو أنه اتبع خطة أشد حرصا ، أو أكثر مكرا ، وأبعد خداعا ، وأدخل فى باب المداهنة والمراوغة• وفيما بين ذلك هم يأكلون ويشربون ويمعنون فى اشباع رغباتهم • واذا أقام بعضهم لبعض المأدبات فانما يرمون من ورائهـا الى أهداف تدر عليهم يساوى عشرات أو مئات أضـعاف قيمة نفقاتها واذا أرهقت الجهود المتواصلة قوى الواحد منهم أسلم نفسه الى نوم عميق شاق يتعب ولا يريح ويغمس النفس فى الظـلام بدلا من أن ينتقل بها الى عالم الرؤى والأحلام التى تزيل الغواشى بينه وبين الملأ الأعلى •

وعندما يرى المتأمل فى الحياة المعنوية أولئك التعسـاء ـ وهم فى أكثر الاحايين من ذوى المكانات العالية ـ تبدو له نفوسهم كأنها عجوز فقيرة كسيحة سجينة فى حجرة حقيرة مظلمة من حجرات قصر الحياة المعنـوية المغمورة فى النور والسعادة دون أن يعنى بهـا أحد من قاطنيه الهانئين •

وأكثر من ذلك أن فريقا من الشاعرين منهم بهذه الحيـاة البائسـة يرد على ناقديه من المتعلقين بقوله :

ان سعادتى هى فى هذه الزوبعة المضطربة المستمرة ، وفى ذلك الهياج الجنونى وفى تلك الأعمال المادية التى تنبـذونها وتنظرون اليها نظرات المهانة والازدراء ، بينما أنه لو لم تحدق بى لقتلنى الضجر والضيق وكأنى شـخص أطبقت عليه الهموم من كل جانب وأصبح فى أشد الحاجة الى أن يتجرع الكحول ليغيب عن صوابه فلا يحس بآلامه المتوالية • ولكن ماذا ينتوى هؤلاء التعساء أن يصنعوا بعقولهم التى تقضى عليهم الضرورة بسترها عن طريق مغيبات الأعمـال المادية التى لاتفتر ولا تدع مجالا للروحية التى تحقق الفوارق بين الانسـان وبقية الكائنات الدنيا •

أجل ان هذا النـوع من الحيـاة المادية الهائجة المضطربة التى اجتـاحت كثيرا من شعوب العصر الراهن يبـدو أنها ستنتهى الى اقامة حواجز سميكة بين الأرواح البشرية والمثل العليـا ، بل الى تكميم تلك الأرواح وحجبها نهائيا عن التأمل فى منشئها ومصيرها ولذا فان الاسلام ينبذ هذه الحياة البهيمية نبذا تاما ، واننا نحن نهيب بالصـفوة من المهيمنين على الشؤون العقلية والدينيـة فى الأمة أن يبذلوا كل ما فى وسعهم من جهـود لتحقيق سـيادة القوى الروحية واعطائها القيادة والسيطرة ، وأن يوقنـوا بأن عالما أقصيت منه الروحانيات لايكون سوى تمهيد للحياة البهيميـة التى تنتهى الى زوال كل معالم الانسانية

الاضطراب المعاصر وأسبابه

يبين من هـذه الصـورة الموجزة التى رسمناها لك هنا أن من ينحنى على كتـاب

حياتنا الراهنة وينعم النظر فى فصوله محاولا فهمه فى دقة وتأمل يلتقى فيه بصفحات كثيرة تترجم – فى جميع المحيطات المحدقة بنا – عن اختلاط عقلى ، واضطراب نفسى ، وفوضى أدبية بلغت المدى ووصلت الى أبعد الحدود المقلقة ، وهى لاشك نتيجة من نتائج عدم الاعتدال وفقدان الاستقرار اللذين يغمسنا فيهما غزو المدنية المعاصرة ، وعلى الأخص الروح الغريبة التى لاتؤمن الا بالعالم المحس، والتى ليس لها هدف آخر سوى الاستلاء عليه وامتلاك نواصيه والقبض على أزمته وابتلاع خيراته والاستمتاع بلذائذه ، وأن تستعمل فى ذلك كل ما أوتيت من قوى جهنمية ومواهب شيطانية • ومن أجل ذلك فان فريقا ضخما من المحدثين يعيش فى غمرة من هذه الأخطاء والخطايا التى ترمى الى فصل العالم المحس عن الملأ الأعلى او عما فوق الانسانية ، والتى مؤداها أن هذا العالم الواقعى ليس وراءه شىء وليس قبله أو بعده شىء • ولقد نجم عن ذلك أن هذا العصر الذى يبدو أن العقل البشرى يمكن أن ينتج فيه نتائج قيمة قد أصبح يسير الى الفناء رويدا ويخطو الى الهلكة خطوات وئيدة ، وليس لذلك الفناء أو لتلك الهلكة سوى سبب واحد وهو أن الأقدار قد وضعت بين يديه ثروة لم يستطع أن يحسن استعمالها أو لم يتقن استخدامها فيما ينفع الانسانية ويعود عليها بالخير ، لأن هذه المدنية المادية التى تزعم أن رفعتها قد تخطت حدود التاريخ ، لاتستطيع أن تجحد أن القلق والاضطراب والاختلاط والفوضى قد بلغت فى أى عصر من عصور هذا التاريخ الذى تزهو عليه ما بلغته فى عهدها الحاضر الذى تتيه به مباهاة وعجبا ، بل ان المأساة المحزنة فى أبشع صورها قد احتلت الآن فى مصير الانسانية مكانا فسيحا بفضل مجهود هذه المدنية المادية المفتونة بلألائها بل الثملة فى خيلائها •

والأخطر من ذلك أنه قد أصبح من المألوف – لاسيما بعد الحرب العالمية الأخيرة – أن توضع طبيعة الانسان وحظه ومصيره موضع التناقض أو عدم المفهومية ، أو أن يرتدى ثوب الفاجعة التى جهل مأتاها وتعقد منتهاها، وفى الحق أن الفضل فى هذه اليقظة وذلك الشعور بالقلق راجع الى هاتين الحربين اللتين صك الأسماع دوى مدافعهما المزعجة وهز المشاعر هوى قنابلهما المفزعة ، فأيقظ هذه الانسانية الغافلة من سباتها ، وطرح العلمية المادية المغرورة من أواج عروش أمنها الزائف، وأنزل الارستقراطية العلمية المفتونة من قمم صروح اطمئنانها الخادع • فلما رأى هؤلاء وأولئك أنفسهم أمام الموت المحقق استيقظوا مذعورين مرتاعين « والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا » •

وهكذا عن طريق الشر نأمل أن يتحقق الخير للانسانية جمعاء فتثوب الى رشدها وتخفف من غلوائها ، وتكبح من جماح خيلائها. ونرجو أن يفيق الغرب من ثمله وأن يعرف قدر نفسه ، وأن يحد من كبريائه بل من غروره ، فيهجر تلك الآراء الضالة المضللة التى طالما أبعدته عن الفيض الالهى ، وأقصته عن النور السماوى ، وهوت به « فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله نورا فما له من نور » تلك الآراء الفاسدة هى التى تجزم بأن الوجود ينحصر فى هذا العالم المادى • ولا غرو ، فان من اليقينيات التى لانزاع فيها أن

الروح المعنوية التى - منذ أن طغى العلم طغيانه المتغطرس ابان النهضة الأوروبية - ظلت مضطهدة مغلوبة على أمرها ، قد جعلت الآن تنتعش شيئا فشيئا وتتحرك نحو غايتها الرفيعة متخذة للوصول اليها وسائل أخرى مضادة للوسائل التى كانت مستعملة حتى هذا العصر الراهن ، والتى مجمعها الايمان بأن العلم التجريبى له السيادة على كل شئ ، والتى أصبحت اليوم - بفضل الوعى العقلى المتزن - توشك أن تكون من المنبوذات المبتذلة فى نظر البيئات الأوروبية الراقية التى فازت من النظر الفكرى السليم بحظ موفور وان كان ذلك لم يقتحم حتى الآن تلك العقول المغلقة ولم ينرها تلك الآفاق المظلمة عندنا فظلت تتيه عجبا بذلك التراث العتيق البالى المبتذل الذى تخلى عنه أشياعه منذ زمن بعيد وأصبح تلاميذهم ومريدوهم من الغربيين المعاصرين يتوارون خجلا من نسبة هذه الأخطاء الى أساتذتهم • بل جعلوا يؤولون عباراتهم حتى يحولوها عن هذا الاتجاه الضال ، أو يحولوا الأفكار عن عزوها اليهم ، وهكذا شاءت لأولئك المتعالين عندنا كرامتهم أن يستبدلوا عوامل السمو والخلود من تراثهم المجيد بعوامل الخجل من تراث غيرهم ، لاسيما بعد أن ظهرت فى الآفاق الأوروبية بوادر التوارى منه ساطعة جليلة •

الحنين الى النور

بيد أننا نرى لزاما علينا للحق أن نقرر أن هذه اللوثة المادية التى أصاب بها العلم التجريبى العقول أثناء تلك الحقب المفتونة قد أذهلتها عن طرق الحق وأخفت عنها وسائل الادراك الصحيح •

فجعل الظمأ القديم الى عرفان « المطلق » والاتصال به يعذبها ويضنيها • بل يقض مضاجعها ويشقيها ولكنها لاتهتدى الى وسيلة الانتهال والاسترواء • ومن ثم فان عصرنا الراهن قد شاهد ولا يزال يشاهد كثيرا من الأنهاج الروحية والطرائق المعنوية التى يزعم أشياع كل واحدة منها أنها وحدها هى الصراط المستقيم أو المعراج الذى عليه تصعد الأرواح الى العزيز الحكيم ، لتنغمس فى فيضه الباهر العميم •

حقا ان كثيرا من هذه الأبهاج براق متلألئ • ولكن كم من بينهما تلك التى استطاعت أن تملأ فراغ القلوب ، وتسد ثغرات الأفئدة ، وأن ترضى تأملات النفوس ، وتشبع مشاهدات الأرواح التى بقيت على ايمانها بالأحدية ، وشوقها الى الانغماس فى الأنوار العلوية وتطلعها الى النفحات القدسية رغم هذا التيار الأهوج الجارف ، وذلك الضجيج الأخرق المتعجرف الذى لايعرف من شؤون الوجود الا مظاهرها المادية ونتائجها العملية ؟

واذا كان من القواعد الثابتة فى النواميس الكونية أن الملأ الأعلى يتوارى عمن يصد عنه ، فان من الطبيعى أن يكون أجهل بنى الانسان بالألوهية وكمالها وأبعدهم عن ادراك جلالها ، وتنوق لذائذ الانغماس فى بحار جمالها ، هم أهل هذا العصر المادى الا من رحم ربك فأنقذهم من هذا التيار العاتى ، وأنجاهم من ذلك الشر المستطير « من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا » •

دراسات في المدرسة العسكرية الإسلامية

الأستاذ محمد فرج

-٤-

استقر الامر للمسلمين فى المدينة وازداد المسلمون شوكة وقوة .. وبقى اليهود على دينهم وكان لابد من أن يتم التقارب بين المسلمين واليهود وخطا الرسول الكريم الخطوة الجادة فى هذا الاتجاه فعقد مع اليهود اتفاقا سياسيا نص صراحة على اقرار حرية العقيدة وحرية الرأى وحرمة المدينة والحياة والمال وتحريم الجريمة .. ورغم أن يهود بنى قريظة والنضير وقينقاع لم يوقعوا الاتفاق الا أن المسلمين سكنوا الى دينهم وأقاموا فرائضه لايخافون أذى ولايخشون اعتداء .

وعاش اليهود فى ظل هذا الاتفاق يرقبون الغد فى حذر وحيطة .. ولاحظوا أمورا ثلاثة .

● اخذ النفوذ الاسلامى ينتشر ويقوى وكان ذلك على حساب النفوذ الذى كان لهم من قبل .

○ بدا المسلمون يسيطرون على اقتصاديات المدينة بعد ان كانت لليهود الزعامة الاقتصادية .

● أصبح الرسول أقوى من اليهود ومن النصارى وكان اليهود يطمعون فى أن يكتسبوا الرسول الى جانبهم فيزدادون به قوة ومنعة على النصارى .

ثم كانت الضربة القاصمة حين اسلم عبد الله بن سلام وهو يهودى من كبار أحبارهم وعلمائهم وأسلم معه أهل بيته فقد خشى اليهود أن يتبعه نفر آخر منهم فبدأ الخلاف الذى اتخذ عدة صور منها .

● حرب الجدل ... استخدم فيها اليهود كل مالديهم من العلم باخبار السابقين من الانبياء والمرسلين لمحاربة الاسلام والمسلمين والتشكيك فى أصول الاسلام وأسسه ومبادئه فطعن اليهود فى رسالة الاسلام وفى المسلمين مهاجرين وأنصارا واتخذوا لذلك سبلا كثيرة حتى قيل ان هذه الحرب كانت اخطر واشد من حرب الجدل التى كانت بين المسلمين وقريش وكان الجدل بين الطرفين يصل الى حد التماسك والاعتداء ومن ذلك ماحدث بين يهودى يدعى فنخاص وبين ابى بكر حين قال اليهودى « والله يا أبابكر مابنا الى الله من فقر وانه الينا لفقير وما نتضرع أليه كما يتضرع الينا وانا عنه اغنياء وما هو عنا بغنى ولو كان غنيا ما استقرضنا اموالنا كما زعم صاحبكم ينهاكم عن الربا ويعطيناه ولو كان غنيا ما أعطانا » .

● حرب الدسيسة والنفاق .. وفى هذه الحرب اتصل جمع من اليهود بالمسلمين واظهروا اسلامهم وتقربوا اليهم حتى اذا أمن هؤلاء جانبهم أخذوا يشككون فى رسالة الاسلام ويلقون على الرسول أسئلة يظنون انه لن يجد لها جوابا وكانوا بهذا الاسلوب يهدفون الى اضعاف ايمان المسلمين وزعزعة ثقتهم ومن ذلك ان أحدهم سأل الرسول « اذا كان الله قد خلق الخلق فمن خلق الله » وجاءهم جواب الرسول فى قوله تعالى « قل هو الله أحد . الله الصمد .. » الى آخر الايات ومن وسائلهم فى هذه الحرب اثارة الفتنة بين المهاجرين والانصار وبين الاوس والخزرج ونجح مرة شاس بن قيس فى اثارة الاوس والخزرج وكادت تثور الفتنة لولا حكمة الرسول الكريم .

● محاولة فتنة الرسول .. فلم يكتف اليهود بمحاولات الوقيعة بين المسلمين ولم يكتفوا بمحاولات ردهم الى الشرك بل زادوا فحاولوا أن يفتنوا الرسول ومن ذلك أن وفدا منهم ذهب الى الرسول وقالوا « انك قد عرفت أمرنا ومنزلتنا وانا ان تبعناك اتبعك اليهود ولم يخالفونا وان بيننا وبين بعض قومنا خصومة فنحتكم اليك فتقضى لنا فنتبعك و نؤمن بك » وجاء قوله تعالى « وان أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع

أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك » تحذيرا للرسول وتوضيحا لنياتهم .. ومن ذلك أيضا أنهم حاولوا اقناع الرسول بالجلاء عن المدينة فحببوا اليه الرحيل الى بيت المقدس فنزلت الاية الكريمة تدعو الرسول أن يول وجهه شطر المسجد الحرام فانكر اليهود ذلك وطلبوا أن يعود الى قبلته فيتبعونه.

وحاول اليهود الاعتداء على الرسول فقد كان عليه الصلاة والسلام يجلس يوما الى جانب جدار من بيوت بنى النضير فاجتمع منهم نفر وقرروا أن يلقوا بصخرة على الرسول فيقتلونه وأوعزوا بذلك الى أحدهم وهو عمرو بن جحاش بن كعب ولكن الله تبارك وتعالى حفظ الرسول وأنقذه اذ أوحى اليه بخبرهم وفى ذلك قال كنانه بن صوير « هل تدرون لم قام محمد ؟... أخبر والله بما هممتم به من الغدر » .

وبفشل محاولات اليهود المتكررة ازداد سخطهم على المسلمين كما ازداد خوفهم منهم ..وكانت هذه المحاولات قد أساءت الى العلاقات من الطرفين مما أدى الى تصادمهما فى حرب عامة ..والذى يهمنا هنا هو ان المسلمين لم يكونوا فى حربهم لليهود معتدين وانما كانوا مدافعين وهم الذين تحملوا مكائد اليهود وهم الذين اضطروا الى الكفاح المسلح حين اعتدى يهود بنى قينقاع على امرأة مسلمة بالحرب تجلس الى صائغ فلما نبههم الرسول الى خطئهم وحذرهم « يا معشر اليهود احذروا من الله مثل مانزل بقريش من النقمة » قالوا « يامحمد لايغرنك انك لقيت قوما لاعلم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة انا والله لو حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس وانك لم تلق مثلنا » ويهود بنى النضير هم الذين حاولوا – كما أشرنا من قبل – قتل الرسول بالقاء صخرة عليه ... ويهود بنى خيبر هم الذين تحالفوا فى غزوة الاحزاب مع قريش ضد الرسول فكان لابد من أن يأمن الرسول كيدهم .

اتخذت الحرب بين الرسول واليهود صورتين ..

● المحالفة .. فقد تحالف اليهود مع قريش ضد الرسول فى غزوة الاحزاب اذ اتجه وفد منهم يمثل بنى خيبر وبنى قريظة يرأسه سلام بن مشكم وكنانه بن ابى لحقيق وحيى بن أخطب الى قريش يدعوهم الى مهاجمة محمد على أن يكونوا جميعا جبهة واحدة ضده وقالوا عن اهلهم انهم « اقاموا بالمدينة مكرا بمحمد حتى تاتوهم فيميلوا معكم » وقالوا « سنكون معكم على محمد حتى نستأصله » واخذ هذا الوفد يثير القبائل العربية ويعقد معها المحالفات حتى كونوا جبهة قوية بلغ عدد جيشها عشرة الاف مقاتل تحركوا كلهم الى المدينة للقضاء على محمد .

● المواجهة .. فلم يكن هناك بد أن فشلت قريش وأحلافها من احراز النصر من أن يلتقى المسلمون واليهود وجها لوجه فكان اللقاء مع بنى قينقاع بعد هزيمة بدر ثم مع بنى النضير بعد أحد ومع بنى خيبر وبنى قريظة بعد الخندق .

ومهما كانت صورة اللقاء فان النصر فى جميع اللقاءات كان للمسلمين وقد خرج اليهود كلهم من المدينة متجهين الى أطراف الشام وتخلصت الجزيرة العربية من جموعهم الا القليل الذى أبقاه الرسول فى موضعه بعد أن انكسرت شوكتهم وضاعت هيبتهم وأحسوا بأن الاسلام قوة لايمكن التصدى لها أو الوقوف فى طريقها..

بذلك نكون قد استعرضنا الجبهات التى حارب ضدها المسلمون ونخرج من هذا العرض السريع بحقيقتين هامتين هما :

● ان الاسلام سالم أعداءه وصبر على ايذائهم ومكائدهم .

● ان الاسلام حين قاتل أعداءه انما قاتلهم دفاعا عن وجوده وكيانه وكان فى كل مرة هو المعتدى عليه ولم يكن أبدا معتديا سواء فى حربه ضد قريش أو فى حربه ضد اليهود أو فى حربه ضد امبراطوريتى الروم والفرس .

والحقيقتان تدفع الينا بسؤالين هامين ..

الاول – هل الاسلام فعلا دين سلام ؟

الثانى – ما هو اذن الرد على خصوم الاسلام الذين هاجموه من كل زواياه وكانت الزاوية العسكرية هى أكثر الزوايا تعرضا للقذف والتشهير ؟

وبالنسبة للسؤال الاول فالاجابة عليه واضحة يسيرة لان المطلع على تاريخ الدعوة الاسلامية يلحظ أن الدعوة الى الاسلام بدأت بالحكمة والموعظة والدعوة الرقيقة والكلمة الحلوة بدأها الرسول بمفرده فلم يكن معه أحد يستعين به للتهديد ولم تكن لديه قوة تقف بجانبه وتجبر الناس على الايمان بما يقول ولم يكن عدد من أسلم من قريش يكفى ليواجه به قريشا بجبروتها وقوتها .. هذا فوق ان اسم الاسلام مشتق من السلام وهو قد قام اساسا لتحقيق السلام والدعوة اليه والذين آمنوا به لم يجدوا لانفسهم اسما أفضل وأعذب من أن يكونوا المسلمين وأساس الاسلام ولبه السلام لرب العالمين وجعل الاسلام كلمة السلام أساسا فى معاملاته فتحية المسلمين السلام عليكم وختام صلاتهم سلام على اليمين وسلام على الشمال وخير ما يلقى به الله عباده تحية السلام والملائكة يستقبلون العباد الصالحين فى الجنة بالسلام وحتى الجنة التى وعد بها المتقون الصالحون الطيبون سميت دار السلام .. والسلام اسم من أسماء الله « هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام » .

وبالنسبة للسؤال الثانى فالاجابة عليه أيضا واضحة يسيرة ولكنها تحتاج الى وقفة طويلة واجابة صريحة لاتدع مجالا للشك اوالريبة بل تسلط الاضواء وتضع النقط فوق الحروف وتكون دفاعا مجيدا عن الاسلام وردا مقنعا على هجماتهم وادعاءاتهم ..

ولابد لنا أولا من أن نعرف من هم خصوم الاسلام وأعداؤه الذين حملوا راية الهجوم عليه ولماذا ! ولابد لنا ثانيا من أن نعرف آراءهم والنقاط التى شنوا منها هجومهم ؟

ولابد لنا ثالثا من أن نرد على أقوالهم وأن نوضح حقيقة مغالطاتهم مؤيدين بوقائع التاريخ التى دونتها كتب السيرة وكتب التاريخ الاسلامى .

ان خصوم الاسلام الذين هاجموه هم فئة اطلق عليهم اسم المستشرقين وهؤلاء ينقسمون الى طوائف ثلاثة ..

● طائفة متعصبة لعقيدتها حجبها التعصب وأعماها من الحق فهم فيما يكتبون لا يخرجون عما يمليه عليهم التعصب الاعمى الذى يدورون فى سجنه لايعبرون فى افكارهم الا عن تعصبهم ولا يتقيدون بأصول البحث العلمى وقواعده همهم الاكبر الاساءة الى الاسلام وتغطية ما شرعه الله خوفا من أن يكون ظهوره على حقيقتـه ووجهه الاصلى هدما لعقائدهم .

● وطائفة لاتهمها الحقائق بل همها الاكبر هو خدمة الاستعمار وأفراد هذه الطائفة هم رواد الاستعمار ومؤيدوه يجدون أن سبيله هو اضعاف الايمان بالاسلام وزعزعة الثقة به فتضعف بالتالى المقاومة عند أله فيوطد بذلك الاستعمار أقدامه فى أراضى المسلمين التى تمثل منذ زمن بعيد هدف الاستعمار وغايته .

● وطائفة تمثل الاباحية التى لاتتقيد بدين أو عرف أو قانون همها الاكبر هو أن تخضع المجتمعات البشرية لشهواتها وملذاتها وأغراضها .

وهـذه الطوائف الثلاث نسيت فى حمى التعصب البديهيات وحكمت الهوى فزورت العلم وزورت التاريخ وقامت أسانيدها وادعاءاتها على أساس من التفكير الغير سليم بذلك تكون قد خالفت أصول التربية التى نادى بها رجال التربية من العصر الحديث والتى تدعو الىغرس مادة التفكير السليم الصحيح وتثبيتجذورها فالفيلسوف هربرت سبنسر :

يرى أن الجهل والتأثر بالعاطفة همـا مصدر كل نقص يسود الابحاث الاجتماعية وأن التأثر بالعقيدة الدينية يحول بين المرء وبين تفهم اية مشكلة مهما كانت واضحة وبسيرة ويقول أيضا فى هذا المعنى الدكتور مظهر سعيد فى كتابه « علم النفس النظرى والتعليمى » ان التحيز الاعمى من عوامل فساد التفكير » ونحن حين نراجع وجهات نظر الهاجمين نلمس من الوهلة الاولى مدى التحامل والتزوير وتعمية الحقائق وهذا كله يؤكد ان بحوثهم ودراساتهم تقوم على أساس غير علمى وعلى تفكير سقيم غير صحيح وتنحصر وجهة نظر هؤلاء فى :

● ان الاسلام قام بالسيف والتهديد وأنه لولا القوة ماوجد الاسلام من يؤمن به ويدخل فيه كما يقول لامانس الفرنسى

● ان الغزوات لم تكن سوى عمليات نهب وسلب كما يدعى مارجو ليوث الانجليزى

● ان الرسول أصدر قانون الجبرية عقب غزوة بدر كما يرى ايرفنج الامريكى

ولنا بعدذلك أن نرد على هؤلاء

● فالواضح من واقع التاريخ أن النبى عاش فى مكة ثلاثة عشر سنة يدعو الى الدين وكان خلال هذه الفترة مضطهدا هو ومن آمن به ومع هذا فقد صبروا جميعا دون أن يقاوموا الاضطهاد أو يردوا العدوان .. وبعد الهجرة الى المدينة ظل الرسول وأعوانه عامين كاملين يلاقون الاضطهاد ويشهدون تجمع قريش واليهود وبقية العرب للقضاء عليهم فلما بلغ الامر منتهاه وأصبح لزاما على المسلمين أن يدافعوا عن انفسهم صدر الامر الالهى بالقتال « اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير .. »

والقرآنوهو دستور الاسلام أمر المسلمين بأنيترفقوا بالمشركين فكانوا يعرضون عليهم الدين ويناقشونهم فى أموره ويوضحون لهم حدوده ويبرزون أهدافه وكانوا يعاملون أعداءهم فى الجزيرة وخارجها بالحكمة والموعظة وكانوا يبتعدون تنفيذا لاوامر القرآنعنالشدة والقسوة فكانوا رحماء عطوفين .

وتاريخ الاسلام يؤكد ان المسلمين التزموا بحدود القرآن فكانوا قبل أن يخوضوا غمار أية حربيعرضون الاسلام او الجزية فاذا رفض عرضـهم حملوا سلاحهم وخاضوا المعارك وبذلك تكون القوة هى السهم الاخير الذى يقذفه المسلمون فى صدر أعدائهم .

ولا يفوتنا أن نوضح أن أساس الايمان بالاسلام هـو العقل والفكر والنظر والاطمئنان القلبى والحرية وهذا الاساس لايتفق أبدا مع الاكراه أو الخوف أو التهديد فالاسلام كان يخاطب العقل والفكر فاذا استجاب العقل واقتنع الفكر دخل الاسلام الى القلب يملؤه نورا فلايجد صاحبه سبيلا الا أن ينضم الى صفوف المسلمين ..

ولم يحدث أبدا أن أكره عربى على الدخول فىالاسلام والتاريخ يؤكد ذلك فى حادثتين شهيرتين همـا حادثة عمر بن الخطاب وعمير بن وهب .

فعمر بن الخطاب خرج من بيته ثائرا حاملا سيفـه متجها الى حيث يلقى رسول الله فيقتله وكان عمر رجلا قوى الشكيمة حاد الطبع سريع الغضب محبا للهو والخمر وفيه بر باهله ورقة لهم علم باجتماع الرسول ببعض أنصاره فى بيت عند الصفا فقرر أن يقتله لتستريح قريش وتعود اليها وحدتها بعد أن فرق أمرها وسفه أحلامها وعاب الهتها كما يزعمون ولقيه فى الطريق نعيم بن عبد الله فلما عرف هدفه قال « والله لقدغشتك نفسك من نفسك ياعمر أترى بنى عبد منـاف تاركيك تمشى على وجه الارض وقد قتلت محمدا افلا ترجع الى أهل بيتك وتقيم أمرهم » وعلم عمر أن أخته فاطمة وزوجها سعيد بن زيد قد أسلما فتوجه الى بيت أخته ودخل عليهما فاذا عنـدهما من يقرأ عليهما القرآن .. ونحن لانريد أن نسترسل فى ذكر تفاصيل ماحدثولكننا نريـد أن نصل الى نهاية الحادثة فان عمر قرأ القرآن فلان قلبه واطمأنت نفسه وأخذه سمو الدعوة واعجاز الايات وجلالها فخرج من عند فاطمة قاصـدا الرسول لا ليقتله ولـكن ليعلن اسلامه وأصبح عمر قوة تحمى الاسلام وتذود عنه .

وعمير بن وهب كان جريئا قويا التقى به صفوان بن أميه عند الكعبة فاغراه بقتل الرسول أخذا بثار قتلى بدر فقال له عمير « لولا دين على لا أجد له قضاءوعيال لا ارعى لهم شيئا لرحلت الى محمد فقتلته » وعلى الفور أجابه صفوان « على دينك وعيالك أسوة عيالى فى النفقة لايسعنى شىء ويعجز عنهم » ودفع صـفوان الى عمير بسيف سقاه سما وأمره أن يذهب الى المدينة فيقتل الرسول واستجاب اليه عمير وذهب صفوان الى قومه وقال « « ابشروا بفتح ينسيكم وقعة بدر » وخرج عمير حتى قدم المدينة فوجد الرسول فى المسجد فدخل عليه وكان عمر بن الخطاب بجانب الرسول فأمره بأن يتأخر منه ثم سأل عميرا عما أقدمه فقال « قدمت علىأسيرى عنـدكم » فأعاد الرسول عليـه السؤال « أصدقنى مااقـدمك » فأعاد عمير الاجابة فقال له « فماذا شرطت لصفوان بن امية فى الحجر » ففزع عمير وسأل وماذا شرطت له ؟ فاجـاب الرسـول « تحملت له بقتلى على ان يعـول بنيـك ويقضي دينـك والله حائـل

بينك وبين ذلك » فذهل عمير وقال « اشهد أنك رسول الله .. ان هذا الحديث كان بينى وبين صفوان فى الحجر لم يطلع عليه أحد غيرى وغيره فاخبرك الله به .. آمنت بالله ورسوله » وبينما صفوان وقريش تنتظر خبر مقتل الرسول جاءهم من المدينة من يحمل اليهم نبأ اسلام عمير .

عمر وعمير حملا سيفهما لقتل محمد فعاد كل منهما مؤمنا برسالة محمد بعد اقتناع وادراك وفهم ووعى لم يجبر احدهما على الدخول فى الاسلام ولم يتعرض أحدهما لتهديد أو أسلم تحت ظل السيف وهذا دليل قاطع لا حاجة الى دليل بعده على أن الاسلام لم يفرض على عربى .

● أما الادعاء بان الغزوات كانت للسلب والنهب فهذا ادعاء رخيص فالثابت أن الغزوات كانت دفاعا عن الاسلام وصدا للعدوان ودفعا للايذاء وكانما هؤلاء الذين يقولون بهذا الرأى كانوا يريدون من المسلمين ان يمدوا أعناقهم أمام قريش لتقطعها حتى لايقال انهم خاضوا المعارك رغبة فى النهب والسلب .. أى نهب وأى سلب هذا الذى يتحدثون عنه فالرسول قد خاض غزوة بدر بعد أن أفلتت بعثة قريش التجارية من يديه وأصرت قريش على مواجهة الرسول وقتاله وواضح ان الغرض الرئيسى من الاستيلاء على هذه البعثة لم يكن للنهب وانما كان استردادا لحقوق سلبت فى مكة وحتى لو سرح بنا الفكر الى الحروب الاسلامية فى الشام والعراق فان مؤرخا واحدا لم يذكر أن المسلمين وضعوا أيديهم على أرض عدوهم أو غلاته بل تركوا الارض لاصحابها ولم يمسوا الملكية الفردية ولم يؤذوا حرية العقيدة بل ان التاريخ يؤكد أن عمر بن الخطاب قبل ان يخرج من المدينة الى القدس ليتسلمها حين أمر حاكمها على تسليمها اليه وكان فى استطاعة القوات الاسلامية ان تدخلها عنوة .. لقد نسى هؤلاء الدعاة أن الاسلام حمل عن الشعوب التى اندمجت فى دولته عبء الضرائب الباهظة التى اثقل كاهلها يوم كانت تخضع لحكم الفرس والروم ورفع عنها الظلم الاجتماعى والنظام الطبقى ونشر فى ارجائها العدالة بأوسع معانيها حتى ان عمر بن الخطاب أخذ الحق لمصرى غير مسلم من عمرو بن العاص وهو والى مصر من قبل الخليفة دون أن يكون مركز عمرو ومكانته شفيعا له فى خطا ارتكبه ابنه دون علمه ..

كما نسى المدعون أن الاسلام هذب عواطف البشر فى المجتمعات التى انتشر فيها وجعل الناس سواسية احرارا فى عباداتهم اخوانا فى وطنهم متساوين فى الحقوق متعادلين فى الواجبات ولم يكره واحدا على ترك دينه بل جعل حرية العبادة حقا لكل مواطن فله أن يختار دينه وعقيدته فى حرية وأمن واطمئنان .

○ اما مايقولونه عن قانون الجبرية فيدل على التعصب الاعمى الذى يعيشون فى حدوده فان المدعى بهذا الرأى اشار بان الرسول أراد بفرض هذا القانون أن يطيب قلوب أصحابه التى مزقها الاسى والحزن لكثرة من قتل من الصحب فى غزوة أحد ..

وان المطلعين على كتب التاريخ والسيرة ليعجبون لهذا القول الغريب الذى يصدر عن قوم أعماهم الحقد .. لقد كان المسلمون جميعا يتسابقون الى الخروج حتى الشيوخ وحتى المرضى وحتى النساء وحتى الاطفال .. الكل كان يحس بواجبه حيال ربه وحيال دينه وحيال رسوله وحيال وجوده وكيانه .. والكل كان يسعى الى الاستشهاد أملا فى الفوز بالجنة التى وعد الله بها المتقين المجاهدين الذين يستشهدون فى ميدان القتال وفى سبيل الحق .. يقول أنس بن النضر « يارسول الله غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين والله لئن اشهدنى الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع » .. ويقول النعمان بن مالك « يارسول الله لاتحرمنا الجنة فوالذى نفسى بيده لادخلنها » وعمرو بن الجموح يشكو أولاده للرسول لانهم رفضوا خروجه الى القتال لعرج فى قدمه « يارسول الله ان بنى هؤلاء يمنعوننى ان اخرج معك ووالله انما لارجو أن أستشهد » وسعد بن حنيثمه يقول « لقد كبرت سنى ورق عظمى وأحببت لقاء ربى فادع الله يارسول الله أن يرزقنى الشهادة .. وفى غزوة أحد رد الرسول سبعة عشر ممن لاطاقة لهم بقتال لصغر سنهم وكانوا من أبناء أربع عشرة سنة أو أقل وأجاز منهم رافع بن خديج عندما علم أنه رام .

ان المسلمين لم يكونوا أبدا فى حاجة الى الجبرية لانهم كانوا يدركون أنهم مجندون منذ أعلنوا اسلامهم وأنهم مطالبون بالعمل الجاد المثمر من أجل حماية الدعوة وأنهم مكلفون بالجهاد الشريف الكريم فى سبيل رفعة الاسلام ورفعة المسلمين .

ومن عجب أن لفيفا من المستشرقين قد وقفوا الى جانب الاسلام يدافعون عنه ويردون على ادعاءات زملاء لهم وهذا الموقف من جانبهم تأكيد لعظمة الاسلام ومن هؤلاء على سبيل المثال كارميل الانجليزى وبوسورث سميث الانجليزى ووليام موير الانجليزى وكايتانى الايطالى وتوماس ارنولد الانجليزى وورمنجهام الفرنسى .

ان هؤلاء كتبوا كثيرا فى الاسلام وبحثوا فى أصوله وابتعدوا عن التعصب الاعمى فكتبوا عن الاسلام بصدق وتصدوا لزملائهم الاخرين الذين هاجموا الاسلام ودافعوا عن الاسلام دفاعا يذكر لهم فيشكر ولعلها خير ما نختتم به هذا المقال قول أحدهم وهو كارميل « ان محمدا داب فى نشر دين الله غير طامح الى مايطمح اليه أصاغر الرجال من رتبة أو دولة أو سلطان غير متطلع الى ذكر أو شهرة » .

اشتراكيتنا اسلامية

الأستاذ محمود محمد زيادة

كثيرا ما سمعنا فى الأيام الماضية ، وما زلنا نسمع أبواقا مأجورة تهاجم الاشتراكية العربية وتتهمها بالخروج على مبادىء الاسلام ، بل لقد وصل الأمر ببعضهم الى أن عدها كفرا ، وتلك الاشاعات المغرضة المضللة أصبحت الآن بعد وعى الشعوب ، وتفتح العقول لا تنطلى على أحد ، فكل فرد أصبح ناضج التفكير يفهم ما وراء ذلك كله من أغراض ، ويدرك أن ما يروجه أعداء الاشتراكية ما هو الا سموم ينفثها من يعيشون على امتصاص دماء الشعوب ومن يقفون من ورائهم يساندونهم ويمدونهم بكل عون « لحاجة فى نفس يعقوب » .

انه لعجب أى عجب أن نعيش فى النصف الثانى من القرن العشرين ، ونرى حفنة من الناس أسعدهم الحظ ، ومكنتهم ظروف خاصة ، ينهبون خيرات شعب بأكمله ، ويغرقون فى بحر الملذات بما فيه من كل ألوان الحرام ، فى الوقت الذى لا ينال فيه الشعب — صاحب الحق الشرعى — الا الكفاف الذى لا يمسك رمقا ، ولا يشعر معه الانسان بأى معنى من معانى الحياة .

أفى الحق أن يشقى الفقير بفقره
وأخو الجهالة فى الغواية يسرف!

يا قوم : ان رسول الاسلام محمد بن عبد الله — صلوات الله وسلامه عليه — يقول لكل مسلم مخلص متمسك بدينه : « من كان معه فضل ظهر ، فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » .

يقول راوى الحديث : وذكر رسول الله أنواعا من المال حتى عددنا أن لا حق لأحدنا فى فضل .

نعم : هذا هو الاسلام ، والرسول فى هذا الحديث يطلب من كل انسان عنده شىء زائد عن حاجته ان يعطيه لمن هو فى حاجة اليه . والطلب هنا كما نرى فى الحديث بصيغة الأمر « فليعد » وليس بصيغة التمنى أو الرجاء .

فماذا تقولون بعد ذلك أيها الخارجون المضللون ؟ واين أنتم الآن – وانتم تتمسحون فى الاسلام ، والاسلام منكم براء – أقول : أين أنتم وما فعله جابر الأنصارى – رضى الله عنه – حينما ذهب المسلمون الى غزوة من الغزوات ، وقد كان له جمل بينما بعض اخوانه المسلمين ليس معه ما يمتطيه ، فجعل يتعاقب معهم ركوب الجمل ، وليس له الا عقبة كعقبة أحدهم من جمله .

هذا هو الاسلام الحق ، وها هم أولاء رجاله الأبرار المخلصون ، يقولون ويفعلون ، يؤمنون وينفذون ، ولم يكونوا فى يوم من الأيام مجرد أبواق صدئة كما نرى الآن فى « فيصل » مثلا ، وقد ذهب الى أسياده وأولياء نعمته الأمريكان ، ليتخذ منهم ركيزة تثبت ملكه المتأرجح ، وتكأة تسند عرشه المترنح متجاهلا قول الله تعالى : (يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) . . وقوله – سبحانه – « ومن يتولهم منكم فانه منهم »

استيقظوا أيها الغافلون المارقون من الدين ، واسمعوا صوت القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو الحكم العدل ، والنبراس الذى يبدد ما تعيشون فيه من ظلام الجهل ، ويمحو ما تنشرونه من خرافات وأوهام يعتبر الاسلام بريئا منها براءة الذئب من دم ولد «يعقوب».

هذا القرآن الكريم يقول :

« وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » .. ويقول « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم ».

ومعنى ذلك دون مراء : أن المال مال الله .. وأن الأغنياء خلفاؤه فيه . فهل تريدون بعد ذلك الا أن تحرفوا الكلم عن مواضعه ؟ ثم بعد ذلك نراكم ترفعون راية الاسلام فى تبجح ، وكأن هذا الدين ما أوجده الله فى هذه الأرض الا لتأخذوا منه ما يوافق أهواءكم ! وهو فى حقيقة أمره وجوهره الأصيل لكل الناس ، وليس لطائفة محظوظة منهم ساعدتها ظروف خاصة على أن تتمتع بكل ما لذ وطاب كطائفة الاقطاعيين التى عاشت فى وطننا حقبا طويلة تستعبد الشعب .. تأخذ منه كل شىء ، ولا تعطيه أى شىء .

هذه الطبقة كما نعرف استولت على الاقطاعيات الشاسعة نتيجة الغدر والخيانة ، فمنهم من خان عرابى ، ثم أخذ الثمن أرضا لا تحصى ولا تعد ، ومنهم من مالأ محمد على وأسرته ، وأقرهم على ملذاتهم ، وساعدهم على شهواتهم ، ثم كان له ما كان من ضيعات بما فيها ومن فيها .

وقد ساقنى الى التحدث فى ذلك ما يردده الذين لا يعرفون الحقيقة من أن هؤلاء الاقطاعيين قد جمعوا كل الذى جمعوه بعد كد عرق وجهد ، فكيف بعد ذلك تبدد ثرواتهم ، وتوزع على الذين لم يكدوا ، ولم يسل عرقهم ولهؤلاء وأمثالهم ممن لا يفقهون نقول :

أولا – الاسلام أعطى للفرد حق الملكية ، وأباحها بطريق العمل والكسب الحلال .. فالرسول – عليه السلام – يقول : **ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده** » . ولنا فيه – عليه الصلاة والسلام – أسوة حسنة حيث كان يرعى الغنم ، ويتاجر فى مال خديجة متنقلا من بلاد الى بلاد ، متحملا وعثاء السفر ، ووحشة البعد عن الأهل والعشيرة ، وما زال حديثه الشريف: **« اذا قامت الساعة وفى يد أحدكم غرسة ، فليغرسها » يدق ناقوس العمل والسعى الدائب ، ويحذر من التراخى والتواكل .**

وهذا هو الخليفة الأول « أبو بكر الصديق» – رضى الله عنه – وقد ولى الخلافة يأخذ بعض الثياب ، ويذهب بها الى السوق ليبيعها ويتاجر فيها ، فيقابله « عمر » ويسأله ماذا أنت فاعل ؟ فيقول له الصديق : انى أتاجر ليأكل عيالى : فيغضب « عمر » ويذهب مع أبى بكر الى أبى عبيدة الجراح – صاحب بيت المال – ليقرر للخليفة راتبا نظير ولايته أمور المسلمين .. ثم يموت « أبو بكر » بعد أن أوصى أن يرد الى بيت المال ما عنده من وعاء كان يأكل فيه ، وفراش كان ينام عليه، ولم يترك لأولاده شيئا من متاع الدنيا .

هذا ما فعله أبو بكر ، فأين منـه ما كان يفعله الحكام السابقون فى بلدنا من سرقات لأقوات الشعب ، واثراء على حسابه ، وامتلاك اقطاعيات ورثوها أبناءهم ، وحدث ما حدث من تطاحن بينهم وتقاتل فى ميدان السلب والنهب .

تداعوا للوغى فهوى صريعـا
على أيديهم الوطن الشهيـد
مضت أسلابه تزجى اليهـم
فمأتمه لدى الاقوام عيـد

وكانت الطبقية التى عانى منها شعبنا ، وشرب منها كأس المذلة مترعة حتى جاءت ثورتنا الرشيدة الحازمة ، فبدلت كأس المذلة كأس العزة والسيادة والكرامة ، ليشرب منها شعب طال حرمانه ، واشتد ظمؤه ، فتطلع الى يوم الخلاص ، ولم يخلصه ولم يسيده الا « جمال عبد الناصر » الذى وهب حياته وكرسها من أجل شعب مصر ، بل ومن أجل شعوب الأمة العربية جمعاء .

ثانيا - أباح الاسلام لولى الأمر أن يتخذ من الوسائل ما يرد به الحق لأصحابه ، كما أباح له أن ينزع الملكية الفردية ، ويجعلها ملكية عامة اذا اقتضى ذلك صالح الجماعة .
ومن أمثلة النوع الأول : أنه كان لرجل من الأنصار بستان ، ولآخر نخل فيه ، وكان صاحب النخل يدخل فيؤذى صاحب البستان وأهله ، وحينما اشتكى صاحب البستان الى النبى - صلى الله عليه وسلم - قال النبى لصاحب النخل : بعها لأخيك فأبى ، فقال النبى : فأزلها ، فأبى .. فقال عليه الصلاة والسلام : فهبها ، ولك مثلها فى الجنة ، فأبى

فقال النبى : فأنت مضار : وأمر صاحب البستان بقلع النخل .

أما النوع الثانى من أمثلته : أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - هدم دورا كانت حول المسجد الحرام لتوسعته حينما رأى مصلحة المسلمين فى ذلك .

وقد طلب « أبيض بن جمال المأربى » من الرسول - عليه الصلاة والسلام - أن يملكه ملح مأرب ، فملكه اياه ، ولما احتاج اليه المسلمون استرده منه حتى لا يستقل فرد بملك شئ له نفع عام .

هذا هو الدين الاسلامى على حقيقته ، لا كما فهمته الرجعية العفنة التى عاملتها ثورتنا البيضاء بكل سماحة ، وليس كما يعتقد الاقطاعيون الذين أعطتهم الثورة فرصة المواطن الصالح ، ولكنهم بجهلهم وغبائهم وجشعهم لم يقدروا ذلك النبل ، ولم يفهموا تلك المعاملة على وجهها الصحيح ، فبدأوا يكيدون ويتآمرون جريا وراء سراب فى صحراء عسى أن يعود اليهم شئ من مجد ضائع ، ومكانة زائفة ، وسرعان ما هبت الثورة - وهى المارد العملاق - لتمسك بسيف العدل والدفاع عن الشعب الذى آمن بها ، وشعارها :

فجرد حسامك من غمـده
فليس له بعد أن يغمـدا

لك الله يا « جمال » ، ويحميك لأنك تحمى الحق ، ويرعاك لأنك ترعى الشعب ، ويؤيدك لأنك تؤيد العدل الذى حمل الاسلام لواءه فى كل زمان ومكان .

تاريخ التشريع الإسلامي في مصر

"٧"

المدرسة الخامسة ٢٠٠ - ٢٥٠ هـ

المذهب الشافعي في مصر

الدكتور
حامد حفني داود

لا يكاد القرن الثانى ينسلخ من حياة البيئة المصرية ويطالعها القرن الثالث حتى يظهر مذهب فقهى جديد ينافس المذهب المالكى الذى رسخ فى هذه البيئة خلال نصف قرن من الزمن . هذا المذهب الجديد هو المذهب الشافعى المنسوب الى عالم قريش المشهور محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع المطلبى القرشى ، والذى فيه جاء الحديث « عالم قريش يملأ طباق الأرض علما . »

ولد الشافعى بغزة سنة ١٥٠ هـ فى نفس السنة التى مات فيها الامام الأعظم أبو حنيفة النعمان . وحملته أمه الى مكة وهو ابن سنتين ، وكانت أمه من قبيلة « الأزد » احدى فروع « كهلان » من العرب العاربة . وهكذا ورث الشافعى خصائص الأمتين العربيتين : المستعربة من ناحية أبيه ، والعاربة من ناحية أمه . فهو عربى أصيل أبا وأما .

ونشأ الشافعى نشأة مثالية جمع فيها بين تحصيل علوم الدين وعلوم الأدب . فيروى لنا ياقوت عن الربيع بن سليمان ، قال : سمعت الشافعى يقول : كنت أنا فى الكتاب أسمع المعلم يلقن الصبى الآية فاحفظها أنا ... ولقد كنت حفظت جميع ما أملى ، فقال لى ذات يوم : ما يحل لى أن آخذ منك شيئا ... ثم لما خرجت من الكتاب كنت ألتقط الخزف والدفون وكرب النخل وأكتاف الجمال أكتب فيها الحديث ، وأجىء الى الدواوين وأستوهب منها الظهور « أى الاوراق » فاكتب فيها حتى كانت لأمى حباب فملأتها أكتافا وخزفا وكربا مملوءة حديثا ، ثم انى خرجت من مكة فلزمت هذيلا فى البادية أتعلم كلامها وآخذ طباعها وكانت أفصح العرب . قال : فبقيت فيهم سبع عشرة سنة أرحل برحيلهم وانزل بنزولهم فلما رجعت الى مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر الآداب والأخبار وأيام العرب .

والظاهر أن وجهته الى اللغة والأدب كانت غالبة على طبعه وثقافته فى مطلع حياته فقد روى أصحاب التراجم عن مصعب بن عبدالله بن الزبير : أنه خرج الى اليمن فلقى الشافعى وهو مستحض فى طلب الشعر والنحو والغريب ، قال : فقلت له : الى كم هذا ؟ لو طلبت الحديث والفقه كان أمثل بك !

وتدل الروايات التاريخية على اختلافها أنه على اثر هذه الحادثة أخذ الشافعى يؤثر الفقه على اللغة والأدب ، فانطلق الى المدينة حيث التقى بفقيهها الأول مالك بن أنس ، فانتهل من مورده وأخذ ما عنده من حديث وأثر مشهور ، ولم يكد يجتمع بشيخ من شيوخ المدينة وفحولها الا وتفقه عليه وجمع كل ماعنده . وكان الشافعى منذ هذه النشأة المبكرة يتمتع بحافظة وذاكرة يغبطه عليها معاصروه من العرب والموالى . فحفظ مالم يحفظه غيره ووعى من السنة وآثار الصحابة والتابعين وعلوم عصره واختلافاتهم الفقهية ما لم يعه فقيه على وجه الأرض .

وبعد أن عب وارتوى من السنة فى المدينة رحل الى بغداد فى سنة ١٩٥ هـ فالتقى بفقهائها الذين كانوا فى ذلك الوقت يخالفون فقهاء المدينة حيث كانوا يؤثرون العقل على النقل والرأى على النص ، ثم انقطع الى صحبة محمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة وآثره على غيره .

والروايات التاريخية فى رحلات الشافعى فيها شىء من الاختلاف فى الرواية . ويدل بعضها على أن الشافعى رحل الى اليمن عقب وفاة مالك ثم حمل من اليمن الى العراق فيمن حمل اليها من العلويين بأمر الخليفة هارون الرشيد ، وأنه فى هذه الآونة شاهد محمد بن الحسن فى حضرة الرشيد وكان من أخص فقهائه . وقد وقعت بينه وبين محمد بن الحسن مناظرات فقهية نالت اعجاب الرشيد ، وكان الشافعى ذكيا كريما ورعا فثبت ذلك من مكانته فى نفوس حياشية الرشيد ونال من محمد بن الحسن اعجابا وتعظيما لاسيما بعد الذى بلغه من انتصار عظيم عليه فى هذه المناظرات .

وكان آخر مطاف الشافعى فى رحلاته الطويلة هو مصر . وفيها قضى البقية الباقية من حياته ، وهى مدة لا تزيد على ست سنوات تبدأ من قدومه سنة ١٩٨ هـ الى وفاته سنة ٢٠٤ هـ .

وكان سبب قدومه الى مصر أن العباس بن عبدالله ابن العباس بن موسى بن عبدالله بن العباس استصحبه فصحبه ، وكان العباس هذا خليفة لأبيه عبدالله على

مصر ، ولم يزل الشافعى الى ان ولى السرى بن الحكم البلخى مصر واستقامت له . وكان يكرم الشافعى ويقدمه ولا يؤثر أحدا عليه . وكان الشافعى محببا الى الخاص والعام لعلمه وفقهه وحسن كلامه وأدبه وحلمه.

هذه المدة التى قضاها الشافعى فى مصر والتى لا تزيد على السنوات الست الاخيرة من حياته كانت فى الواقع أخصب فترة فى تاريخ الفقه الاسلامى كله حيث أسس فى أثنائها مذهبه الجديد فى مصر وتانس فيه بمذهب أبىحنيفة فى العراق ومذهب مالك فى المدينة على الرغم من أنه لم يعمر أكثر من أربع وخمسين سنة .

ولناخذ فى الحديث عن جوانب شخصية هذا الامام العظيم ولنبدأ ذلك بحديثنا عن :

١ ــ الشافعى الامام الفقيه

لم يكد الامام محمد بن ادريس يهبط أرض مصر فى آخرالقرنالثانى الهجرى حتى احدث فىالبيئة المصرية ثورة فكرية لم تشهد مصر مثلها من قبل ولا من بعد . ولم تكن هذه الثورة الفكرية قاصرة على ناحية معينة من مناحى الفكر بل شملت العلوم الدينية والمدنية جميعا وراحت وامتدت حتى ضمت الأدب من سائر أطرافه .

وقد كان للوراثة والبيئة اللتان التقتا فى شخصية الامام الشافعى أثر خطير فى خلق هذا الاستعداد الفكرى الذى تميز به الشافعى من بين ائمة الفقه فى أواخر القرن الثانى وأوائل الثالث . فقد كان كما ذكرنا يجمع فى دمه الأصالة العربية من أطرافها فهو قرشى من ناحية أبيه ويجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم فى « عبد مناف » ، وهو أزدى من ناحية أمه . وقد أعانته هذه الوراثة على ان يكون أكثر من غيره من الفقهاء تفاعلا وامتزاجا بالعروبة فاكسبه ذلك فصاحة النطق وذرابة اللسان ، وأمده بقوة البيان ووضوح الحجة والشجاعة فى الرأى والقول .

هذه الثورة الفكرية التى أفادها الشافعى من وراثته كانت فى نفس الوقت انعكاسا مباشرا للبيئة العامة والخاصة التى كان يحياها فى هذه الحقبة من التاريخ. فقد عاصر الشافعى فى حياته أشهر الخلفاء العباسيين فى التاريخ الاسلامى ، كما عاشت مدرسته فى مصر فترة تعتبر من أزهى عصور التشريع الاسلامى فى مصر ، حيث عاصرت من الخلفاء العباسيين فى العراق المأمون ، والمعتصم ، والواثق ، والمتوكل ، والمنتصر ، والمستعين. وكان يحكم مصر فى خلال هذه المدرسة ولاة من قبل الخلفاء العباسيين السالفى الذكر . وقد كان هؤلاء الولاة من الكثرة بمكان ولاسيما بعد أن تغلب الأتراك على مراكز القيادة فى الدولة العباسية ابتداء من عصر الخليفة المعتصم الذى وكل أموره الى قواده الاتراك وفوض اليهم ادارة الدولة ، وقد كان لأشناس وايتاخ بنوع خاص نصيبالأسد فى عزل الولاة وتوليتهم فىمصر. واكمالا للصورة التاريخية نذكرلك ولاة مصر خلال هذه المدرسةوهمعلى الترتيبالتاريخى : السرىبنالحكمالبلخى مولى بنى ضبة ، وأبو داود سليمان بن غالب البجلى ، فالسرى المذكور ــ للمرة الثانية ــ ومحمد بن السرى ، وعبد الله بن السرى ، والقائد المغوار عبدالله بن طاهر ابن الحسين الخزاعى المصيصى أمير خراسان المشهور ، وعيسى بن يزيد الجلودى ، وعمير بن الوليدالباذغيسى التميمى ، فعيسى بن يزيد ــ للمرة الثانية ــ ، وعبدويه بن جبلة من الابناء ، وعيسى بن منصور الرافقى مولى بنى نصر ، وأبو مالك نصر بن عبدالله الصغدى المشهور بكيدر ، وكانوا فى خلافة المأمون . وتولى منهم فى خلافة المعتصم : المظفر بن كيدر ، وموسى ابن أبى العباس ، ومالك بن كيدر ، وابو الحسن على ابن يحيى الأرمنى ولاه أشناس التركى ، وتولى منهم فى خلافة الواثق : عيسى بن منصور ــ للمرة الثانية ــ ولاه أشناس . وتولى منهم فى خلافة المتوكل : هرثمة بن نصر الجبلى ولاه ايتاخ التركى ، وحاتم بن هرثمة ، فعلى بن يحيى ــ للمرة الثانية ــ ، واسحاق بن يحيى بن معاذ الختلى ــ نسبة الى ختلان قرية عند سمرقند ــ ، وعبد الواحد بن يحيى بن منصور مولى خزاعة وابن عم طاهر بن الحسين ، وعنبسة بن اسحاق بن شمر ، وأبو خالد يزيد بن عبدالله بن دينار التركى .

فى هذه البيئة المصرية نشر الشافعى مذهبه الجديد، وهو المذهب الذى مثل فيه هذا الامام الجليل المنهج المعتدل بين المعقول والمنقول . فلم يأخذ بالمنقول وحده ويترك ما عدا القرآن والسنة كما فعل مالك بن انس فى المدينة . ولم يؤثر المعقول وحده ويقدم الرأى والقياس على السنة أو يبالغ فى التحفظ حين يتناول الأحاديث المروية عن الصحابة والتابعين كما فى فعل أصحاب الرأى فى العراق مثل أبى حنيفة وصاحبيه أبى يوسف ومحمد بن الحسن الشيبانى . بل سلك الشافعى فى منهجه الفقهى طريقا وسطا بين المنهجين النقلى والعقلى ، وجمع بين الحسنيين . ولم يضيع المنقول أو يهمل المعقول . فزاوج بين هذا وذاك ، وألف مذهبا فقهيا يعتبر حلية المذاهب الفقهية فى تاريخ التشريع الاسلامى كله .

ونحن ــ لا شك ــ نعتبر هذا الامام العظيم نقطة البدء والانطلاق فى الفقه الاسلامى فى مصر . ذلك لأن المذاهب التى سبقته الى هذه البيئة كانت تعتبر فىعداد المذاهب الفقهية الدخيلة ، ونعنى بذلك مذهب مالك وما عرف من مذهب أبى حنيفة فى ذلك الوقت . أما هذا المذهب الجديد ــ وقد عرفنا أن المطاف انتهى بصاحبه فى هذه البيئة ــ فقد أصبح مذهبا مصريا خالصا ولو من هذا الاعتبار المكانى ، كذلك للذى بلغه هذا الامام من تشعيب وتفريع فى مسائل الفقه الى القدر الذى نافس فيه مذهب مالك حتى اجتذب الى مجلسه الكثيرين من تلاميذه المشهورين فى مصر . ومن ثم أصبح مذهب الشافعى بعد هذه المنافسات المستمرة والمناظرات العلمية الكثيرة الحادة ، وما كان يثيره مع خصومه من جدل ونقاش ــ صاحب الرياسة والتقدم على غيره من المذاهب الفقهية .

وقد عاصر المدرسة الشافعية عدد ليس بالقليل من المحدثين والقراء والفقهاء . فمن المحدثين عبدالله بن صالح الجهنى كاتب الليث توفى سنة ٢٢٢ هـ ، وعثمان ابن صالح بن صفوان السهمى ، وأبو عبدالله محمد بن رمح التجيبى ، قال عنه النسائى ما أخطا فى حديث واحد توفى سنة ٢٤٢ هـ ومن القراء المتفقهين المعاصرين فىهذهالمدرسة : أحمد بنصالح المصرى روى عنهالبخارى وأبو داود ، وداود بن أبى طيبة المصرى ، وأبو يعقوب الأزرق يوسف بن عمرو المدنى المصرى تلميذ ورش المصرى وانفرد عنه ببعض الأحكام فى علم القراءات توفى فى حدود ٢٤٠ هـ .

أما الفقهاء المعاصرون فكان أكثرهم من أتباع الشافعى وأشياعه . ومن المشهورين منهم ابن عم الشافعى محمد بن عبدالله بن محمد ، وابن بنت الشافعى أبو بكر بن محمد . ومن أشهر أصحابه : البويطى أبو يعقوب يوسف بن يحيى القرشى أحد أئمة المذهب وخليفة الشافعى فى حلقته بعده توفى سنة

٢٣١ هـ ومنهم حرملة بن يحيى بن عبدالله النجيبى وله آراء مستقلة وكان احد المجتهدين فى المذهب توفى سنة ٢٤٣ هـ . ومن أجلاء تلاميذه المزنى ابو ابراهيم اسماعيل بن يحيى ، وفيه يقول الشافعى : لو ناظر الشيطان لغلبه توفى سنة ٢٦٤ هـ .

ومن المالكية الذين عاصروا الشافعى ومدرسته وثبتوا على مذهبهم : أصبغ بن الفرج الأموى المصرى ، وسعيد بن كثير بن عفير المصرى ، وعبد الملك بن شعيب ابن الليث بن سعد توفى سنة ٢٤٨ هـ ، والحارث بن مسكين بن محمد توفى سنة ٢٥٠ هـ ، ومحمد بن عبدالله ابن عبد الحكم المصرى ومع أنه كان من مشاهير اتباع مالك الا انه صاحب الشافعى ولازم حلقته طوال حياته.

هذه المدرسة التى اسسها الشافعى فى مصر كان لها أثر خطير فى الفقه الاسلامى كما كان لها أثر فى رواية الحديث . فعلى رجال هذه المدرسة تتلمذ المحدثون المشهورون فى تاريخ الحديث كالبخارى ومسلم وأبى داود والنسائى وابن ماجة وغيرهم من طبقة المحدثين الأول ورجال السنن .

والواقع ان النهضة الفقهية التى أحدثها الشافعى فى مصر تعتبر رد فعل لشخصيته العلمية . ونحن نعزو الكثير من جوانب هذه النهضة الى رحلاته الكثيرة التى انفرد بها بين أئمة الفقه الاسلامى وقد كانت بالتالى سببا من اسباب انتشار مذهبه وذيوع صيته . وحول شخصيته العلمية نسج تلاميذه والمعجبون به الكثير من القصص والحكايات الدالة على مناقب هذا الامام وعلو كعبه فى عالم الفكر الاسلامى . فقد روى عن ابن عبد الحكم : « لما حملت أم الشافعى رأت المشترى خرج من فرجها حتى انقض عصر ثم وقع منه فى كل جهة شظية » ففسرت الرؤيا بانه يخرج عالم يخص علمه اهل مصر ثم يتفرق فى سائر البلدان .

ونستطيع ان نقول : ان مطلع القرن الثالث فى مصر كان فيصلا بين المذهب المالكى والمذهب الشافعى . كما كان بحق نقطة انطلاق للمذهب الشافعى الذى انتشر فى البيئة المصرية منافسا لمذهب مالك، على حين عجزمذهب الليث من قبل أن يهز من اركان هذا المذهب أو ينال منه على الرغم مما عرف به الليث من علم غزير شهد به لهالشافعى نفسه .

هذه السنوات الست التى قضاها الشافعى فى مصر كانت جرثومة التطور فى مذهبه . فقد جاهد خلالها جهاد الأبطال فى نشر هذا المذهب محدثا هذه الثورة الفكرية التى أوضحناها لك . ومع أن المصريين لم يحفلوا أول الامر بهذا المذهب الجديد الا انهم أخذوا بعد التجربة وما بهرهم من كلام الشافعى البليغ ولسانه الفصيح يقبلون على تلقى العلم منه . وكان من هؤلاء بعض انصار مالك نفسه مثل محمد بن عبدالله بن الحكم الذى أسلفنا الحديث عنه ، ومن ثم كان لابد من أن تحدث المجالس الفقهية التى أقامها الشافعى فى جامع عمرو صراعا فكريا ضخما فى مجال التشريع الاسلامى . وتمخض عن ذلك انقسام المصريين الى فريقين : فريق انحاز الى مالك ، وآخر انحاز الى الشافعى ، بعد أن كادوا يجمعون على آراء مالك . وعرفوا أن فقه الشافعى غير فقه مالك . ولما رأى المتعصبون من رؤساء المالكية فى مصر هذا القدر من الاختلاف بين المذهبين رموا الشافعى باشياء كثيرة ، فقد روى ابن خلكان حديثا لمحمد بن عبدالله بن الحكم انه قال : « كنت اتردد على الشافعى فاجتمع قوم من أصحابنا الى أبى . وكان على مذهب مالك ، فقالوا له : يا أبا محمد ، ان محمدا ينقطع الى هذا الرجل ويتردد اليه فيرى الناس ان هذا رغبة عن مذهب أصحابه . فجعل يلاطفهم ويقول : هو حدث ويحب النظر فى اختلاف أقاويل الناس ومعرفة ذلك . ويقول لى فى السر : يا بنى الزم هذا الرجل .

فالمدرسة الشافعية استطاعت أن تنافس المدرسة المالكية فى مصر ، وقد هيأت فى مصر جوا جديدا من البحث العلمى فى الفقه لم يعهد أو يعرف من قبل . وصار اتباع الشافعى من القوة بحيث استطاعوا أن يقفوا أمام اتباع مالك وينافسوهم ويناظروهم فى هذه الخلافات الفقهية التى كانت تثار بينهم . وهكذا اخذت أذهان الفقهاء المصريين تتنبه لهذه المجادلات العنيفة والمناظرات الشيقة التى لم يكن لهم بها عهد . وليس بعجيب أن نلحظ مثل هذه المناظرات وقد عرفنا آنفا كيف نهج الشافعى نهجا وسطا جمع فيه بين المنقول والمعقول وبين الرواية والدراية .

وفى هذا المنهج الفقهى المعتدل الذى استنه الشافعى رضى الله عنه أخذ تلاميذه ومريدوه من المصريين يؤلفون كتبا فى هذا المنهج وفى الدفاع عنه ، وأسهموا فى هذا النحو من التأليف العلمى الذى لم يعرفه المصريون من قبل ، بعد أن اقتبسوا طريقة أستاذهم فى الكتابة العلمية الجامعة . فكان الشافعى يأتى بالآية فيفسرها أو الحديث فيشرحه ثم يأخذ فى دور الاستنباط ثم القياس ثم يأخذ من ذلك ما ينتهى اليه من رأى مختار. ويختار فى ذلك كله من الالفاظ الجياد الدقيقة ما يلائم هذه المعانى . وهذا فن لم يعرف قبل الشافعى فى أسلوب الفقه الاسلامى ، ومن أجله اعتبر الشافعى واضع أصول الفقه الاسلامى .

أفاد تلاميذ الشافعى ومعاصروه من هذا الاسلوب العلمى فى الفقه الاسلامى المصرى . وأخذوا يحولون عبارات أستاذهم الى نصوص علمية محذوفة السند كهذا الذى نراه فى كتاب « مختصر المزنى » . ودليلنا على ذلك أن المزنى يقول فى مقدمة هذا الكتاب : « اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن ادريس الشافعى رحمه الله ومن معنى قوله لاقربه على من أرده .. » فهو قد اخذ كلام الشافعى وفهمه حق فهمه وكتبه على طريقة أستاذه ، ولكن دون أن يأتى بالأسانيد ... وبذلك انتشرت الروح العلمية فى الفقه الاسلامى عند المؤلفين المصريين ، اذ صار من السهل أن يختاروا ألفاظا تؤدى المعانى التى يقصدونها . وذلك ما تراه واضحا فى كتاب « الأم » الذى صار مثالا تحتذيه المدرسة الشافعية . وكتاب الأم ليس كتابا واحدا بل هو مقسم الى عدة أبواب وكتب كما يسميها ، وقد ذكر فى كل باب منه موضوعا خاصا .

وقد ترك لنا الشافعى فى فقهه كتبا قيمة أخرى غير كتاب الأم أفاد منها تلاميذه وهى كثيرة . وقد ذكر يا قوت الحموى له ما يقرب من مائة واثنتين وأربعين رسالة . ومن أشهر مؤلفاته ـ غير كتاب الأم ـ الأمالى الكبرى ، والاملاء الصغير ، ومختصر البويطى ، ومختصر المزنى ، ومختصر الربيع ، والرسالة ، والسنن .

وللشافعى دراسات فقية عميقة انفرد بها دون سائر فقهاء الاسلام ، فهو أول من صنف فى أصول الفقه باجماع المؤرخين ، وهو أول من قرر ناسخ الحديث من منسوخه . هذا بالاضافة الى ابداعه المنهج الفقهى الجامع بين فرائد المنقول ومحاسن المعقول .

وسنحدثك فى المقال القادم عن جوانب أخرى من شخصية هذا الامام الجليل .

« يتبع »

الاشتراكية فى الاسلام

الأستاذ محمد المتولى النظامى

قرر الدين الاسلامى أصول التنظيم للعلاقات البشرية ولشئون الحياة بما يحقق الحياة الكريمة للأفراد والجماعات فدعا الى العمل والسعى لكسب الرزق بالطرق المشروعة وبين لنا أننا انحدرنا جميعا من أصل واحد لنعيش اخوة متحابين متساوين فى الحقوق والواجبات .. قال تعالى ((هوالذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور)) وقال تعالى « انما المؤمنون اخوة » ومقتضى الأخوة أن تكون امورنا شورى بيننا ، وأن تكون الحياة لنا جميعا ، فما الحياة الانعمة من الله يجب ان يتساوى فى الاحساس بهذه النعمة جميع الناس ، وما الانسان الامستخلف من قبل الله فى تنمية المال بالوسائل المشروعة ، وفى الانفاق منه فى الأمور المشروعة بما يعود بالخير على الفرد ، وبما يحقق النفع العام للمجتمع قال تعالى ((آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه))

ولقد وضع الدين الاسلامى مبادىء ونظما اقتصادية منذ حوالى اربعة عشر قرنا حققت العدل والاخاء والرخاء للجميع ، وعملت على تحقيق المساواة النسبية بين الأفراد وامتازت بتغلب الجانب الخلقى فيها ، وتغلبت مصلحة المجتمع على مصلحة الفرد باستمرار .

فالاسلام لم يجعل الفرد آله مسخرة فى الانتاج ، ولم يعط الفرد الحرية المطلقة فى التملك مما يؤدى الى تجميع الثروة فى أيدى فئة قليلة بل سلك طريقا وسطا قرر فيه حق كل فرد فى الحياة الكريمة ، وأباح له حق التملك المشروع جزاء ما يبذل من جهد ،ولكن لم يجعل حرية التملك للمال مطلقة بل قيدها بشروط لتملك المال وتنميته ، وشروط للانفاق منه ، وجعل رقابة على الكسب والانفاق ،واتخذ لذلك وسائل تحقيق العدل كما تحقق المساواة النسبية بين الافراد ، وترفع مستوى الشعب

اقتصاديا ومعنويا وعقليا ، وأباح لولى الأمر حق الضرب على يد كل مالك لايتقيد بهذه الشروط ، ولايؤدى مافى الملكية من حقوق للشعب ، كما أباح له حق نزع الملكية وتوزيعها على الشعب ومصالحه حسبما توجبه المصلحة العامة وسنتعرض لذلك كله بشىء من التفصيل

شروط التملك :

حرم الاسلام تملك كل مالا يتفق مع الأخلاق ، او مع المصلحة العامة للمجتمع ، كما حرم أن يسلك للتملك طريق يؤذى الأخلاق ، أو يضر المجتمع ، ويمكن اجمال الأمور التى قيد بها الاسلام التملك فيما يأتى :

الأمر الأول : ان يكون التملك لشىء يباح تملكه ، فلقد حرم الله تملك الخمر وسائر المخدرات ، كما حرم شربها ـ وذلك نظرا لما فيها من مضار للصحة والعقل وسلب للمال ، وكذلك حرم تملك الخنزير وأكله نظرا لما فيه من مضار صحية قال تعالى ((انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون))

الأمر الثانى : أن يكون التملك بطريق مشروع ، فحرم التملك عن طريق الميسر واليانصيب لأنه كسب للمال من طريق المصادفة كما يؤدى الى أضرار نفسية واجتماعية وخلقية كبيرة ، وحرم التملك عن طريق الربا لأنه يقضى على عاطفة الاخاء فى المجتمع ، وحرم التملك عن طريق المغريات كالملاهى والكباريهات التى لاتتقيد بخلق قديم ، كما حرم التملك عن طريق الغش أو الرشوة أو احتكار حاجة الناس الضرورية ، أو استغلال النفوذ قال عليه السلام **من غشنا فليس منا وقال ٠٠ الراشى والمرتشى فى النار وقال ٠٠ من احتكر طعاما أربعين يوما فقد برىء من الله وبرىء منه الله ، وقال تعالى محذرا من استغلال النفوذ لكسب أموال الناس بالباطل ((ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون))**

وبهذا المبدأ صادر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأموال التى اتت لبعض عمالهم عن طريق استغلال النفوذ ، أو عن طريق الاهداء الذى قصد به تحقيق مأرب فاعتبره رشوة محرمة كما فعل ذلك سيدنا عمر مع كثير من ولاته ٠

الأمر الثالث : يشترط الا يؤدى التملك الى الاضرار بالمجتمع ، والا أصبح التملك ممنوعا وأصبح لولى الأمر حق نزع هذه الملكية متى استوجبت ذلك مصلحة عامة من مصالح الشعب ٠ فلقد أجبر الصحابة أصحاب الأملاك المجاورة للمسجد الحرام على بيع أملاكهم للدولة ليوسع بها المسجد ،وصادر رسول الله أموال واحد من العاملين على جمع الصدقات لأنها اتت عن طريق استغلال النفوذ ، وصادر عمر بن عبد العزيز أملاك أسرته الأموية لصالح الشعب لأن تضخمها أدى الى حرمان الكثيرين من أبناء الشعب من الملكية ودخلها الكثير عن طريق استغلال النفوذ ، وخير زوجته بين الطلاق وبين مصادرة ثوب زفافها المرصع بالجواهر النفيسة فأعطته الثوب فصادره ٠ والله يمنع أن يصبح المال مكدسا لدى الأغنياء ويحرم منه الفقراء والمصالح العامة قال تعالى بعد أن أمر بقسمة الفىء على طوائف كثيرة ذاكرا السبب فى هذا ((كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم)) اى كيلا يصبح المال متداولا بين الأغنياء ويحرم منه الفقراء

الأمر الرابع :

أنه بانتهاء حياة المالك تؤول الملكية لغيره وتخضع لقواعد الميراث التى تفتت الثروة الى ملكيات صغيرة ، وتعطى القرابات أنصبة متفاوتة ، وتؤدى الى انتفاع أكبر عدد بالثروة حتى أن الاسلام لايسمح لصاحب التركة بأن يوصى لوارث ، حتى لا تتضخم الثروة فى يد فرد ، ويسمح بالتصرف فى محيط الثلث لغير وارث ، وذهب كثير من العلماء الى منع الوقف الأهلى لأنه يؤدى الى حبس الثروة عن التداول الطبيعى .

شروط الانفاق

قيد الاسلام الانفاق بأمرين ، وأوجبه أو سنة وحث عليه فيما يقرب من خمسة أمور فى الوقت الذى فرض على كسبه وانفاقه ثلاثة أنواع من انواع الرقابة .

فلقد قيد الاسلام الانفاق بأن يكون فى أمور مشروعة فحرم انفاقه على الشهوات والملذات المحرمة ، كما أوجب أن يلتزم الاعتدال بين التبذير والتقتير فى الانفاق . فحارب التقتير لأنه كنز للمال واحتكار له يؤدى الى طغيان طبقى قال تعالى « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم . كما حارب التبذير لأنه يؤدى الى الافلاس والتشرد والهزات النفسية قال تعالى **« واذا اردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا »**

أما الأمور التى أوجب الاسلام الانفاق فيها وحثنا عليها تحقيقا للمساواة النسبية وعلاجا للفقر فهى .

أولا : الزكاة بأنواعها المفروضة : وهى نصيب فرضه الله فى المال والزرع والتجارة والحيوان وكل ماهو مقوم يقوم بجمعها بيت المال ، وتوزيعها على المحتاجين ، وعلى المصالح العامة وعلى الجند .

والمقصود بها أن تسد حاجة المستحقين ، وتفرج الأزمات ، فان لم تنفرج الازمة فان دفع القدر المفروض لايبرىء ذمة المالك ، ولابعضه من المسئولية ، وعلى الحكومة ان تاخذ من أموال الاغنياء ما يسد الحاجة قال صلى الله عليه وسلم (أى رجل مات جوعا بين اغنياء فقد **برئت منهم ذمة الله ورسوله »**

ثانيا : الصدقات بأنواعها المسنونة ، حثنا الدين عليها ورغب فيها . ولو تصدق القادرون تلبية لنداء الدين والضمير لأسهمت الصدقة فى تقريب الفوارق بين الغنى والفقير اسهاما فعالا قال صلى الله عليه وسلم « **من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته »**

ثالثا : اوجب الاسلام على الانسان كفارات تعطى للفقراء والمحتاجين وذلك عندما يقع منه هفوات ممنوعة دينيا وأخطاء كما اذا أفطر فى رمضان اوحنث فى يمين أو ارتكب محظورا من محظورات الحج

رابعا : جعل الاسلام على الغنى حق الانفاق على قريبه الفقير والعاجز عن الكسب ، كما جعل للجار عليه حقوق وواجبات . وأوجب على أهل كل حى أن يتعاونوا ، وان يقوم الشبعان بسد حاجة الجائع المحتاج .

قال صلى الله عليه وسلم ، ليس منا من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم .

خامسا : دعانا الاسلام الى الاسهام فى علاج النكبات التى تحل بالمجتمع ، والى التضحية بالنفس والمال فى سبيل المجتمع ، والى الاسهام فى المشروعات التى تعود بالنفع عليه .. **قال**

تعالى « وجاهدوا فى سبيل الله بأموالكم وانفسكم » وقال عليه السلام من كانت له أرض فليزرعها أو يمنحها اخاه »

ولقد تبرع سيدنا أبو بكر بماله لتفريج ازمة حلت بالمسلمين : وتبرع عثمان بتجهيز جيش العسرة من ماله الخاص وحضرت اليه تجارة من بلاد الشام فوزعها فى سبيل الله • واهديت الى عبادة بنى الصامت هدية فقال لابنه اذهب بها الى آل فلان فهم أحوج اليها منا وكلما جاء بها الى أهل بيت قالوا له هذا وتلك هى الاشتراكية التعاونية التى حصل بفضلها اكتفاء ذاتى حتى انه فى عهد سيدنا عمر بن عبد العزيز ماكانوا يجدون من يأخذ الصدقات

الرقابة على المال :

أما الأمور التى وضعها الاسلام للرقابة على كسب المال وانفاقه فهى ثلاثة •

الأول : باطنى ايمانى : يعتمد على الضمير ، والوازع الدينى الذى يزرع حب الخير فى القلوب قال تعالى « لئن شكرتم لأزيدنكم »

الثانى : ترغيبى وترهيبى : يبين جزاء الخير وجزاء الشر قال تعالى « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »

الثالث : زاجر دنيوى : السلطة فيه لولى الأمر وحكومته : فللدولة ممثلة فى ولى الأمر حق الاشراف على ادارة الاقتصاد جميعه من جباية زكاة وضرائب ، واستغلال للاملاك العامة ، وتقييد لحرية المال وللانفاق منه بالحدود التى شرعها الاسلام •

وللدولة ممثلة فى ولى الأمر حق توزيع المال على مستحقيه حسب ما سن الاسلام بما يحقق المساواة النسبية ويحقق العدالة الاجتماعية :

المجتمع نوعان

والمجتمع لايخلو من أحد أمرين :

أما أن يكون متساويا فى المعيشة تساويا نسبيا كما كان الحال فى عهد سيدنا عمر بن عبد العزيز • وفى هذه الحالة تكون وظيفة الدولة العمل على رفع مستوى جميع الشعب واما ان يكون المجتمع متفاوتا فى العيش وفيه طبقات ، وفى هذه الحالة يكون واجب الدولة أن تمنع تكدس الثراء فى أيدى فئة - فان كان لديها فائض مال فانها تعطى الطبقات الفقيرة والمتوسطة عطاء متفاوتا حسب الحاجة لترفع من مستواها بالقدر الذى يحقق المساواة النسبية ويقرب الفوارق بين الطبقات • وهذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اعطى جميع أموال الفىء التى جمعت من بنى النضير للمهاجرين خاصة نظرا لفقرهم ، ولرجلين فقط من الأنصار نظرا لحاجتهما • ولم يعط باقى الأنصار غير المحتاجين وذلك حتى يتحقق التوازن الاقتصادى وتتقارب الفوارق بين الطبقات • وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى جميع أموال الفىء التى جمعت من بنى النضير للمهاجرين خاصة نظرا لفقرهم ولرجلين فقط من الأنصار نظرا لحاجتهما - ولم يعط باقى الانصار غير المحتاجين وذلك حتى يتحقق التوازن الاقتصادى وتتقارب الفوارق بين المهاجرين والانصار ، وهما الفريقان اللذان تكون منهما أول مجتمع اسلامى

وان لم يكن لدى الدولة فائض من المال ، عن مشروعاتها ومتطلباتها - فان الواجب فى هذه الحالة أن تاخذ من الاغنياء وتعطى الفقراء والمحتاجين ، وان تعمل على تحقيق العدالة الاجتماعية بالطرق التى تراها كفيلة بذلك • فالفرد بتملكه انما هو موظف لدى المجتمع ، اذا تعارضت مصلحة الفرد مع مصلحة المجتمع

انقلب التملك المباح الى محظور ممنوع واصبح لولى الأمر حق البيع الجبرى ، وحق المصادرة لكل استغلال ، وحق تحديد أعلى المقدار ونزع الملكية الزائدة لمصلحة الشعب منعا لان يحرم جمع كبير من المواطنين من الحصول على الحياة الكريم وان يظلوا فى مرتبة الحيوان المسخر بينما يعيش الاقطاعيون في مرتبة السادة النبلاء فالاسلام يحارب الافراط والتفريط ، ويمنع الضرر والاضرار قال صلى الله عليه وسلم (لاضرر ولاضرار) والاسلام الذى يصرف التملك المشروع ، ويمنح صاحبه حق التصرف هو الاسلام الذى يجبر المالك على البيع لأرضه متى كانت المصلحة العامة تحتاجها منعا لضرر يلحق بالمجتمع ، كما يجبر المالك المحتكر لاقوات الشعب على بيع مالديه من طعام رعاية لحاجة المجتمع ويعطى للدولة الحق فى أن تصادر الطعام ليستفيد منه الجميع على السواء وتضرب بشدة على يد كل مستغل ومحتكر وعازف عن المصلحة العامة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من استعملناه على عمل ورزقناه رزقا فما اخذ بعد ذلك فهو غلول » أى خيانة للشعب :حيث أخذه بسلطان الوظيفة ، وكان سيدنا عمر يصادر مازاد فى ملكية عماله وولاته لمصلحة الشعب وقال « انما بعثناكم عمالا ولم نبعثكم تجارا » وقال « لو استقبلت من امرى ما استدبرت لأخذت من الأغنياء فضول أموالهم فرددتها على الفقراء • وذلك تحقيقا للتوازن الاقتصادى بين الناس ولقد كانت قبيلة بجيله ربع الناس فى معركة القادسية ـ فأعطاهم سيدنا عمر ربع السواد • ملكا لهم فأخذوه سنتين أو ثلاثا • فلما كثر الناس أمر كبيرهم جرير بن عبد الله البجلى برد قدر رآه زائدا وقال له ياجرير « لولا انى قاسم مسئول لكنتم على ما جعل لكم ، وأرى الناس قد كثروا فأرى أن ترد عليهم ففعل ذلك جرير •

ولقد منع أعلام قريش من الهجرة الى الأرض التى فتحها المسلمون ليتملكوا ـ لعدم حاجتهم وخوفا من استغلال النفوذ وقال « ألا ان قريشا يريدون ان يتخذوا مال الله معونات دون عباده ـ أما وابن الخطاب حى فلا »

ولقد اوقف اعطاء المؤلفة قلوبهم ، من الزكاة لعدم الحاجة الى ذلك مع ان النص القرآنى صريح فى اعطائهم ، والمؤلفة قلوبهم ، وكان هذا المنع تقتضيه المصلحة العامة وأوقف قطع يد السارق فى عام المجاعة • مع أنه حد شرعى ـ وذلك نظرا للحاجة ورعاية للصالح العام ولولى الامر أن يصادر أموال المستغلين اذا وجدا اختلالا فى الاوضاع الاجتماعية تحقيقا للعدالة ، ورعاية للمصلحة العامة ،واقتداء برسول الله وبأمير المؤمنين عمر •

القوانين الاشتراكية : لقد كانت أسرة محمد على تعتمد على الأتراك والأجانب وتستولى على الأراضى وهى الثروة الرئيسية للمجتمع وتوزعها على رجالها وأعدائها

ولما سيطر الاستعمار على وطننا استولى على المناصب ، ووضع عملاءه فى الكثير منها ، وتآمر الجميع على الشعب فنهبوا خيراته ، وكونوا ثروات ضخمة عن طريق السلب والنهب والرشاوى والمحسوبية ، واستغلال النفوذ ووجدت طبقة اقطاعية تخدم الاستعمار كى تبقى وتسلب الشعب حريته ولقمة عيشه وتسهم فى خيانة الوطن كى يظل لها نفوذها وثراؤها ولقد قال كرومر عن هؤلاء ، بغيرهم كنا نستطيع فتح مصر ولكن بدونهم ماكان ممكنا ان نبقى

وهكذا وجدت طبقة مستغلة اتخذت المال وسيلة للسلطة ، واتخذت السلطة وسيلة

للظلم والنهب والثراء واصبحت عشرات الأسر تحتكر معظم الدخل القومى لذاتيتها وأغراضها وتهرب أغلبة للخارج

وكان الفلاح يعمل وينتج لغيره ، وكان العامل يكد ويكدح ولا يجد القوت !

وكاد يقهر اليأس الرجاء ، وكاد يختفى آخر شعاع من الأمل والضياء .

وبين عشية وضحاها زحزح النور الظلام وأزال الماء الطهور الرجس والفساد وتولت الثورة قيادة الشعب فقادته من نصر الى نصر ، وأصدرت القوانين الاشتراكية تحقيقا للعدالة الاجتماعية ، وعلاجا للتفاوت الطبقى ، ومنعا لتضخم رأس المال .

وتحول الأجراء الى ملاك . الى قوة ضخمة على استعداد للتضحية فى سبيل المكاسب التى نالوها ، على استعداد للدفاع عن العالم العربى ، من الاماكن المقدسة التى يجب على كل فرد ان يسهم بجزء من جهده ودخله فى سبيلها ، وأصبحت الارض لزارعيها والمصانع للعاملين فيها ، والوظائف لمن يقدرون مسئوليتها وأصبحنا أمة فتحت أمامها أبواب العلم والعمل ، فأصبح أربعة ملايين منها يتجهون للعلم والتعليم ، واربعة منها تناديهم صفارات المصانع وعشرة ملايين يمضون الى الحقول آمنين ، وما بقى فجيش قوى يحمى ولايهدد ، وقادة عاملون لخير الشعب واسعاده انها اشتراكية من أجل الشعب ، ولن يفرط الشعب فيما حصل عليه من مكاسب فى سبيل فئة انتهازية مترفة ويجب ان يعلم أبواق الاستعمار فى عالمنا العربى . أن الذى لايتمشى مع روح الاستعمار أن يكونوا اداة للاستعمار وان يستغل بترول الشعب ، وان تودع اموالة فى الخزائن الشخصية ، وان تروج تجارة الرقيق بأيدكم وان يعيش الشعب فى سجن من التخلف والجهل تحت سيطرة أنظمة قبلية وأنظمة أسرية بالية

أما نحن فنؤمن بعقائدناالاسلامية ،وقوميتنا العربية وسياستنا التحررية واشتراكيتنا البناءة وقيادتنا الرشيدة وقائدنا الملهم جمال الذى يقول ((ان القومية العربية لم تعد قومية رأسماليين واقطاعيين وانما هى زحف مقدس يسير اليه شعبنا نحو تقرير مصيره))

ماذا تعرف عن العالم الإسلامى دوله وشعوبه؟

المملكة الليبية المتحدة

الدكتورة عنايات الطحاوى

تقع المملكة الليبيـــة المتحدة بين تونس والجزائر من ناحيـة الغـرب والجمهورية العربية المتحدة من جهة الشرق وبين البحر المتوسـط فى الشمال وجمهوريتى النيجر وتشاد فى الجنوب ويتاخمها السـودان من الجنوب الشرقى •

وتبلغ مساحتها ١٧٦٠٠٠٠ كيلو متر مربع (وتمثل الصحراء ما يقرب من ٩٠ ٪ من هذه المساحة) ويبلغ طول ساحل البحر المتوسط حوالى ٢٠٠٠ كم •

وهى تقع بين خطى عرض ٢٠ و ٣٢ شمالا وخطى طول ٩ ، ٢٥ شرقا •

وتتكون ليبيـا من ثلاث وحدات كبرى هى طرابلس ومساحتها حوالى ٣٥٣ ألف كم وبرقة ومساحتها ٨٥٥ ألف كم ثم فزان ومساحتها حوالى ٥٥٠ ألف كم •

واسم ليبيا مشتق من اسم احدى القبائل التى كانت تسكن برقة فى العصور القديمة وهى قبيلة (الليبو) ويعتبر المصريون القدماء هم أول من أطلق اسم ليبيـــا على جيرانهم وسجلوا هذا الاسم فى نقوشهم وعنهم ذاع هذا الاسم وانتشر •

أولا : ونبدأ بعرض الظاهرات الطبيعيـة للمملكة اللبيبة المتحدة

السطح فى ليبيا عبارة عن أراض سهلة فى الشمال تتخللها بعض المرتفعـات ففى برقة توجد أعلى قمة وهى الجبل الاخضر وترتفـع حوالى ألف متر فوق مستوى سطح البحر ، هذا فضلا عن بعض المدرجات التى تنحـدر نحو الساحل الشمالى وتقطعها بعض الأودية العميقة أما الى الجنوب من الجبـل الأخضر فتمتد الصحراء بكثبانها وهضابها المستوية • كما توجد بعض الأودية العميقة التى تمتلىء بالماء فترة وتجف بقية العام •

أما منطقة طرابلس فى غرب ليبيا فهى عبارة عن هضبة ترتفع الى حوالى ٧٠٠ متر فوق سطح البحر وبها جبل نفوسة والى شـماله سهل جفارة والتربة هنـــا رملية خفيفة •

وتتوافر المياه الجوفية فى طرابلس مما يساعد على قيام الزراعة •

وتمتد بحذاء الساحل كثبان رملية تنحصر بينها منخفضـــات توجد بها بحيرات ملحة والتربة هنا جيرية ورمليـة أما تربة الكثبان الرملية فبعضها رواسب برية وأخرى بحرية

وبالنسبة لمنطقـة فزان فانها هضبـة تضاريسية بها تلال صخرية وكثبان رمليـة وأودية جافة وتنصرف مياه فزان داخليا • وفى شمالها نجد جبال الحمادة الحمراء وفى شرقها جبال السوداء وفى شمالها وشمالها الشرقى تلال الهروج •

وفى شرق ليبيـــا نجد واحات جالو والى الجنـوب منها واحات الكفرة • ويوجد فى منخفض الكفرة بحيرتان صـغيرتان مياههما شديدة الملوحة • وتوجد المياه الحلوة على عمق قليل من شـواطىء البحيرتين • وفى فزان بحيرات عديدة من هذا النوع • وهناك فضلا عن ذلك بعض الأحواض الصخرية التى تتجمع فيها مياه الأمطار النادرة •

على أن أهم الظاهرات الطبيعية فى ليبيا هو خلوها من الأنهار الدائمة الجريان فلا يوجد بها الا أودية تمتلىء بالمياه عند سقوط الأمطار • ولذلك فان الحكومة الليبية تعمـل على اقامة السـدود على هذه الوديان حتى يمكنهـا الاستفادة بقدر الامكان من مياهها

بالنسبة للمناخ فانه يختلف نظرا لاختلاف الارتفـاع من مكان الى آخر وكذلك بالنسبة للغرب أو البعد عن البحر • فالشريط الساحلى فى كل من برقة وطرابلس ينتمى الى منـاخ البحر المتوسط أما بقية أجزاء ليبيـا فتنتمى للمناخ الصحراوى •

وتتأثر ليبيـــا عموما بموقعها أولا بهبوب الرياح التجارية الشـمالية الجافة عليهـا وانخفاض سواحلها فيما عدا اقليم برقة •

وأهم عناصر المناخ فى ليبيا المطر ففى برقة تتفاوت كمية المطر من منطقة الى أخرى وأغزر جهاتها أمطارا منطقة الجبل الأخضر فيقـدر متوسط الأمطار التى تسـقط على السفوح

الشمالية ما بين ٥٠٠ ، ٦٠٠ ملليمتر • أما السهل الساحلى فلا يزيد ما يناله من أمطار عن ٢٠٠ ملليمتر

وفى طرابلس المطر أقل منه فى برقة وذلك نظرا لأن مرتفعات تونس تحجب عنها تأثير الرياح العكسية الممطرة • وأكثر الانخفاضات التى تمر بطرابلس تأتى من جنوب صقلية • ويسقط المطر شتاء بكميات غير ثابتة ويغزر المطر عامة فى غرب طرابلس بينما يقل تدريجيا فى وسطها وشرقها •

اما ولاية فزان فانها فقيرة فى أمطارها وذلك لبعدها عن تأثير البحر وليس للمطر فيها موسم معين ولذلك فهى أقرب للمناخ الصحراوى منه لمناخ البحر المتوسط •

من حيث الحرارة فهى تعتبر ثانى عنصر من عناصر المناخ وتلى المطر فى الأهمية • والمناطق الساحلية أكثر اعتدالا من المناطق الداخلية أما الجهات المرتفعة مثل الجبل الأخضر وجبل نفوسة فان حرارتها معتدلة صيفا وشديدة البرودة شتاء •

أما بقية أجزاء ليبيا جنوبى برقة وطرابلس فتنتمى للمناخ الصحراوى الذى يمتاز بشدة الحرارة صيفا والبرودة شتاء مع المدى الحرارى الكبير اليومى والفصلى • كذلك تزيد درجة الرطوبة كلما اقتربنا من الساحل •

وبالنسبة للرياح فان الرياح العكسية الغربية تهب على ليبيا شتاء وتسبب سقوط الأمطار على الساحل • أما فى الصيف فتهب رياح محلية تسمى بالقبلى اتجاهها جنوبى شمالى وهى رياح حارة تهب من المنطقة الصحراوية الجافة وتسبب أضرارا للسكان وللزراعة لأنها تحمل كميات من الرمل وتكون أشد من الرياح الخماسينية المصرية •

وعليه فيمكن تقسيم ليبيا الى ثلاثة أقاليم مناخية هى :

١ – اقليم السهل الساحلى المنخفض

٢ – اقليم المرتفعات الجبلية الساحلية

٣ – الاقليم الصحراوى الداخلى •

وهذه الاقاليم المناخية الثلاثة متداخلة بعضها فى البعض الآخر •

التربة والنبات :

يغلب على التربة الزراعية فى ليبيا بصفة عامة فقرها فى المواد العضوية والنتروجينية وهى التى تكون الغذاء الأساسي للمزروعات •

وتوجد على الساحل وفى منطقة الجبل الأخضر شجيرات البحر المتوسط كما توجد فى أعلى الجبل غابات الكافوز والزان وتظهر الحشائش فى الجهات الأقل مطرا ثم تقل النباتات أو تنعدم كلما اتجهنا جنوبا حيث النباتات الصحراوية •

موارد المياه فى ليبيا : ان أهم مشكلة تعانى منها ليبيا هى عدم وفرة المياه بها فهى تفتقر الى مورد مائى دائم • وتنقسم الموارد المائية فى ليبيا الى قسمين

أ – مياه الأمطار وهذه ليست ثابتة أو منتظمة وكثيرا ما تمر السنين دون سقوط قطرة من المطر كما حدث فى الكفرة

ب – المياه الجوفية وهى توجد على شكل آبار عادية او آبار ارتوازية وعيون ففى ولاية طرابلس تنتشر الآبار العادية بنسبة كبيرة وتساهم بالنصيب الأكبر فى الانتاج الزراعى وخاصة فى سهل جفارة • كما تساهم أيضا بنصيب كبير فى عمران البلاد وهذه الآبار هى مصدر مياه الشرب فى مدينة طرابلس ومعظم المدن الاخرى •

أما الآبار الارتوازية فقد بدىء الحفر فيها حديثا ويقدر مجموع الآبار الارتوازية فى طرابلس ١٢٠ بئرا • أما العيون فيوجد معظمها فى قيعان الأودية وفى جوانب الحافات الجبلية ونظرا لأنها تستمد مياهها من الأمطار المحلية فمياهها أصلح للشرب من مياه الآبار •

أما فى اقليم برقة الذى يمتد من ساحل البحر المتوسط حتى الحدود الجنوبية للمملكة الليبية فالآبار الارتوازية بها لاوجود لها فى نطاق أعمال الحفر التى أجريت حتى عام ١٩٦٠، أما الآبار العادية فهى المورد الرئيسى

للمياه الجوفية فى نطاق الكثبان الشاطئية الممتدة على طول الساحل وفى السهول المحصورة بين الجبل والبحر • وخاصة فى سهل بنغازى حيث تكون الآبار قليلة العمق وهذه المنطقة غنية بالمياه بسبب الأمطار التى تسقط على المنحدرات الغربية والجنوبية الغربية للجبل الأخضر • وتصل مياه هذه الآبار الى مدينة بنغازى بواسطة خط من الأنابيب • كذلك توجد العيون فى اقليم الجبل الأخضر الذى يعتبر أوفر اقاليم ليبيا فى موارد المياه سواء فى ذلك مياه الأمطار أو المياه الجوفية •

وقد ساعدت كثرة الأمطارفى هذا الاقليم على وجود خزانات مائية ضخمة تنبثق منها المياه بشكل عيون دائمة فى قيعان الأودية وتخرج المياه من بعضها بكثرة تؤدى الى وجود مسيلات مائية دائمة فوق قيعان بعض الوديان •

وفى واحات الكفرة توجد آبار قليلة العمق والمورد الأساسى للمياه الجوفية فيها هو تسرب مياه الأمطار الساقطة على مرتفعات اندى وأردى ومرتفعات تبستى • وفى منخفض واحات جالو وجغبوب نجد موارد مائية جوفية قريبة من السطح • وفى جغبوب ايضا بحيرة ملحة دائمة •

أما بالنسبة لاقليم فزان فان الموارد المائية فيها عبارة عن عيون تنبثق فى أماكن مختلفة • هذا فضلا عن الآبار العديدة التى تستمد مياهها من طبقة المياه العليا القريبة من السطح والتى تكفى مشروعات التوسع العمرانى والزراعى •

ويوجد فى فزان حوالى ٣٧٨ ينبوعا أما الآبار فيقدر عددها بحوالى ثلاثة آلاف كما يوجد أيضا ٢٥ بحيرة ملحة مختلفة الأحجام •

وعليه فالمياه الجوفية تلعب دورا كبيرا فى عمران ليبيا وفى اقتصادياتها حتى فى المناطق الساحلية التى تتوفر فيها مياه الأمطار •

ثانيا ـ اقتصاديات ليبيا

١ ـ الزراعة :

تعتمد اقتصاديات ليبيا الى حد كبير على الزراعة وتربية الحيوان • ولكن الملاحظ حتى الآن أن نسبة الأراضى الصالحة للاستغلال الزراعى لاتربو على ١٠ ٪ من المساحة الكلية للبلاد بينما نجد أن النسبة المزروعة فعلا لاتزيد عن ١ ٪ من المساحة الكلية • ومن هنا نجد أن القطاع الزراعى الحالى لايمثل الامكانيات الفعلية • وعليه فلا بد من العمل على زيادة الرقعة الزراعية •

والزراعة فى ليبيا تعتمد الى حد كبير على الأمطار وهذا باستثناء الواحات • والأمطار قليلة بوجه عام ولا تسقط بانتظام ولذلك فان المياه الجوفية تساهم بنصيب كبير فى الانتاج الزراعى فى ليبيا •

وتختلف مساحة الأراضى الزراعية فى ليبيا تبعا لخصوبة الأرض ووفرة المياه أو قلتها • وعليه فالأراضى الزراعية فى طرابلس أكثر منها فى برقة وفزان •

وتحصل طرابلس على قدر كبير من الأمطار كما تتوفر فيها المياه الجوفية القريبة من سطح الأرض ولكن على الرغم من ذلك فان الزراعة فى كثير من جهاتها لاتزال قائمة على الطرق البدائية •

وأكثر الحبوب انتشارا فى طرابلس الشعير ويأتى بعده الزيتون من حيث القيمة الاقتصادية • ومما يؤسف له أن أشجار الزيتون التى تربو على نصف مليون شجرة ليست كلها ملكا للعرب بل ان حوالى الثلث تقريبا يملكه الايطاليون •

كذلك يزدهر اللوز فى غرب طرابلس وتبلغ عدد أشجاره حوالى ٢ مليون شجرة ومن الأشجار الناجحة فى طرابلس الموالح وكذلك أشجار التين والخوخ والمشمش والعنب • كما أدخلت زراعة الفول السودانى فى طرابلس وهو من النوع الجيد ويصدر معظمه للخارج • أما بالنسبة للانتاج الزراعى فى برقة فنجد أن حوالى ربع السكان يشتغلون بالزراعة بينما يشتغل بقية السكان بالرعى • وأهم

المنتجات الزراعيـــة فى برقة القمح والشعير واللوز •

وأخيرا نعرض للانتـــاج الزراعى فى فزان وتقتصر الزراعة هنا على الواحات المتفرقة وهى تقوم على الرى من الآبار الارتوازية وأهم ما يزرع التمر ثم القمح وفيمـــا عدا ما تقــدم تنمو الحلفا بريا فى بعض الجهات الصحراوية وتحتل مركزا هاما فى اقتصـاديات ليبيا • كذلك يزرع الخروع وتســتخدم أشــجاره كحاجز لصد الرياح وتثبيت الكثبان الرمليـة وتنتشر زراعته فى طرابلس •

كذلك تزرع فى جميع أنحاء ليبيـــا انواع مختلفة من الخضر للاستهلاك المحلى •

ولا يزال المجال واسعا أمام ليبيا لتحسين أساليب الزراعة فهناك أراض واســعة قابلة للاستصلاح الزراعى وهذا يتطلب تعـــاون الحكومة مع الاهالى •

وتوجد فى ليبيا الى جانب غلاتها المزروعة مساحات كبيرة تغطيها الغابات وخاصــة فى طرابلس وبرقة وتستغل اخشابها فى الوقود هذا فضلا عن قطع بعضـــها واحلال الزراعة محلها •

ويحدثنا التاريخ القديم أن ليبيا كانت من الأقاليم الزراعية ذات الشأن فى حوض البحر المتوسط وانها كانت تمون الامبراطورية الرومانية بقدر طيب من حاجتها من الحبوب وعليه فالتوسع الزراعى فى المستقبل فى حيز الامكان ولكنه يتطلب أمرين على جانب كبير من الأهمية •

الأمر الأول اقامة المشروعات التى تكفـل تخزين مياه الأمطار والاستفادة منها والأمر الثانى خاص باستغلال المياه الجوفية الى أكبر حد ممكن •

٢ - الثروة الحيوانية :

تأتى حرفة الرعى وما يتصل بها بعــد الزراعة فى الأهمية فاذا أدخل الرحل وشـبه الرحل فى نطـــاق الرعاة فيكون عـــدد الذين يشتغلون بالرعى حوالى ٤٠ ٪ من السكان• وتعتبر الثروة الحيوانيـــة موردا هاما للدخل القومى •

ويلاحظ أن الماشية أكثر أهميـــة فى برقة عنها فى طرابلس الا أن الغلبة بوجه عام للأغنام والماعز التى تربى من أجل لحمها ولبنهابصفة أساسية وصوفها وجلدها بوصفهما منتجات ثانوية والبيان التـــالى يوضح عدد رءوس الثروة الحيوانية (سنة ١٩٥٧)

طرابلس : أغنـــام ٦٣١ الف رأس ، ماعز ٦٣١ الف رأس ، ماشية ٥٢ الفـا ، ابل ٨٩ الف رأس •

برقة : اغنام ٧٨٥ ألف رأس ، ماعز ٦٦١ ألف رأس ، ماشية ٣٩ ألفا ، ابل ٨٣ ألفـــا على أن هــذه الأرقام تفتقر الى قدر كبيـر من الدقة •

والثروة الحيوانية فى ليبيا تحتاج الى قدر كبير من الاهتمام وهذا يتطلب تحسين النوع عن طريق التهجين مع سلالات أفضل من بلاد أخرى والتحكــم فى الأمراض التى تصـيب الحيــوانات واســتئصالها ومن الضرورى أيضا توفير العلف الضرورى ذلك لان مشكلة تربيـــة الحيوانات فى ليبيـــا مرتبطة أشد الارتباط بمشكلة المراعى فالعـــرب يعتمدون على الطبيعة كمورد لغذاء حيواناتهم فاذا قلت الأمطار يقل بالتالى نمو الأعشـــاب اللازمة لغذائها مما يؤدى الى اصـابتها بالهزال وبالأمراض •

٣ - مصايد الأسماك :

تعتبر الثروة السمكية ذات امكانيات وافرة بالنسبة الى تنمية الاقتصاد الليبى ومع ذلك فهى ليست موضع الاستغلال التام • اذ تبلغ الكمية التى يجرى صـيدها حاليـــا ما بين ٢٠٠٠ ، ٢٥٠٠ طن سنويا نصفها من التونة والنصف الآخر من السردين وانواع أخرى من الأسماك • ويستهلك حوالى ثلث الكميــة فى طرابلس أما الباقى فيجرى تصنيعه فهنـــاك تسعة مصانع لتعليب سمك السردين والتونة وغيرها فى ولاية طرابلس

وقد تضمنت الخطـــة الخمسية لتنميـــة مصــائد الأســماك تسهيلات كثيرة مالية وتوفير وســـائل النقــل وتحسين مراكز

الصيد وأعدادها أعدادا مجهزا بأحدث الوسائل العلمية •

٤ ـ الثروة المعدنية :

ان أعظم مصادر الثروة المعدنية التى يجرى استغلالها على نطاق واسع فى الوقت الحاضر هو البترول والمملكة الليبية بها ٢٥ شركة عالمية للبترول وهذا الرقم لا مثيل له فى أية دولة منتجة للبترول فى العالم •

وقد حفر اول بئر فى ليبيا فى ٣٠ أبريل سنة ١٩٥٦ وفى سنة ١٩٦٠ تفجر الذهب الأسود من باطن الأرض وتدفق قويا غزيرا ليغزو أسواق العالم ويثبت وجوده • ويتميز البترول الليبى بأنه من النوع الخفيف الذى يعطى كمية أكبر من الغازولين (وقود السيارات) وقد بلغ عدد الآبار البترولية المحفورة فى ليبيا حتى نهاية شهر مارس سنة ١٩٦٦ ، ١٧٦٧ بئرا بتروليا وبلغ عدد الآبار المنتجة حوالى ٨٥٩ بئرا وبلغ مجموع انتاج هذه الآبار حتى مارس سنة ١٩٦٦ فى عموم ليبيا ١٫١٦٢٫٩٩٥ برميلا يوميا •

وقد أنشئت عدة خطوط لنقل خام البترول الى الساحل واهمها الخط من زلطن الى مرسى البريقة ثم الخط ما بين الظهرة وميناء سدر • وقد أنشىء فى مرسى البريقة معمل تكرير لانتاج حاجة البلاد من المشتقات البترولية الرئيسية •

وتعتبر أوربا السوق التجارى للزيت الخام الليبى وقد بلغت عوائد البترول حتى مارس سنة ١٩٦٥ حوالى ٨٨ مليون جنيه ليبى •

وفيما عدا البترول توجد بعض المعادن ولكنها لم تحظ باهتمام المسئولين فيما عدا بعض رواسب الحديد فى فزان والجبس والبوتاس فى طرابلس كذلك توجد الشبة والنطرون فى فزان •

وتتوفر أيضا فى ليبيا خامات الحجر الجيرى والحجر الرملى والمنجنيز والفوسفات والكبريت

٥ ـ الصناعة :

تعتبر الصناعة الليبية بوجه عام متأخرة وهذا راجع الى أسباب مختلفة فى مقدمتها تأخر الزراعة وتربية الحيوان ومصايد الأسماك وعدم توافر المعادن فيما عدا البترول ثم نقص الخبرة الفنية • ويضاف الى ماتقدم عامل الاستعمار فقد حرص الايطاليون اثناء استعمارهم البلاد على أن يحتكروا الوظائف الرئيسية فى القطاع الصناعى • كما كانوا يشكلون النسبة الغالبة من العمال المهرة •

وأجور العمال فى ليبيا مرتفعة بالقياس الى الكثير من البلاد الافريقية والأسيوية ولا شك أن هذا راجع الى أثر العمليات الواسعة النطاق التى تقوم بها شركات البترول والتى تجذب الأيدى العاملة بسبب ماتوفره لها من أجور عالية •

وبعد أن حصلت البلاد على استقلالها اتجهت نحو الاهتمام بالتصنيع وفى مقدمة هذا قانون لتنمية الصناعات الوطنية فى سنة ١٩٥٦ واعفائها من الضريبة العقارية لمدة عشر سنوات ، ضريبة الدخل لمدة خمس سنوات والرسوم الجمركية على الآلات والمعدات اللازمة لها لمدة لاتتجاوز خمس سنوات •

وفى سنة ١٩٥٨ صدر قانون استثمار رءوس الاموال الأجنبية فى المشروعات التى تساهم فى تنمية البلاد على أن تعاد رءوس الأموال الأجنبية الى بلادها الأصلية مضافا اليها الأرباح الناتجة عن استثمارها •

وقد عملت الحكومة على انشاء المجمعات الصناعية واهتمت بوجه خاص بالصناعات الصغرى مثال ذلك مركز الصناعات الصغرى فى مدينة سبها ومركز السجاد فى بنغازى وأنشئت فى سنة ١٩٦٣ مؤسسة التنمية الصناعية اعتمد لها فى الخطة الخمسية خمسة ملايين جنيه ليبى وللمؤسسة أن تقيم صناعات جديدة وأن تمنح قروضا ذات آجال قصيرة أو متوسطة • كذلك قامت الحكومة بانشاء بعض الوحدات الصناعية مثل المدبغة الحكومية ومصنع تعبئة التمور ومصنع للطباق والمطابع الحكومية •

وأهم الصناعات الموجودة حاليا هى عمل السجاير وتكرير زيت الزيتون وصباغة

ونسيج الصوف المحلى وغزل القطن المستورد وصناعة الجلود وتكرير الملح .

هذا وأمام الصناعة فى ليبيا امكانيات طيبة لتوافر البترول والغاز الطبيعى فضلا عن أن هاتين المادتين سوف تجعلان فى الامكان اقامة صناعة الكيماويات والأسمدة .

٦ ـ التجارة الخارجية :

أهم الصادرات الليبية الفول السودانى والماشية يلى ذلك الحلفا والاسفنج والصوف وزيت الزيتون والجلود الخام ومنذ سنة ١٩٦١ بدأ البترول يحتل مكانا ظاهرا فى الصادرات .

أما الواردات الرئيسية فعلى رأسها آلات النسيج ومعدات النقل والحديد والصلب والمواد الكيماوية والغزل والمنسوجات القطنية والمواد الغذائية وبخاصة القمح والدقيق .

وأهم الدول الموردة للمملكة الليبية ايطاليا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة . كما أن أهم عملاء ليبيا المملكة المتحدة وايطاليا وهولنده .

هذا ويعتمد الاقتصاد الليبى اعتمادا كبيرا على المعونات الأجنبية من المملكة المتحدة وايطاليا وفرنسا ولكن سيقل باذن الله اعتماد البلاد على هذا المصدر الخارجى كلما زاد انتاجها من البترول .

الخطة الخمسية للتنمية :

وتمشيا مع الاتجاه السائد فى تطوير اقتصاديات البلاد فقد أعدت الحكومة الليبية خطة خمسية للتنمية تستهدف تحقيق الأغراض التالية وهى ضمان تحسين معيشة أفراد الشعب ذوى الدخل المحدود والاهتمام بالقطاع الزراعى باعتباره المورد الرئيسى للدخل القومى وكذلك العناية بالصناعة ورفع كفاءة العامل الانتاجية . ثم استثمار القطاع العام فى تأدية خدماته فى التعليم والصحة والمواصلات والاسكان .

وانشاء كافة المشروعات الانتاجية مما يؤدى الى ارتفاع مستوى المعيشة بوجه عام وتحقيق العدالة فى توزيع الدخل القومى .

٧ ـ المواصلات فى ليبيا :

تعمل الحكومة الليبية على تحسين سبل المواصلات والاكثار من وسائلها وذلك بزيادة الطرق المعبدة واصلاح شبكة السكك الحديدية وتوسيع الموانى وتنظيم المواصلات الجوية . وأهم وسائل المواصلات فى ليبيا ما يلى :

ا ـ طرق السيارات :

وتنتشر فى طول البلاد وعرضها وتجتازها السيارات التى تنقل المسافرين والبضائع ومن أهم هذه الطرق . الطريق الساحلى الذى يخترق البلاد من الحدود الغربية حتى الجمهورية العربية المتحدة وتتفرع منه طرق فرعية تربطه بداخل البلاد ويبلغ طول هذه الطرق الممهدة حوالى ٩٠٠٠ كيلو متر .

ب ـ السكك الحديدية :

وتوجد فى ليبيا على نطاق ضيق وذلك بسبب منافسة السيارات لها وأهم الخطوط الحديدية تصل كلا من بنغازى وطرابلس بالداخل وهى خطوط قصيرة بوجه عام

جـ ـ طرق القوافل :

وأهم حيوانات النقل فى هذه الطرق هى الجمال والخيول والحمير وأشهر هذه الطرق الطريق الواصل ما بين طرابلس وغدامس ثم الطريق من طرابلس الى مرزوق ومن بنغازى الى الكفرة .

د ـ الطرق البحرية :

ترتبط ليبيا بالعالم الخارجى بواسطة خطوط بحرية منتظمة منها الخط الواصل بين ليبيا وصقلية وبينها وبين ايطاليا وتونس .. هذا فضلا عن الخطوط التى تربط الموانى الليبية بعضها ببعض وبينها وبين مصر والعالم العربى .

هـ ـ الطرق الجوية :

توجد فى ليبيا خطوط جوية منتظمة تربطها بالعالم الخارجى وأشهر هذه الخطوط الخط

بين القاهرة وبنغازى وطرابلس والخط بين طرابلس وروما • هذا بجانب الخطوط الجوية الداخلية •

وأهم مطارات ليبيا مطار ادريس ومطار بنينا ومطار العدم ومطار سيها •

ومن المدن الهامة فى ليبيا مدينة طرابلس درة الساحل الافريقى وهى العاصمة الغربية كما أنها تعتبر ميناء هاما وتمتاز بمناخها المعتدل • هذا فضلا عن بساتينها الخضراء وكثرة الفواكه بها • كذلك تشتهر بآثارها وخاصة فى لبدة شرقى طرابلس وبها هياكل أثرية قديمة وأعمدة رخامية • وطرابلس مدينة فينيقية رومانية فى الأصل وهى تنقسم الى قسمين • المدينة القديمة وتقع داخل السور والمدينة الحديثة • وبها أيضا عدد كبير من المساجد التاريخية الاسلامية •

ومن أشهر البلاد الليبية أيضا مدينة بنغازى وهى العاصمة الشرقية وبها قصر المنار وكثير من الفنادق التى تشتهر بعمارتها الفخمة وبها أيضا الجامعة الليبية • كذلك تعتبر مدينة درنة من أشهر المدن الليبية الى جانب مدينة البيضاء وبها قصر دار اليمن ثم مدينة المرج وتشتهر بآثارها الفخمة • أما طبرق فهى من الموانى الرئيسية

ثالثا : السكان فى المملكة الليبية المتحدة :

يبلغ عدد السكان حسب آخر احصاء ١٫٥٥٩٫٣٩٩ نسمة وهم عرب يتكلمون اللغة العربية ويوجد أيضا حوالى ٤٥ ألف ايطالى فى ولاية طرابلس • أما الايطاليون فى برقة فقد ذهبوا جميعا الى ايطاليا • كذلك نقص عدد اليهود من ٢٥ ألفا الى سبعة آلاف •

ويبلغ عدد السكان فى منطقة طرابلس حوالى ٧٥٠ ألف نسمة وفى برقة حوالى ٢٩٥ ألف نسمة وفزان حوالى ٥٥ ألف نسمة •

ويحتل العرب المركز الأول بين السكان ويبلغ عددهم أكثر من مليون نسمة أما بقية السكان فهم من البربر والطوارق والزنوج • هذا الى بجانب بعض الأقليات الأجنبية •

والعرب مسلمون اللهم الا بعض الأقليات التى تدين بالمسيحية أو اليهودية والقبائل العربية فى برقة تنقسم الى فرعين رئيسيين هما السعديون والمرابطون • أما السعديون فيملكون الأرض والماء وأما المرابطون فيشتغلون فى الأرض •

ويقول بعض المؤرخين أن السعديين هم قبائل بنى سليم التى وفدت من مصر فى القرن الخامس الهجرى • بينما المرابطون فهم بقية القبائل العربية اليمنية التى جاءت مع الفتح الاسلامى والتى اختلطت بالبربر وعربتهم •

أما عن البربر فعلى الرغم من انتشار وسيادة الثقافة الاسلامية العربية التى تطبع المجتمع الليبى كله بطابع عربى موحد فلا يزال للبربر بعض الثقافات والنظم التى تميزهم عن غيرهم من الجماعات البشرية فى ليبيا ويكاد يعيش نصف البربر فى جبل نفوسة بينما يتوزع النصف الباقى بين الواحات وولايتى برقة وفزان •

وقد اصطبغ البربر الى حد كبير بالثقافة العربية نتيجة الاختلاط والتزاوج • وأهم اختلاف بين العرب والبربر هو أن العرب من المسلمين السنيين أما البربر فقليل منهم يتبع هذا المذهب •

أما الطوارق فى ليبيا فلا يتجاوز عددهم سبعة آلاف نسمة وهم يتبعون المذهب السنى المالكى ويعرف الطوارق أحيانا باسم الملثمين ومن الغريب أن الرجل هو الذى يضع اللثام على وجهه •

وبالنسبة للزنوج فيبلغ عددهم حوالى ٣٥٠٠ نسمة ويعيش معظمهم فى طرابلس وفى واحات فزان وواحة الكفرة • وهم يختلطون بالعرب والبربر • ومعظم زنوج ليبيا من ذرية الرقيق الذى جلب فى الماضى • وبعضهم يشتغل بالرعى والبعض الآخر يقوم بزراعة الحدائق والبساتين فى المدن •

هذه هى أهم عناصر السكان فى ليبيا وهم جميعا يمثلون مجتمعا كاملا لافرق فيه بين

عربى أو بربرى أو زنجى بل الجميع يمثلون المجتمع الليبى خير تمثيل ٠

رابعا : تاريخ ليبيا السياسى

عاش الليبيون فى عصر ما قبل التاريخ عيشة غيرهم من شعوب ذلك العصر يجمعون غذاءهم مما تجود به أرضهم ٠ أما فى العصر الحجرى الحديث فقد بدأوا حياة الاستقرار وأخذوا يزاولون مهنة رعى الحيوان بعد استئناسه ثم بداوا بعد ذلك يمارسون حرفة الزراعة ٠

والبيئة الليبية كانت فقيرة قاسية ولذلك أخذ السكان يلجأون الى مصر التى كانت تمتاز فى تلك العصور بغناها ووفرة خيراتها ومن ثم حدث اختلاط بين الليبيين والمصريين وتزاوجوا وقد أوجز المؤرخ الجغرافى هيرودوت هذا الاختلاط فى قوله

« ان الليبيين اخذوا الكثير من مظاهر الحضارة المصرية بحكم الجوار والاتصال المستمر » (*)

بعد ذلك دخل الفينيقيون ليبيا فنقلوا اليها الكثير من فنونهم وحضارتهم ٠ كما دخل الرومان أيضا ليبيا وهكذا تعاقبت عليها كثير من الدول الى أن جاء الفتح العربى سنة ٦٤٢م واستولى العرب على برقة وطرابلس ٠ وقد أبدت القبائل البربرية فى بادىء الأمر مقاومة عنيفة ثم تعاقبت الهجرات العربية الى ليبيا وانتشر فيها الاسلام بعد هجرة قبائل بنى سليم اليها ٠

وفى النصف الثانى من القرن الخامس عشر تمكنت طربلس من ان تغزو البحر المتوسط بقراصنتها ولكن هاجمها الاسبان واحتلوها فترة تبلغ ثلاثون عاما ٠

وبعد ذلك استولى الاتراك على ليبيا وظلت تحت نير الاستعمار التركى حتى سنة ١٩١١م

ثم احتل الايطاليون ليبيا سنة ١٩١١ واقتصر احتلالهم أولا على السواحل ٠ وقاوم الليبيون الاستعمار مقاومة عنيفة ومن أشهر أبطال المقاومة عمر المختار وقد تطوع فى حركة المقاومة عدد كبير من أبناء الأمة العربية وسارعت مصر لجمع التبرعات وايفاد البعثات المزودة بالسلاح واشترك فى قيادة المقاومة السنوسية القادة أنور باشا وعزيز المصرى ومصطفى كمال وناظم وصالح حرب وكان من المتطوعين أيضا فيها السيد عبد الرحمن عزام ٠

واستمرت هذه المقاومة حتى كانت الحرب العالمية الأولى وهنا تدخلت بريطانيا بين الليبيين والايطاليين وتم عقد المفاوضات بين محمد ادريس السنوسى زعيم السنوسيين وبين ايطاليا وانتهت المفاوضات بعقد اتفاق سنة ١٩١٧ ينص على أن يبقى الايطاليون فى السواحل وأن يعترفوا بالسيد محمد ادريس السنوسى أميرا على برقة المستقلة ٠

وطبيعى لم يرض الليبيون بهذا الاتفاق واستمرت حركات المقاومة حتى سنة ١٩٣٩ وما كادت الحرب العالمية الثانية تنشب أظفارها حتى تقدم السيد ادريس السنوسى لبريطانيا لمساعدتها فى الحرب ضد دول المحور وقتئذ (ايطاليا وألمانيا) ولما انتصر الحلفاء فى ديسمبر سنة ١٩٤٢ فى موقعة العلمين اعترفت بريطانيا بالسيد ادريس السنوسى حاكم ليبيا ٠

وقد كان هناك مشروع بتقسيم ليبيا الى ولاياتها الثلاث برقة وطرابلس وفزان ولكن الجمعية العامة للامم المتحدة قررت أن تكون ليبيا وحدة واحدة وأعلن استقلال ليبيا وأصبح السيد ادريس السنوسى ملكا عليها وذلك فى ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١

وهكذا استطاع الليبيون أن يستقلوا وأن يضربوا مثلا رائعا فى البطولة والشجاعة رجالا ونساء ٠ وهم الآن يعملون جاهدين لان تكون بلادهم فى مقدمة الدول المتحضرة ذات السيادة والاستقلال التام ٠

والدستور الليبى ينص على أن ليبيا دولة حرة مستقلة ملكية وراثية جزء من الوطن العربى ٠ والسلطة التنفيذية فيها يتولاها الملك بواسطة وزرائه ٠ والسلطة التشريعية هى مجلس شيوخ يعينه الملك ومجلس نواب منتخب ٠ أما حقوق الشعب فهى المساواة أمام القانون والحريات مكفولة للجميع ٠

لم يكن العرب يعنون بالحروب البحرية في صدر الاسلام ، ذلك لأنهم لم يعتادوا ركوب البحر ولم يمارسوا أحواله . وكان أول من ركب البحر في الاسلام العلاء بن الحضرمي والى البحرين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب فقد حدث أن توجه لغزو بلاد الفرس في اثنى عشر الفا من المسلمين عن طريق الخليج العربي وعاد المسلمون محملين بالغنائم ، ولكن الحملة باءت بالفشل ، وفقد المسلمون سفنهم التي عبروا بها الى فارس . فلما علم الخليفة بأمر تلك الحملة غضب على العلاء ، لأنه قام بتلك الغزوة دون أذن منه ولان عمر كان يكره ركوب البحر . ولذا قرر عزل العلاء . ولما طلب معاوية بن أبي سفيان والى بلاد الشام في عهد عمر بن الخطاب ، الأذن بركوب البحر والح في الطلب ، بعث عمر الى عمرو بن العاص عامله في مصر يطلب اليه ان يصف له البحر فقال « ياأمير المؤمنين انى رأيت البحر خلقا كثيرا يركبه خلق صغير ، ليس الا السماء والماء ، ان ركد أحزن القلوب وان ثار ازاغ العقول ، يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة وهم فيه دود على عود ان مال غرق وان نجا برق . وعندما تلقى عمر هذا الكتاب بعث الى معاوية برسالة جاء فيها .. لا والذي بعث محمدا بالحق ، لا أحمل فيه مسلما أبدا وقد بلغني ان بحر الشام يشرف على اطول شيء من الأرض فيستأذن الله تعالى كل يوم وليلة أن يفيض على الأرض فيغرقها ، فكيف احمل الجنود في البحر الكافر المستعصب ؟ وتالله لمسلم واحد أحب الى مما حوته الروم ، فاياك أن تعرض لي ، وقد تقدمت اليك وعلمت مالقى العلاء مني ولم أتقدم اليه في مثل ذلك « . فلما ولى الخلافة عثمان بن عفان ، أعاد عليه معاوية الكرة الى طلب غزو الروم بحرا ، فأذن له على ألا يحمل الناس على ركوب البحر كرها

اذ قال له : تنتخب الناس ولا تقرع بينهم ، خيرهم فمن اختار الغزو طائعا فاحمله وأعنه .

أما بالنسبة لمصر فانه لم يكد يستقر عبدالله ابن سعد بن أبي سرح في ولايته في مصر من الخليفة عثمان سنة ٢٣ هـ ، حتى انقض الروم في عهد الامبراطور قسطنطين بن هرقل ، باسطول على ميناء الاسكندرية واستولوا عليها ، ولم يرحب القبط بعودة بلادهم الى الروم ، لذا

كتبوا الى الخليفة عثمان يلحون في اسناد حرب الروم الى عمرو بن العاص لما كسبه فى حروبه معهم من خبرة ، فولى عثمان عمرا الاسكندرية وعهد اليه بحرب الروم واخراجهم من مصر . وفى مدينة نقيوس دار القتال بين جند عمرو وجند الروم فى البحر والنيل وكذا الترامى بالنشاب حتى وفع فرس عمرو من تحته . ثم طلب المسلمون المبارزة بين فارس منهم وفارس من الروم ، فكانت الغلبة لفارس المسلمين

فثارت فى حميتهم وشدوا على العدو وانتصروا عليه وقتلوا قائده ، ثم تعقبوا الغالة الى الاسكندرية وأعملوا السيف فى رقابهم ، وقد اقام عمرو فى الموضع الذى رفع فيه السيف مسجدا عرف فيما بعد باسم مسجد الرحمة لايزال قائما حتى اليوم وهكذا انتصر المصريون فى أول غزوة بحرية شنها الروم عليهم فى العصر الاسلامى سنة ٢٥ هـ

على أن الدولة البيزنطية لم تقنع بهزيمتها فى الاسكندرية سنة ٢٥هـ ، اذ جاء الامبراطور قسطنطين على رأس أسطول مكون من نحو ألف سفينة سنة ٣٤ هـ لغزو مدينة الاسكندرية فدارت بينه وبين الاسطول المصرى بقيادة عبد الله بن سعد بن ابى سرح معركة بحرية حاسمة عرفت فى المراجع العربية باسم موقعة « ذات الصوارى »لكثرة ما التحم فيها من الصوارى ، واشتهرت فى المراجع الاجنبية باسم موقعة (فونيكة) لوقوعها بالقرب من ثغر فونيكة غربى الاسكندرية ولما علم معاوية والى بلاد الشام بمجىء قسطنطين بنفسه على رأس الأسطول. خرج من الشام بأسطوله وانضمت وحداته الى مراكب عبد الله بن سعد ، فقربا سفنهما وربطا بعضهما ببعض ولاقا الروم جبهة واحدة فاقتتلوا بالسيوف والخناجر ، وقد وصف المقريزى المعركة وصفا مفصلا جاء فيه « قدم قسطنطين بن هرقل لغزو الاسكندرية سنة ٣٤ هـ على رأس اسطول من نحو ١٠٠٠ سفينة وكانت مراكب المسلمين مائتى مركب ونيفا، فقام عبد الله بن سعد بين ظهرانى الناس فقال

« بلغنى ان ابن هرقل قد أقبل عليكم فى ألف مركب فأشير على ، فقام رجل من اهل المدينة كان متطوعا مع عبد الله بن سعد فقال «أيها الامير ان الله مع الصابرين » فقال عبد الله « اركبوا فركبوا ، وانما فى مركب نصف شحنته لانه خرج النصف الآخر الى البر . فاقتتلوا بالنبل والنشاب وتأخر ابن هرقل لئلا تصيبه الهزيمة ، وجعلت القوارب تختلف اليه بالاخبار ، فقال « ما فعلوا ؟ » قالوا : اقتتلوا بالنبل والنشاب ، فقال : غلبت الروم، ثم أتوه فقال ، مافعلوا ؟ قالوا ، نفدت الحجارة وربطوا المراكب بعضها ببعض يقتتلون بالسيوف قال ، غلبت الروم »

فقرن مركب عبد الله يومئذ بمركب من مراكب العدو ، فكان مركب العدو يجتر مركب عبد الله اليهم ، فقام علقمة بن يزيد العطيفى وكان مع عبد الله فى المركب فضرب السلسلة بسيفه فقطعها ، فسأل عبد الله امرأته بسيسة بنت حمزة بن يشرح وكانت مع عبد الله يومئذ ، من رأيت أشد قتلا ؟ قالت علقمة بن يزيد صاحب السلسلة وكان علقمة قد خطبها من ابيها قبل عبد الله ،فلما كلمه عبد الله تركها .

وتعتبر موقعة « الصوارى » أول حرب بحرية قام بها المسلمون وكانت لها نتائج على جانب كبير من الأهمية ، اذ انها ثبتت أقدام العرب فى مصر من جديد ، كما اتاحت للاسطول المصرى والشامى الفرصة لفتح جزيرة قبرص فى ذات السنة ، ومكنت لهم من تجريد حملة لغزو بلاد الدولة البيزنطية ردا على اعتداءاتهم البحرية المتكررة .

وفى عهد الدولة الأموية بدأت البحرية الاسلامية تأخذ مركزا مرموقا فى النظام الحربى والادارى فقد عنى معاوية منذ توليه الخلافة بانشاء السفن لصد غارات الدولة البيزنطية على الدولة الاسلامية بصفة عامة وعلى مصر وبلاد الشام بصفة خاصة ، فرتب لغزوها الصوائف والشواتى ، ووضع نظاما يكفل استمرار الحرب بينه وبينهم صيفا وشتاء .

وكما تحملت مصر العبء الاكبر من غزوات الروم البحرية فى عهد الخلفاء الراشدين كذلك كان الحال فى العصر الأموى ، فقد حدث فى ولاية مسلمة بن مخلد ان غزا الروم مدينة البرلس سنة ٥٣ هـ وقتلوا كبيرا من المسلمين ومن بينهم وردان مولى عمرو بن العاص ، ومن ثم اهتم أمراء مصر ببناء السفن ، فأنشئت • لأول مرة فى ديار الاسلام لافى مصر فحسب (دار الصناعة) لبناء السفن فى جزيرة الروضة سنة ٥٤ هـ

وفى العصر العباسى تكون أول أسطول اسلامى بمصر فى عهد عنبسة بن اسحق أميرها من قبل الخليفة المتوكل على الله العباسى • وذلك لرد اعتداءات الروم المتكررة على الموانى المصرية فقد استولوا على تانيس سنة ١ هـ ، ثم نزلوا بعد ذلك مدينة دمياط سنة ٢٣٨ هـ وملكوها وقتلوا وسبوا الكثير من أهلها ، فعظم ذلك على أمير مصر فأمر بانشاء الشوانى (نوع من السفن الحربية) للاسطول وجعل للبحر غزاة دائمين مثل غزاة البر وجعل أرزاقهم مستمرة تصرف من ديوان العطاء للجندية ، فاقبل الناس على تعليم أولادهم الرماية وجميع فنون الحرب البحرية • كذلك انتخب عنبسة للاسطول القواد المدربين وزوده بالرجال والسلاح وبسفن افريقية وأندلسية وشامية فكانت الحروب بين المسلمين والروم سجالا يوما لهم ويوما عليهم ، يأسر بعضهم بعضا ، مما دعا الخلفاء الى افتداء اسراهم بالمال فوضعوا مايسمونه بالفداء • وكان الفداء قبل ذلك بالمبادلة ((النفر بالنفر)) • وأول من افتدى اسرى المسلمين بالمال الخليفة هارون الرشيد سنة ١٨٩ هـ •

وقد ورد فى أوراق البردى أن الحكومة كانت تحصل ضرائب غير عادية لتجهيز الاسطول وتختار المستخدمين اللازمين له من بحارة وغيرهم من أصحاب المهن الأخرى كالنجارين والنساجين وغيرهم كما فرضت على طائفة معينة من الشعب ان تحترف حرفا معينة كانت وراثية فى اسرهم ومن هنا جاءت مهارة المصريين فى صناعة السفن ، اذ ان المراكب الأولى التى صنعت للاسطول الاسلامى لم تنشأ الا فى القسطاط والقلزم كما استعين بالصناع المصريين فى انشاء دار الصناعة فى (عكا) كما أرسل ثلاثة آلاف قبطى لبناء (دار الصناعة) بتونس

ولما استقل أحمد بن طولون بولاية مصر انشأ فيها أسطولا كبيرا ، فزاد فى بناء السفن وتجهيزها بالآلات واحاطها بسياج وأسوار متينة ، وكان مقرا لصناعة لايزال فى جزيرة الروضة واستمرت كذلك طوال العهد الطولونى ، وجاء فى وصف المقريزى لوصف الاسطول الطولونى ما يلى :

بنى ابن طولون اسطولا يتألف من مائة مركب حربية سوى مايضاف اليها من العلابيات والحمائم والعشاريات والسنابيك والزوارق وقوارب الخدمة • ويتضح من العبارة التى أوردها المقريزى ، ان العلابيات والحمائم والعشاريات والسنابيك والزوارق والقوارب ، اسماء لمراكب غير حربية ، فهى اذن تجارية ونيلية •

وعندما اكتمل لمصر استقلالها السياسى والدينى على يد الخلافة الفاطمية ، التى نافست الخلافة العباسية فى بغداد والأموية فى الأندلس ، أصبحت فى حاجة ماسة الى أسطول قوى يحمى استقلال موانيها وموانى البلاد التابعة لها التى امتدت من شواطىء الشام شرقا الى برقة والمغرب الأقصى غربا فأنشأ المعز لدين الله الفاطمى ، ثم جاء بعده من الخلفاء السفن الحربية فى القسطاط والاسكندرية ودمياط ، كانت تسير بعض وحداتهم للمرابطة فى موانى الشام مثل صور وعكا وعسقلان ، وقد بلغت الجنود البحرية فى أيامهم خمسة آلاف جندى لهم

رواتب معينة ويتولى أمرتهم عشرة قوادتتراوح جامكيتهم « روابتهـم » من عشرة الى عشرين دينارا ، كما كانت لهم اقطاعات تعرف باسم (ابواب الغزاة) . وكان القـواد العشرة ينتخبون من بينهم رئيسا للاسطول ، فاذا ساروا الى الغزو كان هو الآمر الناهى فيهم ، ويصحب أمير الاسطول أمير كبير من أمراء الدولة . وكان الخليفة يتولى بنفسه توزيع رواتب قواد الاسطول بحضور الوزيروذلك مبالغة فى اكرام رجال البحرية ورفع منزلتهم

وقد بلغ عدد الأسطول فى العصر الفاطمى (٦٠٠) قطعة كانوا يحتفلون فى اجراجهـا احتفالا شائقايحضره الخليفة فيجلس فى منظرة معدة له على ساحل النيـل بالمقس (ميدان رمسيس الان) لوداع الاسطول . فتخـرج المراكب الى هناك وهى مزينة بأسـلحتها وبنودها ، وفيها المنجنيقات فيرمى بها ، ايذانا ببدء السير ، فتقلع ، وتفعل ما تفعله كما لو كانت فى حرب ، وهو ما يعبر عنه اليـوم (بالمناورة) . ثم يحضر الرئيس والمقـدم بين يدى الخليفة فيودعهما ويدعو لهما ويعطى المقدم مائة دينار والرئيس عشرين دينارا ، ويحتفلون مثل هذا الاحتفال عند عودتهم من الغزو .

وكان للاساطيل المصرية فى العصرالفاطمى أثر كبير فى توسيع رقعة الدولة الاسلامية . فقد فتحوا بها أشهر جزر بحر الروم مثلا سردينيا وصقلية ومالطة وأفريطش « كريت » وقبرص وغيرها ، كما فتحوا كثيرا من سواحل هذا البحر فيما يلى أوروبا ، فكانت هـذه الاساطيل وعليها العساكر الاسلامية تجوس خلال البحر من صقلية الى الجزائر البريطانية ذهابا وايابا ، فتوقع بجيوش الفرنجة وتثخنهم بالجراح وتسبى ابناءهم وخاصة فى ايام بنى الحسن ملوك صقلية التابعين للفاطميين فى مصر . وظل الحال على ذلك حتى ضعفت الدولة الفاطمية ، فأفاق الفرنجة من سباتهم العميق وسطوا على بلاد المسلمين باسم الدين وسموا غزوات السلب والنهب التى قاموا بها (الحروب الصليبية)

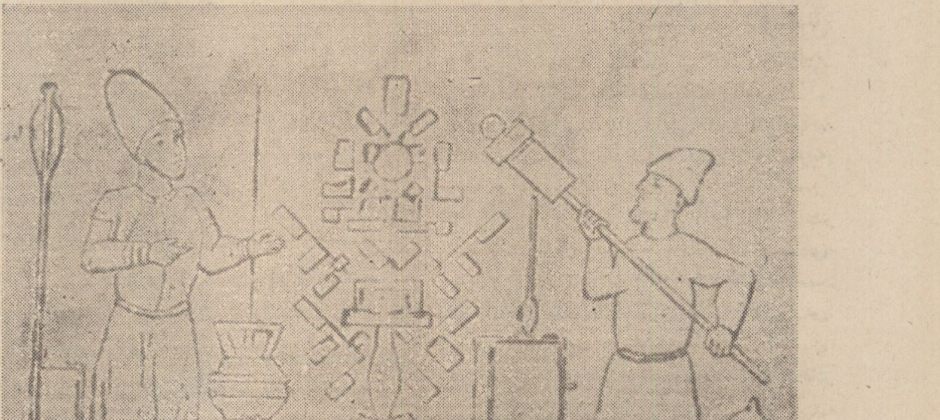

تبين هذه الصـورة اختراع العرب للاسلحة النارية

مشهد السيدة رقية

الأستاذ محمود وصفي

تزخر الجمهورية العربية المتحدة بكثير من المساجد والمشاهد بعضها لآل بيت النبى - صلى الله عليه وسلم - والبعض الآخر لكبار رجال مصر من خلفاء وسلاطين ووزراء والشخصيات الأخرى . ومما يلفت النظر أن هذه المنشآت لم تقتصر على الرجال فقط ، بل كان للسيدات نصيب كبير منها . مثال ذلك مسجد السيدات زينب وعائشة ونفيسة وفاطمة النبوية وشجرة الدر وغيرها ، ولقد ذكرت هذه المشاهد على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر فعددها كبير .

ومشهد السيدة رقية بنت سيدنا الامام على بن أبى طالب خليفة المسلمين الرابع - كرم الله وجهه - ورقية رحمها الله أمها الصهباء أم حبيبة بنت ربيعة التغلبى وكانت مثالا يحتذى به فى الورع والتقوى ولا يزال مشهدها قائما الى اليوم يزوره الناس تبركا وتيمنا بها .

وعلى الرغم من قلة المعلومات التى أمدتنا بها الكتب عن سيرة السيدة رقية التى تكاد تجمع على أنها ولدت لسيدنا على من أم حبيب الصهباء التغلبية ، وكانت من سبى الذرية حين أغار سيف الله المسلول خالد بن الوليد على بنى تغلب بعين التمر فاشتراها على - رضى الله عنه - واستحظى بها فأولدها **عمرا ورقية** . وتذكر بعض المصادر أنهما كانا توأمين ، وقد عمر عمر خمسة وثمانين سنة وحاز نصف ميراث على ، **ذلك** ان أخواته واشقاءه وهم عبد الله وجعفر وعثمان قتلوا مع الحسين بالطف فورثهم .

وجاء فى الباب العاشر من المتن للشعرانى قال « وأخبرنى الخواص ان رقية بنت الامام على - كرم الله وجهه - فى المشهد الموجود بتكيتها المعروفة « بتكية » السيدة رقية بمصر .. وهذه التكية فى غاية الاتقان والخفة النورانية وبداخلها ضريح السيدة رقية يعلوه قبة لطيفة الصنع ، وهناك مساكن للصوفية وحنفيات للوضوء وحنفية صغيرة ويعمل لها مقرأة وحضرة كل أسبوع ومولد كل سنة ، وشعائر هذه التكية مقامة من أوقاف السيدة رقية التى يبلغ مقدارها ثلاثة عشر ألف قرش وسبعمائة وثمانية عشر قرشا وثلاثين بارة بالعملة الاميرية المصرية »

ومنه يتبين أن الدوحة العليا والشجرة النبوية لها فى قلوبنا جميعا المنزلة الأولى ، فالامام على ، هو ابن عم رسول الله - صلى

الله عليه وسلم – وزوج ابنته فاطمة البتول والدة الحسن والحسين أحباء النبى الكريم، والتى قد أجمع المؤرخون أن عليا لم يتزوج عليها فى حياتها .

ولهذه المنزلة التى فى نفوسنا لآل البيت قد بنى لأفرادها كثير من المشاهد ومنهـا مشهد السيدة رقية الذى أضيفت اليه كثير من الاصلاحات وتناولته يد التجديد والتعمير على مر العصور حتى صار الى الحـالة التى هو عليها الآن .

لهذه الاعتبارات جميعهـا فكرت أن أكتب عن هذا المشهد بنية صافية ونفس راضية . ويتكون المشهد من مسجد صغير داخـل سور تكية يشترك معه فيها **مقاما محمـد الجعفرى والسيدة عاتكة** . وعندما أنقـذت لجنة حفظ الآثار هذا المسجد سـنة ١٩١٦ م أغلق البهو الكبير لهذه التكية وقسم الى ثلاثة غرف ، وفى الجهة الجنوبيه الشرقية كان البناء مدفونا كذلك الى ارتفاع أربعة أمتار فى تلال من التراب . وكما تقول الامثال : رب ضارة نافعة ، فقد حفظت لنا هذه الأتربة هذا الأثـر الجميل .

ومهما يكن من شىء فندخل الى المسـجد الان بواسطة بهو ذى ثلاثة اقواس ترتكز على قاعدة قوس على يمين ويسار المدخـل حيث يمكن التمييز بينهما وبين البناء الجـديد . وعرض المدخل الذى تشغله هـذه الأقواس الثلاثة يزيد على الثمانية أمتار . أما البهـو نفسه فمساحته اثنا عشر ونصف طولا فى اثنين ونصف عرضا . وفى الوسط يوجـد الحرم الذى به المحراب الجميل تعلوه قبـة مخططة بخطـوط تتفرع من ميـداليون أو جامة .

أما الداخل فينقسم الى ثلاثة أقسـام : الأوسط منها يعلوه قبة ، أما الجانبية فيغطيها سقف خشبى كما هو الحال فى البهو ، ومن هنا يمكننا القول ان هذا مثـل للتخلص من الأثر السورى الذى يسود مسجد الجيوشى بجبـل المقطم لان السـقف الخشبى احـد مميزات الهندسة المصرية الخالصـة . بينما الأقبية المصنوعة من الحجر أو الآجر وقفت على عصور أخرى مثل العصر الأيوبى حين بلغ الأثر السورى أشده .

والقسم الأوسط ذو القبة تزيد مساحتـه على خمسة أمتار بقليل، أما القسمان الجانبيان فطولها خمسة أمتار وعرضهـا ٢ر٨٥ مترا ، ويفصل القسم الأوسط بالقسمين الاخرين بواسطة مدخلين مستطيلين من طراز غريب عرضهما فى مسـتوى الأرض ٣ر٦٢ مترا .. ولكن هذا العرض يضيق على ارتفـاع ٣ر١٢ متر الى عرض ٢ر٢٠ مترا ، لأن الحائطيـن يقتربان هنا ويحمل كل منهمـا زوجا من الأعمـدة ، والارتفاع الكلى لهذا المدخـل المستطيل تصبح ٥ر٥٢ مترا ويحف بالمحراب اطار بشكل هذا البـاب وكذلك فى الجـانب المقابل يوجد اطار يحف بباب الدخول .

وترتكز قبة المسجد على المقرنصات وتشبه ذلك الموجود فى مقامى الجعفرى والسـيدة عاتكة ، غير أن النافذة التى تمـلأ الفراغ تنقسم الى ثلاثة أقسام وذلك لعلاج عيـوب الطرز القديمة ، فان قبة السيدة رقيـة هى البداية لظهور هذا النوع من القباب فى مصر الاسلامية . وهذه النوافذ مسدودة فى الوقت الحاضر .

ويقول العالم الأثرى السنيور « بارتيكلو » الذى رمم هذا البناء بأنها كانت مسدودة من الأصل لأسباب هندسية لأنه يقول أن القوس الرفيع الموجود فى القسم الأعلى من النافذة غير كاف لحمل ثقـل العمود الذى يفصـل النافذتين الموجودتين فوقه مباشرة . ولكن هذا الرأى لا يتفق مع حقيقة أن نوافذ السيدة عاتكة مفتوحة وهى سليمة وآمنة وينقصهـا انسداد النوافذ الذى يقوى هذا المشهـد . ومنطقة التحول عارية الآن ولكن هناك قطعة كبيرة من الزخرفة الأصـلية من الزخارف النباتية المحورة المعروفة تحيط بالجزء الاسفل من النافذة الشمالية الشرقية ، وهناك أيضا آثار طفيفة منه تحت قاعدة النافذة المقـابلة

ومن هذا نرى أن منطقة التحول لم تكن عارية تماما كما هى الان .

والزخارف والأرابسك هى العبارة التى تطلق على الفن الاسلامى وطابعه الخاص . فقد حدثلما فتح المسلمون البلاد أخذوا منها بعض العناصر الزخرفية واختاروا منهـــا ما يلائم الذوق العربى وما يقره الدين ، وقد استغرقت عملية الجمع والاختبار والمزج ثلاثة قرون تقريبا وأصبح للفن الاسلامى بعـده طابعه الخاص المميز له الذى لا تكاد تخطئه العين والذى يطلق عليه الأوربيون لفظ أرابيسك .

هذا وبين منطقة التحول والقبة توجد قاعدة مثمنة يخترقهـا نافذتانفى كل وجه منها . ومع أن القواعد ذات النوافذ كانت معروفة فى ذلك الوقت نجد أننا لانرى هذه الميزة مرة أخرى حتى أيام السلطان قلاوون بعد مائة وخمسين سنة . وهذه حقيقة غريبة لأننا نجد تقدما محسوسا اذا قارنا هــذه القاعدة الجميلة التى يزينها النقوش من الخارج ونافذتان فى كل وجه ويحملهـا من الداخل أربعة نوافذ كاذبة كقواعد قبـاب مسجد الحاكم أو جامع الجيوشى أو مسجد اخوة يوسف أو الأزهر .

ولكن هذا التقدم توقف مؤقتا واذا وجدنا نوافذ فوق منطقة التحول نجدها مفتوحـة بجهالة فى القبة نفسها بدل أن تفتـح فى القاعدة التى أعدت لهذا الغرض كما هو الحال فى مدفن السلطان الصالح ومدفن شجرة الدر وشكل هذه النوافذ غريب يذكرنا بالفجوات التى تزين الوجه الداخلى لبروز باب زويلة . فكل نافذة موضـوعة فى اطار مسـتطيل بسيط .

وقبة المشهد لها أربعة وعشرون ضلعا .. ولكن هذه الضلوع أقل ضخامة من أضلاع قبة السيدة عاتكة ، وتتقابل هذه الأضلاع فى دائرة . أما الأطراف السفلى لهذه الأضلاع فيزينهـا أشرطة من الألوان الأزرق والأخضر والأصفر والاحمر على التوالى ، والحقيقة أنها تتفق مع ألوان الطيف البنفسـجى والبنى والأزرق والأخضر والأصفر والبرتقـالى والاحمر وطراز القبة مأخوذ من القيروان فهى فاطمية من شمال افريقية .

ويمتاز هذ المشهد بمحراب من الجص ، وهو بحق من اجمل ما عرف فى مصر من المحاريب ارتفاعه ستة امتار تقريبا وعرضه ثلاثة أمتار فهو أكبر من أى محراب عرفناه حتى الآن . ويتكون من فجوة سعتها ١٫٢٠ مترا وعمقها ١٫١٠ مترا يعلوها قمة على هيئة الودعة تتفرع خطوطها من جامة فى وسطه نقش اسم سيدنا على يحيط به اسم سيدنا محمد مكررا سبع مرات .

والحافة الداخلية المخططة يحيط بها ثمانية عشر فصا وهذه بدورها يحيط بها تسعة فصوص أكبر منها وهذه الفصوص الوسطى مرتبة بحيث يقابل كل اثنين منهـا واحدة من الكبيرة .

هذا والجزء يحيط به قوس والأجزاء التى بين الأقواس بها زينة من الارابيسك ، ومن ركن كل من هذه المسافات توجد دائرة لا بد أنه كان يشغلها عقدة بارزة كما هو الحال فى محراب السيدة عاتكة .

وفى أعلى الاطار المستطيل يمتد شريط من الخط الكوفى الجميل وسطح هذا الجزء مائل الى الأمام لكى تسهل قراءة النقش من أسفل كما هو الحال فى مسجد الجيوشى . وفوق هذا الجزء يصير الحائط رأسيا مرة أخرى وهناك شريط يساوى الشريط السـابق فى العرض تزينه كتابة معقدة يمكن القول بأن ثلاثة عناصر متشابكة قد كررت تسع مرات .

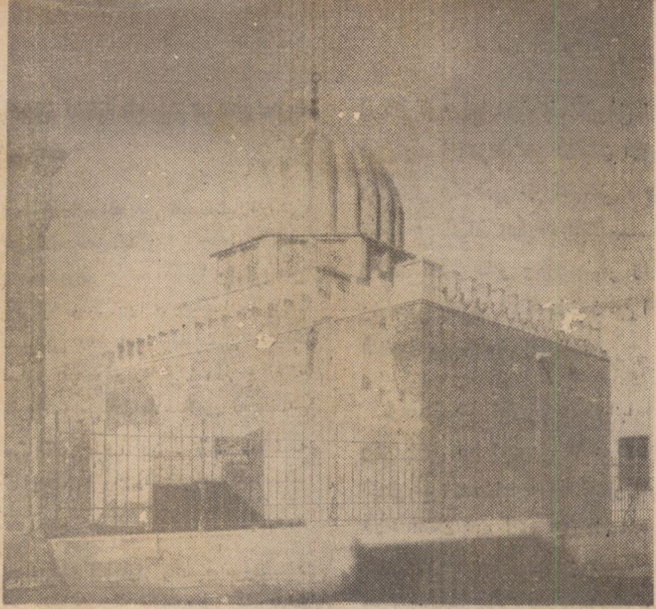

قبة السيدة رقية ذات الاربعة والعشرين ضلعا

والمسجد به من الداخل خمسة محاريب ومن الخارج اثنان فيكون مجموعها سبعة محاريب •

واذا أردنا أن نعرف الشكل الأصلي للمشهد فاننا نجد أنه يظهر من شكل الحوائط الجانبية التى تبرز عن الواجهة الحالية أن البناء بشكله الحالى غير كامل •

وهناك دليل آخر على ذلك هو الدعامتان اللتان عرض كل منها أربعين سنتيمترا ، القائمتان على يمين ويسار الفتحة الحالية ذات الثلاثة اقواس • ويمكننا القول اذن ان هذه الفتحة جزء من صف من الأقواس التى كانت بواكى جانبية كالتى فى مسجد الأقمر • وبذلك يتكون فناء يحيط به من كل جهة من جهاته الأربع ثلاثة أقواس •

ومن ناحية أخرى اذا اتبعنا الطريقة التى بني عليها جامع الجيوشي فنقول بوجود محاريب جانبية ذات سطوح خشبية مسطحة كان من الصعب تعليل وجود هذه الحوائط النهائية •

ويمكننا الآن أن نضع فى الشمال الغربى المدخل الرئيسى وغرفة المدخل فى الوسط يحيط بهما من كل ناحية سلم الى السطح ، ومن ناحية أخرى حجرة أو حجرتان •

أما عن تاريخ هذا المشهد فان أول محاولة لتحقيق تاريخ هذا البناء قام بها العالم « رافيس » سنة ١٨٨٩ م وهو يبحث محراب السيدة رقية الخشبى الجميل المتنقل • وبمناسبة ذكر المحاريب المتنقلة أقول أنها ابتدأت تظهر فى النصف الثانى من خلافة الدولة الفاطمية فى مصر ، وكانت توضع هذه المحاريب فى الغرفة التى تجاور المقصورة حتى اذا حضر الخليفة الصلاة يؤتى بها لتوضع مباشرة مكان القبلة من الباب الذى يجاورها حتى لا يمر الخليفة فى طريقه الى المحراب ويتخطى رقاب المسلمين الراكعين والساجدين

ولأهمية هذا المحراب نورد شيئا عن وصفه فهو آية فى دقة الصنعة ولا يزال فى حالة جيدة جدا وهو مزين بالزخارف من الظهر والجانبين •

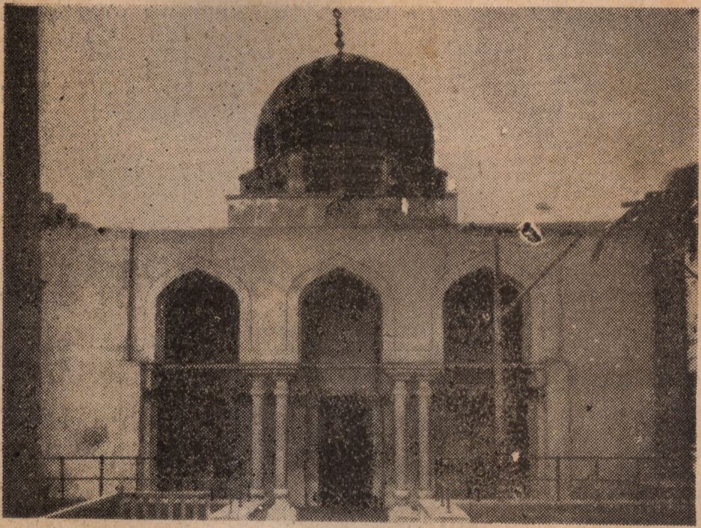

مشهد السيدة رقية وتظهر فيه المداخل الثلاثة ومحرابان خارجيان والباب ..

وحنية القبلة فى هـذا المحراب مكونة من حشوات سداسية الشكل مجمعة بحيث تحصر بينها حشوة على شكل نجمة ذات ستة أطراف وتزين كل حشوة من تلك الحشوات سيقان نباتية دقيقة فيها وريقات ذات فصوص طويلة وتحيط بحنية القبلة كتابة بالخط الكوفى المشجر تتضمن بعض آيات قرآنية .

أما واجهة المحراب فمن خشب أرو ومزخرفة بحشوات من ساج هندى وخشب زيتون على شكل نجوم وأشكال هندسية أخرى كثيرة الأضلاع وغنية بما فيها من سيقان ووريقات دقيقة . ويحيط بالزخارف اطار من كتابة كوفية مشجرة منها النص الآتى :

« مما أمرت بعمله الجهة الجليلة المحروسة الكبرى الآمرية التى كان يقوم بأمر خدمتها القاضى أبو الحسن مكنون ويقوم بأمر خدمتها الآن الأمير السديد عفيف الدولة أبو الحسن يمن الفائزى الصالحى برسم السيدة رقية ابنة أمير المؤمنين على » .

وظهر المحراب مزينا بتسع حشوات كبيرة بين رسومها تباين جميل ، **فالمعينات والأشكال النجمية مزينة بفروع نباتية قليلة الحفر** بينما الحشوات الأخرى محلاة بأوراق عنب وعناقيد عميقة الحفر .

والامرية التى ورد ذكرها على المحراب هى كناية عن زوجها الخليفة الآمر المسماة الأميرة علم الآمرية . كما أن الصالحى يقصد به أبو الحسن مكنون القاضى وكان خصيا فى خدمة الأميرة علم ثم خلفه فى خدمتها الأمير عفيف الدولة أبو الحسن يمن وقد اشرف على المحراب بعد وفاة سلفه وكان ذلك سببا فى ذكر اسميهما معا فى هذه الكتابة .

ومهما يكن من شىء فان العبارة التاريخية التى جاءت فى هذا المحراب تحمل على القول بأنه صنع فى حياة الخليفة الفائز ووزيره الصالح طلائع ، أى بين سنتى ٥٤٩ – ٥٥٥ هـ ، ١١٥٤ – ١١٦٠ م .

وهذا المحراب الخشبى هو الآن جزء مهم من ثروة متحف الفن الاسلامى بميدان أحمد ماهر بالقاهرة . وقد ذكر فقرة من المقريزى

تقول ان شخصا اسمه أبو تراب كان وكيلا للأميرة التى بنت مسجد السيدة رقية ، وبما أن هذا الرجل مات سنة ٥٢٨ هـ - ١١٣٤ م فانه يستنتج أن مسجد السيدة رقيـة لا بد وأن يكون قد بنى قبل هذا التاريخ .

ولكن العالم فان برشم قد أشار بأن الشيء الذي لم يذكره المقريزى هو أن الوكيل بنى الجامع ولهذا لا يهمتنا تاريخ وفاته ، ثم يستطرد ليبرهن أن المحراب الخشبى صنع سنة ٥٥٠ الى ٥٥٥ هـ ، ١١٥٥ - ١١٦٠ م، فى حين أن تاريخ بناء المقام ظل مجهولا .

ولكن على كل حال فاثناء تنظيف داخل القبة رفعت طبقة سميكة من الملاط وبذلك كشف عن الزخارف الملونة الاصلية للقبة سليمة تقريبا وكذلك كشف عن نقشين قرآنيين كتبا بالخط الكوفى باللون الأزرق على أرضية بيضاء ، احدهما يمتد حول الحافة السفلى للقاعده حيث تبدأ الضلوع والثانى حول قمة المربع الذى تحت البندنتيف أو الجامة . والنقش الأخير ينتهى بالتاريخ « فى شهر ذى القعدة فى السنة السابعة والعشرين والخمسمائة ، سبتمبر سنة ١١٣٣ م .

هذا والنقوش الملونة نادرة جدا لدرجة تجعلنا نهتم بذكر ثلاثة من أقدمها .

أولا - النقش الموجود على حوائط القصر الصغير المعروف بقصر الحراسة فى الأردن وهو يقول .. « .. وقالها - وعبد الملك بن عبيد كتبها فى يوم الاثنين لثلاث بقين من محرم فى سنه ١٩٢ » اكتوبر سنة ٧١٠ م .

ثانيا - فى قصير عمرة الذى بنى سنة ٢١٥ هـ - ٧١٢ م .

ثالثا - فى بيت فى الصعيد اكتشف سنة ١٩٠٠ م وهو عبارة عن ستة سطور مكتوبة بالخط الكوفى البسيط « ... ومالك بن كثير كتبه فى رجب سنة ١١٧ هـ - أغسطس سنة ٧٣٥ م » .

أوصى الامام جعفر الصادق ابنه موسى فقال :

« يا بنى .. انه من قنع بما قسم الله له استغنى ، ومن مد عينيه الى ما فى يد غيره مات فقيرا ، ومن لم يرض بما قسم الله له اتهم الله تعالى فى قضائه ، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره ، ومن كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ، ومن سل سيف البغى قتل به ، ومن احتفر لأخيه بئرا سقط فيها ، ومن خالط السفهاء حقر ، ومن خالط العلماء وقر ، ومن ادخل نفسه فى مدخل السوء اتهم .

يا بنى .. قل الحق لك وعليك ، واياك والنميمة فانها تزرع الشحناء فى قلوب الرجال » .

الرحالة والمستكشفون العرب :

- ٥ -

العرب والملاحة

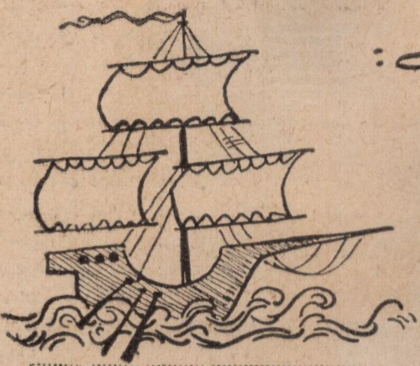

الدكتور انور عبد العليم

كانت ثقافة العرب الملاحية قبل الاسلام محدودة • الى ان جاء ذلك الدين القيم فحث المسلمين على ركوب البحر واستغلال ثروته فى محكم آيات الذكر فقال تعالى :

« ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما »

« الاسراء آية ٦٦ »

وفى قوله جل شأنه ترغيبا لهم فى البحر فى الاية الكريمة :

« وهو الذى سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون »

« النحل آية ١٤ »

وفى قوله عز من قائل :

« الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » •

ومما يدلل على ان الاعراب قبل الاسلام كانوا لا يحبون ركوب البحر قول قائلهم :

اقول وقد راح السفين ملججا
وقد بعدت بعد التقرب صور
وقد عصفت ريح وللموج قاصف
وللبحر من تحت السفين هدير

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحذر المسلمين فى مبدا الامر من المخاطرة بمقابلة العدو بحرا وسبب ذلك واضح فهو كان يخشى الهزيمة لقلة خبرة العرب الاوائل بالبحر ولعلمه بان الامم البحرية الاخرى كالروم والفرس كانوا اقدر من المسلمين على ركوب البحر والقتال فيه • وله فى ذلك حكاية مشهورة فقد اراد العلاء بن الحضرمى وكان عاملا لعمر على البحرين ان تكون له من الشهرة ما لسعد بن ابى وقاص فى بلاد فارس فعمل اسطولا وحمل فيه اهل البحرين ولم يستاذن به الخليفة لان عمر لا يأذن لاحد فى ركوب البحر غازيا » ثم عبر به الخليج الى اصطخر « فى فارس » فنزل الجند بها وقاتلوا اهل فارس الا ان العدو اخذ عليهم الطريق من جهة البحر ودمر اسطولهم فامتنعوا فى مواطنهم وبلغ ذلك عمر فشق عليه جراة ابن الحضرمى وقاصصه بان جعله تحت امرة سعد بن ابى وقاص •

وحين اراد عمرو بن العاص ان يجعل الاسكندرية حاضرة مصر كتب عمر له يقول « انى لا احب ان تنزل بالمسلمين منزلا يحول الماء بينى وبينهم فى شتاء ولا صيف • فلا تجعلوا بينى وبينكم ماء متى اردت ان اركب اليكم براحلتى حتى اقدم اليكم قدمت » •

ولما قويت شوكة المسلمين بعد ذلك وتوسعت فتوحاتهم وزادت خبرتهم بالبحر وفنونه كتب معاوية الى عثمان يستاذنه فى غزو جزيرة قبرص فرفض اولا ثم اجاز

بشروط وكتب لمعاوية يقول « فان ركبت البحر ومعك امراتك فاركبه ماذونا لك والا فلا ولا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم بل خيرهم فمن اختار الغزو طائعا فاحمله واعنه » ففعل معاوية بما امر به وتدل هذه الكلمات على كياسة سيدنا عثمان اذ يقول لمعاوية لاترغم احدا على الغزو بحرا بل اقبل فى صفوفك من تطوع منهم عن طيب خاطر ، كما لا تنتخب مقاتليك فى هذه الغزوة البحرية التى كانت الاولى من نوعها بالقرعة . الا ان معاوية مع ذلك ركب معه خلق كثيرون من المتطوعين كان من بينهم ابو ذر الغفارى والمقداد وكعب بن الحبر بن مانع وكانت هذه الغزوة فى عام ٢٨ - ٢٩ هجرية . واقلع الاسطول من عكا بمراكب كثيرة ووجهته قبرص كما سار اليها من الاسكندرية ايضا اسطول عربى آخر بقيادة عبد الله بن سعد بن ابى سرح فاجتمعت مراكب المسلمين فى قبرص وصالحهم اهلها بالجزية ومقدارها سبعة آلاف دينار كل سنة « وكانوا يؤدون مثلها للروم لا يمنعهم المسلمون عن ذلك » فكان معاوية بن ابى سفيان بذلك هو اول من غزا فى البحر من المسلمين .

وكانت هذه الغزوة الاسلامية الاولى فاتحة خير على العرب فى البحر اذ بدات شوكتهم البحرية تقوى وسرعان ما اتقنوا فنون الملاحة وتعلموا فن صناعة السفن وجلبوا لها الاخشاب من الشام ومن الهند ومن ساحل الزنج . كما شجعت هذه الغزوة ايضا العرب على الجهاد فى البحر فسرعان ما اعقبها غزوة اخرى بحرية خرج منها المسلمون منتصرين على جحافل الروم فى البحر وهى الدولة التى كانت لها امجاد بحرية تليدة فى حوض البحر الابيض المتوسط . وتعرف هذه الموقعة البحرية التى هزم فيها الروم فى مياه الاسكندرية بموقعة ذات السوارى لكثرة سوارى المراكب . وتفصيل الموقعة يتلخص فى ان الامبراطور الرومى قسطنطين بن هرقل اراد ان يقتص من العرب فجهز اسطولا كبيرا قوامه ٥٠٠ مركب اراد ان يغزو به مصر من الاسكندرية عام ٣٤ هجرية فتصدى له الاسطول العربى فى تلك الميناء وقرب المسلمون سفنهم فربطوا بعضها ببعض واقتتلوا بالسيوف والخناجر وقتل من الروم مالا يحصى عدده وانهزم قسطنطين نفسه جريحا ولم ينج من جنوده الا النزر اليسير .

ومنذ ذلك الوقت ايضا اولى المسلمون للبحر عناية كبيرة وانشاوا دورا لصناعة السفن فى ثغور الاسكندرية وعكا وصور وطرابلس وكانوا يستخدمون اول الامر عمالا من الروم فى هذه الصناعة . ثم بزوا هم انفسهم الروم فيها . واهتم الطولونيون ايضا بصناعة السفن النهرية فى القرن الثالث الهجرى ومن بعدهم الاخشيديون فى القرن الرابع الهجرى وما ان اوشك القرن السادس الهجرى على الانتهاء حتى كانت الدولة الفاطمية من اقوى الدول البحرية فى حوض البحر الابيض المتوسط كله .

ثم انتقلت صناعة السفن بعد ذلك الى الاندلس على ايدى العرب وفى عهد الموحدين والمرابطين كانت موانى طرابلس والقيروان وسوسة من اعظم معاقل صناعة السفن على البحر الابيض المتوسط كله .

كما بنى الاندلسيون ميناء جديدة على المحيط الاطلسى هى ميناء « سلا » واقاموا فيها دارا لصناعة السفن واشرف على التصميم المعلم « ابو عبد الله محمد بن على ابن عبد الله بن محمد بن الحاج من اهل اشبيلية « وكان من العارفين بالحيل الهندسية ومن اهل المهارة فى نقل الاجرام ورفع الاثقال بصيرا باتخاذ الآلات الحربية الجافية » كما يقول المؤرخون .

ولقد بنى العرب سفنا مختلفة الاشكال والاحجام منها ماهو على شكل العقاب او الاسماك او الحيتان او الدولفين وهى اشكال انسابية تقلل من مقاومة جسم السفينة للماء وفى قصيدة لابى نواس يمتدح فيها سفينة على شكل الدلفين « الدرفيل » قوله :

قد سكب الدلفين بحر الدجى
مقتحما للماء قد لججا
فاشرقت دجلة من نوره
واسفر الشطان وابتهجا
لم تر عينى مثله مركبا
احسن ان رسا او عرجا
اذا استحثته مجاديفه
اعنق فوق الماء او عملجا

ويقول ابن خلدون فى وصف اشكال السفن العربية « هى اجرام هندسية صنعت على قالب الحوت واعتبار سبحه فى الماء بقوادمه وكلكله ليكون ذلك الشكل اعون لها فى مصادمة الماء وجعل لها عوض الحركة الحيوانية كما فى الاساطيل » .

هذا ويلخص ابن خلدون ايضا تطور الملاحة العربية التى للسمك تحريك الرياح وربما اعينت بحركة المقاذيف فى قوله :

« ان العرب لم يكونوا اول الامر مهرة فى ثقافة البحر وركوبه . والروم الافرنجه لممارستهم احواله ومرباهم فى التقلب على اعواده مرنوا عليه واحكموا الدربة بثقافته ، فلما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم وصارت امم العجم خولالهم وتحت ايديهم وتقرب كل ذى صنعة اليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النوتيه فى حاجاتهم البحرية امما وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته - استحدثوا بصراء به فشرهوا الى الجهاد فيه وانشاوا السفن فيه والشوانى « السفن العظيمة » وشحنوا الاساطيل بالرجال والسلاح وامطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من امم الكفر . واختصوا بذلك من ممالكهم وثغورهم ماكان اقرب لهذا البحر وعلى حافته مثل الشام وافريقية والمغرب والاندلس » .

مفتاح الحساب

لعالم سمرقند الكبير جمشيد غياث الدين الكاشى

الأستاذ احمد سعيد الدمرداش

تمهيد :

دلت الحفريات الحديثة التى أجراها العلماء باقليم اوزبكستان ، احدى الجمهوريات الاسلامية الست ، التى تشكل عصب الانتاج والرخاء بالاتحاد السوفيتى ، على ان سمرقند وبخارى ، وترمذ كانت على جانب كبير من الحضارة قبل غزو الاسكندر لها . وبنيت سمرقند فوق اطلال مدينة قديمة . كان لها شأن كبير ، ويقال لها افراسياب تمجيدا للبطل الايرانى الأسطورى طوران ، ويرجح بعض الرواة أن الاسكندر المقدونى قضى شتاء فى مدينة سمرقند أثناء غزواته لاواسط آسيا .

ونظرا لموقعها الفريد بين مشارف الطرق التى تجتازها قوافل التجارة ، بين الصين والهند شرقا . وايران جنوبا . واوربا غربا . فقد ازدهرت فيها صناعات شتى ، مثل صناعة الخزف والقاشانى ، ومواسير المياه الفخارية ، والورق والزجاج والخرز الزجاجى . والبللور وفن الطباعة بمختلف ألوانه على القماش ، كما ازدهرت فيها ثقافات وعلوم ذات عناصر هندية وأخرى اغريقية .

ثم تقاسمها خلفاء الاسكندر فى العصر السلوقى ، فكانت احدى ولايات امبراطورية بكتريا العظيمة التى كانت تضم أوزبكستان وطاجيكستان الحاليتين ، وافغانستان وايران والعراق وسوريا ، وقد وقفت سدا منيعا ضد توسع الامبراطورية الرومانية شرقا .

ثم كان الفتح الاسلامى فى العصر الأموى على يد قتيبة بن مسلم الباهلى ، فاتح بلاد ماوراء النهر ، وأدارها الحجاج بن يوسف الثقفى الشهير حاكم العراق وخراسان من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان خير ادارة ، فزحفت اللغة العربية فى كل مكان ، حيث قضت على اللغات التركية والاوزبكية والخوارزمية والفارسية التى كان يتداولها القوم هناك ، وبرز من العلماء والفقهاء جهابذة أمثال الامام البخارى فى بخارى والامام الترمذى فى ترمذ ، واشتهرت سمرقند بأسوارها المنيعة وحدائقها النضيرة ، وصناعاتها المختلفة .

ويذكر الثعالبى وهو احد الادباء فى القرن الحادى عشر الميلادى فى كتابه لطائف المعارف مايلى :

ومن خصائص سمرقند الكواغيد ، التى عطلت قراطيس مصر ، والجلود التى كان الأوائل يكتبون فيها ، لأنها احسن وانعم وأرفق واوفق ولا تكون الا بها وبالصين .

ولقد دلت البحوث والتحاليل الكيميائية على أن تلك الكواغيد تحوى عشبا صينيا وبعض أوراق من شجر التوت وبعض الخرق

يحدثنا ابن خلدون ان البرمكى الفضل بن يحيى ، انتهز فرصة وجوده حاكما على خراسان وتعرف الى ورق سمرقند ، وأدخل صناعته الى بغداد أيام خلافة هرون الرشيد وكان ذلك فى الفترة الواقعة بين عامى ٧٩٤ـ٧٩٥ م ، ومن بغداد انتقلت هذه الصناعة الى الاندلس ثم الى اوروبا .

ويقول ابن النديم فى الفهرست : فأما الورق الخرسانى فيعمل من الكتان . ويقال انه حدث فى ايام بنى امية . وقيل فى الدولة العباسية ، وقيل انه قديم العمل ، وقيل انه حديث ، وقيل ان صناعا من الصين عملوه بخراسان على مثال الورق الصينى .

ولكى نتبين مدى الأثر البعيد الذى تركه اختراع الورق بسمرقند وصناعته بها ، يكفى أن نشير الى مقدار المفردات التى دخلت اللغات الاوروبية ، والتى تتصل بالورق وصناعته اتصالا كبيرا ، فالعبارات الدالة على المقاييس الورقية مثل (بوخ) (ريز) عربية الاصل ، فلفظ (ريز) هو العربى (رزمة) بمعنى ماشد فى ثوب واحد ، ومن ثم انتقلت الى الاسبانية حيث نجد (رزمة) والى الايطالية أيضا .

وفى القرن الثالث عشر تقرأ اخبارا تفيد ان العرب عرفوا نترات البوتاسيوم عن طريق سمرقند ، وأطلقوا على هذا الملح اسم « ثلج الصين » ، وفى كتاب «حسن الرماح» الذى الف فيما بين عامى ١٢٧٥ ـ ١٢٩٥ م عن النار ، والمحفوظ بالمكتبة الاهلية بباريس ، نقرأ عن ثلج الصين كعنصر أساسى فى صناعة الأسلحة النارية كما يصف لنا (حسن الرماح) هذا للمرة الأولى الآلة المعروفة الآن باسم الطوربيد ، فيقول عنها « بيضة تخرج وتحرق»

ثم ظهرت موجات التتر فى الشرق متعطشة للدماء والخراب والدمار ، تحت قيادة تيموجين المعروف باسم جنكيزخان ، أى اعظم الحكام وابتدأ الزحف المغولى الجارف مستوليا على المملكة الخوارزمية تم بخارى سنة ١٢١٩م ثم استمر الزحف قاصدا سمرقند ذات الأسوار المنيعة والابراج الشامخة وفى صبيحة اليوم الثالث من حصارها خارت قوى الجند وسلموا للتتار ، على حين خرج قاضى المدينة ومعه كبار رجال الدين ، وطلبوا الأمان من جنكيزخان فأجابهم لطلبهم وهو يضمر الغدر والخديعة ، فما ان فتحت المدينة أبوابها حق دخلها التتار فاعملوا الذبح فى سكانها ، غير عابئين لحرمة العهود التى وعدوا القوم بها .

وصف المؤرخ المعاصر ابن الأثير هذا اليوم الاخير من القتال قائلا « فلما كان اليوم الرابع نادوا فى البلد أن يخرج أهله ، ومن تأخر قتلوه ، فخرج جميع الرجال والنساء والصبيان ، ففعلوا مع أهل سمرقند مثل فعلتهم مع أهل بخارى من النهب والقتل والسبى والفساد ، ودخلوا البلد فنهبوا مافيه وأحرقوا الجامع ، وعذبوا الناس بأنواع العذاب فى طلب المال ، وقتلوا من لم يصلح للسبى .

وقد خلف جنكيزخان ابنه الثانى جغتاى فى أقليم ماوراء النهر ، فأسس هناك دولته الخاصة ، ثم قسمت هذه المنطقة الشاسعة الى قسمين ، الأول منطقة ماوراء النهر الفعلية، والثانى منطقة تركستان ، ثم اشتبك القسمان معا فى حروب متواصلة استمرت حتى عام ١٣٧٠ م ، حينما فاز تيمورلنك الاعرج الذى كان وزيرا لحاكم تركستان فى اخضاع الدولة المنافسة ، ثم تمكن بعد ذلك من تشييد دولة مترامية الاطراف تمتد من الصين شرقا حتى نهر الفولجا غربا ، ومن الهند جنوبا حتى بغداد وحلب ودمشق مشرقا بالشام حيث قابله ابن خلدون وتفاوض معه ، ولم يحطم موجة المغول فى الشرق سوى الجند المصريين فى موقعة عين جالوت .

وخلفه ابنه الرابع شاهرخ فى الحكم ، وجعل عاصمته هراة حتى عام ١٤٤٧ م . بعد أن كانت سمرقند عاصمة للدولة التيمورية ،

وكان شاهرخ من أكثر الملوك ثقافة ، وجعل من هراة المركز الثقافى النابض للحضارة الاسلامية فى وسط آسيا ، وخلفه ابنه الاكبر أولوغ بيك متخذا من سمرقند ينبوعا للعلوم والفنون ، وقد شغف بدراسة علم الفلك فبنى مرصدا مازالت آثاره قائمة فى سمرقند ليكون بديلا لمرصد المراغة فى جمهورية اذربيجان الذى بناه هولاكو وتولى ادارته العالم الاسلامى الكبير نصير الدين الطوسى ٠

جذبت سمرقند علماء كثيرين من بينهم قطب الدين الشيرازى وموسى بن محمد بن محمود قاضى زاده الملقب بالرومى ، شمس الدين محمدالسمرقندى ،وعالمنا الكبيرجمشيد غياث الدين الكاشى (١٤٢٩ م) الذى امضى بقية حياته عضوا فى هيئة كبار العلماء الذين يحيطون بالسلطان أولوغ بيك ،واستاذا للرياضيات والفلك فى جامعة سمرقند التى أسسها هذا السلطان على غرار ماكانت عليه المدرسة النظامية ببغداد ، والأزهر بالقاهرة وقرطبة بالأندلس ، واشترك جمشيد مع اولوغ بيك فى عمل الزيج الخاقانى عام١٤٣٦م وعمل جداول حسابية ورياضية طبعت بعد ذلك فى انجلترا عام ١٦٦٥ م ، وكانت تدرس بجامعة أوكسفورد ، ومن أرصادهااسترشد اسحاق نيوتن بها فى تخريج قوانينه الفلكية لنظام الكون الذى فسره فى متنه الكبير « البرنسيبيا »

ومن أهم ماتركه لنا جمشيدالكاشى مخطوط « مفتاح الحساب » وسنقتطف منه بضع شذرات

« مخطوط مفتاح الحساب »

اعتاد المؤلفون العرب استهلال مؤلفاتهم دائما باسم الله ، ثم الاشادة بحمده وشكره وهكذا يبتدىء هذا المخطوط :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، وبتوفيقك نعتصم ياكريم ، الحمد الله الذى توحدبابداع الآحاد ، وتفرد بتاليف صنوف الاعداد ، والصلاة على خير خلقه أشفع الشافعين يوم التناد ،وعلى آله واولاده الهادين سبيل النجاة والرشاد ٠

أما بعد فان احوج خلق الله معه الى غفرانه جمشيد بن مسعود بن محمود الطبيب الكاشى الملقب بغياث الدين ، أحسن الله احواله ، يقول :

لما مارست الأعمال الحسابية ، والقوانين الهندسية ، حتى بلغت الى حقائقها ، وبالغت فى دقائقها وكشف غوامضها ومعضلاتها ، وحللت مشكلاتها ، واستنبطت كثيرا من القوانين والضوابط ، واستخرجت ما صعب استخراجه على كثيرمن مباشريها ، كمااستانفت استخراج جميع جداول الزيج الايلخانى بأدق عمل ، ووضعت الزيج المسمى بالخاقانى فى تكميل الزيج الايلخانى ، وجمعت فيه جميع ما استنبطت من أعمال المنجمين ، مما لايأتى فى زيج آخر ، مع البراهين الهندسية ووضعت أيضا زيج التسهيلات وجداول شتى ، وصنعت رسائل أخرى مثل الرسالة المسماة بسلم السماء ، فى حل اشكال وقع للمتقدمين فى الابعاد والاجرام ٠ والرسالة المحيطة نسبة القطر الى المحيط ، ورسالة الوتر والجيب فى استخراجها لثلث القوس المعلومة الوتر والجيب ٠

وذلك مما صعب على المتقدمين ، كما قال صاحب المجسطى من ان ليس الى تحصيله من سبيل ٠ واخترعت الآلةالمسماة بطبق المناطق وحررت فى كيفية صنعتها ومعرفتها ، كتاب نزهة الحدائق ، وهى آلة يحصل بها تقاويم الكواكب وعروضها وأبعادها عن الأرض ، ورجوعها ، والخسوف والكسوف ، وما يتعلق بها ٠

واستخرجت أجوبة مسائل كثيرة ،سألنى عنها مهرة الحاسبين امتحانا أو تعلما ، وان لم يحصل بعضها بالست الجبرية ٠ ظفرت فى اثناء هذه الأعمال على ضوابط كثيرة ،تتأتى بها أعمال المقدمات الحسابية ، بأسهل وجه وأيسر طريق ، وأقل عمل ، واكثر نفع ، وأبين

وضع ، فرأيت أن أدونها ، وأردت ان أبينها لتكون تذكرة للاشباب ، وتبصرة لاولى الالباب ، فحررت هذا الكتاب ، وجمعت فيه جميع ما يحتاج اليه المحاسب ، متحرزا عن اشباع ممل ، واختصار مخل ووضعت لاكثر الاعمال دستورا فى الجدول ليسهل ضبطه على المهندسين ، وجميع الجداول الموضوعة فىهذا الكتاب ضبطتها ، فخاطرى ابو عذرة ،ومقتضب حلوه ومره • الا سبعة جداول :

ا ـ من حواصل ضروب مادون العشرة

ب ـ الشبكة فى الضرب

ج ـ من أصول المنازل

د ـ مثال اتحاد المخارج

هـ ـ معرفة مراتب حاصل الضرب وخارج القسمة وجدول الجيب

ز ـ معرفة حسبة حاصل الضرب والقسمة

والمخطوط كبير يقع فى حوالى مائتين وثمانين صفحة . وتوجد منه نسخ بالاستانة عاصمة تركيا وبمكتبةليدن بهولندا والنسخة الأخيرة اكثرها ضبطا ، وقد استخدمت فى جميعها الارقام الهندية بدلا من العربية وسنحاول هنا ان نشرح احدى نظرياته فى عمليات الضرب ، تلك العمليات التىاحتضنتها مصانع أوروبا فى اختراع الآلات الحاسبة الحديثة ، فيقول المخطوط :

وان لم يكن أحد المضروبين مفردا ، فنرسم شكلا ذا أربعة أضلاع ، ونقسم طوله بعدة مراتب أحد المضروبين ، وعرضه بعدة الآخر بخطوط طولية وعرضية ، لنقسم الشكل بمربعات صغار ، ثم نقسم كل مربع بمثلثين ، فوقانى وتحتانى بخطوط موربة متوازية ، بحيث ينقسم من كل مربع الزاوية الفوقانية اليمنى ، والتحتانية اليسرى ، ويسمى هذا الشكل بالشبكة ، ثم نضع أحد المضروبينفوق الشكل بحيث تقع كل مرتبة منه فوق مربععلى الولاء،والآخر على يساره بحيث تكونالعشرات فوق الآحاد . والمئات فوق العشرات . وكذا متصاعدة • ونضرب كل واحد من مفردات المضروب بصورته فى كل واحد من مفردات المضروب فيه بصورته ، ونضع الحاصل فى المربع المحاذى لكل واحد من المضروبين :

الآحاد فى المثلث التحتانى ، والعشرات فى المثلث الفوقانى ، وكل مرتبة يكون فيها صفر تترك المربعات التى تحاذيها خالية ، ونضع فى مثلثاتها التحتانية صفرا ، لأن ضرب الصفر فى أى عدد يكون صفرا ، ثم نضع تحتالمثلث التحتانى من المربع الواقع على ملتقى مرتبتى الآحاد من المضروبين مافيه بعينه ، وهو أول سطر الحاصل

ثم يجمع ما بين الخطين الموربين اللذين يكونان بعده ، ونضع الحاصل على يسار ما وضعنا أولا ، فى السطر الحاصل ان كان أقل من العشرة ، والا نضع آحاده ، ونزيد لكل عشرة واحدا على حاصل السطر المورب الذى كان بعده ، وهكذا نجمعمافى كل سطر مورب الى أن يتم العمل وان لم يكن فى احدالسطور الموربة عدد وضعنا لاجله صفرا فى السطر الحاصل :

مثاله :

أردنا ان نضرب هذا العدد ٧٨٠٦ فى هذا العدد ١٧٥ ، فرسمنا الشكل كما قلنا ، ووضعنا المضروبين فوقه ويساره ، ثمضربنا السبعة التى وقعت فى مرتبة الألوف بصورته فى الواحد ، فكان الحاصل أيضا سبعة ، ووضعناها فى المثلث التحتانى من المربع الواقع فى ملتقيهما . ثم ضربنا السبعة ايضا فى السبعة. حصلت تسعة واربعون وضعناها فى ملتقيهما الآحاد • وهكذا عملنا بالثمانية التى وقعت فى مرتبة المئات ، وبالستة التى وقعت فى مرتبة الآحاد •

وتركنا السطر المحاذى للصفر خاليا ، ثم جمعنا فى كل سطر من السطور الموربة كما ذكرنا الى ان حصل تحت الشكل سطر الحاصل ، والشبكة :

هذا وان كان فى مرتبة الآحاد من أحــد المضروبين أو كليهما صفر ، وكان فى الآحاد والعشرات معا أوفى الآحاد والعشرات والمئات وهكذا فى المراتب المتوالية من الجانب الأيمن لم نحتج الى أن نرسم الشبكة بقدر جميــع مراتب المضروب والمضروب فيه ، كما ذهب اليه بعض أصحاب هذا الفن ، بل نرسم الشبكة بقدر باقى المراتب بعد حذف الأصفار المتوالية ، حتى اذا حصل سطر الحاصل نضع الأصفار على يمينه بعدة مجموع الأصفار المتوالية التى حذفناها من المضروبين أو من احدهما » انتهى

وشبكة الضرب التى أوردها جمشيد فى مخطوطه موضحة بالشكل (١)،(٢)

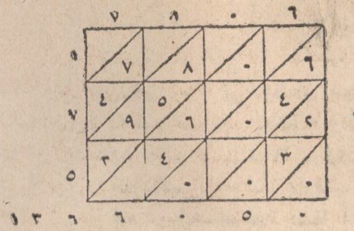

شكل (١)

والواقع أنه يقوم بجمع الأعداد الموربة : مثلا (٢ زايد ٣ يساوى ٥ ، و ٦ زائد ٤ يساوى ١٠) يضع صفرا ويحمل واحدا يضيفه الى (٦ زائد٤ زائد٥ يساوى١٦) يضع ستةويحمل واحدا يضيفه الى (٨ زائد ٥ زائد ٩ زائد٣) يساوى ٢٦) يضع ستة ويضيف اثنين الى (٧ زايد ٤ يساوى ١٣) فيكون حاصل الضرب هو ١٣٦٦٠٥٠

ثم يضرب مثلا أخر لنوع آخر من الشبكة يجعله على هيئة معينة ، فمثلا يضرب ٢٥٨ فى ٦٢٤

فيرسم الشبكة هكذا :

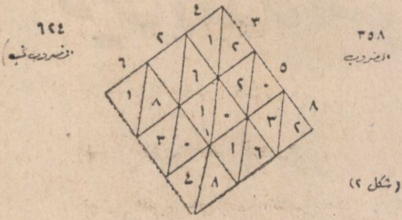

(شكل ٢)

حاصل الضرب يساوى ٢٢٣٣٩٢ وذلك بجمع الصفوف الراسية :

وسنكتفى بهذا القدر من المخطوط ،وسبب اختيارنا لاحدى عمليات الضرب التى ابتدعها جمشيد هو استغلال مصانع الغرب لهذه الطريقة فى الآلات الحاسبة الميكانيكية المستحدثة ، وسنتابع عمليات أخرى فى القسمة والجذور الصماء فى مقالات أخرى باذن الله .

دين الله غني عن الأحلاف

فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان

« الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا . واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا . فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاءوك يحلفون بالله ان أردنا الا احسانا وتوفيقا . أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم . فاعرض عنهم . وعظهم . وقل لهم فى انفسهم قولا بليغا »

ان الاسلام غني عن الأحلاف وهو يرفض الانحراف ولا يقبل الاحتراف ، وهو دين الله الذى أتم به على الناس نعمته . والذى لم يترك وجها للاصلاح الا حققه .. ولا بابا للفساد الا أغلقه .

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه — كبر على المشركين ما تدعوهم اليه .. الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم . ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب . فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما انزل الله من كتاب . وأمرت لأعدل بينكم . الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير » .

كان أصحاب الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — لايزيد عددهم فى غزوة بدر عن ثلثمائة وتسعة عشر مقاتلا وثلاثة أفراس وسبعين بعيرا .. وكان أعداؤهم نحو ألف رجل معهم مائة فرس وسبعمائة بعير .. وكان المسلمون في موقع تغوص فيه الاقدام ولم يكن فيه ماء ولكنهم قالوا للرسول بعزم صادق وهمة عالية وايمان راسخ لا يتزعزع وثقة بالقائد لا تتزحزح .. قالوا نحن معك كما تحب ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما أمرك الله ، فنحن معك لا نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى :

« فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون»

.. ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون.. فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه .

فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خيرا ودعا له بخير : وتبسم صلوات الله وسلامه عليه ثم قال أشيروا على أيها الناس - يريد الأنصار - فقام سعد بن معاذ - رضى الله عنه - فقال يا رسول الله ايانا تريد ؟ قال أجل ، فقال سعد :

قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك مواثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة فامض - يارسول الله - لما أردت . فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن نلقى عدونا وانا لصبر عند الحرب . صدق عند اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله .

فسر - عليه الصلاة والسلام - ثم قال : سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله قد وعدنى احدى الطائفتين والله لكأنى أنظر الى مصارع القوم « وعين مصارعهم فما تعدوها ». **« ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون »** .

ونحن مطالبون بمتابعة الدعوة الاسلامية حتما لأنها الدعوة التحريرية الكبرى التى تنشر العدل والحق وتحارب الفساد والاستبداد وتقاوم البغى والاستعباد وتكشف الأقنعة عن التمثيليات الأمريكية والمسرحيات الاستعمارية التى تلبس ثياب الأحلاف الاسلامية ويروج لها أقوام هبطت عليهم ثروات من غير عدل ولا عمل ويوم راحوا يباركون الأحلاف ويمدون يد الاستعطاف لمدمنى الاجرام الذين مكنوا للعصابات الصهيونية ان تغتصب الارض العربية الفلسطينية .. نسوا أن هذه الأحلاف من صنع واتقان واخراج المصادر التى تصدر المؤامرات المستترة وراء الدين وهذه المصادر هى التى تسلح اسرائيل .

لقد ترك فيصل الاستعانة بالله الذى خلقه فسواه ، وذهب ليستعين بأمريكا التىأنشأت لنفسها فى أرض العرب قواعد حربية للدفاع عن بترولها ومنافعها ومصالحها لتستغل وتسيطر وتستعمر . والله يقول :

« يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل. انيثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون » .

« ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون » .

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم » ..

« ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم » .

والاسلام يوصينا بنزع الغل من القلوب والحقد من النفوس فيقول : «لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا » .

ولكن الذين يكرهون العلو والصعود وأخلدوا الى الأرض . باتوا يصنعون التفرقة المصطنعة بين المناهج الدينية والقومية العربية حرصا على المصالح الشخصية وتثبيتا لظلم الرجعية .. هؤلاء الذين اتبعوا أهواءهم يحسبون كل صيحة عليهم ، تحسبهم أيقاظا وهم رقود تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم يستوردون فى هذه الأيام من عند الاستعمار الذى أزال التاريخ

الأقنعة عن عمله البغيض فأصبحت سمعته فى الحضيض – يستوردون منه التحالف الاسلامى – وقد تبين للدنيا منه سوء النية وكشفت الأيام النوايا الخبيثة التى برزت واضحة من الدول المتحالفة مع اسرائيل .. فأضحى الاستعمار لا أمان له لانه لا صديق له ولا خلاق له .

« ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل والله أعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا » .

ان قطعة من الأرض العربية الفلسطينية قد أعطيت من غير سند من الطبيعة او التاريخ لحركة عنصرية عدوانية أرادها المستعمر لتكون سوطا فى يده يلهب به ظهر النضال العربى الثورى اذا ما استطاع يوما أن يتخلص من المهانة وأن يخرج من الأزمة الطاحنة كما أرادها المستعمر فاصلا يعوق امتداد الأرض العربية فى فلسطين ويحجز المشرق عن المغرب ثم أرادها عملية امتصاص مستمرة للجهد الذاتى للامة العربية لشغلها عن حركة البناء الايجابى .

ومثل حياة الجماعة المؤمنة فى كفاحها ضد أعدائها لنصرة الحق وحماية الحرية ولتطبيق العدالة الاجتماعية كمثل حياة أصحاب السفينة الماخرة فى خضم والأمواج تتصارع من حولها وتتصادم . والراكبون فيها جميعا يتحملون المسئولية الجماعية عن صيانتها وصلاحيتها وعن سلامتها وحمايتها ، وفى هذا يقول صلوات الله وسلامه عليه :

مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم اعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها اذ استقوا مروا على من فوقهم ، فقالوا لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا .. فان تركوهم وما أرادوا هلكوا . وان اخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا ؟

والاسلام الحقيقى لم يأل جهدا فى تطبيق العدل وتثبيت الخير والبر فى النفوس المؤمنة الواعية ولم يقف فى وجه التقدم العلمى والحضارى ولكنه وقف خصما لدودا للعدوان والطغيان وهو فى سلوكه الاجتماعى يسعى جاهدا لتحرير لقمة العيش للانسان وتربية الحرية فى قلب كل مؤمن ليستيقظ الضمير ويتقرر الايمان الواعى فى الوجدان : وبهذا أبطل القضية القبلية والمميزات النسبية وفتح الطريق أمام الاخوة الانسانية الفاضلة والوحدة الشاملة لأن الكلمة الحرة ضوء كشاف أمام الديموقراطية السليمة وبنفس المقدار فان القضاء الحر ضمان نهائى حاسم لحدودها :

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان » .

« ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا. اعدلوا هو أقرب للتقوى » .

لأن العدل الاجتماعى تعمر به الدنيا وليس شىء أسرع الى خراب الأرض ولا أفسد لضمائر الخلق من الظلم والجور الذى لا يقف عند حد .

ثلاث منجيات وثلاث مهلكات ، فأما المنجيات : فالعدل فى الغضب والرضا . وخشية الله فى السر والعلانية . والقصد فى الفقر والغنى . وأما المهلكات فشح مطاع . وهوى متبع . واعجاب المرء بنفسه .

لما توجه على ابن أبى طالب – كرم الله وجهه – الى صفين افتقد درعا له ، فلما انتهت الحرب ورجع الى الكوفة وجد الدرع فى يد يهودى فقال على لليهودى : الدرع درعى لم أبعه ولم أهبه ، فقال اليهودى : هو درعى وفى يدى . فقال على : نسير الى القاضى .. فتقدم كل منهما الى شريح القاضى .. فقال شريح : قل يا أمير المؤمنين ، فقال نعم هذه الدرع التى فى يد هذا اليهودى . هى درعى ولم أبعه ولم أهبه فقال شريح لليهودى ما تقول . قال درعى وفى يدى . فقال شريح الك بينة يا أمير المؤمنين ؟ قال نعم : قنبر

والحسن يشهدان أن الدرع درعى .. فقال شريح : شهادة الابن لا تجوز للاب .. فقال على : رجل من أهل الجنة لاتجوز شهادته ؟ سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنه) فقال اليهودى أمير المؤمنين قدمنى لقاضيه وقاضيه قضى عليه : « أشهد أن لا اله الا الله، واشهد ان محمدا رسول الله ، وأشهد أن الدرع درعك يا أمير المؤمنين » .

هذا هو ميزان الله الذى وضعه لعباده ليقوم الناس بالقسط لكيلا يفسد الأمر ويضيع الملك بسبب الظلم : **« واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل »** .

ويقول عبد الملك بن مروان فى وصيه لبنيه « أوصيكم بتقوى الله فانها عصمة باقية وجنة واقية . فالتقوى خير زاد وأفضل فى المعاد . وهى أحصن كهف ، وليعطف الكبير منكم على الصغير وليعرف الصغير حق الكبير مع سلامة الصدور ، والأخذ بجميل الامور واياكم والبغى والتحاسد ، فبهما هلك الملوك الماضون وذوو العز المكين » .

وفى الحديث : « أشد الناس عذابا يوم القيامة من أشركه الله فى سلطانه فجار فى حكمه » .

ورد : « أقرب الأشياء صرعة الظلوم ، وأنفذ السهام دعوة المظلوم » .

والعدل يبيد الظلم ويمحق الباطل وتتحطم على صخوره الأباطيل والأضاليل .. ان الباطل كان زهوقا » .

استعمل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رجلا من الأزد على الصدقات ، فلما رجع حاسبه فقال الرجل : هذا لكم ، وهذا أهدى الى .. فقال النبى – صلى الله عليه وسلم – : ما بال الرجل نستعمله على العمل مما ولانا الله فيقول : هذا لكم وهذا أهدى الى أفلا قعد فى بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى اليه أم لا ؟ والذى نفسى بيده لا نستعمل رجلا على العمل مما ولانا الله فيغل منه شيئا الا جاء يوم القيامة يحمله على رقبته . ان كان بعيرا له رغاء وان كان بقرة لها خوار . وان كان شاة تبعر ، ثم رفع يديه الى السماء وقال اللهم هل بلغت . اللهم هل بلغت .. قالها مرتين أو ثلاثة » .

هذا هو ديننا الذى ينظم الواجبات ويذود عن الحقوق ويحمى الخلق ويرعى العلم ويقرر العدل .

« يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا . يأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا . ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا » .

وجاء فى خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى العيد الخامس للثورة قوله : « ان قوة التقدم العلمى والقوة الناشئة من زيادة الانتاج تصبح خطرا ما لم تستطع القيم الروحية والمعنوية أن تساير خطاها » .

ان القرآن الكريم الذى نزل به الروح الامين بلسان عربى مبين جاء لاصلاح البشرية جميعا ولصنع مجتمع متساند متعاون متكامل متوازن متحرر من الاستغلال . والاستبداد والاستعباد لأنه يؤسس بنيان الحضارة الانسانية على قواعد العدل والاحسان :

ويقول « برنارد شو » انه لا يمضى مائة سنة حتى تكون أوربا – خصوصا انجلترا – قد أيقنت بملاءمة الاسلام للحضارة الانسانية

« يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » .

الى عملاء الاستعمار

-٢-

الأستاذ عبد العال شعيب

الاسلام دين وئام ومحبة ينشر السلام وينفر من الظلم والعدوان وقد أمر الله المؤمنين أن يدعوا الى الحق والخلق القويم لان الحق ينتصر دائما والخلق الطيب طريق النجاح والفلاح لكل متمسك به والله يرعى دعاة الخير والأصلاح فيؤيدهم وينصرهم .

كذلك يريد الاسلام من أهله أن يكونوا أقوياء فى اخلاقهم ليستطيعوا أن ينشروا رسالة السماء فيملأوا الدنيا عدلا وخيرا ورحمة يريد الاسلام من أهله أن يقفوا بجانب الحق ويدافعوا عنه مع المحافظة على كرامتهم وعزتهم لان الاسلام دين الخلق الكامل دين التهذيب والمعاملة وخير دليل على ذلك ماجاء فى قوله صلى الله عليه وسلم : « وخالق الناس بخلق حسن».

وقول الله تعالى : لنبيه عليه أفضل الصلاة والسلام « وانك لعلى خلق عظيم » فلا حياة لامة اسلامية شعارها الايمان بكتاب الله ونهج سنة رسوله الا اذا تمسكت بالاخلاق الفاضلة التى تسوقها الى التقدم والرقى وتبعدها عن الذل والهوان وتطهرها من المفاسد والنفاق والخيانة والعناد والتجسس والتنابذ والاخلاق ركيزة المحبة والاتحاد والصدق والاخلاص والعمل يدا واحدة من أجل وحدة الصف العربى والحرية للشعوب المغلوبة على أمرها سواء من الاستعمار الدخيل عليها أو القائمين على شئون تصريف أمورها وبذلك تحيا الامة حياة حرة كريمة .

وتصبح خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتحقق قول الله تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » .

ان الامة العربية التى انبثق منها فجر الاسلام وخرج منها نور الايمان وولد فيها سيد الانام أولى الامم بالتمسك بما جاء فى كتاب الله واتباع خلق رسول الله وسلفه الصالح حتى نصل الى الغاية المنشودة والى النصر المبين « ولينصرن الله من ينصره » والمسلمون جميعا فى نظر الاسلام اخوة والدين يدعوهم على اختلاف بلادهم وأجناسهم الى هذه الاخوة قال صلى الله عليه وسلم « المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا ».

وهكذا نرى الاسلام ينظر الى المسلمين على أنهم أسرة واحدة سوى بينهم فى الحقوق والواجبات لان سعادة المجتمع العربى الاسلامى لاتتم الا فى جو من التعاون والاحترام المتبادل بين الناس وفعل الخير وتجنب الشر ولم يترك أمر الشعوب فى يد بعض رجالها من القائمين على أمرها يسومونهم سوء العذاب ويتصرفون فى أنفسهم وأموالهم بل جعل كل راع مسئول عن رعيته فى حريتها وعزتها وكرامتنا وها نحن أولاء نجد فى زعيمنا المحبوب السيد الرئيس جمال عبد الناصر حرصه الكامل على تقدم شعبه ورقيه وقد آل على نفسه أن ينهض بأمته العريقة فى مجدها وأن يأخذ بيد الضعيف فيها ويدافع عنه حتى يقوى واهبا نفسه لهذا الوطن ولهذه الامة العربية التى كانت لها صولات وجولات أيام الفتوحات الاسلامية .

بهذا نجد الزعيم العربى يناضل من أجل الوحدة العربية فدعا الى الاتحاد والكفاح ونبذ الاحلاف والبعد عن السير فى ركاب الاستعمار وأعوانه الذين لايريدون للعرب خيرا ولا للاسلام نصرا ولا للامة العربية نفعا .

« ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا »

« أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون »

وحسبنا ما وجدناه في هذا القائد العربي من بعده عن هوى النفس وحبه لبني قومه وان أساءوا وسعيه في طريق الخير لهم وان أخطأوا فهل آن الاوان أن يقتدي بعض القائمين على بقية الشعوب العربية بهذه الاخلاق والصفات العظيمة ؟ هل لهم أن يرجعوا الى حبل الله المتين ؟ هل لهم أن يعطوا الحرية لشعوبهم ؟ هل لهم ان يحافظوا على جيرانهم ويعاملونهم المعاملة الطيبة وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام :

« والله لايؤمن والله لايؤمن والله لايؤمن ، قيل ، ومن يارسول الله ؟

قال : الذى لايامن جاره بوائقه »

ان الصراع فى الوطن العربى الاسلامي شديد وقائم بين اناس نصبوا انفسهم كسيف مسلط على رقاب الذين يريدون الحياة الحرة الكريمة ، صراع بين الحق والباطل ، صراع بين الفضيلة والرذيلة ، صراع بين الحرية والذلة ، صراع بين شعوب أبيه واستعمار دخيل ورجعية حمقاء تعيش فى ظلام دامس .

ان كل مسلم وعربى حر يحمر وجهه خجلا أمام الضمائر الحية الابية من تخلف بعض قادة العرب عن ركب التحرر واتخاذ المستعمرين أولياء من دون المؤمنين، ويقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم .

أين الوفاء بالعهود والمواثيق . أين الحرص على الاخوة الاسلامية . الم تقرءوا أو تسمعوا قول الله تعالى « والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الارض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار » ؟ ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم « أيها الناس . ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم ، فان العبد بين مخافتين اجل قد مضى لايدرى ما الله فاعل به ، واجل باق لايدرى ما الله قاض فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لاخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات ، والذى نفس محمد بيده مابعد الموت من مستعتب ، وما بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار » .

اننا نحن العرب والمسلمين ندعو مخلصين أن يعود الرجعيون الى وحدة الصف العربى حتى يفوتوا على المستعمرين ما يبيتونه لهم من اهدار حريتهم والقضاء التام على استقلالهم وكرامتهم ، وبهذه الوجهة الصالحة البناءة يقضون مضجع الاستعمار ويكيلون له الضربات القاتلات حتى يموت مماتا لا قيامة بعده « لمثل هذا فليعمل العاملون » .

أيها العملاء : الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه فاذا اتخذتم طريق الرشد سبيلا فقد وقع أجركم على الله كفاء ما اديتم من حقه وحق الوطن عليكم ، واذا اشتريتم الدنيا بالاخرة فحسبكم ما جاء فى كتاب الله الكريم عن امثالكم « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا » .

والان ماذا يقوله أعوان الاستعمار بوجه عام وجلالة الملك فيصل بوجه خاص بعد أن اذاعت وكالات الانباء ونشرت الصحف أن جلالته فتح شواطئه لزوارق اسرائيل وسمح للجنود الصهيونيين بقضاء العطلات الاسبوعية هناك ، وأعلن التقاعس عن الوفاء بالتزامات حكومته فى تنفيذ قرارات مؤتمرات القمة « عملا بالتوجيهات الامريكية أصلا وتسترا رجعيا وراء تأجيل المؤتمر القادم الى أجل غير مسمى طبقا لما أملته المصلحة العربية العليا ثم يصرح بعد ذلك انه يريد تحرير فلسطين .

« ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد .

وانى اترك للراى العام فى كل مكان حكمه العادل على التعاون السعودى الامريكى الانجليزى واثره فى قضية فلسطين وقد اذاعت وكالة انباء الشرق الاوسط ان الحكومة السعودية طردت من خدمتها العسكرية النقيب طيار عمر أبو النجا لانه طالب قيادة الجيش بأن يتولى الطيارون السعوديون قيادة الطائرات التى اشترتها الحكومة السعودية بعد ان يتم تدريبهم » .

والطائرات المذكورة عددها « ٧٥ » تعاقدت السعودية على شرائها من بريطانيا بمائة مليون جنيه استرليني وقد اتفقت الحكومة السعودية مع شركة « ايرووكس البريطانية » على أن تمدها بطيارين .

هذا وقد علقت صحيفة « لوموند » الفرنسية على الموقف فى اليمن فقالت ان مصالح بريطانيا تتفق مع مصالح الملك فيصل الذى يريد أن يعيد الملكية الى اليمن كى يصم آذان شعب السعودية عن أغنية الجمهورية الرنانة .

وهانا أقول لجلالته ان الله تعالى هو الذى أراد الخير لليمن السعيد وبدل خوفه أمنا وقضى له بالخلاص من الملكية الطاغية الباغية ، وقد أصبح اليمنيون ينعمون فى ظل الجمهورية بعيشة راضية وحياة هادئة مطمئنة لا مكان فيها لاحد من أسرة حميد الدين التى أظهرت فى الارض الفساد وبذلك صار حكمه بعودة البدر «المخلوع» هباء تذروه الرياح .

وليس يصح فى الاذهان شىء : اذا احتاج النهار الى دليل ان رافع لواء النضال وبطل التحرر ورمز الكفاح السيد الرئيس جمال عبد الناصر سوف لايغمض جفنه الا اذا شاهد اليوم الموعود لابادة الرجعيين بمعرفة شعوبهم المتعطشة الى الحرية والوحدة العربية وانه لقريب .

عندئذ سيفرح المجاهدون بنصر الله القوى العزيز ويلقون رئيسنا المفدى فى ديارهم بوجوه مستبشرة مرحبين بقول الشاعر العربى القديم

لما قدمت من المدينة نحونا
سبقت اليها وحشة من عندنا

ارج الطريق فما مررت بموضع

الا اقام به الشذا مستوطنا
لو تعقل الشجر التى قابلتها
مدت محيية اليك الاغصنا

الإنسان والقرآن الكريم

كعب بن مالك .. والصدق

الأستاذ صبيح عزام

الذين تعرضوا للحديث عن القرآن الكريم كانوا يبحثون عن القواعد العامة فى كثير من أمور الدنيا والدين وكانوا فى الوقت نفسه يربطون بكل ما يمر فى الحياة ٠٠ وما جاء بين آياته الشريفة ٠

والتاريخ ٠٠ كانوا يعتمدون فى دراسته من بعض الجوانب على القصص القرآنى ٠٠ فى النماذج التى ذكرها القرآن الكريم ٠٠ وكثير ما هى :

ولكن ٠٠ شىء لا أدرى هل حاول المفسرون والكتاب المسلمون أن يبرزوه ٠٠ أم أنهم ككثير من الكتاب لجأوا الى ذكره مع موضوعات مختلفة ٠٠ من غير تخصص ٠٠ ومن غير تجميع مستقل ٠٠ وهو تربية الانسان من خلال آيات القرآن الكريم ٠

والانسان ٠٠ ابن آدم ٠٠ ذكر فى القرآن كثيرا ابتداء من تكريمه ٠٠ الى أن يعتبر خليفة الله فى أرضه ٠٠ ومن أجل هذا الانسان كان القرآن الكريم ٠

ولكن ٠٠ كتاب الله ٠٠ الذى لم يترك صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ٠٠ قد أراد الله له أن يبين من خلال آيات الكتاب ٠٠ كيف يكون هذا الانسان ٠٠ خليفة الله فى الارض ٠٠ والذى من أجله خلقت كل الكائنات ٠٠ وسخرها الله تعالى له ٠٠ وأمره ان يعمل ٠٠ حتى يكون أهلا ٠٠ لهذه الخلافة ٠٠

ان الله سبحانه وتعالى وهو يكرم ابن آدم ٠٠ قد أعطانا نماذج للرجال والنساء ٠٠ فى أخلاقياتهم التى يحبها لهم الله ٠٠ فنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم آيات خالدات

تسجل بالخير .. بعض أخلاقيات كثير منها حدث أيام الرسول عليه السلام بأمر الله .. ليسجلها الكتاب .. ولتكون نموذجا للانسان المسلم .. ولبنساء الرجال والنسـاء على السواء .

هذه الآيات الخالدة التى سجلت أخلاقيات رائعة لبعض المسلمين أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم .. لو جمعناها واعتبرناها نموذجا نقتدى به .. لسهل علينا بناء الرجال .. صناع الحياة .. وخلفاء الله فى أرضـه .. ولكانت المراحل التكوينية لشخصية الانسان .. الرجل .. الذى يتباهى به الاسلام على كل الدنيا بما فيها .. وأنا هنا .. أحاول جاهدا .. أن أنقل بعض هذه الأخلاقيات .. لا أكثر .. وليت التربية والتعليم وهى تعطى نماذج للأخلاقيات لأبنائنا من خلال الدراسة وكتب المطالعة تستعين بما فى كتاب الله .. أفضل وأوقع من أى نموذج تضربه لهم .

ولنبدأ .. بالصدق ..

والنبى عليه الصلاة والسلام .. كانت أولى نصائحه لأتباعه والمؤمنين به .. دائما تدور حول لاتكذب .. وأصدق القول .. وقل الحق .. ويؤكد لأصحابه وأبناء دينه عبر التاريخ أن نتيجة الكذب مهلكة .. ونتيجة الصدق منجاة .. وأن الصادقين يحبهم الله .. الخ ..

حتى كان ذات يوم .. وسجل القرآن الكريم نموذجا لصدق القول .. وعدم الكذب .. وخلد التاريخ رجلا صادقا أصر على موقفه .. لم تزعزعه الأحداث .. ولم تؤثر فيه الحوادث والاغراءات .. وظل صابرا « ينتظر أمر الله .. » .. ومعه قلب النبى عليه الصلاة والسلام ..

يحدثنا كعب بن مالك رضى الله عنه عن قصة اصراره على الصدق وعدم الكذب وان قدر عليه فيقول :

لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها قط الا فى غزوة تبوك . وكان من خبرى حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك انى لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغـزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما فى تلك الغزوة .. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفاوز . واستقبل عددا كثيرا . فجلى المسلمون أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم فأخبرهم بوجهم الذى يريد . والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ « أى سجل تدون فيه أسماؤهم » .

قال كعب : فقل رجل يريد أن يتغيب الا ظن أن ذلك سيخفى عليه ـ من كثرة العدد ـ ما لم ينزل فيه وحى من الله عزوجل . وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وأنا اليها أصغو . فتجهز اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه وطفقت أغدو لكى أتجهز معهم فأرجع ولا أقضى شيئا فأقول لنفسى أنا قادر على ذلك ان أردت فلم يزل يتهادى بى حتى أسرعوا وتفارط الغزو فهممت أن أرتحل فأدركهم وليت انى فعلت ثم لم يقدر لى ذلك فطفقت اذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليـه وسلم يحزننى انى لا أرى لى أسوة الا رجلا مغموصا عليه النفاق ، أو رجلا ممن عذر الله ولم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس فى القوم بتبوك « ما فعل كعب ابن مالك ؟ » فقـال رجل من بنى سلمة ، يارسول الله حبسه برداه والنظر فى عطفيه ـ الكسل والترف ـ فقال له معاذ بن جبـل : بئس ماقلت . والله يارسول الله ماعلمنا عنه الا خيرا . فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم قال كعب بن مالك رضى الله عنه : فلما بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

توجه قافلا من تبـوك حضرنى بثى فطفقت أتذكر الكذب واقول بماذا اخرج من سخطه غدا ؟ وأستعين على ذلك بكل ذى رأى من أهلى . فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادما زاح عنى الباطل حتى عرفت انى لم أنج منه بشىء أبدا فاجمعت صدقه .

وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد تركع ركعتين ثم جلس بالناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعا وثمانين رجلا فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله . حتى جئت فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغتصب ثم قال لى تعـال .. فجئت أمشى حتى جلست بين يديه فقال لى ما خلفك ؟ الم تكن قد اشتريت ظهرك « أى راحلتك » ؟

فقلت : يا رسول الله والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت انى سأخرج من سخطه بعذر . لقد أعطيت جدلا . ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى عنى به ليوشكن الله أن يسخطك على . ولئن حدثتك بحديث صدق تجد فيه على « تسخط على » وانى لأرجو فيه عقبى من الله . والله ماكان لى عذر . والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك .

فقال صلى الله عليه وسلم . أما هذا فقدصدق فقم حتى يقضى الله فيك .

فقمت وبادرنى رجال من بنى سـلمة واتبعونى وقالوا لى والله ما علمنـاك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا . لقد عجزت أن لاتكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به المتخلفون . فلقد كان كافيك من ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال كعب بن مالك رضى الله عنه فوالله ما زالوا بى يؤنبوننى حتى أردت أن أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذب نفسى ثم قلت لهم . هل لقى هذا معى أحد ؟ قالوا نعم لقيه معك رجلان قالا ماقلت . وقيل انهما مثل ما قيل لك . فقلت من همـا ؟ قالوا : مرارة بن الربيـع وهلال بن أمية الدافقى فذكروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدرا لى فيهما أسوة فمضيت حين ذكروهما لى ..

قال كعب : ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس عن كلامنا نحن الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس حتى تنكرت لى فى نفسى الأرض فما هى الأرض التى كنت أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة . فأما صاحباى فاستكانا وقعـدا فى بيوتهما وأما أنا فكنت أشد القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشـهد الصلاة مع المسلمين وأطوف بالأسـواق فلا يكلمنى أحد . وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة وأقول فى نفسى هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ؟ ثم أصلى قريبا منه وأسارقه النظر فاذا أقبلت على صلاتى نظر الى فاذا التفت نحوه أعرض عنى . حتى اذا طال ذلك من هجر المسلمين مشيت حتى تسورت حائط أبى قتادة - وهو ابن عمى وأحب الناس الى - فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام . فقلت له يا أبا قتادة أنشدك الله تعالى .. هل تعلم انى أحب الله ورسوله . فسكت .

قال كعب : فعدت فنشـدته فسكت .. فعدت فنشدته فقال الله ورسـوله أعلم .. ففاضت عينـاى وتوليت حتى تسـورت الجدار .

ويقول كعب رضى الله عنه :

وبينما أنا أمشى بسوق المدينة اذا نبطى من أنباط الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول . من يدل على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشـيرون له الى حتى جاء فدفع الى كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا فقرأته فاذا فيه « أما بعد فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق

بنا نواسيك » فقلت حين قرأتها وهذه أيضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرتها حتى اذا مضت أربعون ليلة من الخمسين اذا برسول من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك . فقلت أطلقها . أم ماذا أفعل . فقال : بل اعتزلها ولا تقربنها. وأرسل الى صاحبي مثل ذلك . فقلت لامرأتي الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر . فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله. ان هلالا شيخ ضائع وليس له خادم فهل تكره أن أخدمه ؟ قال « « لا ولكن لايقربنك » فقالت انه والله ما به من حركة الى شيء ووالله ما زال يبكي من لدن أن كان أمرك ما كان الى يومه هذا . فقال لي بعض أهلي لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك فقد أذن لامرأة هلال أن تخدمه . فقلت . والله لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أدري مايقول اذ استأذنته فيها وأنا رجل شاب .

قال كعب : فلبثنا عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا . ثم صليت الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله منا قد ضاقت على نفسي وضاقت على الأرض بما رحبت سمعت صارخا أوفى على جبل سلع يقول بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر فخررت ساجدا وعرفت أن قد جاء الفرج فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبي يبشرون . **وركض الى رجل فرسا وسعى ساع من أسلم قبلي وأوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاء الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوتهما اياه ببشارته والله ما أملك غيرهما يومئذ . فاستعرت ثوبين فلبستهما فانطلقت أؤم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقاني الناس فوجا بعد فوج يهنئونني بالتوبة ويقولون ليهنئك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحوله الناس فقام الى طلحة بن عبيد يهرول حتى صافحني وهنأني والله ما قام الى رجل من المهاجرين غيره . وكان كعب رضى الله عنه لاينساها لطلحة ..**

وقال كعب رضى الله عنه :

فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور «ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك مك » .. قلت « أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ » قال « لا بل من عند الله » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر .. وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله ان من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم قال « أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك » فقلت . اني أمسك سهمي الذي بخيبر ثم قلت « يا رسول الله انما أنجاني الله بالصدق وان من توبتي أن لا أحدث الا صدقا ما بقيت ».

ووالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله من الصدق في الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلاني الله تعالى . والله ماتعمدت كلمة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا كذبا واني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقى »

وصدق الله العظيم :

« .. وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لاملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا . ان الله هو التواب الرحيم ».

صلى الله عليه وسلم اليها رجل من الخـزرج يقال له أبو عامر الراهب وكان قد تنصر فى الجاهلية وكان له شرف ومكانة فى المدينة فلما هاجر الرسول الى المدينة واجتمع عليه الناس وارتفعت راية الاسلام . ونصر الله المسلمين يوم بدر . أكل الحقد قلبه وأظهر عداوته . واشترك مع مشركى مكة فى غزوة أحد ثم ذهب الى هرقل ملك الروم يستنصره على النبى وصحبه فوعده هرقل ومناه . فأقام عند هرقل وكتب الى جماعة من قومه من أهل النفاق بالمدينـة يعدهم ويمنيهم بانه سوف يقدم بجيش لاقبل لمحمد به . وامرهم ان يتخذوا له معقلا يحمل شعار المسجد ظاهرا . ويكون فى الواقع معقلا للمؤامرات . ومركزا للدسائس . وتفريقـا بين المؤمنين ومرصدا له اذا قدم عليهم بعد ذلك فشرعوا فى بناء مسجد مجاور لمسجد قبـاء (ومسجد قباء هو أول مسجد أسس على التقوى عند هجرة الرسول الى المدينة . وقباء ضاحية من ضواحى المدينة — ولما فرغوا من بناء المسجد أتوا النبى صلى الله عليـه وسـلم وقالـوا يارسول الله (انا قد بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة . والمليلة المطيرة وانا نحب ان تأتينا فتصلى فيه فقال الرسول (انى على جناح سفر . وحال شغل . ولو قدمنا ان شاء الله تعـالى أتيناكم فصلينا لكم فيه

فلما رجع صلى الله عليه وسلم الى المدينـة من تبوك نزل عليه الامين جبريل بخبر مسجد الضرار وما بيته المنافقون من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين فدعا الرسول بعض اصحابه وقال (انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهـله فاهدموه واحرقوه) . وقد نهاه الله عن الصلاة فيه . وسماه مسجد الضرار وذلك فى قـوله تعالى **(والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حـارب الله ورسوله من قبل . وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون لاتقم فيه ابدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم احق ان تقـوم فيه . فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين)**

وفى هذا تحذير للمسلمين فى كل زمـان ومكان لكى لايخدعوا بالشعارات الزائفة

التى يرفعها اصحابها للتضليل وتحقيـق أغراض شخصية لاتمت بصلة الى خـدمة الاسلام والمسلمين . واذا فالحلف الاسلامى المقترح هو مسجد الضرار والكفر فى القـرن العشرين يجب علينا **أن نبينه** للناس عـلى حقيقته . وأن نحرق الدعوة اليه كما أمر الرسول اصحابه بهدم مسجد الضرار وحرقه .

هل يستقيم الظل والعود أعوج :

من الأمور الثابتة فى الشريعة الاسلامية ان فاقد الشىء لايعطيه . ومن المقرر والمشاهـد ان الظل لايستقيم اذا كان العود أعـوج . واستنادا الى ذلك نستطيع ان نؤكد ان الدعوة الى الحلف الاسلامى كلمة حق أريد بها باطل لأنها صدرت عن أناس تجردوا عن المبادىء الاسلامية . وابتعدوا عن القيم الروحية . ومن هؤلاء على سبيل المثال الحبيب بورقيبة وشاه ايران وفيصل

أما الحبيب بورقيبة فان أعماله تدل عـلى انه كاذب فى ادعائه الغيرة على الاسلام والحرص على وحدة المسلمين . ألم يدع الى مفاوضـة اسرائيل والصلح معها والاعتراف بالأمـر الواقع ؟ ألم يقاطع اجتماعات مجلس الجامعة العربية ، فهل يحق لمثل هذا ان يدعو الى اجتماع كلمة المسلمين فى وقت يعمل فيه على تمزيق

كلمة العرب . والعروبة والاسلام توأمان لا ينفصمان فاذا تفرقت الأمة العربية فلن تقوم للوحدة الاسلامية قائمة .

وأما شاه ايران . فقد باع نفسه للغرب . واتخذ منه أداة تنكيل بالشعب الايرانى المسلم وألقى بالأحرار من رجال الدين فى غيابات السجون واعترف باسرائيل المغتصبة لأراضى المسلمين ظلما وبغيا .. ومكن لليهود من السيطرة على مقدرات الشعب الايرانى الشقيق وكيف يدعو بهذه الدعوة من يمتلك قرى بأكملها . ويترك غالبية الشعب الكادح تموت عريا وجوعا . ؟ اننا نضع امام هذين الداعين الى الحلف المزيف . ومن سار فى ركابهم من ملوك الرجعية هذا التحذير الرادع فى قوله تعالى **(يأيها الذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون)**

ـ اسرائيل تؤيد الداعين الى حلف التضليل

يكفى فى التدليل على ان الدعوة الى الحلف الاسلامى دعوة استعمارية صهيونية ان اسرائيل تؤيد الداعين الى الحلف . وتشن علينا حربا كلامية لأننا نحاربه . ونكشفه على حقيقته امام الرأى العام العربى والاسلامى . ونبين الأغراض الخبيثة التى تكمن وراءه واذا كان الاستعمار يصفق للحلف المزعوم . واسرائيل تؤيد قيامه وتدافع عنه . فهل يعقل ان يكون هذا الحلف لصالح الاسلام . ولخير المسلمين ؟

واجب الشعب العربى ازاء هذه الشعارات الزائفة :

يجب علينا فى هذه المرحلة التى يجتازها الوطن العربى أن نوحد صفوفنا . ونتصدى بكل ما أودعه الله فينا من طاقات للرجعية فى الداخل والخارج ونظهرها على حقيقتها . ونقلم أظافرها . ونسقط جميع الأقنعة الزائفة التى تختفى وراءها . ويجب ان نفضح جميع الشعارات الزائفة التى ترفعها الرجعية ومن ورائها الاستعمار والصهيونية ، ولو كانت تلبس ثوبا براقا وذلك مثل (بدعة الحلف الاسلامى المقترح الذى اصبح خطرا يهدد استمرار أى عمل عربى مشترك لمواجهة عدد العرب المشترك اسرائيل .

ان الرجعية تقول ان الاشتراكية كفر والحاد . ونحن نقول للرجعيين ما اجهلكم بمبادىء دينكم الم تسمعوا الى قوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) والى قوله صلى الله عليه وسلم (ان الأشعريين كانوا اذا أرملوا فى الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما عندهم فى ثوب واقتسموه بينهم بالسوية فأنا منهم وهم منى)

والاسلام يسلب المومن أعز شىء لديه وهو الايمان اذا بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم وفى هذا يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه (ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم)

وهل أتاهم قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين حضرته الوفاة (لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لاخذت فضول أموال الأغنياء فرددتها على الفقراء) و (قول الرسول صلى الله عليه وسلم (من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لاظهر له . ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لازاد له) قال راوى الحديث أبو سعيد الخدرى (فذكر رسول الله من اصناف المال ماذكر حتى ظننا انه لاحق لأحدنا فى فضل ماله)

هذه هى اشتراكيتنا التى تنبع من عقائدنا وتقاليدنا . والتى تحقق الكفاية والعدل فى مجتمع اشتراكى يستمد كل مقوماته من تعاليم الاسلام ومثله العليا الخالدة . والله الموفق .

ولقد كرمنا بنى آدم

للأستاذ عبد الحليم المهدى

قال جمال عبد الناصر فى يوم ١٦ مايو سنة ١٩٦٦ ، وهو يعبىء الشعب للثورة الجديدة :

« ان ظروف الفراغ العقائدى قبل الثورة ، كانت هى التى دعت طلائع القوات المسلحة المصرية الى ترك ثكناتها والانضمام الى الجماهير الغاضبة لتحويل غضبها الى طاقة تغيير فعلى ، تنتقل بأحوال مصر مما كان ، الى ما ينبغى أن يكون » .

واذا قلنا ان هذه العبارة تعتبر مكملة لفلسفة الثورة أو فصلا جديدا منها غايته أن تحيا بلادنا الى ما ينبغى أن تكون الحياة ، والوسيلة هى تحويل عقيدة الجماهير الى طاقة تغيير فعلى تنتقل بأحوال مصر مما كان ، الى ما ينبغى أن يكون .

وليس ما ينبغى أن يكون لغزا أو شيئا من الأحلام ، وانما هو الأمل لكل انسان من كفاحه تحت الشمس ، وهو تطبيق للاية الكريمة **« ولقد كرمنا بنى آدم »** .

ان بلادنا اليوم فى مركز مرموق بين دول العالم الكبرى ، ونحن نرى **« أنه حين تنبض حركة الوطنيين بمقاومة الاستعمار فى أية قارة من القارات ، فان أنظار العالم تتجه أول ما تتجه الى القاهرة لطلب العون والمساعدة . وحين تبرز على المسرح الدولى مشكلة ، فان كثيرين فى قارات الدنيا كلها يصيخون السمع الى القاهرة ينتظرون سماع رأيها .**

وهذا رصيد تعتز به الجمهورية العربية المتحدة وتعتبره تكريما لمبادئها ولاصرارها على هذه المبادىء » .

ولا يستطيع بلد هذا شأنه اليوم بين قارات العالم ، أن يقعد لحظة عن ملء الفراغ العقائدى من أجل تحويل **غضب الجماهير الى طاقة تغيير فعلى تنتقل بأحوال مصر مما كان الى ما ينبغى أن يكون .**

ولنا أن نسأل اليوم : هل بدأنا ملء الفراغ العقائدى ؟ ..

سنجد الجواب فى تطوير الأزهر الذى عزله الاستعمار عن الشعب ، قد تحول الى جامعة دينية علمية عملية لخير الشعب الاسلامى كله .

ومن قبل تطوير الأزهر نذكر جميعا حرص الثورة على بقاء الاخوان المسلمين بغير حل ، طول عامين من الثورة ، يوم حلت الثورة كل الأحزاب ، لأنهم كانوا سائرين فى الطريق الصحيح حسب ما أعلنوا عن أنفسهم حتى لا يستمر الفراغ العقائدى ، ولكن الاخوان نكصوا على أعقابهم وتآمروا على الثورة فى عام ١٩٥٤ ، ثم رحمتهم الثورة ، فعادوا الى التآمر والاعداد لأفتك عملية تخريب لكل ما بنيناه فى أربعة عشر عاما .

لقد تسلل الاستعمار واندست الصهيونية بين صفوفهم ، ولعب الذهب بعقول مرشديهم ، فضلوا السبيل •

ولكن الثورة منذ البدء ثورة قيم روحية ، وكلنا يذكر قادة الثورة وهم يرتقون المنابر محرضين على قتال الاستعمار ، فالاسلام **والاستعمار لا يجتمعان ، وانهم قاموا لتطبيق** شريعة العدل شريعة الله •

وزعيم الثورة منذ البدء يعلن دائما وفى كل مناسبة أن الثورة نجحت بالدين والعلم والأخلاق • وهى تستخير الله دائما فيما تعمل، ان كان حراما أم حلالا • ثم يقصد فى معمعة ١٩٥٦ والقاهرة تضرب بالقنابل ، فى سيارة مكشوفة ، الى الجامع الأزهر مرتين، ليرتقى المنبر ويعلن على الدنيا أنه اذا كان قد كتب علينا القتال بأمر من عند الله ، فليس فى الأرض قوة تفرض علينا الاستسلام •

وفى غداة المعركة أعلن جمال عبد الناصر كلمته الخالدة :

« كان الله قائدنا فانتصرنا » •

فلما تآمرت الرجعية العربية فى الداخل وفى الخارج وأعلنت بأبواق أن الاشتراكية ضد الدين ، قال كلمته المأثورة :

« لقد كان سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أول من أنشأ حكومة اشتراكية فى التاريخ » •

واما تطوير الأزهر والخروج به من عزلته فقد كان هدفا من أهداف الثورة منذ قامت وهى تعرف ظروف الفراغ العقائدى ، وهو من الناحية الأهم المجال الطبيعى الذى يهيىء للبلاد قيادات شابة مؤمنة قادرة على أن تتسلم فى غد مسئولية القيادة بنجاح ، على طريق الثورة البيضاء ، وليس على طريق اخوان الارهاب الدموى •

ثم أعلن الزعيم ميثاق الشعب الذى وضع القوى الروحية فى المرتبة الأولى قبل القوى الذرية ، وأضاف أن رسالات السماء كلها كانت ثورات استهدفت شرف الانسان وسعادته • وأن جوهر الدين لا يتصادم أبدا مع حقائق الحياة والتقدم ، وانما يتصادم عندما تريد الرجعية أن تستغل الدين لمصالحها ، فتفسر تعاليمه على هواها لكي تأكل حقوق الشعوب •

وعندما هزمت الرجعية فى مؤامرة الاخوان فى مصر ، بدأت تتحرك من مركز التآمر ضد الدين فى الرياض و ايران ، لتجمع حلفا ضد القوى التحررية الاسلامية ، فكشف الزعيم الملهم عنهم القناع ، وصاح فى خطابه التاريخى بمناسبة عيد الثورة الرابع عشر : أن تعالوا الى مؤتمرلعلماء المسلمين فى القاهرة أو فى الكعبة أو فى المسجد الأقصى ، ان كنتم تريدون حلفا اسلاميا حقيقيا ، وليس حلف تآمر لصالح الاستعمار يتكون من فيصل الذى يبعثر طعام الجائعين فى السعودية للدعاية ضد الجمهورية العربية المتحدة فى أمريكا ، ومن شاه ايران الذى ليست له صلة بالاسلام الا اسمه وبو رقيبة الذى افتى بالافطار فى رمضان ، وهو الذى يدعو الان الى الصلح مع اسرائيل !!

ان ثورتنا منذ البداية تعمل من أجل الحق والقوة والعدل والحرية وسلام البشرية •• وهى فى ذلك تدعو وتعمل بدعوة الاسلام، وهى بذلك تحرص على ملء الفراغ العقائدى بالعقيدة الصحيحة وليست العقيدة الزائفة التى تجعل ملوك العرب يسعون فى ركاب شاه ايران ، فتى اسرائيل المدلل ، وهم يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون الا أنفسهم وهم لا يشعرون •

لقد نجحت ثورتنا بالدين والعلم والأخلاق وستنجح دائما بالدين والعلم والأخلاق

ونجحت اشتراكيتنا لأنها تقتدى باشتراكية محمد بن عبد الله • ونجحت ثورتنا انسانيا بتمسكها برسالة الرحمة وليس باستغلال الانسان للانسان •

ان ملء الفراغ العقائدى كان وسيظل أهم أهداف الثورة ، فهذا الفراغ ان لم يملأ بالدين سوف يملأ بأية عقيدة من صنع الانسان ..

ونحن لنا دين ولسنا على استعداد لأن نستبدل ديننا بدين آخر .. فهو الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

وملء الفراغ العقائدى لا يمكن أن يكون كلاما ، بل لا بد أن يكون عملا ثوريا قائما على الايمان بكرامة الانسان الفرد ، فالكرامة هى أساس الحرية ، ولا يمكن أن يتحرر وطن أفراده من العبيد .. والعبيد وحدهم هم الذين لا يملكون عقيدتهم ، أما الأحرار فهم الذين يملكون ايمانهم ، فهم الذين يحمون عقيدتهم ، وهم القادرون على اعادة صنع الحياة فوق أرضهم بالحق والخير ، بالعدل والعمل ، بالمحبة والسلام .

وقديما قالوا ان « الجوع كافر » ، ومن هنا كان تحرير رغيف الخبز هوميدان الجهاد الاكبر لهذه الثورة ، وقد جعلته اساسا لحكم الشورى ، حينما ربطت بين تحرير رغيف الخبز وبطاقة الانتخاب .

ويقول الله تعالى : ((واما بنعمة ربك فحدث)) وكان سبحانه قادر على ان يطلب من الانسان الفرد أن يتحدث بربه فقط ، ولكنه جعل النعمة باب الحديث عنه – جلت حكمته – ليكون الحديث حمدا وشكرا ، وليكون حافزا الى المزيد من نعمه .. هذه النعمة التى رزقت بها بلادنا منذ قيام الثورة لتحقق حرية الوطن وحرية المواطن ، وليكون الحكم للشعب ، وليس للملوك ، **فما عرفنا الملكية فى نظام الحكم الاسلامى ، وقد جاءتنا بدعة من الغرب ، فقضينا على هذه البدعة فى يوم وليلة ، وعاد الحكم الى الشعب يولى من يشاء ويعزل من يشاء ، ولم يعد الشعب عبيدا يرثهم الملك الخديوى أو السلطان أو الأمير .**

واذا كنا نحارب الاقطاع ، وجرائم الاخوان والارهاب فى الريف ، فانما نفعل ذلك ابتغاء وجه الله الذى لا يقبل أن تنقلب معانى الدين الى أكل أموال الناس بالباطل ، وقتل النفس بغير حق ، ونحن فى ذلك نحفظ للدين جوهره وكم نادت الثورة بأن **من يحاول أن يفصل الدين عن المجتمع ، انما يريد أن يقضى على أهم مقومات المجتمع .**

ولو عاد كل مواطن الى دينه ، ولو حرص كل مواطن على تطهير عقيدته ، ولو خاف كل مواطن من ربه وحده ، وراقبه فى كل عمل ، وفى كل قول ، اذن لرأينا هذا الوطن يرتفع بسرعة الى ما ينبغى أن يكون .

« **ولقد كرمنا بنى آدم** » .. هذا هو شعار حكمنا العربى الاسلامى .. فأين أنتم من هذا الشعار أو هذا المبدأ السماوى ؟

انظروا الى الشعوب التى تحكمونها بما يوحى به اليكم شياطينكم فى واشنطن ولندن وتل أبيب .. ثم انظروا الى ما تفعلون بالأبرياء من تشريد وقتل وتعذيب .. ثم انظروا الى مصيركم المحتوم .. فان اعتبرتم بكل هذا ، فان الله غافر الذنب قابل التوب ، ولكنه تعالى فى نفس الوقت شديد العقاب .

ثم انظروا الى بدء الخليقة :

((قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فانما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » .

وأنتم يا دعاة الحلف الاسلامى المزعوم تتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ثم تحكمون الناس بالاغتيال دون محاكمة .. وبنزح أرزاقهم وبيعها الى أعدائهم ، فاذا جرؤ أحد على محاسبتكم أو حتى سؤالكم ، كان مصيره القتل من الخلف .

ولا يمكن أن يرضى الله عن عملكم ، ولا يقبل الله نفاقكم ، وتمكرون ويمكر الله والله خير

الحلف الإسلامى

حلقة من حلقات التآمر الرجعى الاستعمارى

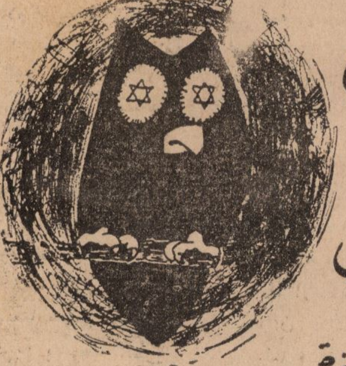

الأستاذ أحمد حمزة

يخطىء من يظن أن الاستعمار قد توقف أو يمكن أن يتوقف يوما عن التآمر ضد القومية العربية وضد الثورة العربية التى امتدت على طول المنطقة العربية من المحيط الى الخليج .. ان مجرد التفكير فى توقف الاستعمار عن التآمر ضد الأمة العربية والثورة العربية وهم كبير لاينبغى أن نستسلم له لحظة واحدة حتى لايضعف ذلك من ارادة الثورة فينا أو حتى لايقلل من اندفاعنا الثورى واستمرار نضالنا فى سبيل القضاء على الاستعمار بكل اشكاله وصوره.. والاستعمار فى تآمره ضدنا .. ضد حريتنا ومكاسبنا .. لايعمل وحده فى تنفيذ مؤامرته .. بل انه يعتمد أساسا على عملائه من الرجعيين والخونة فى المنطقة العربية .. وهؤلاء لايمثلون بعض وسائل الاستعمار وادواته فى تنفيذ مخططاته الاستعمارية والحفاظ على نفوذه ومصالحه الاستغلالية فى المنطقة .. ومعنى ذلك أن الرجعية هى الحليف الطبيعى للاستعمار .. وأساس التحالف بينهما المصالح المشتركة والمصير الواحد الذى يربط بينهما .. وقد أثبتت الاحداث البعيدة والقريبة أن التحالف بين الاستعمار والرجعية ينطوى على عداء صريح وواضح للامة العربية وللثورة العربية الزاحفة التى تعتبر القاهرة قاعدة لها ومنطلقا .. ويمكن أن نقول أن العداء للقومية العربية والثورة العربية هدف التقى عنده الاستعمار والرجعية .. ولقد وجد الاستعمار فى الرجعية أداة أمينة وطيعة يمكن من خلالها أن ينفذ مخططاته التى تستهدف السيطرة على مقدرات وامكانيات الشعب العربى ومحاولة وقف زحف الجماهير العربية الساعية الى التحرر والوحدة والاشتراكية .

*صور العداء للقومية العربية *

اتخذ العداء للقومية العربية والثورة العربية من جانب الاستعمار والرجعية صورا عديدة شهدنا بعضها فى الفترة من ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ حتى اليوم .. احدى هذه الصور

تشهدها هذه الأيام فيما يسمى « بالحلف الاسلامى الذى بدأ الحديث عنه فى شهر ديسمبر من العام الماضى ٠٠ والذى يضم كل الحاقدين من أعوان الاستعمار وعملائه الرجعيين تحت ظل الاستعمار الذى يقف بحكم طبيعته الاستغلالية ومصالحه الاحتكارية فى الصف المعادى للامة العربية ٠

*** تاريخ الاستعمار فى المنطقة :**

وقبل أن نتحدث عن الحلف الاستعمارى الرجعى نعود قليلا الى الوراء ٠٠ الى عام ١٩٥٦ وما قبله بقليل ٠٠ فى هذه الفترة عشنا فى الجمهورية العربية المتحدة معركة الأحلاف التى حاول أن يجرنا اليها الاستعمار ليضعنا ضمن مناطق النفوذ بعد أن حققنا الحرية بكفاحنا الطويل الذى بذلنا فيه الدماء والأرواح ٠٠ وكانت الأحلاف فى ذلك الوقت محاولة استعمارية لوقف الثورة وتيارها الجارف وحصارها وتضعيفها لحساب الاستعمار الذى أراد أن يعيد سيطرته علينا ولكن بصورة جديدة ٠٠ وخاصة الشعب العربى المعركة بوعى ٠٠ وقد استطاع أن يكشف اللعبة الجديدة ٠٠ وحينما أعلن حلف بغداد ٠٠ وقف الشعب العربى كله ضد هذا الحلف ٠٠ الذى أثبتت الأحداث أنه حلف للاستعمار والاستغلال والسيطرة ٠٠ ولم يكن صعبا أن يكشف الشعب مقاصده وأهدافه ٠٠ وتجمد حلف بغداد فى بغداد ٠٠ الى ان سقط نهائيا فى بغداد ذاتها فى يوم ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ حيث أطاحت الثورة العراقية بالملكية وعملاء الاستعمار ودعاة حلف بغداد ٠٠ وكان ذلك قمة نجاح الشعب العربى فى معركة الأحلاف ٠٠

*** العدوان الثلاثى ٠٠**

فشلت سياسة الأحلاف ٠٠ ولكن الاستعمار حاول من جديد وكانت المحاولة هذه المرة من نوع جديد ٠٠ حاول ان يفرض سيطرته بقوة السلاح ٠٠ فكان العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ٠٠ لقد تصور الاستعمار أن القوة المسلحة هى طريقه الوحيد لتحقيق ما فشلت فى تحقيقه الاحلاف ٠٠ وكان العدوان مغامرة لاتقل فشلا عن مغامرة حلف بغداد ٠٠ اذ وقف الشعب العربى بوعيه وصدقه الشورى لمجابهة مؤامرة العدوان ٠٠ ووقفت الى جانبه كل الشعوب الحرة المحبة للسلام ٠٠ وانتصر الشعب العربى ٠٠ فى معركة العدوان وكان انتصاره نقطة تحول بارزة فى حياة مصر وشعبها بل فى حياة كثير من الشعوب المقهورة المغلوبة على أمرها ٠٠ وكأن هذه الشعوب فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية كانت على موعد مع انتصار السويس العظيم لتهب هى الاخرى فى ثورات تحررية تطالب بحريتها وتنال استقلالها من أيدى الاستعمار ٠٠ ولقد قيل يومها أن الاستعمار قد تعلم درسا لن ينساه ٠٠ ولكن يبدو ـ أو هذه حقيقة ـ أن الاستعمار قد فقد ذاكرته تماما ـ فلم يعد يدرى ماذا حدث له بالأمس ٠٠ يؤكد ذلك محاولاته المتكررة المستمرة ضد الثورة العربية وضد الشعب العربى ٠٠ والاستعمار بذلك لايسلم أو لايريد أن يسلم بسهولة ٠٠

ولكن كيف يسلم الاستعمار بالهزيمة ؟

كيف يمكن أن يتخلى عن مصالحه واحتكاراته وايضا أصدقائه فى المنطقة ؟

أعود الى ما قلت فى السطور الأولى من حديثى هنا من ان الاستعمار لا يتوقف ولا يمكن أن يتوقف عن التآمر ضد الأمة العربية والثورة العربية ٠

اذن ٠٠ ماذا يفعل بعد فشل العدوان المسلح ؟

لعله قد أدرك ـ ربما لأول مرة ـ ان العدوان المباشر أصبح اليوم أسلوبا قديما لايتفق مع روح العصر ومع اتجاه الرأى العام العالمى الى المطالبة بحل جميع القضايا بالطرق السلمية ٠٠ ولعل درس العدوان الثلاثى على مصر يمكن فى هذه الحقيقة ٠٠ اذ أصبح

العدوان فعلا من الأساليب الشاذة التى تقف ضدها الشعوب والرأى العام العالمى لما ينطوى عليه من تهديد للسلام العالمى .. وعرقلة مسيرة الشعوب نحو تطوير نفسها وبناء مجتمعاتها .

ليجرب الاستعمار اذن وسائل أخرى .. لعلها تحقق له ما فشل فى تحقيقه العدوان المباشر ..

وفعلا لم يهدأ الاستعمار بعد هزيمته الساحقة فى بور سعيد .. بل راح يجرب كل الأساليب .. جرب أسلوب الضغط الاقتصادى والارهاب والتخويف .. وهى أساليب تكشف بجلاء عن طبيعة الاستعمار الحاقدة الغادرة .. ومع ذلك فان الشعب الذى انتصر على الأحلاف والعدوان المسلح .. لم يكن صعبا عليه أن ينتصر فى معارك الضغط والارهاب والتخويف .. لقد خرج شعبنا من العدوان أكثر قوة وأكثر صلابة وأكثر ايمانا بثورته وأهدافه وأكثر وعيا بمخططات الاستعمار وأساليبه المختلفة .. وفشل أيضا أسلوب الضغط والارهاب .. ومضت الثورة العربية كأقوى ما تكون الثورات التحررية ومضت الجماهير المكافحة فى سعيها المقدس نحو تحقيق أهدافها .. غير عابئة بالاستعمار والأذناب ومؤامراتهما .

ولكن ..

هل يرضى الاستعمار ذلك النجاح المطرد الذى تحققه كل يوم الثورة العربية على أعدائها ؟ !

هل يرى الاستعمار عن انهيار أصدقائه مثل الملك فيصل وشاه ايران وبورقيبه وغيرهم ممن يقفون أمام تيار التاريخ والثورة العربية الجارفة ؟ !

واذا تخلى الاستعمار - جدلا - عن أصدقائه وعملائه .. هل يمكن أن يتخلى عن مصالحه البترولية واحتكاراته فى المنطقة ؟

ان الاجابة على كل هذه التساؤلات يجدها فى حلف الاستعمار والرجعية المسمى بالاسلامى .. ومحاولة الاستعمار انشاء هذا الحلف تعنى أشياء كثيرة بالنسبة للثورة العربية وبالنسبة للرجعية وقادتها ..

الحلف الاسلامى يعنى أن الاستعمار لايرضى عن نجاح الثورة العربية .. بل هو يسعى الى حصار الثورة وتطويقها والقضاء عليه نهائيا .

الحلف الاسلامى يعنى أن الاستعمار لايمكن أن يتخلى عن أصدقائه من الملك فيصل الى شاه ايران وبورقيبة ..

انه - أى الاستعمار - يضع امكانياته وأسلحته وقنابله فى خدمتهم لتحميهم من زحف الثورة العربية الهادر .. انه يعطيهم السلاح .. وتحت هذا الستار يعطى اسرائيل أيضا .. ولكن بكميات أكبر .. وكل ذلك تحت زعم أسطورة التوازن بين اسرائيل والبلاد العربية .. والسادة الأصدقاء يعلمون ذلك جيدا ويدركون ما يدبره الاستعمار ضد العروبة والاسلام .. ولكنهم راضون .. بل هم يتمنون دوام الحماية الأجنبية عساها أن تحميهم من المصير المحتوم .. الذى ينتظرهم على يدى الشعب العربى والثورة العربية ولكن هيهات !!

لقد تصور الاستعمار أن حلفا يحمل اسم (الاسلام) كاف لاقناع الشعب العربى بقيمته وبأهدافه .. ولكن الشعب العربى الذى خاض المعارك تلو المعارك .. وخرج منها منتصرا ظافرا .. هذا الشعب لايمكن أن يخدع بحلف جديد حتى ولو كان يحمل اسم الاسلام .. والشعب العربى حينما يتصدى لهذا الحلف ويرفضه رفضا كاملا .. انما يتصدى لمؤامرة جديدةمن مؤامرات الاستعمار والرجعية اتخذ الاسلام عنوانا لها .. الاسلام منها براء .

وقد كشف الرئيس جمال عبد الناصر أكثر من مرة الحلف الاسلامى وكشف الداعين له

.. فى ١٥ يونيه سنة ١٩٦٦ وفى خطابه التاريخى فى دمنهور قال الرئيس :

« ليس الحلف الاسلامى الا استكمالا لحلف بغداد لوضع الأمة العربية داخل مناطق النفوذ .. الشعب العربى فى كل مكان يعرف ويعلم علم اليقين ان اللى بيدعوا للمؤتمرات الاسلامية وبيقولوا ان العملية اسلامية هم أبعد الناس عن الدين وان العملية سياسية الغرض منها ان نوضع داخل مناطق النفوذ الاستعمارى »

ترى من هم دعاة هذا الحلف الرجعى ؟

الملك فيصل يتبنى الدعوة الى الحلف الجديد ومعه شاه ايران عدو شعبه وأمته ودينه وصديق الاستعمار واسرائيل الحميم.. ولعل أصدق حديث عن فيصل وشاه ايران وحلفهما المزعوم هو حديث صحافة الغرب عنهما ..

لقد سلطت هذه الصحف الأضواء على شخصية الملك فيصل وحاولت ابرازها لشخصية منافسة لشخصية الرئيس جمال عبد الناصر بكل ماتمثله ..

قالت صحيفة « لتريبون » الفرنسية :

« ان واشنطن كلفت الملك فيصل وشاه ايران للقيام بمهمة تشكيل الحلف الاسلامى وأن هذا الحلف الملكى المقدس هو محاولة للرد على حركة القومية العربية التى تتزعمها القاهرة »

وقالت نفس الصحيفة ..

« انه اذا دعيت اسرائيل للاختيار بين جبهة الملوك والجبهة المتحررة فانها ستتخذ حتما وبالتأكيد جبهة الملوك !!

وقالت صحيفة « لاسوار » الفرنسية أيضا :

« ان التفاهم الايرانى السعودى المؤيد من الانجليز والامريكان يدعم النظرية القائلة بأن واشنطن ولندن تساعدان فيصل وشاه ايران فى مشروع حلف اسلامى ضد توسع الاشتراكية فى الشرق الأوسط »

وقالت « الديلى تلجراف » البريطانية :

« ان الملك فيصل يقود حركة احياء فكرة الحلف الاسلامى .. »

وقالت الصحيفة :

« طالما أن الشرق الأوسط حانوت مغلق من الدول العربية فان القاهرة تظل بلا جدال عاصمته السياسية .. ولكن وجود حلف اسلامى تشترك فيه دول مثل تركيا وايران وباكستان يغير الوضع »

هل هناك أوضح من ذلك دليلا على ادانة فيصل وشاه ايران بخيانة الأمة العربية والنضال العربى ..

وفى الحقيقة فان هذا الحلف المضلل ليس هو الدليل الوحيد على خيانة فيصل وشاه ايران ووقوفهما مع الاستعمار فى صف العداء للقومية العربية والشعب العربى .. فالشاه رجل استعمارى يحكم بلده بالحديد والنار لايقيم وزنا لارادة شعبه .. بل هو صديق مخلص لاسرائيل عدوة العرب والمسلمين الأولى .. وهو يقيم معها أوثق الصلات ويتعامل معها أيضا فى حرية كاملة .. ثم يأتى للدعوة الى حلف باسم الاسلام .. !! ما أعجبه .. !!

وهاهو الملك فيصل عدو الثورة العربية والتقدم العربى .. يقف ليتآمر ضد سلامة الثورة العربية فى اليمن .. ويستعدى عليها كل الحاقدين ويحارب الجمهورية العربية المتحدة فلسفة النضال والثورة العربية .. ويعمل جاهدا لتخريب وحدة العمل العربى التى بدأت تجاه الخطر الصهيونى وعمل على استدراج المنطقة ووقوعها داخل

مناطق النفوذ الاجنبى بدخولها مرحلة صراع جديدة يخفف الضغط على الخطر الحقيقى الذى يهدد المستقبل العربى كله والذى يتمثل فى اسرائيل قاعدة العدوان ٠٠ ويأتى هو الآخر ليدعو الى حلف اسلامى !

وبورقيبه٠٠عميل آخر من عملاء الاستعمار واسرائيل ٠٠ دعا الى الافطار فى رمضان ٠٠ ودعا الى الصلح مع اسرائيل وتصفية القضية الفلسطينية لصالح الصهيونية ٠

ماذا بعد ذلك يمكن أن نسمى حلفا يضم فيصل شاه ايران وبورقيبه ؟ ٠٠

انه حلف الاستعمار حلف الرجعية المتخاذلة الخائنة العميلة ٠٠ وهو حلف موجه ضدنا٠٠ موجه ضد قوى التحرر وقوى الثورة فى العالم العربى ٠٠

ولعل كلمات السيد الرئيس والقائد جمال عبد الناصر عن الحلف المزعوم فى عيد الثورة الرابع عشر تلقى مزيدا من الاضواء على حقيقة المؤامرة وأبعادها المختلفة ٠

قال الرئيس فى خطابه التاريخى فى يوليو الماضى :

« الاسلام ثورة ٠٠ الاسلام نحن فى أشد الحاجة اليه ٠٠ ازاى نعمل من أجل الاسلام ؟ ٠٠ اذا كنا عايزين نعمل من اجل الاسلام نتجه الى الدين ٠٠ مش نتجه الى الاستغلال السياسى والاجتماعى ٠٠ نعمل مؤتمر لعلماء الدين الحقيقيين٠٠نعمل مراكز الفكر الدينى فعلا ٠٠ مانجمعشى السماسرة والارهابيين من حزب الاخوان المسلمين والمرتشين والمتاجرين ٠٠ ممكن علماء المسلمين يجتمعوا فى الأزهر فى القاهرة أو فى الخرطوم أو فى الحرم فى مكة او فى المسجد الاقصى فى القدس٠٠احنا على استعداد ٠٠ ده فعلا اسلام ٠٠ مش دجل ولا استخدام الاسلام فى السياسة ٠٠ اما ان يجتمع علشان يبحث فى أمور الدين شاه ايران - وكلنا يعرف أن شاه ايران مايعرف حاجة فى الدين وواقف فى وجه رجال الدين فى بلده وبيقضى أكثر أوقاته واجازاته فى اوروبا ولا يمكن ان شاه ايران هو اللى يقعد ويفتى لنا فى الدين الاسلامى لان شاه ايران مش راجل دين ولكنه راجل سياسة »

ثم يقول السيد الرئيس فى نفس الخطاب

« أما الحلف الاسلامى أو المؤتمر الاسلامى فهو عملية هدفها الأساسى هو وضع البلاد العربية داخل مناطق النفوذ الاستعمارى وهو البديل لحلف بغداد ٠٠ »

ونخرج بعد هذا كله بمجموعة من الحقائق أحسب أنها لم تعد اليوم خافية على الأمة العربية :

أولا - ان هذا الحلف المزعوم حلقة من حلقات التآمر الاستعمارى الرجعى ضد ارادة الثورة وحتمية التاريخ ٠

ثانيا - ان مصير هذا الحلف سيكون مثل مصير كل الأحلاف والمخططات الاستعمارية السابقة عليه والتى كشفها الشعب وقضى عليها بوعيه وصدقه الثورى وايمانه ٠

ثالثا - الثورة العربية تمضى فى اندفاعها الثورى على طريق بناء الحرية والاشتراكية والوحدة كاسحة من أمامها كل المعوقات ٠

ونصل فى نهاية حديثنا الى واجبنا ٠٠ واجب الشعب العربى حيال التحركات الاستعمارية الرجعية المريبة فى المنطقة وحيال مخططاتها ٠٠ ان هذا الواجب يتمثل فى الوعى واليقظة فى هذه المرحلة الدقيقة من مراحل التطور الثورى ٠٠ ويتمثل أيضا فى استمرار الثورة ٠٠ وهو كما قال الرئيس سبيلنا الوحيد حتى نحقق كل أهدافنا ٠٠ استمرار الثورة وطنيا لنقضى فى الداخل على الاستغلال وعلى الاقطاع والتحكم بكل أنواعه ونقيم مجتمع الكفاية والعدل ٠٠ واستمرار الثورة قوميا بالنسبة للعمل العربى الثورى لنقضى على مناطق النفوذ ولنجابه الرجعية بكل قوانا وبهذا يمكن فعلا أن نحرر الوطن العربى ونثبت استقلال الوطن العربى ونتصدى فعلا لاسرائيل ولمن هم وراء اسرائيل » ٠

من فنون الإسلام

الأستاذ سعيد الصدر

برع المسلمون فى جوانب عديدة وكان ابرز ما حققوه من نجاح فى مجال الانتاج الفنى التطبيقى الذى تزخر بنماذج منه متاحفنا ومجموعاتنا الفنية الخالصة والذى نراه أيضا فى العمائر والمنشآت الاسلامية لمختلف العهود • ولا شك أن تلك الروائع ستظل أبدا مقصدا للدارسين من الفنيين والباحثين فى كل أنحاء العالم •

وقد كان الانتاج كله للاغراض النفعية مع تضمنه للجوانب الفنية ولكل ما يتصل بالروح والوجدان وما يرتبط بحياة الأفراد والجماعات • على اختلاف حالهموتنوع وسائل معيشتهم •

وبذا نلمس فى ذلك العهد الاسلامى الزاهر توفر الخصائص الانسانية ونلمس أن الناس جميعا كانوا سعداء فى حياتهم الخاصة والعامة لا اختلاف بين ثرى أو فقير أو غير ذلك •

ولسنا نبالغ فى شىء اذا ما ذكرنا أن الانتاج التطبيقى الاسلامى القديم هو من أروع ما انتج بالمنطقة العربية خلال مالا يقل عن سبعة قرون متعاقبة •

ولقد كان الاهتمام بالانتاج على تنوعه حتى فى أبسط ما يتداوله الافراد من الاشياء وقد كان ذلك الاهتمام منصبا على النوع الى جانب الكم — ومن بين هذه الأشياء التى عنى بها قلة المياه التى كانت مستخدمة للشرب منها فى ذلك الزمان والتى استمر استخدامها فى البلاد العربية حتى الآن •

والمشاهد لمجموعة الفخار والخزف التى يحتويها المتحف الاسلامى بالقاهرة يرى مجموعة من شبابيك القلل ونحن نسميها حجاب القلة نظرا لغرض استخدامها من الناحية النفعية اذ أنها تحجب عن مياه القلة الأتربة أو أى شىء آخر يحتمل أن تتلوث به كسقوط حشرة او ما شابه ذلك •

وقد أطلق بعض الكتاب الأجانب على هذا الحجاب اسم (مرشح القلة) وهذه التسمية لاتطابق صفة من صفات الحجاب أو الشباك اذ انه لا يرشح المياه ، انما يتم ذلك عن طريق جسم القلة نفسها . اذ أنها كانت ولا زالت تصنع من فخار راشح غير اصم .

أما فيما يتصل بتسمية هذا الجزء من القلة بالشباك انما نفسره بأنه تشبيه بالشباك أو النافذة الاسلامية الطراز التى كانت تصنع من قطع صغيرية من الخشب المخروط المعشق فى بعضه البعض ويتخللها افراغات المختلفة الأشكال وهو بهذه الصورة ييسر دخول الضوء هادئا كما يدخل منه الهواء الى الغرفة أو القاعة مرشحا دون تيار عنيف

ولقد عنى المسلمون بهذا الحجاب وزينوا به رقبة القلة فأضفوا عليها جمالا يسر الناظرين - ولعل المسلمين كانت لهم فلسفة خاصة عندما عنوا بهذا الجزء البسيط من القلة - اذ أن الشرب فى اناء جميل الصورة يهىء لراحة نفسية واستمتاع بالمشروب ولهذا الاثر المفيد للصحة عامة على خلاف ما اذا استخدم اناء عادى أو قبيح الصورة حيث تكون النتيجة عكسية .

من أجل هذا عنى المسلمون بحجاب القلة وزركشوه بوحدات منمقة تنميقا دقيقا كما وفقوا الى حد بعيد فى اختيار الوحدات والعناصر التى كونوا منها تصميمات الحجاب كما نوعوا فى ذلك تنويعا كبيرا فأعطوا الفرص للناس جميعا ليختاروا منها ما يختاروا كل على نمط تزوقه الخاص .

وقد تضمنت العناصر الأحياء المائية والطير والأمثال والتقاسيم الهندسية الدقيقة والعناصر الرمزية وقد خططت هذه العناصر تخطيطا زخرفيا رقيقا .

كما تضمنت العناصر الأجسام الآدمية فى أوضاع وتكوينات مبسطة وبعضها على أشكال كاريكاتورية .

ويدل ما سجل على هذه الأحجبة على مقدرة الفنانين المسلمين فى التصميم وفى تخطيط العناصر على اختلاف طابعها كما يدل التنفيذ على مهارة بالغة فى تكييف الأسلوب لخدمة العنصر ليكون له وضوحه فى الشكل .

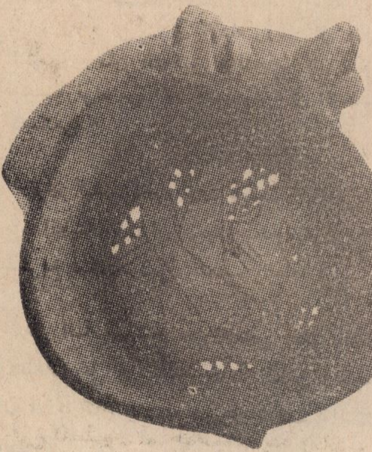

وبفحص الشقافات المتوفرة بالمتحف الاسلامى تبينت أساليب عملية مختلفةاتبعت لتنفيذ هذه الأحجبة فتارة كان الحجاب يصنع منفصلا ثم يلحم فى رقبة القلة من داخلها وهى رطبة وتارة كان جسم القلة يصنع مع قفلها قفلا تاما فى اعلاها ثم تجرى عملية التفريغ . ثم تلصق من حولها الرقبة وتارة اخرى تصنع القلة مفتوحة الفوهة ثم يصنع شكل آخر على هيئة كوب يتم فى قاعه عملية التفريغ ثم يلصق على فوهة جسم القلة المفتوح .

وهكذا كان لصناع هذه الأحجبة أساليب عملية مختلفة فى تركيب الحجاب فوق جسم القلة .

الا أن ما يدعو الى العجب وما يسترعى الأنظار هو عملية التفريغ نفسها وما كانت

تنتهى اليه من دقة متناهية وانتظام كامل فى حالة تفريغ رسوم هندسية أو خطوط وأفاريز متعرجة الاتجاه •

وان ما يدعو الى الدهشة فى هذا هو ان العملية كانت تنفذ فى نوع ضعيف من الطينة بعضها رملى وبعضها الآخر جيرى هـذا الى جانب رقة سمكها اثناء التشغيل مما يتطلب مرانا ودقة وحذرا فى الأداء ورغم كل هـذه الملاحظات فان التوفيق والنجاح كان محققا فيمـا نراه من آثار متـوفرة فى المتحـف الاسلامى •

ترى كيف كانت تنفذ عمليـة التفريغ فى هذه الطينة دون أن يهبط سطح القرص المراد التفريغ فيه ودون أن تتهشم القطعة ؟

على أننا نستنتج من فحص بعض القطع واعتمادا على درايتنـا بمادة الطين وطبيعتها ان الأداء كان يتـم بسرعة فائقـة لتنتهى القلة قبل ان يصيبها الجفاف الذى يحـول دون تنفيذ التفريغ فيها كما نستنتج أنه كان هناك كثرة من الأيدى العاملة المدربة على تنفيذ ذلك النوع من الزخرف المفرغ ونستنتج أيضا من طابع التصميمات والزخارف أنه كان هناك قيادة فى التصميم والتخطيط حيث تعمـل الأيدى العاملة فى التنفيذ تبعا للمبتكرات التى يضعها المسئول الأول أو فنان المصنع •

وهكذا كان الانتاج جماعيا يسهم كل فرد فيه بقدر ما وهبه الله من مقدرة وكفاية وبذا تحقق اشاعة الفن فى حياة الناس وفيما كانوا يحتاجونه من أشياء •

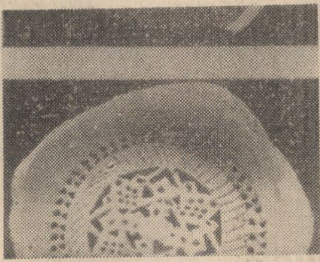

وقد صنع المسلمون قلة من الفخار الغير مزجج لاستعمالها صيفا حيث ينفذ الهواء من جسمها الراشح المتفتح المسام الى مابها من مياه فتبرد وتصبح مناسبة لقيظ الصـيف وحرارته •

كما صنعوا نوعا آخر منها وهو من الفخار المزجج بالطلاءات الزجاجية ذات الالوان المختلفة وأكثرها شيوعا اللون الفيروزى وكان لهـذا النوع ميزة ملائمته لفصل الشتاء حيث لاحاجة الى تبريد المياه للشرب •

وفى كلا النوعين عنى بصـنع الحجاب وزركشته ولو ان تلك الزكشـة كان لهـا وضوحها فى النوع المصـنوع دون تكسيته بالطلاء الزجاجى أما النـوع الآخر فان بعض تفاصيل الزركشة قد طمست بفعل امتلائها بالطلاء اثناء تسويته • وقد ادرك الممارسون لهذه العملية أثر الطلاء فى الحجاب على نحو ما ذكرنا ولذا نراهم وقد صنعوا الحجاب لهذا النوع متسع فى تفريغه تحاشيا للانسدادات المذكورة •

واذا ما كنـا نتحـدث عن حجاب القلة بوصفه أحد مجالات فن التفريغ والمخرمات الذى أجاده المسلمون اجادة كبيرة فاننا نذكر أنهم عرفوا ومارسوا التفريغ فى خامات أخرى

عديدة غير الطين ومن ذلك خامة الجص التى صنعوا منها الشبابيك الجصية المفرغة المثبت فيما فيها من تفريغ قطع من ألواح الزجاج ذى الألوان العديدة المتباينة • ونرى من ذلك امثلة عديدة بكثرة من العمائر الاسلامية القديمة كالمساجد والايوانات والبيوت وغيرها •

كما نرى أيضا أسلوب التفريغ وقد مارسه المسلمون فى المصنوعات النحاسية والفضية سواء للمستعملات اليومية أو غيرها مما كان معدا للعمائر مثلما نرى على الأبواب الضخمة وفى بعض النوافذ •

وكذلك نشاهد عملية التفريغ وقد نفذت فى الأخشاب والعاج وفى بعض عكسيات الحوائط التى صنعت من الجص أو من الخزف الملون •

وهكذا لم يكن حجاب القلة غريبا فى بابه من حيث أسلوب صنعه وانما كان التفريغ فنا وضعت له أساليبه التى تخدم كل خامه وما لها من امكانيات خاصة وطبيعة مميزة وانما ما يلفت النظر فى الحجاب هو تلك الدقة المتناهية التى توفرت فيما صنع منه حتى أنها بلغت فى بعض الأمثلة دقة فن الصياغة وبصفة خاصة النوع المعروف باسم (الشفتشى) رغم ماهناك من تباين بين طبيعة مواد الصياغة وبين مواد الفخار والخزف وهى الطين

ولو اننا نعيب على بعض الفنانين الذين يتناولون الخامات المختلفة لاخراج أعمالهم الفنية دون مراعاة لطبيعة المادة وخصائصها الطبيعية وما قد يتلاءم معها من أنواع الانتاج والذين يجهدون المادة لينتجوا فيها ما لا يناسبها فاننا فى الوقت نفسه نقدر كل التقدير

تلك الروائع الفخارية التى أنتجها المسلمون على شكل حجاب للقلة وهى التى شبهنا ما تم منها بانتاج الصياغة الدقيقة التى نعرف انها تنفذ فى خامة المعادن المختلفة ذات الخصائص التى تتباين تماما مع مادة الطين اللزج اللين الطبع •

والقلة قطعة فخارية لاشك أن استخدامها كان بصفة متواصلة طوال العصور مع تنوع فى شكلها وحجمها وقد يستدل على عصر قطعه اما عن طريقة صناعتها أو طراز زخرفها أو موقع العثور عليها وتبعا لذلك فان مجموعات أحجبة القلل التى عثر عليها كانت من الانتاج الاسلامى القديم وهو المجموعة الموجودة فى المتحف الاسلامى قرر الاثريون انها ترجع الى العصرين الفاطمى والمملوكى بمصر وقد عثر على معظمها بين أطلال الفسطاط القديمة مدينة العلم والفن والثقافة وهى مجموعة فريدة فى نوعها لما هى عليه من اعجاز فنى •

أضواء على التاريخ الإسلامي

مكانة الأزهر في العالم الإسلامي

٣

الأستاذ محيي الدين الألوائي

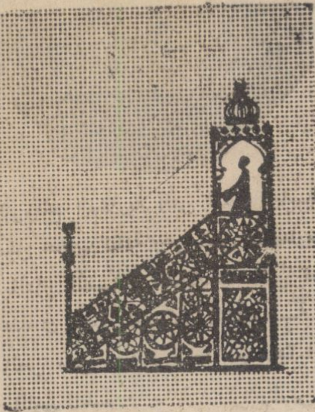

تحدثنا فى العدد الماضى عن الرعاية الشاملة التى تلقاها الأزهر فى عهد الثورة لاقداره على القيام بخدمة العلم والدين والاسلام والمسلمين ، بل والانسانية جمعاء ، وقلنا ان هذه الرعاية التى قدمتها الثورة هى أكبر تطور فى تاريخ الأزهر القيادى الطويل ، وأن أبرز الهيئات الأزهرية التى ظهرت الى حيز الوجود بفضل « قانون تطوير الأزهر » رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ ، هو « جامعة الأزهر » الحديثة ، جامعة للمسلمين جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها ، ونظرا لمكانتها فى العالم الاسلامى ، وميزتها الخاصة التى تمتاز بها عن الجامعات الأخرى فى العالم قد أصبحت تابعة لرياسة الجمهورية مباشرة ، فالآن نتحدث عن هذه الجامعة وشانها وخدماتها ورسالتها الكبرى .

ان قانون تطوير الأزهر ومذكرته الايضاحية هما وثيقتان هامتان فى تاريخ جامعة الأزهر لما حققته الثورة المصرية المباركة من نهضة شاملة ، وقدمته من يد بيضاء نحو هذا الحصن الحصين للحضارة الاسلامية، والتراث العربى المجيد ، وقد ورد فى مادة ٣٣ من القانون :

تختص جامعة الأزهر بكل ما يتعلق بالتعليم العالى فى الأزهر وبالبحوث التى تتصل بهذا التعليم أو تترتب عليه أو تقوم على حفظ التراث الاسلامى ودراسته وتجليته ونشره ، وتؤدى رسالة الاسلام الى الناس ، وتعمل على اظهار حقيقته وأثره فى تقدم البشر وكفالة السعادة له فى الدنيا والآخرة ، كما تهتم ببعث الحضارة العربية والتراث العلمى والفكرى والروحى للامة العربية ، وتعمل على تزويد العالم الاسلامى والوطن العربى بالعلماء العاملين الذين يجمعون الى الايمان بالله والثقة بالنفس وقوة الروح والتفقه فى العقيدة والشريعة ولغة القرآن ، كفاية علمية وعملية ومهنية لتأكيد الصلة بين الدين والحياة والربط بين العقيدة والسلوك ، وتاهيل عالم الدين بالمشاركة فى كل انواع النشاط والانتاج والريادة والقدوة الطيبة ، وعالم الدنيا للمشاركة فى الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فى داخل الجمهورية العربية المتحدة وخارجها ، من ابناء الجمهورية وغيرهم ، كما تعنى بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العلمية الاسلامية والعربية والأجنبية » .

وتقول مادة ٣٧ من القانون : « اللغة العربية هى لغة التعليم فى جامعة الأزهر ، ما لم يقرر مجلس الجامعة فى أحوال خاصة استعمال لغة أخرى . وتتساوى فرص القبول للتعليم بالمجان ، فى كليات الجامعة ومعاهدها المختلفة للطلاب المسلمين من كل جنس وكل بلد ... وتنظم الدراسات الخاصة لطلاب البعوث من غيرمواطنى الجمهورية العربية المتحدة ، ليتأهلوا لمتابعة الدراسة فى الكليات والمعاهد مع نظرائهم من الطلاب العرب » .

وبموجب قانون الثورة خطت جامعة الأزهر خطوات جليلة تتهيأ لها بها دراسات الطب والهندسة والزراعة والتجارة والمعاملات وغيرها من العلوم العملية التى كان الأزهر يهتم بها حين انتقلت الىأروقته وصحونه حلقات الفقه والأدب الى جانب علوم الفلك والهيئة والميقات والطب والمواليد والرياضة والحساب .. وكانت التقاليد العلمية فى الازهر أساسا للنظام الجامعى والتقاليد الجامعية فى بلاد الدنيا كلها . ولكن الثقافة الاستعمارية التى حاولت أن تباعد بين المسلمين وبين تعاليم الاسلام الحقة ، وأن تضع فى نفوسهم موازين جديدة تخرجهم عن دينهم الحنيف ، فأوقعت تلك الثقافة الاستعمارية الماكرة فى أذهان كثير منهم أن الاسلام عبادة وقربى الى الله وفناء فى الله ، وأن العمل للحياة شىء آخر يختلف عن الدين ، أو يتعارض معه ، فلم يكن الازهر فى منجاة تامة من هذه الحبائل الاستعمارية فأريد له - ايضا - أن ينصرف عن العناية بالجانب المادى للانسان، لكى ينصرف الى العنايةبالجانب الروحى فقط ، مع أن الأزهر اذ يبلغ رسالة الاسلام كان دائب الهتاف بالناس أن الله تعالى خلق الانسان لحما ودما ، ثم نفسا وروحا ، لكل منهما خصائص ومطالب ؛ فالاسلام له جانبان : جانب روحى وجانب مادى ، والأول يخدم الناحية الروحية فى الانسان والثانى يخدم الجانب المادى للانسان من النواحى الاجتماعية والزراعية والصحية والهندسية وغيرها . وعلى هذا فالاسلام فى حقيقته الأصيلة لا يفرق بين علم الدين وعلم الدنيا لأنه دين اجتماعى ، ينظم سلوك الناس فى جميع مرافق الحياة البشرية ، وهو يفرض على كل مسلم أن يكون رجل دين ورجل دنيا فى وقت معا ، ولكن المتآمرين على الاسلام والمسلمين أرادوا للعالم الاسلامى رجال دين ، لا يكادون يتصلون بعلوم الدنيا اتصال النفع والانتفاع، وكانوا يستهدفون من وراء ذلك ايجاد فرقة بين صفوف المسلمين وخلق صورة الانعزال بين رجال الدين وبين المجتمع الذى يعيشون فيه ، فنشأت مشكلات كبيرة وعديدة فى نفوس خريجى المعاهد الدينية - على حد تعبيرهم - وبين خريجى المعاهد العلمية العصرية، وكانت لها آثار كبيرة فى نفوس هؤلاء وأولئك ، فمثلا أن خريجى الأزهر حين لم يتهيأ لعمل من أعمال الخبرة والانتاج والصناعة والتجارة يوهم المستعمر أن عالم الدين مآله التعطل والانعزال عن الدولة والمجتمع ، فيكون سوء ظن بعض المسلمين ببعض ويتكون بعض صور الانقسام بين المجتمع الاسلامى .

وقد تضاعف هذا الضرر بانصراف الأزهر نفسه عن العناية بالعلوم الكونية والفنون العملية ، فانه وجد نفسه معزولا - أو شبه معزول - عن المجتمع أو منعزلا عنه ، لا يشارك من قريب أو بعيد فى زراعة أو صناعة أو تجارة أو شىء مما يتصل بتصرف الانسان على هذه الأرض من أجل معاشه . واذن فلم يكن بد من تطوير الأزهر تطويرا يتهيأ به للمسلمين جميعا من العلم والمعرفة فى المجالات النظرية والعملية وبذلك يكون له أن يؤدى رسالته فى المجال المادى وفى المجال الروحى ، كما يكون له أن يعالج شئون الدين بروح الدنيا ، وشئون الدنيا بروح الدين ، وأن يقوم بخدمة الانسان بروحه وجسده ، مثلما جاءت الثورة وشرعت فى اصلاح كل الجوانب فى مصر تناولت الأزهر ، وأول ما اهتمت به انشاء جامعة الازهر الحديثة ، وفتح الكليات العملية بها ، وكذلك انشئت كلية البنات الازهرية بشعبها المختلفة من علوم اسلامية وطب وادب وترجمة وفلسفة وعلوم تربوية وعلم النفس ، على أن تكون هذه الكلية نواة لجامعة اسلامية للبنات .

ان جامعة الأزهر - بعد تطويرها وتوسيعها وتعميقها فى مفاهيمها - سوف تمضى على سنن الجامع الأزهر الشريف ، ولن تختلف غايتها عن غايته ولن يتحرف طريقها عن طريقه الا بقدر ما تتطلبه الحياة المتطورة من تغيير الخطط وتعديل الوسائل ، والى هذا يشير نص المذكرة الايضاحية لمشروع القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن تنظيم الجامع الأزهر والهيئات التى يشملها: « وفى كثير من البلاد التى تخلصت حديثا من ربقة الاستعمار رغبة فى التخطيط للبناء والعمل والانتاج فى مجالات الصناعة والتجارة والتعدين والتعليم والصحة وغيرها من أسباب النهوض، وهى حين تلتمس الخبراء فى كل نوع من انواع ، لا تكاد تجد الا أجانب من بيئتها ودينها من المواطنين أو من غير المواطنين ، وحين تلتمس من المواطنين خبراء يملكون مع الخبرة معارف دينية صحيحة وعقيدة واعية لا تكاد تعرف أين توفدهم ليتعلموا ويستفيدوا الخبرة والمعرفة والعقيدة ، وهى عناصر ثلاثة ضرورية لتستكمل هذه البلاد نهضتها وتمضى فى وجهها على الطريق السوى » .

واذا كان الأزهر وحده هو المعهد أو الجامعة التى يحرص المسلمون وراء الحدود على أن يعد فيه ابناؤهم

لهذه المسئوليات ، فقد كان من الطبيعى أن يكون نظام الأزهر وعلوم الأزهر ، بحيث تعد هؤلاء الخبراء مستكملين لكل العناصر التى تهيئهم لحمل أعباء النهضة فى بلادهم . ولكن الأزهر اذ يعد علماء فى الدين وفى لغة القرآن لم يتهيأ بعد لتأهيل العالم الدينى المتخصص فى عمل من أعمال الخبرة والانتاج التى تحتاج اليها نهضة المسلمين فى كل البلاد ، وحين تنبهت بعض البلاد الاسلامية الى هذه الحقيقة المؤسفة فحولت بعثاتها كلها أو بعضها الى الجامعات المدنية فى الجمهورية العربية المتحدة ، أو فى غيرها من البلاد ، عاد اليها مبعوثوها بعد اتمام دراستهم وهم يملكون الخبرة ، ولا يكادون يعرفون الدين ، فى حين يعود المبعوثون منهم الى الأزهر وقد حصلوا من علوم الدين وعلوم القرآن حظا كبيرا ، ولكنهم لا يحسنون عملا ، ولا يطيقون انتاجا ، ولا يقدرون على المشاركة فى لون من الوان النهضة التى اشرنا اليها آنفا وبهؤلاء وأولئك تعقدت الحياة الاجتماعية فى كثير من بلاد العالم الاسلامى وتعثرت النهضة فى تلك البلاد ، ومن حسن الحظ ان يجمع كل اهل الغيرة فى كل البلاد الاسلامية على رأى واحد فى هذه المشكلة هو أن يعرف عالم الدين علوما أخرى يعيش بها ويشارك بها فى النهضة ليرتفع مقام الدين عن ان يكون سببا للتعطل والضياع فى المجتمع ، وسبيل ذلك أن تتطور معاهد الدراسات الاسلامية العالية بحيث تواجه احتياجات النهضة فلا تقتصر على الدراسات الدينية بل يجب أن تجمع اليها علوما اخرى تتحقق بها لكل خريج الخبرة والمعرفة وسلامة العقيدة ليعود هؤلاء الخريجون الى مراكز القيادة فى كل مجال من مجالات النشاط فى العالم الاسلامى المتحرر » .

واضافت المذكرة الايضاحية لقانون تطوير الأزهر قولها : « من اجل ذلك جميعه كان لابد من تجديد الأزهر وتطويره والاعتراف بمكانته واثره مع الاحتفاظ له بطابعه وخصائصه وصفته التى استحق بها أن يبقى مسيطرا على تاريخنا وعلى العلاقات الوثيقة بيننا وبين اخوان لنا فى شرق الارض وغربها أكثر من الف سنة . وقد تكررت محاولات لمثل هذا الغرض منذ اكثر من نصف قرن ، ولكنها جميعا لم تنفذ الى صميم المشكلة ولم تحاول علاجها جذريا ، فكانت قشورا من الاصلاح لعل بعضها كان أسوأ أثرا . ولعلاج المشكلة من صميمها كان لابد من تقرير مبادىء لتكون أساسا لكل محاولة اصلاح » .

وعلى أساس المبادىء التى انتهى الى تقريرها قانون التطوير ، والتى اشرنا اليها فى مقال سابق ، نصت المادة ٣٤ على الكليات التى تشملها جامعة الازهر وهى : كليات الدراسات الاسلامية ، وكلية لدراسة العربية وكلية المعاملات والادارة وكلية الهندسة والصناعات وكلية الزراعة وكلية الطب ، مع النص على جواز انشاء كليات أخرى كلما دعت الحاجة، وطبيعى أن هذه الكليات كلها أو بعضها لا يمكن أن تكون صورة مكررة للكليات القائمة الآن فى الأزهر ، أو فى الجامعات الأخرى . اذ لابد أن تتحقق لها مع صفتها العامة ، صفة تلائم الصفة الخاصة بجامعة الأزهر ، بحيث يكون فيها الى جانب الدراسات الفنية الخاصة ، دراسات اسلامية ودينية تتحقق بها للطالب ثقافة دينية عميقة وواعية الى جانب الثقافة المهنية التى يحصلها نظراؤه فى الكليات المماثلة فى الجامعات الأخرى ، وبحيث تتاح لخريجيها بعد الحصول على درجة الاجازة العالية « الليسانس أو البكالوريوس » من كلياتها دراسة عليا فى مادة التخصص أو فى مادة من مواد الدراسات الاسلامية والعربية العالية للحصول بها على درجة التخصص او العالمية « الماجستير او الدكتوراه » فى مادة الدراسة ، وليس مثل هذا النظام مستحدثا فى تاريخ الأزهر والجامعة الاسلامية ، فان اعظم علماء الطب والكيمياء والرياضة فى الماضى كانوا علماء فى الدين ، منهم ابن سينا والفارابى وابن الهيثم وجابر بن حيان وآخرون » وقد حرص القانون على انشاء كلية خاصة بالبنات روعى فيها أن تنهض برسالة الدين واللغة بجانب نهضتها بالعلوم الأخرى ، وهذه الكلية هى كلية البنات الاسلامية الازهرية التى تهدف الى تخريج عالمات متفقهات فى الدين الى جانب الثقافة المختلفة من شتى فنون المعرفة .

وهكذا صدر قانون انشاء جامعة الازهر فى عام ١٩٦١ محققا لكل ما يرجوه المجتمع الاسلامى المتطور من احتياجات ومطالب النهضة العلمية والفنية والمعملية الخ .. وبعد أن ظهرت جامعة الازهر للنور مع كلياتها الجديدة ارتفع شانها وعم نفعها وزادت ميزانيتها زيادة مستمرة سنة بعد أخرى نظرا للتوسعات الكبيرة فى انشاءات الجامعة استكمالا لمبانيها ولجهازها العلمى والادارى والفنى . وقد وضع حجر الأساس لمبانى الجامعة الجديدة ، فى أرض الجامعة بمدينة نصر بالعباسية ، على بعد خمسة أميال من مقر الجامع الأزهر الشريف التليد ، فى مارس سنة ١٩٦٤ تحت رعاية زعيم العروبة والاسلام السيد جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، وبحضور كبار العلماء والزعماء المسلمين يمثلون العالم الاسلامى من أنحاء الدنيا .

وندع للقارىء صورة من عظمة هذه الجامعة ، ممثلة فى روافدها ومهماتها واحصائياتها وطلابها فى العدد القادم ، والى اللقاء .

حياة العمري الشهابي
(ابن فضل الله العمري)
مؤلف أكبر موسوعة عربية إسلامية في الجغرافيا والتاريخ والأدب

الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي

« ٢٨ »

« تتمة مضامين وموضوعات الجزء الاول »

« الاثار المشهورة فى الارض »

❊❊❊

قصر غمدان :

قال ابن فضل الله العمرى :

ومن ذلك « قصر غمـدان » بصنعاء اليمن ، وهو من اشهر الاثار واظهر المعالم • وهو المذكور فى الاشعار ، والمشهور فى الاخبار ، وفيه يقول ابن ابى الصلت : ٣٣

اشرب هنيئا عليك التاج مغتبقا
فى قصر غمدان دارا منك محلالا !
تلك المكارم لا قعبان من لبن
شسيبا بماء ، فعادا بعد ابوالا !

« استدراك : ولقد كان باليمن من الاثار الجليلة ، والابنية الشاهقة العظيمة ، التى تدل على الهمة العالية ، والمهارة الفائقة فى البناء من قطع الجبال ، كما قطعوا « باب عدن » ، وهو شق فى جبل محيط بموضع عدن فى ساحل لم يكن له طريق الى البر الا للرجل الواحد اذا ركب ظهر الجبل فقطعوا من الجبل بابا فى عرض الجبل حتى سلكته الدواب والحمائل وغيرهما •

و « بينون » وهو اسم جبل ايضا قطعه بعض ملوك حمير حتى اخرج فيه سبيلا من بلده وراءه الى ارض بينون • فهو اشبه بما ينقره اهل التمدن الحديث فى هذا العصر من الانفاق فى الجبال لمرود المياه ، او السكك الحديدية

وهذا القصر العظيم كان باليمن قرب صنعاء ، وهو من بناء بعض التبابعة ، وله ذكر فى اخبار حمير واشعارهم، قال الشاعر الحميرى :

يابنت قيل معافر لا تسخرى
ثم اعذرينى بعد ذلك او ذرى
او لا ترا ـين وكل شىء هالك
« بينون » هالكة كأن لم تعمر
او لا ترين وكل شىء هالك
« سلحين » مدبرة كظهر الادبر
اولا ترين ملوك « ناعط » اصبحوا
تسفى عليهم كل ريح صرصر
او ما سمعت بحمير وملوكهم
امست معطلة مساكن حمير
فابكيهمو او مابكيت لمعشر
لله درك حميرا من معشر

و « حصن غراب » وهو بقية قلعة منحوتة فى الصخر عليها نقش بالمسند لفاتح اليمن الحبشى ذكر فيه خبر فتحه . واكتشف العالم المستشرق « هريس » فى هران قرب دامار صهاريج للماء لها آبار عميقة كانوا يختزنون الماء فيها للجند أثناء الحصار • وهى التى يسميها العرب فى تلك العصور « الكرف »• وغير ذلك مما يدل على أنهم كانوا احذق الامم فى الصناعات ، وامهرهم فى البناء •

فمن ذلك « قصر غمدان » •

وصف قصر غمدان

وقصر غمدان « بضم الغين المعجمة وسكون الميم كما فى لسان العرب » هو قصر بصنعاء اليمن ، بناه اليشرح ابن الحارث بن صيفى بن سبا جد بلقيس ، احد ملوكها ، وجعله على اربعة اوجه : احمر • وابيض • واصفر ، واخضر • وجعل على كل ركن من اركانه تمثال اسد من اعظم مايكون من الاسد • فكانت الريح اذا

هبت الى ناحية تمثال من تلك التماثيل دخلت فى جوفه فيسمع لها زئير كزئير السباع .

وكان يشتمل على عشرين طبقة « كناطحات السحاب الآن » غرفا بعضها فوق بعض ، بين كل طبقتين عشرة اذرع ، وكانت غرفة تسمى بالمحاريب ، وتحتوى على مالا يوصف من الزخارف الجميلة ، والنقوش الرائعة البديعة . وجعل غرفة الراس العليا مجلسا بناها بالرخام الملون ، وجعل سقفها رخامة واحدة .

وكان لها اربعة ابواب ، قبالة الصبا والدبور والشمال والجنوب . وعند كل باب منها تمثال من نحاس اذا هبت الريح زار . وكان فيها مقيل من الساج والابنوس . وفيها ستور لها اجراس اذا ضربت الريح تلك الستور تسمع اصوات الاجراس عن بعد . وكان يأمر بالمصابيح فتسرج فى ذلك القصر ، فكان سائره يلمع كما يلمع البرق ، فاذا اشرف عليه انسان من بعض الطرق ظنه برقا ولا يعلم ان ذلك ضوء المصابيح . وقال فيه اليشرح شعرا بالحميرية بقى منه هذا البيت :

وانى انا القيل اليشرح
حصنك غمدان بمبهت

« حصنك » اى حصنت « بمبهمت » اى بهمتى .

وقال فيه ذو جدن الهمدانى :

وهذا المال ينفد كل يوم
لنزل الضيف او صلة الحقوق
وغمدان الذى حدثت عنه
بناه مشيدا فى راس نيق
بمرمرة واعلاه رخام
تحام لا يعيب بالشقوق
مصابيح السليط يلحن فيه
اذا يمسى كتوما من البروق
فاضحى بعد جدته رمادا
وغير حسنه لهب الحريق

ومما قيل فى وصف غمدان :

يسمو الى كبد السماء مصعدا
عشرين سقفا سمكها لايقصر
ومن السحاب معصب بعمامة
ومن الغمام منطق ومؤزر
متلاحقا بالقطر منه صخره
والجزع بين صروحه والمرمر

وظل باقيا هذا القصر الى ان هدم فى ايام سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه كما قال المؤرخ الجليل العلامة المسعودى فى تاريخه « مروج الذهب » والامام اللغوى العالم الجليل الزبيدى شارح القاموس فى كتابه « تاج العروس » وغيرهما . « القطر بكسر القاف بوزن الفطر : النحاس ، ومنه قوله تعالى : « سرابيلهم من قطر آن » فى قراءة بعضهم . والجزع بفتح الجيم وسكون الزاى : الخرز اليمانى وهو الذى فيه بياض وسواد » .

بئر برهوت

ومن ذلك « بئر برهوت » ببلاد حضر موت من بلاد اليمن ، وهو الذى لم يعرف عمقه ، ولا علم ان انسانا نزله .. «٢٣٣»

قصر زيدان

قال ابن فضل الله العمرى :

ومن ذلك « قصر زيدان » المشهور بمدينة « ظفار » باليمن . وكانت تسمى قديما مدينة « يحصب » «٢٣٣»

***

استدراك : ولقد كان باليمن فى العصور الاولى من الحصون المنيعة الشاهقة ، والقصور العظيمة الشامخة مما لا يكاد يحصى .

فمن ذلك « سلحين » بفتح السين . وهو حصن عظيم باليمن . قال فى القاموس : « سلحين : حصن كان باليمن ، بنى فى ثمانين سنة » .

وسلحين له ذكر فى أشعار حمير واخبارها . قال الشاعر العربى الحميرى ، وهو يذكر ما دخل على حمير من الذل :

هونك اين ترد العين مافاتا
لا تهلكن أسفا فى أثر من فاتا !
ابعد « بينون » لا عين ولا أثر
وبعد «سلحين» يبنى الناس أبياتا!

وقال علقمة :

وحصن « سلحين » قد عفاه
ريب الزمان الذى يريب !
تعوى الثعالب فى قرارها
ما فى ساكنيها غريب !

وقال أيضا :

أو ماترين وكل شيء للبلى
« سلحين » خاوية كان لم تعمر

ومن ذلك « صرواح » بكسر الصاد المهملة وسكون الراء . وهو قصر عظيم من أقدم ابنية اليمن ، مابين صنعاء ومأرب . ذهب قديما وله ذكر فى أشعار العرب ، قال علقمة :

من يأمن الحدثان بعد ملوك صرواح ومأرب

وقال عمرو بن النعمان بن سعد بن خولان :

ابونا الذى كانت بصرواح داره
وفى جبل نعمان عز تمكنا
ونحن ورثنا عز خولان ذى الندى
مآثر عز مثلها لم يدمنا
فاورثها « سعد بن خولان جدنا
بنيه فحافوها دهورا وازمنا

ومن ذلك « هكر » بفتح الهاء وكسر الكاف » وهو قصر عظيم باليمن .

***

كان باليمن قصور كثيرة ، وآبارا عديدة ، وحصونا عظيمة . وبها الكرف « الصهاريج » فقد كان بقلعة « سباع » كريف اسمه درداع مساحته ٦٠٠ « ستمائة » ذراع فى مثلها . وقد جمع « ابوعلكم المرانى » اهمها فى قصيدة منها :

نحن المقاول والاملاك قد علمت
اهل المواشى بانا اهل غمدانا
واننا رب « بينـون » واضرعة
والشيد من « هكر » ناهيك بنيانا
براقش ومعين نحن عامـرها
ونحن ارباب «صرواح » وروانانا
وناعطا نحن شيدنا مخالفهـا
وقصـرها وقرى نشق ونوفانا
وتلفم البون والقصرين من خمـر
وتنعما وقرى شرح ودعـانا
والهندتين بنى ذوالتاج من تبع
وقصر ذى الورد تاما راس ملحانا
وصبح نحو ونجرا فوق قبتهـا
بنى لنـا وشباما بيت اقيـانا
وفى ديـسام وفى النجدين من مدد
على المنـار وخف الشـيد ايوانا
وفى « ظفـار » بنت آباؤنا غرفا
فى كوكبان وقصـر الملك ريدانا
وقصر « بينـون » عـلاه وشيده
ذوالفخر «عمرو» وسوى قصر«غمدانا»
وقصر «احور» اس القيل ذى يزن
وقصر ذى فائش ارباب قـد كانا
وقصر « سلحين » علاه وشـيده
« كهلان » والـدنا احبب بكهلانا
فاصبحت « مارب » للريح مخترقا
بعد القصور وبعد الشيد ميدانا
ساق الميـاه الى « سد بماربنا
للجنتين مغانينـا وبغيـانا

وهذه القصور الشامخة ، وتلك الحصون الشـاهقة ذكرها الحجة الثقة الجليل « الهمدانى » صاحب كتاب « جزيرة العرب » وكتاب « الاكليل » • ذلك الرجل الذى شاهدها بنفسه ، وقد ثبت صدقه من قرائن كثيرة، ودلائل عديدة •

نعم فقد وصف فى كتابه « الاكليل » الذى هو اجمع كتاب فى وصف محـافد اليمن ووفانها ومساندها والاثار الحميرية وسد مارب • وكان العلماء المؤرخون يحسبون فى كلامه مبالغة ، حتى ذهب مؤرخو الفرنجة « ارنو » و «هاليفى » و « غلازر » وشاهدوا آثار هذا السد ، وبعض انقاض تلك القصور ، فوجدوا هذا الرجل المؤرخ العربى صادقا فيما سرده ، واعتقدوا صدقـه فى جميع ماقاله •

وكان المرجع الوحيد لاثار العرب فى اليمن وعول عليه المؤرخون فيما نقلوه فى كتبهم •

وهذا الكتاب الجليل يقع فى عدة اجزاء ، ومع الاسف لم يطبع منه الا بعض الاجزاء التى عثروا عليها • وقد نشر الجزء الثامن منه صديقنا الراحل العالم المحقق اللغوى العراقى « الاب انستاس مارى الكرملى » الذى كان عضوا بمجعنا اللغوى وصاحب مجلة « لغة العرب» التى كانت تصدر فى العراق حافلة بالبحوث التاريخية واللغوية والادبية ولم تظهر بعد وفاته

و « ناعط » وهو محفد مؤلف من عدة قصور • يسلل « غمدان » فى العظمة والشهرة • قال الهمـدانى فى وصفه : « انه مصنعة بيضاء مدورة منقطعـة فى راس جبل تنين بهمدان » قال لبيد :

وافنى بنات الدهـر ارباب ناعط
بمستمع دون السماء ومنظـر
واعوضنى بالدومى من راس حصنه
وانزلـن بالاسبـاب رب المشقر

اراد بالدومى اكيـدرا صاحب دومة الجندل ، وقال الهمدانى بعد ان ذكر مافيها من القصور : وما فيهـا قصر الا وتحته كريف «صهريج » للماء مجوف فى الصخر فيبتلع الماء الذى ينزل من السطح ، وفيه الاسطوانات العظيمة ، طول كل واحدة نيف وعشرون ذراعا ، لايحضن الواحدة منها الا رجلان •

« فهى اشبه بالمواسير الضخمة التى تمد الان فى الميادين والشوارع للمياه فى عهد حكومة الثورة المجيدة بعد ان اكل عليه الـدهر وشرب » • وفيها يقول الهمدانى على حد الخبرة وراى العين ، ويصف ماشاهده على هذه القصور من التماثيل والصور الرائعة :

فمن كان ذا جهـل بايام حمير
وآثارهم فى الارض فليأت ناعطا
يجد عمـدا تعلو القنا مرمرية
وكرسى رخـام حولها وبلائطـا
ملاحكها لا ينفـذ المـاء بينهـا
ومبهومة مثـل القـراح خرائطا
عـلى كرف من تحتهـا ومصـانى
لهـا بسقوف السطح لبس وعابطا
ترى كل تمثـال عليها وصـورة
سباعا ووحشا فى الصفاح خلائطا
تجانب ماتنفك تنظـر قابضـا
لاحدى يديه فى الحبال وباسطا
ومستنقعات من عقـاب واجـدل
على ارنب هم ذا فـراخ وقامطا
وسرب ظباء قد نهلـن لمختـف
وغضف ضراء قـد تعلقن باسطا
وذا عقدة بين الجيـاد مواكبـا
وسـامى هاد للركـاب مواخطا

و « ريدة » او « تلفم » : قصر عظيم باليمن • قال الهمدانى : « قصر زيدة : من اقدم قصور اليمن ، وهو قصر « تلفم » ، وليس من قصور اليمن فى جبله بئر سوى « تلفم » وماؤها اعظم مياه اليمن واغزرها • قال : وحدثنى بعض اهله انه وجد حجرا فى « تلفم » مكتوبا عليه : بناه يريم • واصبح هذاالقصر بعد الاسلام دارا للعلويين » اهـ •

***

ونكتفى الان بهذا القدر ، وفى المقال الاتى ان شاء الله تعالى سنذكر ماكتبه ابن فضل الله العمرى من الاثار المشهورة فى الارض واستدراك ماايناسب المقام ، تعميما للنفع واكثارا للفائدة « وماتوفيقى الا بالله ».

« للترجمة بقية »

العالم الإسلامى فى شهر

أخبار ـ أحداث ـ تعليقات

للأستاذ محمود الكولى

– مؤتمر (ابو بكر الصديق) يصدر قرارات شباب ٧٤ دولة اسلامية فى قضايا الشعوب الاسلامية .

(الاسكندرية)

* تقرير سرى يكشف عن ٢٤ مليون جنيه اعانة من أمريكا وبريطانيا لاسرائيل !

(فلسطين)

* ضبط شحنات غذائية ضخمة مرسلة من امريكا الى الملكيين فى اليمن .

(اليمن)

* تونس تتحرك تحركات مريبة على حدود الجزائر .

(تونس)

* ١٢ خبيرا عسكريا انجليزيا يخططون لقاعدة الصواريخ العسكرية بالمنطقة العربية .

(عدن)

* الأردن تمنع الضباط والجنود المحالين الى التقاعد من مغادرة الاردن .

(الاردن)

* توزيع صور حفلات امريكية صاخبة تضم بعض المسئولين السعوديين .

(السعودية)

* الجمهورية العربية تساهم فى انشاء أول جامعة اسلامية فى مقديشيو .

(الصومال)

* السد العالى موضوع رسالة البكالوريوس فى جامعة الدانيمارك .

(الدانيمارك)

***

من الاسكندرية

قرارات مؤتمر شباب البعوث الاسلامية

الاسكندرية من محمود الكولى :

أنهى مؤتمر شباب البعوث الاسلامية القادمين من دول آسيا وافريقيا – حلقاته الدراسية التى استغرقت شهرا ونصف شهر فى معسكر (ابو بكر الصديق) واصدر المؤتمر توصياته فى جلسته الختامية التى تناولت مختلف القضايا العربية والافريقية .

وفى مقدمة التوصيات التى اصدرها المؤتمر مايلى :

أولا - تأكيد البيعة لرائد الاسلام والعروبة الزعيم المؤمن الرئيس جمال عبد الناصر ملبين نداءه حاملين مبادئه فى العمل صفا واحدا من أجل عزة الاسلام والمسلمين فى جميع مشارق الأرض ومغاربها •

ثانيا - التأييد الكامل لمنظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثلة الشرعية لشعب فلسطين •

ثالثا - الاغتصاب الصهيونى لأرض فلسطين مؤامرة اجرامية دبرها الاستعمارلتكون قاعدة عدوانية للقضاء على حرية الشعوب العربية والأفريقية والأسيوية وركيزة استعمارية لاغتصاب مواردها والاستئثار بها •

لذلك نناشد العالم الاسلامى ، والشعوب المحبة للحرية والسلام بمد كافة المساعدات المادية والمعنوية الى شعب فلسطين حتى ينال حريته واستقلاله ويتم تطهير الأرض المقدسة من الدنس •• اسرائيل •

رابعا - نعلن ان الحلف الاسلامى حلف استعمارى الغرض منه ربط الشعوب الاسلامية بعجلة الاستعمار والصهيونية•

لذلك نحن أبناء العالم الاسلامى ، نرفض الحلف الاسلامى ونسحب ثقتنا من دعاته المتشدقين بالاسلام والاسلام منهم براء •

خامسا - تأييد مطالب جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل فى الاستقلال التام واجلاء القوات البريطانية عن أرض الجنوب المحتل •

سادسا - مساندة اليمن الشقيق فى كفاحه من أجل الحرية والحياة ، فالعدوان على اليمن عدوان على حرية الوطن العربى وعلى حرية المسلمين فى كل مكان •

الذين تكلموا فى المؤتمر

* وقد تحدث فى المؤتمر المهندس **احمد عبده الشرباصى** نائب رئيس الوزراء فقال أن الشباب المسلم فى آسيا وأفريقيا يتحمل مسئولية كبرى فى تحرير بلاده من الاستعمار وبقاياه

وتحدث السلطان صقر بن سلطان القاسمى عن مؤامرة الاستعمار البريطانى فى امارة الشارقة والخليج العربى ثم قال : وقد فتح لى الرئيس جمال عبد الناصر رائد القومية العربية وأب الاحرار قلبه الكبير ، وأيد بلادى فى كفاحها ضد الاستعمار •

وقال السيد عبد القوى مكاوى الامين العام لجبهة التحرير فى الجنوب المحتل ان الاستعمار يواجه اليوم آخر معركة له على أرض العرب ، وفى الجنوب المحتل بالذات •

وقال الشيخ احمد حسن الباقورى مدير جامعة الازهر ان هذا المؤتمر يمثل وحدة المسلمين ومستقبلهم • وقد أوصانا الاسلام بأن نقيم الدين ولا نتفرق فيه • والاستعمار يدخل دائما بسلاح التفرقة، فاذا تمكن استغل الشعوب اسوأ استغلال •

وختم المؤتمر السيد محمد توفيق عويضة السكرتير العام للمجلس الاعلى للشئون الاسلامية : فقال ان شباب هذا المعسكر هم قادة الغد فى بلادهم ، وجمعتهم العقيدة الاسلامية على التعاون والمودة والرحمة ،

وقال سيادته ان السيد الرئيس جمال عبد الناصر هو القائد الملهم الذى وضع خطوط العمل لخدمة الاسلام والمسلمين •• وان رسالة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية دعم الفكر الاسلامى ، ونشر العقيدة الاسلامية واللغة العربية على المستوى العالمى •

وعلقت جريدة الاهرام على المؤتمر فى افتتاحية الجريدة يوم الجمعة ٢ أغسطس الماضى (١٩٦٦) فقالت :

قرارات مؤتمر
شباب البعوث الاسلامية

أصدر مؤتمر شباب البعوث الاسلامية ـ القادمين من دول آسيا وافريقيا ـ قراراته فى جلسته الختامية وقد تناول مختلف القضايا العربية والأفريقية ، وفى مقدمتها تأييد النضال العربى الذى يقوده الرئيس جمال عبد الناصر • وتأييد مطالب شعب الجنوب اليمنى فى الاستقلال وتنفيذ قرارات الامم المتحدةوتوصيات لجنةتصفية الاستعمار واستنكار نقل القاعدة البريطانية من عدن الى البحرين • ومساندة كفاح شعب اليمن من أجل الحرية واعتبار العدوان عليه عدوانا على حرمة الوطن العربى والمسلمين جميعا •

وقد أدان المجتمعون مشروع الحلف الاسلامى • بأنه مؤامرة استعمارية جديدة وامتداد للاحلاف الاستعمارية التى رفضتها الشعوب العربية • وهذه القرارات تكشف عن يقظة وعىشباب افريقيا وآسيا بالتيارات التى تهب الآن على الطائفة العربية ، فالتيار التحررى الذى تؤمن به الشعوب وتنطلق من خلاله الى آفاق جديدة ، والتيار الذى تجرفه القوى الاستعمارية من خلال القواعد الرجعية التى لاتزال فى المنطقة ويحاول هذا التيار الاستعمارى الرجعى استغلال الدين للتمكين لمصالح الاستعمار وتثبيت قواعده فى الوطن العربى ، التى اصبحت مهددة بفضل تعاظم قوى التحرر الوطنى وانكشاف مخططات الرجعية الاستعمارية ، خاصة وأن قادة هذا المخطط هى القوى التى تتقاسم مع الاستعمار استغلال الثروات القومية التى هى ملك للشعب •

كما طالب المؤتمر بدعم المؤسسات التى تفرعت من مؤتمرات القمة وفى مقدمتهامنظمة تحرير فلسطين والقيادة العربية الموحدة وهيئة استثمار مياهروافد نهر الأردنللتصدى لاسرائيل قاعدة الاستعمار فى الشرق العربى

أن قرارات مؤتمر شباب البعوث الاسلامية تعتبر ردا حاسما علىمؤامرات الرجعيةالعربية وصفعة للدعوة الانتهازية التى تنادى بالصلح مع اسرائيل وتأييدا لحقوق الشعب فىالحرية وفى الحياة وفهما لعمق المد التحررى وطاقته وقدرته على العمل الايجابى من أجل مجتمع عربى متحرر من كل قيود الاستغلال والاستعمار والرجعية •

❋ ومن الاردن

أهدت الحكومة الامريكية للملك حسين معونة قيمتها ثلاثة ملايين دولار • وقد أصدرت حكومة الأردن قرارا يمنع مغادرة البلاد على جميع الضباط والجنود الذين احالتهم الى الاستيداع •

❋ ومن فلسطين :

قدرت اللجنة العليا لاستغلال مياه نهر الأردن تكاليف تنفيذ المشروع بعشرة ملايين وربع مليون جنيه وأنه سيمكن الدولالعربية من استغلال كمية من المياه تقدر سنويا بنحو ٢٣٠ مليون متر مكعب • ومن ناحية أخرى عثرت الجهات العربية على تقارير سرية تشير الى أن كلا من امريكا وبريطانيا قدمتلاسرائيل معونات تقدر بنحو ٢٤ مليون جنيه •

❋ ومن السعودية :

ألقت السلطات السعودية القبض على مجموعات من الشباب السعودى وزجت بهم فى السجون بتهمة اعداد وتوزيع منشورات مصورة تحمل صور علاقات آثمة وحفلات صاخبة مختلطة بين بعض المسئولين السعوديين ورجال وسيدات أمريكيين وبريطانيين •

وقدأصدرت جبهةالتحرير الوطنىالسعودى بيانا طالبت فيه بحق الحرية للاحرار المسجونين وقالت فى بيانها ان الحكومة السعودية تمارس سياسة ارهابيةضد مختلف الفئات وتحرص دائما على « تجويع الشعب » وحرمانه وأنها اصدرت احكاما بالسجن على عدد من الشباب الوطنى تتراوح بين ٣ سنوات و١٥ سنة •

*** ومن عدن :**

شكلت السلطات البريطانية محاكم انجليزية فى عدن يحاكم أمامها الاحرارالذين يهتفون بالقومية العربية فى عدن وفى أية امارة من الامارات فى المنطقة العربية

*** ومن تونس :**

بدأت تونس تتحرك تحركات مريبة على حدود الجزائر ، وقد حصلت تونس مؤخرا على منحة أمريكية قيمتها مليونان و٢٤٠ ألف دولار كما قررت منحها ١٢ ألف طن و٥٠٠ طن من القطن والخضروات

والقت السلطات التونسيةالقبض على مئات الشباب المناهضين لحكم بورقيبة والذين ينقدون ولاءه للمعسكر الاستعمارى

*** ومن الجزائر :**

عثر على هياكل ٤٠ جزائريا من المجاهدين دفنهم الاستعمار تحت أرض سجن وهران العسكرى خلال حرب التحرير • واحتفل رسميا بتشييع جنائزهم الى مقابر خاصة بهم•

*** ومن ايران :**

وقع تحالف رسمى بين السعودية وايران باسم حماية منطقة الخليج العربى ، تهدف نصوصه الى ادخال الخليج العربى ضمن مناطق نفوذ الاحلاف الأجنبية •

*** ومن ليبيا :**

عاد وفد الجامعة الاسلامية بليبيا بعد أن أمضى شهرا كاملا فى ضيافة المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالجمهورية العربية المتحدة وتنقل لمشاهدة معالمها الأثرية ونهضتها الحديثة فى جميع المحافظات ، وحضر المؤتمر الاسلامى الكبير الذى عقده المجلس لبحث القضايا التى تهم العالم الاسلامى فى معسكر (ابوبكر) الصديق بالاسكندرية . وكان الوفد مؤلفا من ٧٠ طالبا على رأسهم الشيخان مصطفى التريكى عميد كلية اصول الدين . وابراهيم الرفيده عميد كلية للغة العربية .

*** ومن اندونيسيا :**

قرر المجلس الاسلامى فى جاكارتا اصدار مجلة شهرية باسم (صوت المسلمين) كما قررت جمعية العلماء المسلمين فى يوغوسلافيا اصدار مجلة اسلامية باسم « علا سفيق »

*** ومن سيلان :**

احتفل فى الشهر الماضى بافتتاح أكبر مسجد أقيم فى سيلان من طابقين على الطراز الاسلامى القديم •

*** ومن الصومال :**

أعلن السيد حسن عبد الله كارح وزير العدل الصومالى أن نسبة المسلمين فى الصومال بلغت (مائة المائة) وقررت الجمهورية العربية المتحدة المساهمة فى اقامة اول جامعة بالصومال فى مقديشيو ، وتزويد البلاد ببعثات علماء الازهر لتدريس اللغة العربية والدين للشعب •

*** ومن نيجيريا :**

نظمت بعثة علماء الازهر الموفدين من الجمهورية العربيةالمتحدة مراكزثقافيةجديدة لتعليم اللغة العربية والدين الاسلامى لشباب النيجر والاطفال •

*** ومن اتحاد العالم :**

*** من المانيا :** رفع الطلاب المسلمون فى ألمانيا دعوى قضائية ضد احدى الصحف الألمانية لأنها نشرت مقالا تضمن مفتريات على الاسلام •

ومن ناحية أخرى وجه الاتحاد العالمى للصحافة الدعوة الى نقابة الصحفيين العرب لحضور مؤتمر الصحافة العالمى الذى سيعقد فى براغ فى المدة مابين ١٠ و١٥ أكتوبر القادم •

*** ومن الدانمارك :** اختارت جامعة الدانيمارك (السد العالى) موضوعا لرسالة البكالوريوس هذا العام وسيزور القاهرة لدراسته على الطبيعة خلال الشهر القادم وقد جامعى مؤلف من ٢٢ طالبا وعلى رأسهم أساتذة المساحة والرى فى جامعة الدانيمارك •

أضواء على المسلمين فى العالم

الإسلام والمسلمون فى ألمانيا

اعداد : رياض خليفة

اخي القارىء :

وبانتهاء الحرب عاد بعض المعتقلين الى بلادهم الاصلية لنتعرف بها أحوال الاخوة المسلمين هناك ويهمنى أن أشير هنا الى ان الملحق الدينى لجريدة الجمهورية يتضمن بابا بعنوان « أضواء على المسلمين فى العالم » ويتخير مكانا فى العالم كل اسبوع ليحدث القراء عن المسلمين هناك وقد سررت جدا ان اقتبس الزميل الجرد عنواننا ووضعه على مايكتب ومع أننا نكتب تحت هذا العنوان منذ أكثر من ثلاث سنوات اى قبل أن يظهر الملحق الدينى للجمهورية الا أننا نرتضى عن قلب سليم ان يكتب هذا الزميل مايريد تحت عنواننا من أجل التعريف بالمسلمين والحديث عنهم فالهدف واحد والرغبة الصادقة واحدة والله الموفق

وعن ألمانيا سنعرف مما كل شىء منذ بداية هـــذا القرن وتاريخ الاسلام هناك منذ بدايته حتى اليوم ثم أخيرا لقطات سريعة عن اللغة العربية والادب العربى والثقافة الاسلامية وكل شىء عن الدراسات العربية فى ألمانيا اليوم

المانيا فى سطور

وقبل أن نبدأ الكلام عن الاسلام والمسلمين فى المانيا نود أن نقدم المانيا فى سطور قليلة كى نعرف شيئـــا عنها

فالمانيا مقسمة منذ الحرب العالمية الثانية الى قسمين : المانيا الغربية وتعدادها حوالى ٥٤ مليون نسمة وتعرف باسم المانيا الاتحادية وعاصمتها « بون »

والقسم الثانى المانيا الشرقيـــة وتعدادها حوالى ١٧ مليون نسمة ويطلق عليها رسميا ألمـــانيا الشرقيـــة أو المانيا الديمقراطية وعاصمتها « برلين »

ولكل قسم من المانيا حكومة مستقلة وبرلمان ودستور فالمانيا الغربية تتبع النظام الراسمالى فى حين أن الشرقية تتبع النظام الشيوعى ودستور كل من القسمين يضمن الحرية الدينية ويحمى الكنيسة ومعظم سكان المانيـــا يدينون بالمسيحية والملاحظ أن الغالبية من سكان المانيا الغربية من الكاثوليك فى حين أن معظم المانيا الشرقية من البروتستانت

المانيا والاسلام

وقد يبدو لبعض الناس ان المانيا ربما كانت أرضـــا غير صالحة للاسلام وقد دعم هؤلاء اعتقادهم بعد ما لمسوا الفشل الذى منيت به البعثة الاحمدية لنشر الاســـلام والدعاية للدين الحنيف بين الالمان وذلك بالرغم من المبالغ الضخمة التى انفقتها

وبعد جهد استمر أكثر من ثلاثين سنة وفى اثنـــاء الحرب العالمية الاولى « ١٩١٤ـ١٩١٨ » اقيم معســـكر للمسلمين المعتقلين فى « ونسدروف » على مقربة من برلين وقد اقيم فى أرضه أول مسجد بارض المانيا

وفى مقبرة هذا المعسكر دفن أكثر من ٣ من الالمان و ١١٠ من الروس و ٦ من الهنود وأكثر من ٧٠ جندى من المستعمرات الفرنسية

ومضى بنا الجولة ونحط الرحال هذا الشهر فى المانيا كما بقى بعضهم فى ألمانيا ثم استخدم الســـلطات الالمانية ذلك المعسكر لماوى اللاجئين الروس وكان معظمهم من الترك والتتار

وكان المسلمون يقصدون المسجد من جميع انحاء برلين ايام الجمع لتأدية فريضة صلاة الجمعة والاشتراك فى حفلات الاعياد الدينية .

وقد أغلقت أبواب المعتقل عام ١٩٢٤ وكانت مبانيـــه قد اصابها التلف فأزيلت نهائيا فى الوقت الذى كانت التصميمات الجديدة لمسجد حديث قد وضعت لكى يشيد فى قلب برلين

ويستطرد السيد الدكتور عبد الرحمن زكى فى كتابه المسلمون فى العالم اليوم كلامه قائلا :

وفى الوقت نفسه كانت جماعة « ا ...ماز اشاعت اسلام » ومركزها فى لاهور قد نجحت فى بناء مسجد جديد فى فى برلين عام ١٩٢٧ على الطراز المغولى الهندى وقد افتتح فى نفس العام للصلاة وكان يسع لنحـــو ثلاثمائة من المصلين وقد أقيم الى جوار المسجد بيت ذو طابقين لسكن الامام ومكتب للزوار وقاعة

وفى ذلك الحين أصدر المسلمون المجلة الاســـلامية التى كانت تصدر مرة كل ثلاثة اشهر وكانت ادارة المسجد تقوم على تعليم الصغار فرائض الصلاة واركان الاسلام وتحفظهم القرآن الكريم ثم انشئت عام ١٩٣٨ رابطة للسيدات المسلمات امستها مسز امينه موزلر الالمانية

ولما نشبت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ قامت حركة نشيطة وهدفها التعريف بالاسلام والمسلمين وكان مركزها برلين

وكان أمام المسجد آنذاك السيد محمد عبد الله ولما كان من رعايا بريطانيا فقد اضطرته السلطات الى مغادرة البلاد وحل محله السيد عبد الغنى عثمان التترى الاصل وينبغى أن نشير هنا الى اثر دور المسلمين من الترك التتار فى نهوض المسجد من الناحية المادية على الاقل فقد كانوا أعز الاصدقاء لمسجد برلين وسرعان ما ارتفع عدد المسلمين فى برلين الى ٨ الاف منهـــم ٦ آلاف من اليوغسلافيين وقد التحق عدد كبير منهم بالجيش الالمانى وفى عام ١٩٤١ وصل الى برلين الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين والسيد رشيد عالى الكيلانى ومعهما جماعة من العرب

غروب ... وشروق

وما أن انتهت الحرب العالمية الثانية حتى كانت الجالية الاسلامية قد تفكك عراها وانحلت فاعضاؤها اما قتلوا او تناثروا فى انحاء المانيا ثم اصابت الغارات الجوية

مبنى المسجد والدار الملحقة به بتلف كبير . كما دمرت دار مسز موزلر امام فقد عملت كل جهودها للاحتفاظ بما بقى من المسجد ولجأت الى قائد الحامية الروسية ببرلين تسأله العون وربما كان مسلما » لازالة الانقاض من الجامع فأمر بارسال عاملا لاصلاح المسجد وازالة الانقاض

وبعد وقت وجيز استطاعت جماعة الاحمدية أن تبعث المال اللازم لاصلاح المسجد وسرعان ما اصلحت المئذنتان والقبة والجدران واعيد طلاء المسجد من الداخل وتم العمل حوالى ١٩٥١ وبلغ مقدار ماصرف حوالى خمسة الاف جنيه وقد تحملت الجمعية رواتب الموظفين ومصاريف الكهرباء والمياه والايجار

نشاط اسلامى

ولما اضطرت الحرب العالمية الثانية كثيرامن اللاجئين المسلمين من روسيا وبلغاريا ورومانيا وبولندا للمجئ الى المانيا اقامت فى « ميونيخ » وقد الفوا الجمعية الاسلامية لاوربا الغربية تحت رئاسة السيد « ابراهيم جافاغلو » الرجل الذى جاهد لرفع مستوى اللاجئين المنكوبين

ولكن اذا اعترفنا بالحقيقة فليس هناك هيئة عاملة تشرف على تعليم ابناء المسلمين العلوم الاسلامية

وقد ارسلت هيئة الاحمديه العالمية شخصا اسمه السيد عبد اللطيف كمبشر اسلامى الى « هامبورج » وعلاوة على اعتناق عدد من الالمان الاسلام على يديه فقد اخذ على عاتقه توزيع كثير من النشرات التى زودت الناس بمعلومات طيبة عن الاسلام ومما ينسب الى هذه الجماعة من الفضل هو نشر ترجمة القرآن الى اللغة المانية وفى عام ١٩٤٩ تاسست رابطة المسلمين الالمان بهامبورج وغرضها جمع شمل المسلمين من الالمان واقامة الشعائر الدينية وتيسير تاديتها للمسلمين الوافدين على هذه المدينة اثناء رسو البواخر بها ويراسها السيد نوفاكنسكى محمد على عبد الرحمن ونائب الرئيس هو السيد نوى هاوس امين عبد الرحمن ولهذه الرابطة فرع بمدينة بريمن

وامام مسجد برلين يدعى محمد امان وهو عالم كبير الف عدة كتب منها كتب مصورة للصلاة باللغة الالمانية حتى يقرب فرائض الدين الاسلامى للمسلمين الالمان وينوب عن الامام محمد امان : السيد محمد احمد ويقوم بجهود تبشيرية واسعة

هذا والمسلمون فى المانيا اقلية وعدد المسلمين الالمان لايزيد عن ستة الاف من جملة سكان المانيا كلها وهو رقم تقريبى ومعظم هؤلاء من العرب والتتار الذين جاءوا الى المانيا اثناء الحرب العالمية الثانية ويضاف الى هؤلاء المسلمين حوالى عشرة الاف من الاجانب الوافدين اليها من دول اسلامية اما طلبا للعلم او لقضاء فترة تدريب فنى وهم قادمون من كل البلاد الاسلامية وعلى راسها الجمهورية العربية المتحدة التى يوجد من ابنائها اكثر من ثلاثة الاف هناك

ومن اعضاء الجالية الاسلامية فى المانيا اجانب قادمون من ايران والجزائر والمغرب والاردن وباكستان والهند وسوريا والعراق وفلسطين ولبنان وتونس

هذا والمسلمون فى المانيا على اتصال دائم بمسلمى سويسرا والنمسا وهولندا وفنلندا والسويد ويؤدى المسلمون الالمان صلاتهم باللغة العربية وهناك ترجمة رصينة للقرآن الكريم بهذه اللغة .

الدراسات العربية فى المانيا

ويهمنى ايها الاخ القارئ ان اشير الى الدراسات العربية فى المانيا فى تطورها التاريخى ووضعها الحالى وهى محاضرة الدكتور البرت ديتريش استاذ الدراسات الاسلامية فى جامعة « جوتنجن » وهو يقول ما خلاصته :

منذ مئات السنين عاش الغرب المسيحى والشرق الاسلامى جنبا الى جنب تسود بينهما علاقات الحذر والاحتراس اللهم الا بعض العلاقات التجارية الضرورية دون محاولة مخلصة لتفهم كل منهما الآخر

ثم مرت اوربا منذ قرنين ونصف قرن من الزمان بمرحلة جديدة فى تطورها التاريخى تلك المرحلة هى مرحلة الاستنارة والتحرر الفكرى فاخذت تبحث فى حضارات الشرق وتخضعها لدراسة علمية موضوعية . ولذلك كانت دراسة اللغات والتعمق فيها ضرورة لامناص منها .

ومنذ القرن السابع عشر والمستشرقون الالمان يقومون على قدم وساق لنشر المعارف العربية وترجمتها الى اللغة الالمانيه

وقبل القرن السابع عشر الى اليوم حظيت اللغة العربية والثقافة العربية بعناية المستشرقين الالمان وقد ترجمت مقامات الحريرى والمعلقات وخاصة معلقة طرفة وشرحها لابن النحاس ثم نشرت مقتطفات من مجمع الامثال للميدانى

وفى القرن الثامن عشر نشر ديوان الحماسة لابى تمام وفى عام ١٨٣ صدر المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم للعالم الالمانى فلوجل الذى نشر كتاب « كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون » لحاجى خليفة وكتاب « الفهرست » لابن النديم ثم ظهر بعد ذلك طبعات « نفح الطيب » و « معجم البلدان » والكامل للمبرد .

ولا مجال للشك فى ان دراسة اللغة العربية هى الاساس الرصين لدراسة الحضارة العربية والتعمق فى فهم العالم العربى .

وفى العقد الثامن من القرن التاسع عشر نشر شرح مفصل الزمخشرى لابن يعيش كما صدر ايضا عام ١٩٠٠ ترجمة كاملة لكتاب سيبويه مع شرح السيرافى

اما كتاب « فوك » عن « العربية دراسات فى اللغة واللهجات والاساليب » الذى ظهر عام ١٩٥٠ فيعد من اهم البحوث اللغوية التى ظهرت فى المانيا

وفى منتصف القرن التاسع عشر ظهرت ترجمة المانية لكتاب « الملل والنحل » للشهرستانى . و « مقالات الاسلاميين واختلاف المسلمين » و « بيان مذهب الباطنية وبطلانه » و « دور الرواية والرواة فى الاسلام » و « بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع »

والى جانب هذا ظهرت طبعة المانية لكتاب البيرونى « الآثار الباقية عن القرون الخالية » و « كنز الدرر وجامع الغرر » للداوودى

وبجانب هذا كانت هناك عناية بالمصادر والاصول التاريخية ولعل اهم ماظهر هو كتاب « الاسلام فى الشرق والغرب » الذى قصد به مؤلفه « موللر » اعطاء فكرة عامة عن تاريخ الاسلام السياسى لعامة القراء فى المانيا

كل هذا لم يكن الا على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر وينبغى أن يعلم أن العلماء المستشرقين من الالمان كان لهم دور فعال فى نقل التراث الحضارى العربى والاسلامى الى اللغة الالمانية الى جانب المؤلفات العلمية عن العرب والاسلام

وبعد :

فقد كانت هذه الجولة السريعة مع مسلمى المانيا وعن اللغة العربية والدراسات العربية وتطورها التاريخى ارجو أن أكون قد وفقت فى اعطائك شيئا جديدا والى اللقاء .

المرأة المسلمة

المرأة المسلمة في أوغندة
من ١٩٦٢ إلى ١٩٦٦

إعداد نجاة الزنيري

تبلغ نسبة مسلمي اوغندا حوالي ١٥ ٪ من عدد السكان ، والمعروف أن أوغندا قد حصلت على استقلالها في ٩ اكتوبر عام١٩٦٢ وأصبحت جمهورية برلمانية تقع شرق أفريقيا وترتبط بالجمهورية العربية المتحدة بعدة مصالح مشتركة حيث ينبع النيل من أوغندا .

الاستعمار أخر المرأة المسلمة عن ركب العلم :

وبعد أربع سنوات من استقلال أوغندا نجد أن الاستعمار كعهدنا به دائما كان حائلا دون تقدم المرأة وتعليمها وبالتالي كان حائلا دون تقلدها الوظائف الهامة والرئيسية .. فكانت المرأة المسلمة تتلقى تعليمها المتوسط أو التعليم الديني في المدارس الالزامية الابتدائية ، ثم تتزوج وتتفرغ للبيت ومشاكل تعدد الزوجات والطلاق بدون قيد ولا شرط ، ومنهن من تزاول أعمال التجارة أو تعمل بالتدريس أو التمريض .

وكان من سياسة الاستعمار الانجليزي توجيه اهتمام المرأة الى التمريض فقط .. لذلك نجد حوالي ثلثمائة فتاة اوغندية يتعلمن التمريض في انجلترا .

أما بعد الاستقلال فقد اتجهت الفتاة الى باقي فروع التعليم العالي من هندسة وطب وآداب وعلوم .

وتتساوى نسبة التعليم بين الفتى والفتاة في مراحله الابتدائية والمتوسطة، أما في التعليم الجامعي فما زالت نسبة الطالبات المسلمات أقل من الطلبة .

وتوجد مدارس دينية خاصة للمسلمين يلتحق بها الطلبة والطالبات، في تعليم ابتدائي مشترك لتلقي علوم الدين واللغة .

وقد كان التعليم الاسلامي في أوغندا متأخرا قبل الاستقلال لا يستطيع مقاومة مدارس الارساليات المسيحية بإمكانياتهم الضخمة ، ولكن بعد الاستقلال أشرفت الحكومة على جميع هذه المدارس وسيطرت عليها لازالة التفرقة .

وتعتبر جامعة مكربزي بأوغندا ، أقدم جامعة في افريقيا . وهناك جامعة أخرى أنشئت حديثا وتضم دول شرق أفريقيا الثلاث : كينيا وتنزانيا وأوغندا ، فنجد كلية الحقوق في تنزانيا وكلية الهندسة في كينيا. والادارة في أوغندا .

وفي القاهرة توجد أربع طالبات أوغنديات، اثنتان في المعهد الفني العالي وطالبتين يتلقين الدراسات الاجتماعية . وهما متزوجتين من زميلين أوغنديين بالقاهرة .

ما هى الوظائف الممكنة للمرأة المسلمة ؟

بعد الاسـتقلال أصبحت أوغندا فى حاجة الى كل متعلم ومتعلمة لاعادة بنائها من جديد سياسيا واقتصاديا وعلميا واجتماعيا ٠٠ وحصلت المرأة على كثير من حقوقها السياسية فأصبح لها حق الانتخاب والترشيح ٠٠ هذا والمرأة الاوغندية تحب العمل وتمارسه فى كافة المجالات وأصبحت لا تنقطع عن العمل بعد زواجها لكى تتعاون مع زوجها فى تدعيم الاحتياجات المادية للاسرة ، وهى تعمل بالتمريض والطب والسكرتارية فى جميع الوزارات والمصالح الحكومية وتعمل اخصائية اجتماعية وتعمل بالتدريس ، لكن لا توجد محامية حتى الآن ، كما تقوم بالأعمال التجارية فى المحلات العامة وتهتم بالفنون الشعبية فى كافة فروعها

وأعتقد أنها ما زالت فى حاجة ماسة الى صحافة نسائية تهتم بنشر الثقافة النسائية على أوسع نطاق وتفتح الباب أمام البراعم الجديدة من الصحفيات الناشئات ٠

النشاط الاجتماعى تنظمه الجمعيات النسائية

النشاط الاجتماعى للمرأة الاوغندية واسع متعدد الجوانب والاتجاهات وهى تقبل عليه فى همة ونشاط فيوجد الكثير من الجمعيات الأهلية والحكومية التى تصل فى الميدان النسائى الاجتماعى فتقدم خدماتها الصحية والاجتماعية والثقافية للمرأة والطفل وسائر أفراد الأسرة ويوجد مجلس نسائى أوغندى أعلى مهمته العمل على تطور وتقدم المرأة فى كافة الميادين والمجالات

وأقدم جمعية نسائية فى أوغندا كانت ترأسها سيدة من جنوب أفريقيا جاءت الى أوغندا وتزوجت وترأست هذه الجمعية وكان لها نشاط كبير وتعددت فروعها وأقسامها ٠ كما توجد عدة جمعيات أنشأت حديثا منها : جمعية المرأة للنشاط الاجتماعى، والجمعية النسائية الدولية ولها اتصال بالمنظمات النسائية فى الخارج ٠

أحدث جمعية نسائية اسلامية

كما توجد فى أوغندا جمعية نسائية اسلامية انشئت حديثا ترأسها « الحاجة عائشة زوجة الحاج موسى كاسونى » ويشتهر هناك بالنشاط الدينى على أوسع نطاق ٠ وقد بنى مسجدا كبيرا فى مدينة «وندغنى» وهو الذى ينفق على هذه الجمعية النسائية ويشترى الهدايا لتشجيع العضوات بها على حفظ القرآن وكيفية الصلاة وكل ما يتصل بتعاليم الدين الاسلامى ، فالعضوة التى تستطيع حفظ جزء من القرآن الكريم يقدم لها هديه عبارة عن مصحف جديد أو ثوب جديد أو غطاء أو بطانية حسب احتياجاتها ، وذلك لتشجيع باقى العضوات على حفظ القرآن الكريم ٠

وفى المولد النبوى الشريف يحتفل مسلمو أوغندا به شهرا كاملا وتباشر الجمعية النسائية الاسلامية نشاطها فتعقد الندوات والاجتماعات فى مقر الجمعية ويستدعى الأساتذه والفقهاء لالقاء المحاضرات الدينيه والدروس والمواعظ والاجابة على الاستفسارات طوال شهر المولد النبوى الشريف ٠

عقد القران يتم فى المسجد :

فى أوغندا يعقد القران فى المسجد ، ويتم الزواج فى نفس يوم عقد القران بعكس مايحدث هنا مثلا حيث يمكن للفتاة أن تنتظر بعد عقد القران عاما أو أكثر حتى يتم تأسيس منزل الزوجية واعداده ، ففى أوغندا يتم كل شئ قبل عقد القران ، فالرجل هو الذى يؤسس المنزل بكل محتوياته وما على الفتاة الا أن تعد ملابسها وحليها فقط ٠

والمهر لا يشكل مشكلة هناك ، فكل يدفع حسب طاقته وقد يكون مجرد حفظ القرآن الكريم مهرا يقدمه الرجل لوالد الفتاة ٠٠ اذ يسأله الوالد ان كان يحفظ القرآن أم لا ٠٠ فان أثبت له أنه يحفظه ٠٠ يهنئه ويوافق على تزويجه ابنته ٠٠ دون أن يدفع أى شئ آخر ٠٠ ومنهم من يقدم الأغنام مهرا ٠٠ وبعد عقد القران فى المسجد تنتقل العروس مباشرة الى منزل زوجها حيث يقام سرادق

كبير ويختلف نوع الفرح باختلاف الأفراد والقبائل .. فمنهم من يقتصر الحفل على قراءة القرآن الكريم والمدائح النبوية .. ومنهم من يحضر الفرق التى تغنى وترقص حتى الصباح .. والذبائح لا بد منها فى كل فرح وكل على حسب مقدرته .

ولا توجد دعوة خاصة لحضور أفراد معينين ، فالفرح مقام لكل من يأتى ومنهم من يفضل أن يعلق اعلانا فى الميادين العامة يوضح فيه يوم الفرح ومكانه ليتوجه الى هناك **كل من يريد حيث يستمتع بليلة ساحرة كلها غناء ورقص حتى الصباح ..**

ويجتمع الشباب والفتيات من القرى المجاورة وتنقلهم العربات حيث يقام السرادق، ولا بد أن يكفى الطعام لكل القادمين من كل مكان .

وتبقى العروس فى حجرة النوم أسبوعا كاملا ثم يقام حفل عائلى بعد هذا الاسبوع احتفالا بخروجها من الحجرة .. وبعد شهر يقام حفل عائلى آخر يعلن انتهاء شهر العسل وبعده تصبح زوجة عادية يمكنها الخروج الى أى مكان وزيارة اقاربها وممارسة أعمالها اليومية العادية .

الاهتمام بالجار ظاهرة واضحة فى شعب أوغندا فيستطيع أى فرد ان لم يجد لديه السكر والشاى مثلا ، يستطيع أن يستعيره من جاره حتى تسمح ظروفه بالشراء دون أن تكون بين الجارين أى قرابة أو صداقة يكفى أنهما جارين حتى يتعاونا فى كل أمور الحياة ومشاكلها بكل روح الاخوة الاسلامية الصادقة .

الموز هو الطعام الرئيسى فى أوغندا :

تعتبر أوغندا أغنى بلاد العالم بالموز .. والموز هناك يطبخ فثماره جامدة تقشر كالبطاطس ويوضع بين طبقتين من ورق شجر الموز ويغطى بالماء ويطهى على البخار ثم يمهك كالبطاطس حتى يصير قطعة واحدة ويؤكل مع أى طعام آخر فهو الطعام الرئيسى على مائدة الأسرة الاوغندية ، ويليه فى الأهمية البطاطا وهى تطبخ أيضا ويوجد نوع آخر من النبات يستخرج من تحت الأرض وينظف ويطبخ .. كذلك الفول السودانى يطحن ويطبخ أما العيش فهو عندهم مجرد كعكة تؤكل مع الشاى فى الصباح وبعد الظهر لكنهم لا يعرفونه على الطعام مثلنا هنا .

مشكلة المرأة المسلمة فى أوغندا :

يعتبر تعدد الزوجات من أهم المشاكل التى تعانى منها المرأة فى اوغنده فأغلب الرجال يتزوجون بأربعة وخاصة فى الريف لكى تعاونه زوجاته فى الحقل .. وينشأ عن تعدد الزوجات التفرقة فى معاملة الأولاد بين أبناء كل زوجة وأخرى .

والطلاق مشكلة رئيسية ملازمة لتعدد الزوجات ، فالرجل يطلق من يشاء فى أى وقت يشاء بدون أى عائق ودون أن يكون للزوجة أى حق شرعى ، ذلك لأن الطلاق لا يتم فى المحاكم ونظرا لأن الزوج هو الذى يؤسس البيت ، ولا يعتبر المهر عائقا ماديا على الاطلاق فانه يستطيع ان يطلق الزوجة التى لا يريدها فى أى وقت يشاء ويتزوج غيرها دون أن يخسر شيئا ، بينما تخسر هى كل حقوقها الشرعية .

وقد ساعد على قيام هذه المشكلة تأخر تعليم المرأة والتربية الرجعية التى نشأت عليها .. لكن بعد الاستقلال عرفت المرأة طريقها واخذت من العلم والعمل سلاحا .. كما ان الحكومة بسبيل تنظيم الطلاق حتى يحفظ للمرأة حقوقها .. ولم يعد الرجل يستطيع الآن أن يتحكم فى مصيرها ومستقبلها وقد حرصت كل سيدة على ايداع مبلغ مدخر من المال فى البنك لحفظ مستقبلها وتأمين حياتها فى حالة الطلاق .

وبعد .. ان المستقبل ما زال مفتوحا أمام المرأة المسلمة فى أوغندا ، فما زالت بلادها حديثة الاستقلال وفى مرحلة بناء جديد .. وحتما سيأتى اليوم الذى تحقق فيه المرأة دورها الفعال وتثبت فعاليتها فى مجتمع اوغندا الجديد فالمستقبل لها ان شاء الله .

ست الملك

إعداد عائشة حسنى

من خلال تاريخنا الاسلامى برزت امرأة قويه الشخصية ، حازمة ، خارقة الذكاء ، شديدة التحمس ، كريمة ، مشهوره بالتسامح الدينى ..

امرأة مجاهدة باسلة كافحت كفاح الأبطال. عاصرت ثلاثة من الخلفاء الفاطميين ، ولعبت فى عهد كل منهم دورا ظاهرا ملموسا من تاريخ حياتها فى جو من المتناقضات .

امرأة ذات نفوذ وسلطان لها خطورتها فى كل من ميدان السياسة وميدان الدين .

من هى :

هى ست الملك بنت العزيز بالله الفاطمى وهو رجل مسلم عربى كان خليفة المسلمين ويرجع أصله الى الرسول . وقد ورثت ست الملك عن ابيها أصله وقوته .

تميزت ست الملك برأيها الراجح فكان أبوها يستشيرها فى أمور الدولة . والدليل على ذلك أنه حينما عزل أبوها وزيرا من وزارته تدخلت ست الملك ووقفت بجانبه ابقاء على المصلحة العامة ، بما لها من شخصية وقوة تأثير .

وهناك من المواقف ما يبرز مكانة ست الملك فى قلوب المسلمين .

فعندما قفزت ست الملك الى مسرح السياسة والدين بعد وفاة أبيها العزيز وتولى أخوها الخلافة باسم الحاكم بأمر الله . ساعدت ست الملك اخاها وحمت عرشه من الدسائس والمؤامرات وساعدته الى أن حكم البلاد بنفسه .

الا أن الأمر لم يستقر على ذلك الحال . فبعد اختل عقل الحاكم بأمر الله وتمادى فى بغيه وتقتيله الأبرياء ونهبه الدور وقتل من رجاله ووزرائه الكثير .

عندئذ حاولت ست الملك أن ترد أخاها الى الصواب فلم تستطع ووجدت الشعب متذمرا والحكم منحلا . ودولة ابيها مشرفة على الانهيار . فحاولت اقناعه بالرجوع عن تلك الفكرة ولكن بدون جدوى ، اذ ثار وأنكر أخوتها ، كما تنكر لأمه وابنته وزوجته مدعيا أنه لم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

كان على ست الملك أن تنساق الى احدى العاطفتين : **العطف على الشعب ، والعطف على** أخيها ، ولكنها ناصرت الشعب وصممت على الوقوف بجانبه فغضب الحاكم من ذلك التصرف وأخذ يحيك حولها الاشاعات والأقاويل ويتهمها بباطل التهم . الا أن ست الملك جاهدت فى القضاء على هذه الاشاعات بقدر ما استطاعت ولم تجد بدا الا التخلص من أخيها فداء للدين وللوطن ولأسرتها وتطهيرا لسمعتها .

وفى اليوم السابع ألبست أبا الحسن على ابن الحاكم أفخر الملابس واستدعت ابن دواس وقالت له : المعول فى قيام هذه الدولة عليك وتدبيرها موكل اليك وهذا الصبى ولدك فابذل فى خدمته وسعك . فوعدها بالطاعة . ووضعت التاج على رأس الصبى وهو تاج المعز وأركبته مركبا من مراكب الخليفة وخرج بين يديه الوزير وأرباب الدولة . فلما صار الى **باب القصر صاح الوزير للشعب قائلا : مولاتنا السيدة تقول لكم هذا مولاكم** فسلموا عليه . فارتفعت الأصوات بالتهليل والتكبير ولقبوه « بالظاهر لاعزاز دين الله » وأقبل الناس فبايعوه .

وبذلك استطاعت ست الملك بفضل وصايتها على الظاهر ابن الحاكم أن تعيد للدين جلاله ، وقضت على الفتنة ، الا أنها لم تستمر طويلا ، فتوفيت بعد أربع سنوات وهى تبلغ من العمر ثمانية وأربعين عاما .

أنت تسأل والمفتي يجيب

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون

س ١ : من السيد عبد الفتاح حسن محروس ساعى بريد سمالوط

هل يجوز للرجل أن يتزوج خالة مطلقته أو عمتها بعد انقضاء عدتها منه شرعا ؟

الجواب :

حرمت الشريعة الاسلامية الجمع بين المرأة وأختها وبينهـا وبين عمتها أو خالتها وبنت أخيها وبنت أختها لما فى الجمع بينهما من قطع الأرحام حيث تصبح كل منها ضرة للأخرى وفى ذلك من الفساد وقطع صلة الرحم التى أوصى الله بها ما فيه .

قال تعالى « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنـات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين الا ما قد سلف » .

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها فقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « **نهى النبى صلى الله عليه وسلم أن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها » رواه الجماعة ، وفى رواية نهى أن يجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها .**

وفى رواية عن ابن حيان « نهى ان تزوج المرأة على العمة والخالة وقال أنكن أن فعلتن ذلك قطعتن أرحامكن » .

فاذا انقضت عدة مطلقة الرجل فلا مانع من أن يتزوج خالتها أو عمتها أو أختها لأن الممنوع هو الجمع حينئذ . والله أعلم .

س ٢ : من نفس السائل

هل يجوز الجمع بين المرأة وزوجة أبيها ام لايجوز ؟

الجواب :

ليس بين المرأة وزوجة أبيها ما يمنع من جواز الجمع بينهما بعد طلاق زوجة الأب وانقضاء عدتها ما لم يكن احداهما محرما للأخرى كالخالة مثلا ، فحينئذ لايجوز كما قلنا فى السؤال السابق الجمع بين المرأة وخالتها فاذا لم تكن احداهما رحما محرما للأخرى جاز الجمع بينهما لأنه لاقرابة بينهما ولارضاع . فقد روى عن ابن عباس أنه جمع بين امرأة رجل وابنته من غيرها بعد طلقتين وخلع .

وعن رجل من أهل مصر كانت له صحبة يقال جبلة أنه جمع امرأة رجل وابنتـه من غيرها . رواهما الدارقطنى . قال البخارى وجمع عبد الله بن جعفر بين ابنة على وامرأة على » وقال زفر من أئمة الحنفية لايجوز لأن ابنة الزوج لو قدرتها ذكـرا لايجوز التزوج بامرأة أبيه ويرد جمهور الحنفية على رأى زفر بأن امرأة الأب لو صـورتها ذكرا جاز له

التزوج بهذه - والشروط أن يصور ذلك من كل جانب .

س : ٣ من أحمد أبو حداية : منوف الثانوية للبنين .

يسأل عن رأى الدين الاسلامى فى النساء اللاتى يظهرن بجوار الشواطىء بالملابس العارية التى تثير الدهشة وتفسد الحياة الأخلاقية فى المجتمع الذى نعيش من أجله .

الجواب :

ظهور النساء بالملابس العارية بجوار الشواطىء وغير الشواطىء حرمه الاسلام تحريما قاطعا قال تعالى « **ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** » .

والتبرج المنهى عنه فى الآية الكريمة هو اظهار ما أمر الله بستره من جسم المرأة صيانة لها وبعدا بها عن الوقوع فى الاثم .

والمراد بالجاهلية الأولى فى الآية جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الأخرى هى جاهلية الفسوق والفجور فى الاسلام ، والمعنى لاتحدثن بالتبرج جاهلية فى الاسلام تتشبهن بها بأهل جاهلية الكفر .

ولهذا كان ما نراه من تبرج المرأة وابداء زينتها لغير زوجها ومحارمها وارتدائها الملابس العارية سواء فى الشواطىء أو غير الشواطىء حراما منهيا عنه .

والقرآن الكريم قد بين ما نهى عنه وما يباح من ابداء الزينة ولمن يجوز ابداؤها قال تعالى « **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت ايمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون** » .

وقد حذر النبى صلى الله عليه وسلم النساء من ابداء زينتهن لغير الزوج والمحارم فقد روى أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **مثل الرافلة فى الزينة فى غير أهلها كمثل ظلمة يوم القيامة لانور لها** » .

س - ٤ : من فؤاد زكى محمد

يقول أنه تزوج من بنت خالته الكبرى ثم تبين بعد الزواج أنهما رضعا مع بعضهما أكثر من خمس رضعات مشبعات - فهل يطلقها ؟

الجواب :

على الزوج أن يفارق ابنة خالته فورا بلا طلاق لأن الزواج الذى تم بينهما زواج باطل لأن ابنة خالته التى رضعت معه أكثر من خمس رضعات ليست محلا للزواج منه لأنها أخته من الرضاع وزواج الأخت باطل ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ، واذا تبين بطلان الزواج وجب الفسخ والتفريق ولا يحتاج الأمر الى طلاق .

س ٥ : من كمال حفنى على سعيد - مصلحة الاموال المقررة - وزارة الخزانة

توفيت المرحومة فاطمة على عوف بتاريخ ١٩٦٢/٥/٥ دون أن يكون لها أولاد ، ولها فى نفس الوقت أولاد ابن خال وهم فاطمة على صالح وحنيفة على صالح وأولاد أخيهم المتوفى المرحوم محمد على صالح وهم زينب محمد على صالح والسيد محمد على صالح فهل يجوز أن يرث فى تركة المرحومة المتوفاة أولاد ابن خالها وهم فاطمة وحنيفة وأولاد أخيهم المتوفى - وما نصيب كل منهم فى التركة - مع العلم بانه لايوجد للمتوفاة أقارب آخرون سوى المذكورين .

الجواب .

اذا كانت المرحومة فاطمة على عوف توفيت وليس لها وارث من أصحاب الفروض أو العصبات ولم تترك من ذوى الارحام الا بنتى ابن خالها وهى فاطمة على صالح وحنيفة على صالح وأولاد ابن ابن خالها زينب محمد على صالح والسيد محمد على صالح

فان التركة كلها لبنتى ابن خالها فاطمة على صالح وحنيفة على صالح مناصفة بينهما بصفتهما من ذوى الأرحام ولا شىء لأولاد ابن ابن خالها لبعدهما فى الدرجة عن بنتى ابن الخال تطبيقا للمادة السادسة والثلاثين من

قانون المواريث رقم « ٧٧ » لسنة ١٩٤٣ المعمول به ـ والله اعلم •

س ٦ : من الشحات عبد الله السيد خليفة ـ من العصلوجى ـ مركز الزقازيق ـ شرقيه ـ توفيت اختى الشقيقة عام ١٩٤٨ وتوفى والدى عام ١٩٤٩ وتوفيت والدتى عام ١٩٦٤ فما الحكم فى مطالبة ابن اختى المتوفية فى نصيبه من تركة جده وجدته •

الجواب :

ابن اخت السائل هو ابن لوالده المتوفى عام ١٩٥٩ ـ وابن بنت لوالدته المتوفاة عام ١٩٦٤ ـ وما دام الأمر كذلك وتطبيقا لقانون الوصية رقم ٧١ لسنة ١٩٤٦ يكون لابن البنت مثل نصيب امه وصية واجبة فى حدود الثلث فى تركة جده المتوفى عام ١٩٥٩ وله كذلك مثل نصيب امه وصية واجبة فى حدود الثلث فى تركة جدته المتوفاة عام ١٩٦٤ •

س ٧ ق من محمود جامع سيد ـ من بولاق •

يقول توفى رجل وكان متزوجا من سيدتين احداهما مطلقه والأخرى على عصمته حال وفاته ، وله من زوجته ٥ بنات وابن وله من مطلقته ابن وبنت ابن توفى قبله ويطلب معرفة نصيب كل منهم فى التركة ويسال عما اذا كان عم البنت الشقيق يمنع أخوته الآخرين من الميراث أم لايمنعهم ؟

الجواب :

اذا كانت وفاة المتوفى « المورث » قبل العمل بقانون الوصية رقم ٧١ لسنة ١٩٤٦ فلا شىء لبنت ابنه المتوفى قبله ، وتقسم التركة بين الزوجة والأولاد للزوجة الثمن فرضا والباقى للاولاد السبعة للذكر ضعف الأنثى •

واذا كانت وفاته بعد العمل بقانون الوصية المذكور فان التركة تقسم بين الورثة تقسيما مبدئيا على أساس أن الابن المتوفى موجود حتى يمكن معرفة نصيبه على فرض وجوده فللزوجة الثمن فرضا والباقى للاولاد جميعا بما فيهم الابن المتوفى للذكر ضعف الأنثى يصبح اصل المسألة من ٢٤ الى ٢٦٤ سهما للزوجة من ذلك ٣٣ سهما والباقى للاولاد للذكر ضعف الأنثى يخص الأنثى ٢١ سهما من ٢٦٤ ويخص الذكر ٤٢ سهما من ٢٦٤ فيكون نصيب الابن المتوفى ٤٢ سهما من ٢٦٤ تأخذها بنته وصية واجبة والباقى وقدره ٢٢٢ يكون هو التركة بعد نصيب الوصية الواجبة ويوزع توزيعا فعليا على الورثة للزوجة منه الثمن والباقى للبنات الخمس والولدين للذكر ضعف الأنثى ـ والله أعلم •

س ٨ : من السيد ـ محمود ابراهيم محمود البسيونى ـ سكرتير مجلس قروى بنى رافع مركز منفلوط •

يقول : أنه قرأ فى كتاب الاختيار لتعليق المختار الجزء الثالث المسألة التالية :

« ولو قصد امرأته ليجامعها وهى نائمة مع بنتها المشتهاة ـ فوقعت يده على البنت فقرصها بشهوة يظن أنها زوجته حرمت عليه امرأته » •

ويسأل سيادته عن صحة هذا الحكم وعلة التحريم وعلى أى مذهب من المذاهب وكيف يوفق بين هذا وبين قول الرسول صلى الله عليه وسلم « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » •

الجواب :

هذا الحكم صحيح وهو مذهب السادة الحنفية • لان دواعى الوطء عندهم لها حكم الوطء والوطء عند الحنفية يترتب عليه الحكم بتحريم المصاهرة ، فمن وطىء امرأة أو فعل معها بشهوة شيئا من دواعى الوطء ولو على سبيل الخطأ أو النسيان حرم عليه اصولها وفروعها •

ولا تعارض بين ما يراه الحنفية وبين قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » •

اذ المرفوع عن الانسان هو الأثر الأخروى المترتب على مايرتكبه الانسان من الأعمال خطأ او نسيانا •

فهذا الذى أخطأ فمارس مع ابنته داعيا من دواعى الوطء قد ارتكب فعلا له أثر دنيوى وهو تحريم أمها عليه عند الحنفية ، وأثر أخروى وهو عقوبة هذا الفعل المحرم وهو مرفوع عنه ان شاء الله تعالى ـ والله اعلم •

مع القراء

اعداد : فؤاد هيبة

عزيزى القارىء :

ان دعاة الحلف الاسلامى.. حلف الضرار.. حفدة ابى جهل عبدة الاوهام . هم الطغمة الباغية والقلة المتآمرة رمز الخيانة والنفاق على مر الزمان . تشبعت بالفساد نفوسهم . واتسمت بالفتنة اقوالهم وتوجت بالتبعية اعمالهم .. اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون . فالى هؤلاء الضالين المضللين . مزيفى الحقائق ومرتكبى الكبائر فى حق امتهم نقول : (انهم ولا شك منتهون الى حيث انتهى اجدادهم دعاة التفرقة وانصار التخلف . اصحاب العروش الواهية والشعارات الزائفة . من بوار وخسران مبين . ويومئذ تكبر شعوبهم اجلالا لما افاء الله عليهم . وعندئذ يتحقق اللقاء الاكبر بين شعوب الامة العربية الاسلامية فى ظل الرئيس جمال عبد الناصر محطم التبعية . وباعث الحرية . وامل الانسانية فى القضاء على الرجعية . وتطهير الارض الفلسطينية تدعيما للوحدة العربية وانتصارا للاشتراكية الانسانية . وتأكيدا لمفهوم الحرية الحقة والرخاء الدولى والسلام العالمى .

ثورتنا الفنية .. والسمات الانسانية

فى قصيدة له بعنوان « ثورتنا » يعبر لنا الشاعر عن انطباعات صادقة تخرج لنا صورا متكاملة واضحة لما حققته ثورتنا من انجازات تبلغ حد الاعجاز فى تاريخ الدول النامية .. **فيرسم أبعاد تلك الصورة الكريمة لتحرير الفلاح من مخالب الاقطاع ، وتلك اللوحة الفنية الفنية فى تاريخ البشرية لما أحرزته ثورتنا من تقدم مطرد فى مجال الصناعة ..** مما يثير الرعب واليأس فى قلوب الاستعمار والرجعية الاسرائيلية ، ويبعث الدفء والأمل فى قلوب الأحرار (١٠)

ثورتنا فى الريف اصلاح أجل
يسر للفلاح أبواب العمل
الزرع والضرع له لا للذى
سخره من قبل ظلما وأذل
ثورتنا أحيت صناعة غدت
حديث كل سائح حين رحل
ثورتنا آياتها معجزة
كأنها سر من الله نزل
ثورتنا ربانها حارسها
والله ذو الجلال حارس البطل .

موسيقى الشعر .. سر خلوده

القارىء محمد فاروق عانوتى - لبنان - بيروت :

ما جاء فى رسالتك - يا أخى - تحت عنوان « ابتهال » .. هو أقرب الى النثر منه الى الخيال ، الذى هو دعامة الشعر لما يبعثه فى القصيدة من صور شعرية مترابطة ، تحلق بالسامع أو القارىء الى معان رحبة ، يمتزج فيها الواقع بالشعور الخلاق ، والعاطفة الصادقة والألفاظ المتجانسة المعبرة عن صدق التجربة وأصالة الانفعال فتثير فى الوجدان أحاسيس حية متجردة من قضايا المنطق وأدلة البرهان ..

هذا فضلا عما يتميز به الشعر من نغمة موسيقية تعزف على قيثارة الوزن والقافية واللفظ الشعرى ، فى غير ما تكلف ولا ابتذال مما يجعل من القصيدة سيمفونية عذبة هادفة تنبض بالحياة وتتسم بالخلود ، ومع تقديرنا لك على هذا الجهد المأجور والعزم المبرور نتمنى لك التوفيق .

دين الوحدة .. لا تفرقة المذاهب

القارىء ابراهيم الشوربجى محمد - مدرس بالملك الصالح بالقاهرة

يطلب فى رسالته أن يعالج أحد الكتاب موضوعا بعنوان « **الاسلام دين واحد لا تفرقة المذاهب » ليكون الناس على بينة تامة من معالجة شئونهم الدينية على يد أقدر الكتاب، عن طريق منبر الاسلام ، الذائعة الصيت ، الرافعة لواء الدعوة الاسلامية على أوسع نطاق» والمجلة اذ تحيى فى القارىء تلك الاراء الاسلامية المتحررة ، تعلن أنها بصدد تناول هذا الموضوع على صفحاتها فى أقرب فرصة ان شاء الله .**

بريد التعارف

الاسم : على حسن حسن
البلد : البحرين
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب
الهواية : جمع الطوابع والمراسلة والقراءة
العنوان : نادى الاتحاد الثقافى والرياضى – المحرق البحرين

الاسم : خالد باليبد
البلد : أندونيسيا
السن : ٢١ سنة
المهنة : طالب
الهواية : الطوابع – بطاقات البريد – المجلات
صندوق بريد ٧٩
العنوان : سوراباجا – اندونيسيا

الاسم : محمد احمد ابراهيم عيسى
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب
الهواية : قراءة الكتب الادبية ولا سيما الادب الدينى ، وتبادل الصور وجمع الطوابع والمراسلة
العنوان : ١٠ شارع الخشاب – روض الفرج – شبرا مصر

الاسم : أحمد سلامة عبد الغنى
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٠ سنة
المهنة : طالب بتجارة عين شمس
الهواية : قراءة الكتب الدينية والمراسلة ، وتبادل الطوابع
العنوان : جامعة عين شمس – كلية التجارة – القاهرة

الاسم : النجاتى عبد الله بله
البلد : السودان
السن : ٢٣ سنة
المهنة : هندسة الراديو والكهرباء
الهواية : مراسلة جميع الشباب العربى والطوابع وتبادل المعلومات الثقافية
العنوان : السودان مدينة ام درمان ص ٠ب ٤٢

الاسم : احمد عبد العزيز نهار
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٠ سنة
المهنة : طالب بدار المعلمين
العنوان : بنى سويف
الهواية : قراءة الكتب الادبية والدينية والمراسلة
الفشن – البرقى

اقرأ فى هذا العدد :

صفحة

معالم الطريق ... ٣

حديث مع سفير افغانستان بالقاهرة ... ١٠

الصوفية فى الهامهم ... الاستاذ حسين كامل المطاوى ... ١٤

الاشتراكية العربية فى ميزان الاسلام ـ
حق المجتمع على الفرد ... فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى ... ٢٠

الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
فى تفسير الزمخشرى ... الدكتور عبد الوفى ... ٢٥

دعوة الميثاق الى تعديل القوانين دعوة حق ... المستشار أحمد موافى ... ٢٨

الحلف الاسلامى اسبابه واهدافه ... فضيلة الشيخ بسيونى رسلان ... ٣١

عود على بدء ... فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى ٣٢

خواطر مستشار ... المستشار على على منصور ... ٣٦

من حضارة الاسلام ... الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل ... ٤٠

موقف الاسلام من الحلف الاسلامى ... فضيلة الشيخ صالح موسى شرف ... ٤٧

من توجيهات النبوة ... فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى ٤٩

حول خطاب الرئيس فى عيدالثورة الرابع‌عشر الدكتور عبد الغنى الراجحى ... ٥٢

الحسين بن على ... الاستاذ محمود كمال ... ٥٦

كلمة اخيرة حول القرآن الكريم والحديث
القدسى والحديث النبوى ... الدكتور مصطفى زيد ... ٦١

الجذور الاسلامية فى الاشتراكية العربية ... الدكتور احمد شلبى ... ٦٦

الدعوة روح الفكرة ... الاستاذ عبدالسميع البطل ... ٦٩

الايمان أقوى دعائم الانتصار ... فضيله الشيخ عبدالله المشد ... ٧٣

التكافل الاجتماعى فى الاسلام ... الدكتور محمد سلام مدكور ... ٧٦

الاسلام والسلام ... فضيلة الشيخ محمود شوكت العدوى ٧٩

ألفاظ القرآن الكريم ... فضيلة الشيخ أحمد الشرباصى ... ٨١

الحكم حزم وعدل الله أوحاه « قصيدة »... الاستاذ كامل عبد الجواد القاياتى ... ٨٤

مؤامرات الرجعية والاستعمار باسم المؤتمر
الاسلامى ... الاستاذ أحمد وافى ... ٨٥

كيف ابتدات اسرائيل وكيف تنتهى ... الدكتور محمود دياب ... ٩٥

التوكل على الله قوة دافعة الى العمل ... فضيلة الشيخ عبد الرحيم فوده ... ٩٧

الحلف المنبوذ ... فضيلة الشيخ سليمان حسن عبدالوهاب ١٠٠

الاسلام بين القومية والعالمية ... فضيلة الشيخ عطية صقر ... ١٠٣

من اعلام الاسلام ... الاستاذ محمد عطية الابراشى ... ١٠٦

حلف المنافقين ... الدكتور على حسنى الخربوطلى ... ١٠٩

دعوات هدامة ... الدكتور محمد مظهر سعيد ... ١١٣

الحقوق والحريات العامة للمواطنين العرب
بالسعودية ... الدكتور محمود حلمى ... ١١٧

ابوبكر بن الانبارى ... فضيلة الشيخ محمد سيد جادالحق ... ١٢٠

دعوة الميثاق الوطنى من دعوة الاسلام ... الاستاذ حسنى عبد المجيد ... ١٢٢

السنة المحمدية خالدة خلود الحياة ... فضيلة الشيخ أبوبكر محمد ذكرى ... ١٢٦

شيخ المنافقين ... فضيلة الشيخ محمد على الطعمى ... ١٣٠

التصوف فى الاسلام ... الاستاذ طه سيف النصر ... ١٣٢

لن تقوم لليهود دولة فى الارض ... فضيلة الشيخ حنفى عبد المتجلى ... ١٣٤

الايمان صانع المعجزات ... الاستاذ محمود الهجرسى ... ١٣٨

بطولات اسلامية عربية ... الدكتور محمد محمد أبو شبهة ... ١٤٠

القرآن بين الفلسفة والعلم ... الاستاذ محمود أبو الفيض المنوفى ... ١٤٣

رحلاتى فى الاسلام ... فضيلة الشيخ محمود الحصرى ... ١٤٧

حضارة الاسلام واثرها فى رقى البشرية ... الاستاذ منصور فهمى ... ١٥١

من تراثنا الاسلامى ـ لطائف الاشارات للقسطلانى فضيلة الشيخ ابراهيم عطوه عوض ... ١٥٣

صفحة

دعاة الاسلام ومجددوه ... ... الاستاذ انور الجندى ١٦٠
عبد الناصر صانع السلام ... ... الاستاذ كامل عبد المجيد ١٦٥
زلة ملك ... ... الاستاذ محمد السباعى الديب ١٦٨
اشتراكيتنا كفاية وعدل ... ... الاستاذ الرفاعى الباز ١٧١
قطوف ... ... الاستاذ على الجندى ١٧٣
بقية معالم الطريق ... ... الاستاذ مصطفى محمود مصطفى ١٧٧
سقوط الاقطاع حسنة من حسنات الرئيس جمال ١٨٠
من الادب الصوفى المصرى فى القرن السابع
الهجرى ... ... على صافى حسين ١٨٢
حول سيرة الامام البخارى ... ... سماحة الاستاذ مبشر الطرازى الحسينى ١٨٥
دراسات فى التاريخ الاسلامى ... ... الدكتور احمد ابراهيم الشريف ١٨٩
فتح صقلية « قصة العدد » ... ... الاستاذ عبد الحميد جوده السحار ... ١٩٣
باب الرياضة ... ... اعداد : ناصف سليم ١٩٦
اغرودة صوفية على ضفاف النهر ... ... الشاعر عبد الله شمس الدين ١٩٩
اعجاز ... ... الشاعرة روحية القلينى ٢٠١
فان حسبك الله ... ... الشاعر محمود جبر ٢٠٣
مختارات من شعر ابن عربى ... ... الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل ٢٠٥
مطالعات ... ... الاستاذ حسن الشيخة ٢٠٩
العرفان الصوفى ووسائله ... ... الدكتور محمد غلاب ٢١٢
حديث السيف ... ... الاستاذ محمد فرج ٢١٦
اشتراكيتنا اسلامية ... ... فضيلة الشيخ محمود محمد زيادة ... ٢٢٠
تاريخ التشريع الاسلامى فى مصر ... ... الدكتور حامد حفنى داود ٢٢٣
الاشتراكية فى الاسلام ... ... الاستاذ محمد المتولى النظامى ٢٢٦
ماذا نعرف عن العالم الاسلامى دوله وشعوبه
« المملكة الليبية المتحدة » ... ... الدكتورة عنايات الطحاوى ٢٣٢
البحرية فى مصر الاسلامية ... ... الدكتورة سعاد ماهر ٢٤١
مشهد السيد رقية ... ... الاستاذ محمود وصفى ٢٤٥
الرحالة والمستكشفون العرب ... ... الدكتور انور عبد العليم ٢٥١
مفتاح الحساب لجمشيد ... ... الاستاذ احمد سعيد الدمرداش ٢٥٣
دين الله غنى عن الاحلاف ... ... فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان ... ٢٥٨
الى عملاء الاستعمار ... ... الاستاذ عبد العال شعيب ٢٦٢
الانسان والقرآن الكريم ... ... الاستاذ صلاح عزام ٢٦٤
ولقد كرمنا بنى آدم ... ... الاستاذ عبدالعليم المهدى ٢٧٠
الحلف الاسلامى حلقة من حلقات التآمر
الاستعمارى الرجعى ... ... الاستاذ احمد حمزه ٢٧٣
من فنون الاسلام ... ... الاستاذ سعيد الصدر ٢٧٨
اضواء على التاريخ الاسلامى ... ... الاستاذ محيى الدين الالوائى ٢٨٢
حياة المقر الشهابى ... ... الاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعى ... ٢٨٥
العالم الاسلامى فى شهر ... ... الاستاذ محمود الكولى ٢٨٨
اضواء على المسلمين فى العالم ... ... اعداد : رياض خليفة ٢٩٢
المرأة المسلمة ... ... اعداد نجاة الزنيرى ٢٩٤
ست الملك ... ... اعداد عائشة حسنى ٢٩٧
انت تسال والمفتى يجيب ... ... فضيلة الامام الاكبر الشيخ حسن مامون ٢٩٨
مع القراء ... ... اعداد : فؤاد هيبه ٣٠٢
بريد التعارف ٣٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

لجنة القرآن المرتل

نزولا على رغبة المواطنين . واستجابة لآلاف الطلبات والخطابات التي وردت للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية من السفارات والهيئات المختلفة والجمعيات الإسلامية في قارتي أفريقيا وآسيا وبعض دول أوربا وأمريكا اللاتينية ...

يسر لجنة القرآن المرتل أن تعلن عن بيع ..

إسطوانات القرآن المرتل

- رواية حفص عن عاصم وترتيل الشيخ محمود خليل الحصرى

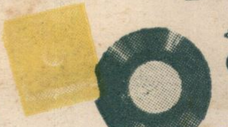

٤٤ إسطوانة

	مليم	جنيه
بالغلاف الفاخر بثمن	٧٩٦	٢٣
بالغلاف العادى بثمن	٣٢٢	١٩

السرعة ٣٣ ١/٣ لفة في الدقيقة

- رواية ورش عن نافع وترتيل الشيخ محمود خليل الحصرى

٦٨ إسطوانة — الثمن ١٥٠ مليم , ٣٥ جنيه

السرعة ٣٣ ١/٣ لفة في الدقيقة

- كما يسر اللجنة أيضا أن تعلن عن بيع مجموعة إسطوانات تعليم الصلاة باللغات العربية والانجليزية والفرنسية وفي ٢٣ يوليو سنة ١٩٦٦ عيد الثورة الرابع عشر إن شاء الله تظهر باللغات الأوردية والسواحلية ...

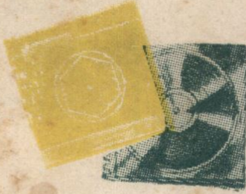

المجموعة تحتوى على ٧ سبع اسطوانات

الاسطوانة الأولى شاملة للآذان . والثانية تشمل كيفية الوضوء . والخمس إسطوانات الأخرى على كل منها صلاة من الصلوات الخمس . وأمام كل إسطوانة . كتيب يشرح كل فريضة . بالكلمة وبالصورة

الثمن ٥٠ خمسون قرشا

مواعيد البيع :

من الساعة ٩ صباحا الى الساعة ٢ مساء و من الساعة ٥ مساء الى الساعة ٩ مساء ما عدا أيام الجمع والعطلات الرسمية

العنوان:
- القاهرة : مخازن القرآن المرتل : ٧٦ شارع الجمهورية ت ٩١١٧٠٨
- الاسكندرية : فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية : ٤٢ شارع سعد زغلول ت ٢٨٦٦٢

(مطابع شركة الاعلانات الشرقية)